الماوية : نظرية و ممارسة – 18 -

شادي الشماوي

من ردود أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعية على مقال " ضد الأفاكيانية " لآجيث

ملاحظة لا بدّ منها : هذه ترجمة غير رسمية .

This is not an official translation.

===================================

مقدّمة الكتاب 18 :

فى كتاب لنا سابق ، الكتاب 15 ، **" مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه "** ، نشرنا ترجمة المقال المطوّل لآجيث و أرفقناه بترجمة لمقال لريموند لوتا يُعنى أساسا بالردّ على **" ضد الأفاكيانية "** فى نقطة واحدة مركّزة هي الإقتصاد السياسي ، دون ذكر حتّى إسم من يجرى الردّ عليه ، على أن متابع الجدال العالمي فى صفوف الحركة الماوية العالمية و الحركة الشيوعية العالمي يتفطّن بيسر و من أوّل وهلة للمعنى بالردّ . و لاحقا ، صار الأمر معلوما لدى الجميع و مصرّح به علنيّا بمعنى أنّ ذلك الردّ هو ردّ أوّل على أطروحات آجيث فى جانب يخصّ الإقتصاد السياسي تحديدا .

و مثلما توقّعنا فى مقدمة ذلك الكتاب 15 ، أخذت المقالات التى تردّ على آجيث تتساقط بين الحين و الحين و كنّا نقتفى أثر المقالات العميقة فى طرحها و نشتغل على تعريبها بأسرع ما أمكن و ننشرها حالما نفرغ من العمل المطلوب . و هذا ما تمّ فعلا مع مقالي **" الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية ."** لروبار بوربا و **" الشيوعية أم القومية ؟ "** لمنظّمة الشيوعيين الثوريين ، المكسيك . و بإعتبار أنّ مجلّة **" تمايزات "** (مجلّة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية) أعلنت منذ أشهر و على وجه الضبط منذ نشر مقال **" الشيوعية أم القومية ؟ "** أنّها ستصدر مقالا محوريّا فى هذا الجدال العالمي حول الخلاصة الجديدة للشيوعية ، ترقّبنا هذا المقال بشوق إلى صدوره فى بداية جانفي 2015 و لم نفتأ نشتغل عليه بشغف و جهد جهيد و الحقّ يقال لساعات و أيّام و أسابيع طوال – فهو يقع فى زهاء المائة صفحة وورد بالعربية و بالتالى لوحده يمكن أن يعدّ كتابا - حتّى إنتهينا من مهمّة ترجمته و وضعناه بين أيدى القرّاء فى شهر فيفري 2015.

و إستنادا إلى تصريحات ناشرى مجلّة **" تمايزات "** أين نشرت كافة المقالات الأربعة ،

www.demarcations-journal.org

و بالنظر إلى المضمون الدسم للمقالات إيّاها ، قدّرنا أنّ المادة الأساسية فى الردّ على مقال **" ضد الأفاكيانية "** أضحت متوفّرة و بالتالى بات من الممكن لنا أن نجمعها فى الكتاب الذى بين أيديكم ، على أنّنا لن نغفل مقالات أخرى من المنتظر أن ترى النور فى المستقبل القريب أو البعيد و سنسعى جهدنا لتعريبها إن كانت ذات مستوى يضيف جديدا إلى المقالات التى تشكّل العامود الفقري لهذا العدد الجديد من **" الماوية : نظرية و ممارسة "** .

و نوضّح عنوان الكتاب الجديد هذا فنقول إنّنا صغناه بوعي تام ليعكس أمرين إثنين :

أ- أنّ الخلاصة الجديدة للشيوعية لا تعنى حصرا الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية و بوب أفاكيان الذى تقدّم بها ، بل تعنى مجمل أنصار هذه الخلاصة عبر العالم و الحركة الشيوعية العالمية بأسرها إذ انّها محور صراع خطّين قسم الماوية إلى إثنين ، و قد تبنّاها أكثر من حزب و أكثر من منظّمة و سبق لنا أن رأينا فى كتاب " الماوية تنقسم إلى إثنين " ، الحزب الشيوعي السيلاني و الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و منظّمة الشيوعيين الثوريين ،

المكسيك يعلنون تبنيّهم للخلاصة الجديدة للشيوعية و يدافعون عنها دفاعا مستميتا . و قد لاحظنا على الأنترنت بيانات تبنّى لهذه الخلاصة مصدرها الشيوعيون الثوريّون بألمانيا و مجموعة الشيوعيين الثوريين بكولمبيا ... (و قد تكون فاتتنا بيانات أخرى) و نحن نذكرها هنا و لم نقم بتعريبها لأنّنا قدّرنا (و قد نكون مخطئين فى تقديرنا) أنّ فائدتها ضئيلة جدّا لمن يتطلّع إلى دراسة صراع الخطين و الإلمام بأهّم مضامينه و تطوير فهمه لعلم الشيوعية لإنارة الممارسة الثورية .

ب- أنّ المقالات التى ينطوى عليها هذا الكتاب لا تعدو أن تكون بضعة مقالات (و إن كانت الأبرز عالميّا) و من الأكيد أنّ مقالات أخرى صدرت أو ستصدر مستقبلا لأنّ الصراع مستمرّ و هناك نقاط أخرى برأينا تستدعى ، و إن كانت ثانوية إلى حدّ ما ، الخوض فيها أو مزيد تعميق تفحّصها . و من الأكيد أيضا أنّه مثلما قلنا فى مقدّمة كتاب **" مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه "** : " سنقترف فادح الخطإ إن نسينا التنويه بكتاب ناظم الماوي **" آجيث نموذج الدغمائي المناهض لتطوير علم الشيوعية "** الفريد من نوعه عربيّا والذى صدر منذ مدّة باللغة العربية على الأنترنت و بمكتبة الحوار المتمدّن للمساهمة فى خوض صراع الخطّين الحيوي هذا. فهل من مزيد من لدن الماويين فى الأقطار العربية ، أفرادا ومجموعات ، سواء من أنصار الخلاصة الجديدة للشيوعية أومن مناهضيها ؟".

و لا يسعنا فى ختام هذه المقدّمة المقتضبة إلاّ أن نتوجّه إلى الماويين خاصة و الشيوعيين عامة بدعوة ملحّة إلى أن يدرسوا مليّا هذه الوثائق و تلك التى سبقتها دراسة متأنّية و عميقة هدفها البحث عن الحقيقة الموضوعيّة التى تخوّل لنا فهم الواقع فهما علميّا و تغييره تغييرا يساهم فى إنجاز الثورة البروليتارية العالمية و المضيّ قدما صوب الشيوعية العالمية كغاية أسمى .

و يقينا أنّ سلوك سياسة النعامة و تجاهل هذا الصراع العالمي ، والممارسة إنطلاقا من أنّ الولاءات الشخصيّة و العائليّة و العلاقات الذاتية التاريخية مع أفراد و منظّمات و أحزاب فوق كلّ إعتبار ، و من نظرة قومية ضيّقة مناهضة للأممية البروليتارية يدوسون دوسا مقولة ماو تسى تونغ الملخّصة لحقيقة موضوعية مستشفّة من عقود من الصراع الطبقي و صراع الخطيّن داخل الأحزاب الشيوعية فى الحركة الشيوعية العالمية ألا وهي **" صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي هي المحدّدة فى كلّ شيء "** .

و أكيد أنّ الحركة الشيوعية العالمية تواجه اليوم مفترق طرق و الرهان أكبر بكثير ممّا يتصوّره ضيّقو الأفق ، الرهان مستقبل الشيوعية و مستقبل الإنسانية و تحريرها من جميع ألوان الإستغلال و الإضطهاد الجندري منها و الطبقي و القومي . فهل على الشيوعيين الحقيقيين أن يقفوا موقف المتفرّج أم يقوموا باللازم شيوعيّا ؟

و يحتوى الكتاب 18 أو العدد 18 من **" الماوية : نظرية و ممارسة "** على مقالات أربعة هي على التوالي حسب تاريخ صدورها :

1- حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع

2- الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية :

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تنظيمه .

3- الشيوعية أم القومية ؟

مقدّمة

1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :

2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟

3- النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي :

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقل تطوّرا رأسمالياّ :

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثورة ؟

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

الهوامش :

4- آجيث – صورة لبقايا الماضى

I - تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضي

II - الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا ولماذا الحقيقة هي الحقيقة :

- رفض آجيث للشيوعية كعلم

- الماديّة التاريخية : نقطة محوريّة فى الماركسية

- المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية

- آجيث يرفض المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية

- آجيث وكارل بوبر

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

==

1

==

حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير .

نقاش حاد و جدال ملحّ :

النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع .

ريموند لوتا ، العدد 322 من جريدة " الثورة " بتاريخ 10 نوفمبر 2013

www.revcom.us

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

العالم فظيع . بأكثر تحديد ، العالم الذى أودجته الرأسمالية – الإمبريالية و عزّزه عالم حروب غير عادلة و غزوات وحشية و فقر مدقع ساحق للحياة و لامساواة وحشية و الحطّ المتفشّى من مقام النساء . هذا

عالم – و هنا من المناسب الحديث عن الكوكب – فيه الأزمة البيئية المتسارعة ليست جزءا من قوام الحياة اليومية فقط ، بل هي تهدّد التوازنات البيئية ذاتها و أنظمة الحياة على الأرض.

إنّ عذاب الإنسانية فى العالم و الوضع الخطير الذى يوجد فيه الكوكب هما جوهريّا نتيجة لسير التناقض الأساسي لعصرنا ألا وهو التناقض بين قوى الإنتاج العالية الإجتماعية المعولمة و المترابطة من جهة و علاقات الملكية و التحكّم الفرديين فى قوى الإنتاج هذه من جهة أخرى . لكن ما يقع فى أسر هذا التناقض هو إمكانية تجاوزالإنسانية للعوز و الإستغلال و الإنقسام الإجتماعي – إمكانية تنظيم المجتمع على أساس مغاير تماما سيسمح للبشر بأن يزدهروا حقّا .

و هذا يعنى أنّ العالم كما هو ليس العالم كما يجب و يمكن أن يكون .

ما المشكل الذى يواجه الإنسانية ؟ ما الذى يجب تغييره من أجل معالجة هذا المشكل ؟ و كيف يمكن تحقيق هذا التغيير ؟ الشيوعية هي العلم الذى يخوّل للإنسانية أن تفهم العالم بهدف تغييره – فهم العالم بأكثر عمق أبدا من أجل تغييره أبدا بشكل أعمق بإتجاه المجتمع الإنساني العالمي . و مثلما هو الحال مع كافة العلوم ، تنطلق الشوعية من العالم **كما هو فعلا** ، كم الضرورة (الهياكل و الديناميكية) التى تواجه عمليّا الإنسانية . فى الواقع يكمن الأساس الحقيقي لتجاوز الإستغلال و الإضطهاد و إيجاد عالم مغاير راديكاليّا من خلال الثورة .

و يجرّنا هذا إلى النقطة المحورية فى هذا الجدال .

فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية هناك نقاش محتدم حول طبيعة و سيرورة و عمل التناقض الأساسي للرأسمالية : بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الفردي . و النقاش يدور حول أشكال الحركة – و ما هو عامة الشكل الرئيسي لحركة – هذا التناقض الأساسي .

و يشمل هذا النقاش مسائلا حيوية فى الإقتصاد السياسي إلاّ أنّه محوريّا يدور حول مسائل المنهج و المقاربة . هل أنّنا سنواجه العالم الموجود فعلا و تغيراه وتعقّده و تحليله و على ذلك الأساس نغيّره ؟ أم سنستعمل المفردات الماركسية كأداة براغماتية أساسا لتحديد مصادر التغيير و البحث عن ضمانات أن " يعمل " التاريخ من أجلنا و أن تتغلّب الجماهير و ذلك ببناء إطار مثالي للسياسة و الفلسفة ؟

ما هو نوع الحركة الشيوعية العالمية التى ستوجد : حركة متجذّرة فى العلم و تنطلق من العالم كما هو أم حركة تنطلق من " روايات " تفرض بالقوّة تفرض بالقوّة على الواقع أن يتناسب مع مع نظام إعتقادي يبحث على الطمأنينة ؟

لقد مثّلأت هزيمة الثورة الصينية فى 1976 نهاية المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية . و قد شهدت هذه المرحلة الأولى إيجاد أوّل دولة إشتراكية فى العالم فى الإتحاد السوفياتي (1917- 1956) و قفزة و تقدّم أعمق مع إرساء سلطة الدولة الثورية فى الصين و المضيّ قدما بتلك الثورة (1949- 1976).

و غداة الثورة المضادة فى الصين ، شرع بوب أفاكيان رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فى سيرورة التمحيص و الدراسة العلمية للمكاسب الملهمة التى لا تصدّق لتلك المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية ، و كذلك لنقائصها و أخطائها الحقيقية ، و بعضها جدّي للغاية . رفع راية المبادئ الجوهرية للشيوعية و التقدّم بالعلم بطرق نوعية و جديدة و صاغ خلاصة جديدة

للشيوعية إنطلاقا من تلخيص للتجربة الثورية للحركة الشيوعية و بالتعلّم و إستخلاص الدروس من مجالات متنوّعة من الفكر و البحث العلمي و الثقافي و الفنّي .

لقد أعاد أفاكيان تصوّر المرحلة الإنتقالية الإشتراكية إلى الشيوعية تصوّرا جذريّا و فى نفس الوقت ، وضع الشيوعية على أسس علمية أرسخ حتى . و توفّر هذه الخلاصة الجديدة إطار المضيّ أبعد و إنجاز ما هو أفضل خلال الموجة الجديدة من الثورة الشيوعية فى العالم المعاصر .

لقد طوّر بوب أفاكيان الخلاصة الجديدة للشيوعية فى تعارض مع و قد عارضته إجابتين أخريين تجاه هزيمة الإشتراكية فى الصين الثورية : واحدة تنبذ المبادئ الجوهرية للشيوعية و تعانق الديمقراطية البرجوازية و الأخرى تتمسّك بتصلّب و بطريقة شبه دينية بالتجربة الإشتراكية و النظرية الشيوعية السابقين و ترفض مقاربة علمية صريحة لتلخيص الماضي و مزيد تطوير النظرية الشيوعية (1).

هذه خلفية هذا النقاش . بيد أنّ قضايا الإقتصاد السياسي و المنهجية المتصلة بهذا الجدال ليست قضايا محدودة أو فقط ذات فائدة و أهمّية بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية .

يشمل هذا النقاش مواضيعا تخصّ التنظير و النزاع ضمن أوساط سياسية تقدّمية و مثقّفين – أكاديميين ، مواضيعا ذات أهمّية عميقة و آنية .هل أنّ الرأسمالية فعلا نظام – له محرّكات نظامية و نتائج نظامية ، أي له قوانين حركته ؟ كيف نفهم مدى المبادرة الإنسانية الواعية نسبة للديناميكية الهيكلية للرأسمالية ؟ وما هي المقاربة العلمية لفهم المجتمع و تغييره ؟ و ما الذى يمثّل بالفعل تحرير الإنسانية فى هذا العصر؟

وفقرة من " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا لكن الإنسانية بوسعه أن يتجاوز الأفق** " لبوب أفاكيان تكثّف نقطة حيوية كمنطلق :

" هكذا هي فعليّا الأمور فى ما يتصل بالظروف الحالية للمجتمع الإنساني و إمكانيات كيف يستطيع مجتمع أن يُسيّر و يتمّ تنظيمه : إنّها مسألة إمّا بديل راديكالي للنظام الحالي الذى تهيمن عليه الرأسمالية – الإمبريالية – بديل قابل للتطبيق و البقاء لأنّه يقوم على القوى المنتجة المتوفّرة و يزيد فى إطلاقها ، عبر تغيير العلاقات الإجتماعية ، و أكثر جوهرية علاقات الإنتاج و فى علاقة جدلية بهذا ،تغيير البناء الفوقي السياسي و الإيديولوجي – و من خلال هذا التغيير و جوهريّا تغيير الظروف المادية الأساسية إيجاد نظام إقتصادي جديد جذريّا كقاعدة لمجتمع جديد جذريّا ككلّ ؛ و إمّا ما سيأكّد بالفعل نفسه كبديل واقعي وحيد فى عالم اليوم – الإنجذاب أو الإضطرار إلى مجتمع أسير لحدود الإنتاج و التبادل السلعي و بأكثر تحديد علاقات إنتاج و سيرورة مراكمة و ديناميكية رأسمالية ..." (2) .

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

فى بدايات ثمانينات القرن العشرين ، شرع الحزب الشيوعي الثوري فى عمل و بحث نظريين هامين فى الإقتصاد السياسي للرأسمالية و كيف أنّ تناقضات العالم تأكّد نفسها و تتفاعل فيما بينها . و أثيرت مسألة ديناميكية الرأسمالية و كيف تحدّد " المرحلة " التى يرجى فيها النضال الثوري ، فى كلّ من العلاقة

بالوضع العالمي الملموس حينها و فى علاقة بالمسألة الأوسع للإنتقال التاريخي من العصر البرجوازي إلى عصر العالم الشيوعي .

و مركزية فى هذا العمل النظري كانت الرؤى الثاقبة التى تقدّم بها بوب أفاكيان . فقد حدّد " القوّة المحرّكة للفوضى " بإعتبارها الشكل الرئيسي لحركة التناقض الأساسي للرأسمالية ، محدّدة الإطار العالم للصراع الطبقي .

و تعيين " القوّة المحرّكة للفوضى " كدیناميكية رئيسية للرأسمالية قد أفرز قدرا غير قليل من الغضب و الإستياء من أطراف مختلفة داخل الحركة الشيوعية العالمية (و هنا نحيل على القوى و التشكيلات الماوية فى تلك الفترة و ليس على الأحزاب الشيوعية التحريفية المرتبطة بالإمبريالية الإشتراكية السوفياتية حينذاك و التى قد تخلّت عن الثورة منذ زمن بعيد).

و قد حاجج البعض ضمن الحركة الماوية وقتها بأنّ هذا الفهم يصفّى عمليّا دور الجماهير و الصراع الطبقي فى التاريخ . و دافع آخرون على فكرة أنّه نظرا لأنّ إستغلال العمل المأجور للبروليتاريا هو مصدر فائض القيمة (للربح) و نظرا لأنّ الترفيع إلى الأقصى فى الربح هو سبب وجود البرجوازية ، بالتالي منطقيّا و تاريخيّا الصراع بين البروليتاريا و البرجوازية المتجذّر فى إنتاج فائض القيمة ، هو بالضرورة الديناميكية الرئيسية للتطوّر الرأسمالي .

و وُجدت حجّة أخرى أيضا هي أنّه مبدأ جوهري فى الماركسية أنّ الجماهير تصنع التاريخ و أنّ الإضطهاد يفرز مقاومة يمكن تحويلها إلى ثورة – و لذا الصراع الطبقي و إمكانيته الثورية يجب أن تكون الشكل الرئيسي لحركة التناقض الرئيسي للرأسمالية .

حقيقة موضوعية هي أن الجماهير تصنع التاريخ . لكن كذلك حقيقة هي أنّ الظروف الموضوعية الفعلية تنشأ إطار الصراع الطبقي و أنّ الجماهير **لا تستطيع** أن تصنع تاريخا يخدم مصالحها العليا و أنّ الإنسانية لا تستطيع بلوغ الشيوعية دون قيادة ، مركّزة فى حزب طليعي تعتمد على الفهم العلمي الأكثر تقدّما لكيف هو العالم و كيف يمكن تغييره فى مصلحة تحرير الإنسانية فى العالم .

و من جديد طفح هذا النقاش إلى السطح رغم أنّه الآن يتمّ فى إطار الصراع الإيديولوجي حول ما إذا كانت الخلاصة الجديدة للشيوعية التى تقدّم بها بوب أفاكيان هي الإطار النظري للمرحلة الجديدة من الشيوعية . و الرهان هو الحاجة و الأساس الفعليين للثورة الشيوعية الشاملة فى عالم اليوم ، من أجل التحرير الحقيقي للإنسانية و صيانة الكوكب ... و الحاجة إلى مقاربة علمية إلى أقصى الحدود إن كانت تلك الثورة لتنجز و تمضي قدما .

<u>ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسى :</u>

التغيير الأساسي الذى أدخله المجتمع الرأسمالي هو جعل **<u>الإنتاج إجتماعيا</u>** . حوّل وسائل الإنتاج الفردية المحدودة إلى وسائل إنتاج إجتماعية لا يمكن إستخدامها إلاّ من قبل مجموعت من العمّال . و الإنتاج نفسه تحوّل من سلسلة من العمليّات الفردية إلى سلسلة من الأعمال الإجتماعية و تحوّلت المنتوجات من منتوجات فردية إلى منتوجات إجتماعية .

و هذه المنتوجات هي الآن بالفعل إنتاج طبقة واحدة هي البروليتاريا (3).

و البروليتاريا ، الطبقة التى هي فى أساس العمل الجماعي و الإجتماعي الطابع ، تقوم بالإنتاج فى المصانع والمعامل و المناجم و المزارع المصنّعة و المركبات الصناعية – الفلاحية - و النقل و التخزين – التوزيع و غيرها . وهي تستخدم المعرفة الإجتماعية التى طوّرتها و نقلتها الأجيال السابقة .

لكن هذا الإنتاج الإجتماعي تمتلكه و تتحكّم فيه و تراكمه طبقة رأسمالية قليلة العدد نسبيّا . و البروليتاريا و هذا الشكل من الإنتاج الإجتماعي فى تناقض جوهري مع التملّك الرأسمالي الفردي للثروة المنتجة إجتماعيّا – فى شكل رأسمال خاص .

فى " **ضد دوهرينغ** " ، يبيّن فريديريك إنجلز أنّ التناقض بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الرأسمالي لإنتاج العمل الإجتماعي يتمظهر و يتحرّك بشكلين من التناقضات العدائية (4). الشكل الأوّل هو **التناقض العدائي بين البروليتاريا والبرجوازية .** و مع ظهور الرأسمالية و تطوّرها ، صار العمل المأجور القاعدة الأساسية للإنتاج الإجتماعي المعاصر. و هؤلاء العمّال المأجورين منفصلون عن – لا يملكون و لا يتحكّمون فى – وسائل إنتاج المجتمع الرئيسية . و تتركّز وسائل الإنتاج هذه بأيدي الطبقة الرأسمالية . و هم لا يملكون سوى قوّة عملهم(قدرتهم على العمل) يجب على العمّال المأجورين كي يظلّوا على قيد الحياة ، أن يبيعوا قوّة عملهم لرأس المال . و تصبح قوّة العمل سلعة فى ظلّ الرأسمالية .

و عندما يشغّلهم رأس المال ، يدخل هؤلاء العمّال المأجورين الحركة على وسائل الإنتاج الإجتماعية .إلاّ أنّ إنتاج ذلك العمل الإجتماعي و سيرورة العمل الإجتماعي تتحكّم فيها الطبقة الرأسمالية . و يربط رأس المال العمل الحيّ بخلق قيمة و يهدف إلى إستخراج أقصى فائض عمل (فائض قيمة) – كمّية العمل الزائدة و وقت العمل المتجسّد فى أجورهم (متناسبا مع ما يتطلّبه إبقاء المنتجين على قيد الحياة و الحفاظ عليهم وعلى عائلاتهم ، و تنشأة أجيال جديدة من العمّال المأجورين).

و يمارس الصراع بين البروليتاريا والبرجوازية ، إلى جانب الصراعات الأخرى الناجمة عن مختلف التناقضات الإجتماعية المشروطة و المندرجة فى تطوّر التناقض الأساسي للرأسمالية على النطاق العالمي ، يمارس تأثيرا عميقا على الإقتصاد و المجتمع و العالم .

لنضرب بعض الأمثلة لكيف أنّ التناقض الطبقي و التناقضات الإجتماعية الأخرى جزء من الضرورة القائمة التى يواجهها رأس المال :

إشكالية كبرى لدى الرأسمال الصناعي المتحرّك أبدا أكثر هي إشكالية الإستقرار الإجتماعي . هناك ضغوط تنافسية هائلة تحثّ رأس المال على التحرّك من المكسيك إلى الصين ، إلى الفتنام إلخ بحثا عن تكاليف إنتاج أرخص . لكن الكلفة ليست العالم الوحيد ؛ و القرارات متأثّرة أيضا بعوامل " عدم إستقرار العمل " و التنظيم . أو أنظروا إلى دولة الإستعمار الجديد التى صاغتها و شجعت عليها الإمبريالية الأمريكية خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية : إحدى أهمّ وظائفها كانت تعزيز ظروف النظام الإجتماعي لتيسير مزيد توغّل رأس المال . و هناك الوضع فى شرقي أوروبا اليوم حيث هجوم التقشّف الشامل تمّ بحسابات تنطوي على إستباق الردّ الجماهيري . و بالعودة إلى ستينات و سبعينات القرن العشرين فى الولايات المتحدة ، فإنّ المعايير المستخدمة فى الصناعة الأمريكية و مواقع المصانع و السياسة الإجتماعية المدينية كانت مشروطة كثيرا بتهديد (و واقع) إنتفاضات و تمرّدات جماهير المضطهَدين السود . و مجدّدا ، التناقض الطبقي و التناقضات الإجتماعية الأخرى جزء من الضرورة القائمة التى يواجهها رأس المال .

يشكّل التناقض العدائي بين البروليتاريا و البرجوازية حركة التناقض الأساسي .

و الشكل الآخر لحركة التناقض الأساسي للرأسمالية هو **التناقض بين تنظيم الإنتاج على مستوى المعامل و المصانع و المؤسسات الفردية و وحدات رأس المال من جهة و فوضى الإنتاج فى المجتمع ككلّ من جهة أخرى .**

يجتهد الرأسمال الفردي لتنظيم الإنتاج بفعالية بُغية إسترداد تكاليف الإستثمار و كسب أفضلية و أجزاء من السوق على حساب الرساميل الأخرى . و للقيام بذلك ، يضطلع الرسمالي بتنظيم علمي و " طغياني" للإنتاج : تحليل الإستثمار و الإنتاج و الحسابات الصارمة والبرمجة القصوى و سرعة التنفيذ و تمديد مدّة العمل ومراقبة العالم و التحكّم فيه إلى أقصى درجة . و يحدث هذا على جميع مستويات الرأسمال الخاص وصولا إلى الشركات المعاصرة المتعدّدة القوميّات (فكّروا فى وال – مارت و سلسلة تنظيم تزويده).

لكن بقدر ما يكون الإنتاج منظّما بأعلى الدرجات على مستوى المؤسسة ، لا وجود و لا يمكن أن يوجد تخطيط منهجي و عقلاني على مستوى المجتمع . و هذا يجب شرحه .

فى ظلّ الرأسمالية ، الغالبية العظمى من المنتوجات التى تشكّل القاعدة المادية لإعادة الإنتاج الإجتماعي للمجتمع تنتج كسلع . بمعنى أنّها تُنتج للتبادل (للربح). من يشترون و من يبيعون هذه أو تلك من السلع سواء وسائل الإنتاج التى هي إستثمارات فى سيرورة الإنتاج أو وسائل إستهلاك – تعتبر أمرا معطى . لكن لا وجود لروابط إجتماعية مباشرة بين المنتجين فالإنتاج الإجتماعي ليس منسّقا ككلّ إجتماعي .

و تمثّل السلعة المنتجة كسلعة رأسمالية تناقضا ينبغى بإستمرار معالجته. فمن جهة ، يقوم المنتجون الأفراد بنشاطهم بإستقلالية الواحد عن الآخر :عديد سيرورات العمل المختلفة التى تمثّل النشاط الإنتاجي للمجتمع **منظّمة فرديّا** . و من جهة أخرى ، هؤلاء المنتجين الأفراد مترابطين ببعضهم البعض – هم جزء من تقسيم عمل إجتماعي واسع . كيف إذن يتمّ تنسيق النشاط الإقتصادي للمجتمع الرأسمالي ؟ كيف تتماشي مختلف القطع مع بعضها ؟

و الجواب هو أنّ سيرورات العمل المنظّمة فرديّا هذه مترابطة و مصاغة فى تقسيم إجتماعي للعمل منخلال التبادل . و التبادل هو تبادل السلع و تبادل السلع فى حدود معيّنة : تباع و تشترى بأسعار تعكس زمن العمل الضروري إجتماعيّا لإنتاجها . هذا هو قانون القيمة و وقت العمل الإجتماعي هو مُعدِّل الأسعار و الأرباح .

و يهيمن **السعي وراء الربح** على سيرورات العمل المنظّمة فرديّا . و الربح يحدّد ما يتمّ إنتاجه – و كيف يتمّ إنتاجه .

و تفاعلا مع حركة الأسعار والربح ، يتحرّك رأس المال إلى القطاعات ذات أعلى الأرباح و خارج القطاعات ذات الأرباح الدنيا . إن لم يجلب إستثمار ما ربحا مرضيا ، أو إن لم يقع بيع سلعة معيّنة بثمن يمكن أن يغطّي كلفة إنتاجها ، عندئذ يضطرّ رأس المال إلى رفع الفعالية أوالإنتقال إلى خطّ إنتاج آخر. و تدلّ حركات الأسعار و الأرباح على " المعلومة " التى على أساسها تتخذ قرارات الإنتاج. و السوق هكذا يُعدِّل و يماى أيضا إعادة التنظيم ...و بالتالي تُغلق صناعة السيأّرات المصانع غير الفعّالة و تعيد

التجهيز وتقلّص من قوّة العمل ؛ و الشركات يقع إبتلاعها والعمّال يجبرون على تغيير العمل . و على هذا النحو يصاغ التقسيم الإجتماعي للعمل و تعاد صياغته .

هذا هو التعديل الأعمى و الفوضوي . إنّه إضرب – و إنسحب ؛ كثير جدّا – و- قليل جدّا : سيرورة جرعات أكثر من اللازم – و جرعات أقلّ من اللازم فى الإستثمار ؛ سيرورة إكتشاف ؛ **بعد وقوع الواقعة** ، لما سيلغيه السوق و ما لا يلغيه ،و ما إذا كانت سيرورة العمل فى ظلّ قيادة هذا الرأسمالي أو ذاك ضرورية عمليّا أم هي تتماشى مع معايير التنافس . يقول ماركس عن الدور التعديلي للسوق المعتمد على عملية قانون القيمة : **" مجمل حركة هذه الفوضى هي نظامه "** (5) و مثلما يضع ذلك إنجلز فى عرضه لشكلي الحركة **" إنّ الفوضى تسود فى مجال الإنتاج الإجتماعي "**

تنتج الرساميل الفردية و تتوسّع كما لو أنّه لا توجد حدود (مرّة أحرى ، مفترضة المشترين والبائعين الضروريين) . لماذا ؟ لأنّه مثلما يشرح ماركس فى **" رأس المال "** :**" يجعل تطوّر الإنتاج الرأسمالي من الضروري بإستمرار تنمية كمّية رأس المال المنفق فى نشاط صناعي معطى ... ويدفع التنافس [الرأسمالي الفردي] بإستمرار إلى توسيع رأس ماله من أجل الحفاظ على نفسه..."**(6)

و بتطوّر التنافس الأساسي للرأسمالية بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الخاص عبر هذين الشكلين من الحركة : التناقض بين البرجوازية والبروليتاريا ،و التناقض بين التنظيم فى وحدة مؤسسة – الإنتاج و الفوضى فى الإنتاج فى المجتمع بأسره . و لكلّ شكل من هذين الشكلين للحركة تبعاته الخاصّة و كلّ واحد منهما يتداخل من الآخر .

لكن بطريقة مستمرّة ، طالما أن نمط الإنتاج الرأسمالي مهيمن على النطاق العالمي ، فوضى الإنتاج الرأسمالي الذى يحدث التغييرات الجوهرية فى المجال المادي يحدّد إطار الصراع الطبقي . و الحركة التى تدفع إليها الفوضر ، العلاقات الفوضوية ضمن المنتجين الرأسماليين المدفوعين بالتنافس ، هي الشكل الرئيسي لحركة التناقض الأساسي . و هذا إختراق هام فى الفهم أنجزه بوب أفاكيان :

" فى الواقع فوضى الإنتاج الرأسمالي هي القوّة المحرّكة لهذه السيرورة حتى و إن كان التناقض بين البرجوازية و البروليتاريا جزء لا يتجزّا من التناقض بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الفردي . و فى حين أنّ إستغلال قوّة العمل هو الشكل الذى به و من خلاله يُنتج فائض القيمة و يتكمّ تملّكه ، فإنّ العلاقات الفوضوية بين المنتجين الرأسماليين ، و ليس مجرّد وجود البروليتاريين الذين لا يملكون شيئا أو التناقض الطبقي فى حدّ ذاته ، هي التى تدفع هؤلاء المنتجين إلى إستغلال الطبقة العاملة على نطاق أوسع و أشدّ تاريخيّا . قوّة الفوضى المحرّكة هذه تعبير عن واقع أنّ نمط الإنتاج الرأسمالي يمثّل التطوّر التام للإنتاج السلعي وقانون القيمة . إن لم يكن الأمر أنّ هؤلاء المنتجين للسلع الرأسمالية منفصلين عن بعضهم البعض رغم أنّهم مرتبطون بسير قانون القيمة ، لن يواجهوا ذات الحاجة إلى إستغلال البروليتاريا – يمكن تلطيف التناقض الطبقي بين البرجوازية و البروليتاريا . إنّه الإضطرار الداخلي لرأس المال للتوسّع هو الذى يفسّر الديناميكية التاريخية غير المسبوقة لنمط الإنتاج هذا ، سيرورة تغيّر بإستمرار علاقات القيمة وهي التى تؤدّى إلى أزمة . " (7)

لقد جرى مزيد التنظير لفهم أولوية " القوّة المحرّكة للفوضى " و تطبيقه و التوسّع فيه فى كتاب **" إنحطاط أمريكا "** الذى طبّق ترتيب لينين لديناميكية الإمبريالية و الثورة البروليتارية و تقدّم به . (8)

و مع صعود الإمبريالية ، حدثت المراكمة فى إطار وحدة و إندماج أكبر نوعيّا للسوق الرأسمالي العالمي – لم تعد رئيسيّا من فعل دوائر التجارة و المال لكن الآن هي من فعل دوائر عولمة رأس المال المنتج (إنتاج فائض القيمة). وتتمّ المراكمة فى إطار التقسيم الجغراسياسي للعالم بين القوى العظمى و تحوّل علاقات القوّة ضمن هذه القوى فى الإقتصاد العالمي و النظام العالمي للدول الأمم المرتكزة فى مناطق ترابية معيّنة . و للمراكمة فى عصر الإمبريالية مظاهر خاصّة . إنّها تسير من خلال أشكال عالية الحركة و المرونة من رأس المال المالي الإحتكاري ؛ عبر **تقسيم العالم إلى حفنة من القوى الرأسمالية الغنية و الأمم المضطهَدة أين تعيش الغالبية العظمى من الإنسانية ؛ و عبر النزاع الجغرافي- الإقتصادي و الجغرافي - السياسي** المركّز فى النزاعو الصراع من أجل التفوّق العالمي ضمن الدول القومية الإمبراطورية.

و التناقض بين مختلف الرساميل الإمبريالية القومية و الصراع حول تقسيم العالم ،ينمو فى معظمه و ستوسّع وهو تطوّر نوعي للتناقض بين التنظيم على مستوى المؤسسة و فوضى الإنتاج الإجتماعي . و قاد هذا التناقض إلى حربين عالميتين فى القرن العشرين .

و فى نفس الوقت ، يتمظهر التناقض الأساسي كذلك بمعاني طبقية . و ضمن أشكاله تعبيره المفاتيح التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية فى البلدان الإمبريالية و التناقض بين الأمم المضطهَدة و الإمبريالية و التناقض بين البلدان الإشتراكية و الكتلة الإمبريالية (متى وجدت بلدان إشتراكية و **ليس** الحال كذلك الآن).

و يمكن لتناقض أوآخر أن يصبح رئيسيّا طوال فترة زمنية أي يمكن أن يأثّر على تطوّر التناقضات الأخرى أكثر من تأثّره بها – و هكذا يكون الأكثر تحديدا لكيف يتطوّر التناقض الأساسي فى مرحلة معيّنة .

منذ أواخر خمسينات القرن العشرين إلى بدايات سبعيناته ، مثلا، كانالتناقض الرئيسي على النطاق العالمي بين الإمبريالية و التحرّر الوطني فى ما يسمى بالعالم الثالث. و قد عمّت الإعصارات الثورية آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية . و كان هذا التناقض يفرز ضرورة جديدة نوعية بالنسبة للطبقات الحاكمة الإمبريالية (و المحلّية) و يأثّر على مراكمة رأس المال على النطاق العالمي .

و الإمبريالية الأمريكية بوجه خاص كانت تطوّر و تطبّق ، على نطاق واسع ، عقائد مضادة للعصيان . و كان النضال التحرّري الفتنامي يوجّه صفعات قويّة للإمبريالية الأمريكية فى ساحة المعركة ؛ وقد إستوعبت الحرب قسما هائلا من القوات الأرضية للولايات المتحدة و تسببت فى إرتفاع كبير فى النفقات العسكرية الأمريكية وهو ما ساهم بدوره فى إضعاف الدولار (و قيمة الدولار – الذهب) عالميّا . و أثناء هذه الفترة ، كانت الولايات المتحدة تشجّع برامج مساعدة و تطوير فى أمريكا الجنوبية مثل التحالف من أجل التقدّم ، و هدفها الأساسي منها كان ، فى ترابط مع القمع ، فرض إستقرار الظروف الإجتماعية و صدّ إمكانية الثورة .

فى وقت معيّ، يمكن أن يكون الصراع الطبقي هو الرئيسي محلّيا (قوميّا) أو عالميّا . لكن عموما ، و على المدى الطويل ، بالمعنى العالم ، إلى أن يوضع حدّا لهيمنة نمط الإنتاج الرأسمالي على النطاق العالمي ، ستكون " القوّة المحرّكة للفوضى " للنظام الإمبريالي العالمي الشكل الرئيسي لحركة التناقض الأساسي . إنّها **القوة المحرّكة للفوضى** – الديناميكية والتناقضات الكامنة للمراكمة الرأسمالية على

النطاق العالمي وتعبيراتها المختلفة بما فى ذلك وليس فقط النزاع ما بين القوى الإمبريالية ، و التغيرات فى ظروف الحياة المادية والإقتصادية – الإجتماعية و بصورة متصاعدة الطبيعية – البيئية – هي التى **تحدّد المرحلة الأوّلية و أسس تغيير المجتمع و العالم .**

و المسألة هي بالضبط تغيير المجتمع و العالم على أساس الواقع كما هو و ليس على أساس ما نرغب فى أن يكونه :

لا يمكن حلّ التناقض بين الإنتاج الإجتمعي و التملّك الفردي إلاّ **فى مجال البنية الفوقية** . و يتمّ ذلك فقط من خلال النضال الواعي للقيام بالثورة ، لإلحاق الهزيمة الحاسمة بالبرجوازية (و كافة الطبقات الإستغلالية الحاكمة) وتفكيك جهاز تحكمها و قمعها . و يتمّ ذلك فقط من خلال النضال الواعي لتشكيل سلطة دولة ثورية جديدة هي قاعدة إرتكاز للثورة العالمية و على هذا الأساس إيجاد إقتصاد إشتراكي جديد يعمل وفق الديناميكيّات و المبادئ المختلفة عن الرأسمالية (لن يظلّ قانون القيمة هو الآمر) ، و خوض النضال الشامل لتغيير تفكير المجتمع و الناس .

فقط عبر الثورة الواعية بالإعتماد على مقاربة علمية لفهم العالم وتغييره يمكن حلّ التناقض الأساسي لعصر البرجوازية .

و المهمّة التاريخية للبروليتاريا هي القضاء على الرأسمالية و وضع نهاية لكلّ أنواع الإستغلال و الإضطهاد وتجاوز تقسيم المجتمع الإنساني إلى طبقات و لإنشاء مجتمع عالمي للإنسانية .

<u>II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :</u>

تعرّض تشخيص " القوة المحرّكة للفوضى " كشكل رئيسي لحركة التناقض الأساسي للنقد و أحيانا لهجنات لاذعة من قبل البعض ضمن الحركة الشيوعية العالمية .

و يتكشّف خطّ نقدي على النحو التالي : بما أنّ أ- " العمل بإستمرار من أجل الحصول على المزيد من فائض القيمة " هو جوهررأس المال ؛ و بما أنّ ب- فائض القيمة هذا يقوم على إستغلال العمل المأجور، و بما أن ت- هذا الإستغلال يستدعي مقاومة المستغِلّين – فبالتالي التناقض العدائي و الصراع الطبقي بين البروليتاريا والبرجوازية يقع على مستوى أعمق من التحديد مقارنة بالترابط الفوضوي بين الرساميل فى حركةالتناقض الأساسي وتطوّره .

هناك منطق ظاهري لهذه الحجّة غير أنّ المشكل معها هي بالذات هو سطحيّتها . إنّها لا تثير سؤال : **لماذا** يجب على رأس المال أن يراكم " بإستمرار" ؟ هل السبب هو مجرّد كون هناك بروليتاريين للإستغلال (و فرض للإستغلال)؟ و سنعود إلى هذا بعد قليل .

و الآن يعترف بعض النقّاد بوجود قوّة التنافس لكنّهم يوكلون لها دورا ثانويّا . و يعتبرون المنافسة شيئا " خارجيّا " للجوهر الأعمق لرأس المال ، لعلاقة العمل المأجور – رأس المال . و يستحضر البعض فقرة لماركس فى المجلّد الأوّل من " **<u>رأس المال "</u>** يشير إلى " قوانين المنافسة القسرية " لكنّه يشير أيضا إلى أنّ " **تحليلا علميّا للمنافسة غير ممكن قبل أن يكون لنا فهم للطبيعة الداخلية لرأس المال "** (9) و يرفعون إعتراض أنّ فوضى الرأسمالية فى النهاية متجذّرة فى الطابع الإستغلالي للرأسمالية – مع أنّ البعض ينسبون هذه الرؤية حتى إلى إنجلز.

بيد أنّ إنجلز **لا** يحدّد فوضى الإنتاج الرأسمالي بإستغلال العمل المأجور و إستخراج العمل الفائض فى حدّ ذاته بل بالأحرى يحدّدها فى الديناميكية الخاصة للإنتاج السلعي الرأسمالي . و لنتفحّص ما قاله فعلا:
" إنّ أسلوب الإنتاج الرأسمالي إنغرز فى مجتمع مكوّن من منتجي البضائع ، المنتجين المنفردين ، الذين كان الترابط الإجتماعي بينهم يجرى عن طريق تبادل منتجاتهم . إلاّ أنّ خاصية كلّ مجتمع مستند إلى الإنتاج البضاعي ، تتلخّص فى أنّ المنتجين فيه يفقدون السلطة على علاقاتهم الإجتماعية ... و ما من أحد يعرف ما إذا كانت هناك حاجة فعلية إلى السلعة التى ينتجها و ما إذا كانت سلعته ستباع أم لا . إنّ الفوضي تسود فى مجال الإنتاج الإجتماعي " .(10)

و يشهد هذا الطابع العام للإنتاج السلعي الذى أبرزه إنجلز قفزة نوعية مع تطوّر الرأسمالية . من جهة ، يُصبح الإنتاج السلعي مُعمّما بالتحويل التام لوسائل الإنتاج إلى مال و تحويل قوّة العمل إلى سلعة . و من جهة ثانية ، ينجز الإنتاج السلعي على أساس نطاق إنتاج غير مسبوق ؛ و التقدّم و التقدّم المستمرّ فى التكنولوجيا ؛ و الشبكة الكثيفة للترابط بين المنتجين الآن عالمية و التنظيم " العلمي " و " العقلاني " على مستوى وحدة رأس المال فردية . و مع ذلك ، بعدُ تظلّ " الحدود الإجتماعية " للمنتجين الأفراد ، لنستعمل جملة إنجلز ، هي تبادل السلع – فقط الآن هو إنتاج للتبادل عالي الإجتماعية .

أمّا بالنسبة لحجّة أنّ ماركس يعالج التنافس فى علاقة (ثانوية) ب " الطبيعة الداخلية لرأس المال " ، هنا يجب أن نسجّل مظهرا هاما لمنهج ماركس فى **" رأس المال "**. ففى المجلّد الأوّل من ذلك المؤلف، يتوغّل ماركس فى رأس المال و يحدّد طبيعته مميّزا رأس المال عن الأشكال الأخرى من الثروة و مستخلصا ترابط عديد الرساميل . رأس المال علاقة إجتماعية و سيرورة جوهرها هو الهيمنة على قوة العمل من طرف مصالح غريبة ، عدائية و إعادة إنتاج هذه العلاقة و إعادة إنتاجها بشكل واسع . و القانون الأكثر جوهرية لنمط الإنتاج الرأسمالي هو قانون القيمة و إنتاج فائض القيمة . و علاقة الإنتاج الرأسمالية الأهمّ هي علاقة رأس المال بالعمل . و إستغلال العمل المأجور هو اساس خلق فائض القيمة و تملّكه .

هذا أمر مثبت علميّا ، إلاّ أنّ النقّاد يريدون شرح الفوضى على قاعدة إستغلال العمل المأجور ، على أنّ هذا الإستغلال هو الأساس . هذا ليس علميّا . هذا ليس الإنطلاق من الوقاعلا و التناقض الأساسي فى تعقّده و " الحركة الحقيقية لرأس المال " بل بالأحرى الإنطلاق من نظرة إختزالية للواقع ، تشويه للواقع خدمة لرواية أولوية الصراع الطبقي .

و هذا يجرّنا إلى العودة إلى مسألة : **ما الذى يحكم إستغلال العمل المأجور ؟** أو لنطرح السؤال بصيغة مغايرة : هل هناك إضطرار لإستغلال العمل المأجور على أسا أوسع و أكثر كثافة رأسمالية ؟ و الإجابة هي نعم هناك مثل هذا الإضطرار وهو ينبع من المنافسة .

يعيش رأس المال تحت الضغط المستمرّ للتوسّع . لأجل البقاء ، عليه أن ينمو : ليس بوسع رأس المال أن يوجد إلاّ إذا راكم المزيد من رأس المال . و على الصعيد الملموس ، " رأس المال عامة " يوجد و لا يمكن أن يوجد سوى كرساميل متعدّدة فى منافسة مع بعضها البعض ، تحديدا لأنّ الرأسمالية تقوم على التملّك **الخاص** . شرح ماركس الأمر قائلا :

" تجعل المنافسة القوانين الملازمة للإنتاج الرأسمالي كلّ فرد رأسمالي يشعر بها كقوانين خارجية قسرية تدفعه ليظلّ يوسّع بإستمرار رأسماله من أجل الحفاظ عليه ، غير أنّه لا يستطيع توسيعه إلاّ بوسائل المراكمة التدريجية " .(11).

تدفع المنافسة ، " معركة المنافسة " كما يصفها ماركس ، الرساميل الفردية إلى تقليص كلفة الإنتاج . و يعتمد هذا بالأساس على رفع إنتاجية العمل و توسيع نطاق الإنتاج وبلوغ ما يطلق عليه " إقتصاديّات السلسلة " (أقلّ كلفة لوحدة الإنتاج) عبر المكننة و التجديد التكنولوجي و كذلك التجديد التنظيمي .

و يتطلّب التغيير التكنولوجي و التنظيمي للإنتاج المزيد من رأس المال ما يقتضى قدرا ناميا من فائض القيمة منه يموّل الإستثمار – و هكذا هي الحركة من أجل الحصول على المزيد من فائض القيمة . و تلبّى حاجيات المراكمة بصورة متصاعدة عبر قروض رأس المال و نظام القروض بما يخوّل لرأس المال أن يموّل إستثمارا جديدا و ينتقل إلى خطوط إنتاج جديدة . لكن هذا أيضا هو الحجّة المسلّم بها على على مسبح شاسع من فائض القيمة . بكلمات أخرى ، بالنسبة لرأس المال بمختلف أشكاله ، هناك حركة كامنة بإتجاه التوسّع ، بإتجاه الرفع من مراكمة رأس المال . و كلّ هذا مرتبط بالمنافسة .

و الذين يتحرّكون الأوّلين للتجديد قادرون على كسب ميزة مؤقتة (ربح إضافي) بينما الذين يخفقون فى التحرّك و يبقون مع المجموعة يخسرون حصّة السوق و الموقع فيه . لنأخذ على سبيل المثال صناعة السيّارات فى الولايات المتحدة مقارنة بمصانع السيّارات اليابانية الأكثر تجديدا من أواخر سبعينات القرن العشرين فصاعدا . فقد كان الرأسمال الياباني رائدا فى طرق الإنتاج الأكثر فعالية وهو ما تعمّم أخيرا . و قد كسر ذلك إحتكار مصانع السيارات " الثلاثة الكبرى " (فى سوق الولايات المتحدة خاصة) و أملى تبنّى تكنولوجيا تقليص العمل .

و تفرض " قوانين المنافسة القسرية " الإضطرار على الرساميل الفردية أي " التوسّع أو الموت ". و التفاعل المتبادل للرساميل الخاصّة يجبر على **التثوير المستمرّ لقوى الإنتاج كمسألة إضطرار داخلي و ضرورة للحفاظ على الذات .** هذا ما يفسّر ديناميكية الرأسمالية .

هذا هو السبب وراء عدم قدرة الرأسماليين ببساطة على الإستغلال ثمّ مجرّد تحويل ثروتهم بإتجاه الإستهلاك- أي فى حال أرادوا البقاء كرأسماليين . و ذلك لأنّ شيئا أعمق يعتمل : بجملة ماركس العلمية التى لا تنسى و العميقة " **الرأسمالي ليس سوى تجسيد لرأس المال** " (12)

و هذا أيضا سبب عدم بلوغ الرأسمالية لحالة توازن مستقرّ . مثلما سبق و أن شرحنا ، من خلال التفاعلات التنافسية العمياء للرساميل الفردية ترسى ضوابط الإنتاج (الفعالية إلخ) و يوجه رأس المال إلى هذا القطاع أو ذاك (إستجابة إلى علامات الثمن و الربح) . و ضوابط الإنتاج هذه ، بدورها ، يجب أن تُطاع ...إن كانت رساميل معينة لتبقى تنافسية .

لكن الرساميل الفردية تتطوّر بشكل غير متكافئ ، و الواحد منها ينقضّ على الآخر ،و تفتح خطوط إنتاج جديدة لتكتظّ و تتشكّل رساميل جديدة و تنقسم الخطوط القديمة على قاعدة صدامات السعي وراء فائض القيمة المنتج عبر المجتمع ؛ و يتمّ تركيز مراتب تنافسية جديدة . و تتطوّر التطنولوجيا الجديدة و هذا يفتح مجالات جديدة للإستثمار؛ و تصبح التكنولوجيا الجديدة حقل معركة حوله تتشكّل الرساميل الجديدة و تنقسم أو تتداعي . فكّروا فى التحوّلات التى تحصل فى الصناعات العالمية للحواسيب و التقنيات العالية .

مراكمة رأس المال سيرورة ديناميكية و تفكيكية للتوسّع و التعديل و الأزمة .

مزيدا عن المنافسة :

فى " **الغرندريس** " ، يشرح ماركس أن المنافسة " تنفّذ " قوانين المراكمة : " **المنافسة عامة ، هذه القوّة الدافع الأساسي للإقتصاد البرجوازي ، لا تركّز قوانينها بل هي بالأحرى منفّذتها** " (13).

ما هو دور المنفّذ ؟ تحمل المنافسة على تركزي متنامي (قدرة إنتاج جديدة ، توسيع لنطاق الإنتاج) و مركزة متنامية (إندماج ، إبتلاع إلخ) للرساميل الموجودة . كما تحمل المنافسة على المكننة المتنامية و التخصّص و تعقد الإنتاج الإجتماعي و إرتفاع فى المكوّنات الهيكلية لرأس المال (مزيد الإستثمار فى الآلات و المواد الأوّلية إلخ نسبة إلى العمل الحيّ) ما يشدّد على نزعة نحو إنهيار نسبة الربح . و تؤدّى قوانين المراكمة التى تدفعها المنافسة إلى خلق " جيش عمل إحتياطي " (مكوّن هام من ضمنه العمّال الذين طردتهم المكننة).

و تعنى المنافسة حركة رأس المال من مجال إلى آخر ، بحثا عن ربح أوفر ؛ إنّها تعنى النزاع على حصص السوق ، تعنى تغيّرا تكنيكيا يغيّر ظروف الإنتاج .

خلاصة القول ، يوجد رأس المال بالضرورة كرساميل متعدّدة فى تنافس و **للمنافسة تأثيرات محدّدة** .

المنافسة متجذّرة فى الرأسمال الخاص : فى التنظيم الخاص لسيرورات العمل المنفصلة ، المنظّمة حول إنتاج الربح (فائض القيمة) لكنّها موضوعيّا مترابطة ببعضها البعض ، مع سيرورات عمل خاصة أخرى . المنافسة و الطابع الخاص متجذّران فى وجود المواقع المستقلّة لمراكز المراكمة و تفصل إتخاذ القرار لما هو فى الواقع تشكيلة إقتصادية مترابطة و مندمجة – حيث الإنتاج إنتاج لسوق غير معروف .

تنشأ ذات ديناميكية الرأسمالية من التغيّر التكنولوجي المتجسّد فى السيرورة التنافسية . هذا هو واقع المراكمة الرأسمالية .

نقادنا فى مأزق . عليهم أن يشرحوا ديناميكية الرأسمالية الظاهرة النابعة من ضرورة التوسّع – أو الموت التى تفرضها المنافسة على رأس المال . عليهم أن يشرحوا هذه الديناميكية ببعض الطرق الأخرى لأجل الإبقاء على التناقض الطبقي كشكل رئيسي للحركة . لذا يطلعون علينا بحجّة أخرى : مقاومة العمّال هذ فعلا منبع التجديد و المكننة . حسب هذا الرأي ، الإستثمارات الرأسمالية لإستبعاد العمّال و للضغط على الأجور و / أو للسيطرة بطريقة أفضل على قوّة العمل المتردّدة . و حسب هذا الرأي ، لا وجود لإضطرار التفاعل التنافسي بل يوجد بالأحرى خيار مقصود للتكنولوجيا و / أو إستراتيجيا إحتواء العمل .

لنعد إلى مثال صناعة السيارات اليابانية لكشف بعض من المشاكل المتصلة بهذه الحجّة . تبنّى إنتاج " فى وقته بالضبط " ، " مسؤولية " فرق العمل ، ممارسة التشديد فى قوائم مخزون البضائع (للتقليص من ثمن الكلفة) و الإستعمال الكثيف للآليين من قبل رأس المال الياباني ، مثّلت تغييرا حيويّا فى التصنيع المعاصر . لكن سيكون فى حدود العبثية المحاججة بأنّ هذا تحكمه ضرورة درأ أو قطع طريق مقاومة العمّال ، علما و أنّ البروليتاريا اليابانية كانت صراحة طيّعة وقتها .

ما كان يحدث بالفعل فى هذه الفترة من سبعينات القرن العشرين إلى أواسط ثمانيناته هو أنّ المنافسة و النزاع الجغرافي الإقتصادي كانا يشتدّان فى صفوف الكتلة الإمبريالية الغربية . فالإمبريالية اليابانية و كذلك الإمبريالية الألمانية كانا يحدثان غارات تنافسية على حساب الرأسمال الإمبريالي الأمريكي ، حتى مع أنّ هذا النزاع كان ملحقا و مرتهنا بالنزاع العالمي الإستراتيجي الأكثر تحديدا حينها : النزاع بين الكتلة التى تقودها الولايات المتحدة و الكتلة التى كان يقودها آنذاك السوفيات، و ذلك من أجل التفوّق العالمي .

و الآن تأكّدت صحّة أنّ مظهرا هاما من " عقلنة " الإنتاج و تنظيم " سلسلة التزويد " و أشكال " التعاقد ..." مع متعاقد آخر ، و إستعمال تكنولوجيا المعلومات إلخ تخدم دور ضبط العمل والتحكّم فيه . لكن هذا ليس جوهريّا ما يدفع إلى التجديد .

ديناميكية الرأسمالية ليست ديناميكية يجتهد فيها الرأسمالي للحصول على أقصى فائض للعمل وفق رغبته الخاصة فى الربح . ليست ديناميكية يملك فيها الرأسمالي حرّية أن يستثمر أو لا يستثمر ، عدا بالنسبة لتحديد عامل مقاومة العمّال. فى هذه الحال ، الحركة " المنطقيّة " للرأسماليين كانت ستكون التجمّع و الإتفاق على الإستثمار و الإنتاج على أصعدة معيّنة ، و ضبط نسب الربح و تقديم تنازلات و بلوغ السلم الإجتماعي . لكن هذا لا يحدث لأنّ هناك الإضطرار للإستثمار ، للتوسّع ، لكسب حصص سوق ... و إلاّ كان جزاؤهم الإفلاس .

و للعودة إلى الرؤية النقدية النافذة لبوب أفاكيان المذكورة أعلاه :

" إن لم يكن الأمر أنّ هؤلاء المنتجين للسلع الرأسمالية منفصلين عن بعضهم البعض رغم أنّهم مرتبطون بسير قانون القيمة ، لن يواجهوا ذات الحاجة إلى إستغلال البروليتاريا – يمكن تلطيف التناقض الطبقي بين البرجوازية و البروليتاريا . "

الرأسمالي يخضع ل " قانون المنافسة القسرية " . الرأسمالي مضطرّ لتخفيض التكاليف وهو أداة التقدّم التكنولوجي . **" الرأسمالي ليس سوى تجسيد لرأس المال "** .

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

إنكار النقاد " للقوّة المحرّكة للفوضى " كشكل رئيسي لحركة التناقض الأساسي يجعل من غير الممكن بالنسبة لهم أن يفهموا بعمق و شمولية التيارات الكبرى فى العالم و المرحلة التى على أساسها ينبغى للثورة الشيوعية أن تقاتل و تسير . " رواية " الصراع الطبقي و مقاومة العمّال لا تحجب التحدّيات الكبرى و غير المسبوقة أمام هذه الثورة الشيوعية و حسب ، بل كذلك القدرة الكبيرة للنضال الثوري . هذا ما أريد أن أدلّل عليه و أكشفه إعتمادا على أمثلة .

أ- الأزمة البيئية :

فى 9 ماي 2013 ، سجّل مخبر بحوث أنظمة الأرض فى هاواي أنّ مستويات ثاني أكسيد الكربون فى المجال الجوّي للأرض قد بلغ 400 جزء بالمليون . و المرّة الأخيرة التى تحملت فيها الأرض هذه الكمّية من ثاني أكسيد الكربون كانت قبل ثلاثة ملايين سنة ، عندما لم تكن توجد أيّة حياة إنسانيّة على

الكوكب . و قدأكّد علم المناخ أن إرتفاع حرارة الأرض أزيد من درجتين فوق المستويات ما قبل الصناعة قد يؤدّى إلى تغيّر فى المناخ مدمّر و لا رجعة فيه .

إبتدأت الثورة الصناعية الرأسمالية فى القرن 17 و حصلت القفزة من الإمبريالية فى أواخر القرن 19 و التسريع الهائل للضغوطات البيئية لأواسط القرن العشرين إلى اليوم قد خلق وضعا بيئيّا إستعجاليّا رهيبا .(14)

والتبعات نشهدها بعدُ اليوم : أحداث مناخية قصوى (فياضانات و إعصارات و عواصف عاتية غير مسبوقة) و جفاف و تصحّر و جليد الأركتيك يصل إلى أدنى مستوياته.

و فى نفس الوقت ، يواصل الإمبرياليون القيام بإستثمارات مترنّحة فى الوقود المستحاثي بقسط متنامي أبدا يوجه إلى الإحتياطيّات " غير التقليدية " للنفط و مصادر الغاز (التكسير المائي عميقا بعيدا عن السواحل ، و قطران الرمال و الخام الثقيل و زيت السجّيل إلخ) . و المفاوضات العالمية المناخية و أهمّها بكوبنهاغ فى 2010 لم تتوصّل إلى أي شيء .

من جهة النفط أساسي للسير المربح للنظام الإمبريالي بأكمله . و ستّة من العشرة مؤسسات الأضخم فى الولايات المتحدة و 8 من العشرة الأكبر فى العالم هي شركات سيارات و نفط . و من جهة أخرى ، النفط محوري فى النزاع ما بين الإمبرياليات . فالشركات الرأسمالية الكبرى و القوى الإمبريالية الكبرى – الولايات المتحدة و الصين و بلدان الإتحاد الأوروبي و روسيا و اليابان و غيرهم يتنافسون مع بعضهم البعض للسيطرة على المناطق أين توجد مصادر وقود مستحاثي : فى الأركتيك و جنوب الأطلسي و أماكن أخرى .

و النزاع فى صفوف القوى العظمى للسيطرة على إنتاج النفط و تكريره و نقله و تسويقه هو فى الواقع نزاع من أجل السيطرة على الإقتصاد العالمي . فالجيش الإمبريالي الأمريكي يعوّل على النفط للحفاظ على الإمبراطورية و توسيعها ، و لخوض حروبه الإستعمارية الجديدة و لصيانة تفوّقه العالمي . و الآن بالذات ، من الميزات التنافسية العالمية للإمبريالية الأمريكية هناك بالذات قدرتها المتنامية على إمتلاك وقود مستحاثي : فى 2012 ، سجلت الولايات المتحدة أكبر نموّ فى إنتاج النفط فى العالم و أكبر نمّو نفطي فى سنة واحدة فى تاريخ الولايات المتحدة .

لا شيء ممّا يحدث (و لا يحدث) فى مجال الطاقة يمكن فهمه خارج إطار الإندفاع بحثا عن الربح و المنافسة و النزاع الشديدين على مستوى المؤسسة و القطاع و نظام ما بين الدول الإمبريالية .

و أبرز ميزة للمفاوضات البيئية الحديثة هي واقع أنّه وجدت مناطق نزاع حاد بين " القوى العظمى " – من جهة لا تنوى و لا تقدر على القيام بأفعال ملموسة بعيدا عن التعويل على الوقود المستحاثي ؛ و من جهة أخرى ، تدفع و تسرّع التأقلم مع التغيير المناخي نحو حقيبة- وسائل التموقع التنافسي (الأوروبيون و الصينيون ،مثلا ، يتمتعون بميزة بعض تكنولوجيا الطاقة المتجدّدة).

و ليست الطاقة فقط : القوى الكبرى منخرطة فى تنافس عالمي حاد من أجل المواد المعدنية و المواد الأوّلية للكوكب . إنّها مزاحمة من أجل النهب بلا توقّف لمصادر الأرض أو كما سمّى ذلك جامعي تقدّمي : " السباق من أجل ما تبقّى ".

ظهور الصين كثاني أوسع إقتصاد رأسمالي عالمي بحاجياتها إلى الموارد و طَولِها العالمي المتنامي ، عنصر هام فى المعادلة البيئية . و قد دفع نموّها السيلان الكثيف للإستثمار الرأسمالي طوال العشرين سنة الماضية والنموّ الذى كان مصدرا كبيرا ، إن لم يكن المصدر الوحيد ، لديناميكية الإقتصاد العالمي . و الصين الآن أكبر باعث لثاني أكسيد الكربون .

إنّ الخطر الحقيقي للتغيّر المناخي الذى لا يتوقّف جزء من أزمة بيئية أشمل . ليس الكوكب فى طريقه إلى إنقراض أنواع كثيرة فقط بل كذلك إلى تداعي الأنظمة البيئية الحيوية خاصة الغابات و الشعاب المرجانية ، إضافة إلى تهديد للتبعات المتلاحقة على النظام البيئي لكوكب الأرض ككلّ . هناك إمكانية حقيقية لتحوّل الأرض إلى كوكب مختلف جدّا نوعيّا ... كوكب من الممكن أن يهدّد الوجود البشري . ليس بوسع أي كان أن يتنبّأ بالمسارات و النتائج الدقيقة لما يحدث لكن هذا هو الطريق الذى نسلكه نحن و كوكب الأرض .

لماذا يتمّ القضاء على الغابات الإستوائية بعمليّات الإحتطاب و التجهيزبالأخشاب ؟ لماذا تفسد التربة و تجفّ جراء الفلاحة الموجّهة للتجارة و تتحمّض المحيطات ؟ لماذا تُحوّل الطبيعة إلى بلوعة لإهدار مسموم ؟ لأنّ الرأسمالية – الإمبريالية تسنثمر و تضارب وتتاجر و تنشر فى الكوكب معاملة الطبيعة على أنّها **إستثمار لا حدود له** فى خدمة **إنتاج الربح المتوسّع أبدا**.

لغاية المراكمة الواسعة على المدى القريب نتائج بيئية على المدى البعيد – لكنّها ليست " النتيجة " المباشرة فى معركة المنافسة . تبحث الوحدات الفردية لرأس المال عن تقليص التكاليف لتبقى فى المنافسة ، محسوبة بدقّة كبيرة (التنظيم على صعيد المؤسسة) . لكن تبعات النشاطات الإنتاجية مثل التلوّث التى تقع خارج مجال الحسابات الإقتصادية لهذه الوحدات من الملكية الخاصة لا " تسجّل " فى دفتر حسابات الربح و الخسارة . هذه التكاليف الإجتماعية و البيئية " تحمّل " خارجا إلى المجتمع والكوكب و تدفع إلى المستقبل (الفوضى على الصعيد المجتمعي و الكوكبي).

كانت التأثيرات الكارثية للعولمة أكبر فى الأمم المضطهَدَة و مع ذلك تسبّبت فيها بدرجات متفاوتة البلدان الإمبريالية . فبين 1961 و 2000 ، تسبّبت البلدان الغنية فى أزيد من 40 بالمائة من التراجع فى التوازن البيئي حول العالم بينما تتحمّل فقط 3 بالمائة من تكاليف تغيّر النظام البيئي . (15)

عندما تقطع الشركات الرأسمالية الغابات الممطرة فى أندونيسيا من أجل التجهيز بالأخشاب و تزرع أشجارا لإنتاج زيت النخيل للحصول على وقود بيولوجي – وهو قطاع هشّ للغاية فى الإقتصاد العالمي يعكس المنافسة الشديدة بين الطاقة العالمية و أسواق الغذاء – فإنّ الكربون الذى يُطلق فى الجوّ و تحطيم مآوي نمور سومتران ليسا جزءا من حسابات هذه الرساميل للكلفة – الربح .

و الآن إن حاجج إمرء بأنّ الأزمة البيئية هي رئيسيّا نتاج للتناقض الطبقي و بأنّ هذه الأزمة هي نتاج لمقاومة العمّال والفلاحين و الجماهير ، أو نتاج البحث عن تكنولوجيا التقليص من العمل للتحكّم فى العمل ، فإنّنا رغم أساليب سرعة التصديق ، سنكون من أولى المنذهلين لقيام شخص بذلك.

عدم قدرة الرأسمال على التفاعل مع الطبيعة بطريقة مستديمة ... و التدمير الذى تسبّبت فيه الرأسمالية للطبيعة ... و التسريع فى إبتلاع الكوكب و الأزمة البيئية التى تهدّد الكوكب ، جميعها متجذّرة فى التفاعلات الفوضوية للرأسمال الخاص بمجموعاته العالية التنظيم ، مواجهة إضطرار التوسّع بصورة مربحة أو الموت – و النزاع على النطاق العالمي .

و فى نفس الوقت ، من الحيوي فهم أنّ الأزمة البيئية تأثّر و ستأثّر فى الصراع الطبقي بطرق متعدّدة . بداية ، ينجم عن تحطيم البيئة تصدّعات فى الصراع الطبقي العالمي و نقطة تركيز مقاومة جماهيرية هامة ، لا سيما فى الأمم المضطهَدة ، عادة فى إرتباط بنضالات الفلاحين و الشعوب الأصلية ، لكن أيضا فى القلاع الإمبريالية .

و علاوة على ذلك ، أنواع عدم الإستقرار و " أزمات الأمن البيئي " (مثلما يسمّيها الإمبرياليون) التى يمكن أن تتسبّب فى تراجع فى التوازن البيئي على الأرجح ستفرز أزمة إجتماعية كبيرة و قد تكون مسرّعا لأزمة ثورية .

يمكن أن يهرب الملايين من مناطق الدلتا الكثيفة السكّان مثل البنغلاداش محفّزة على هجرة كثيفة . و تأثيرات التغيرات البيئية على الأنظمة الفلاحية ، لا سيما فى الأمم المضطهَدة ، كذلك ستنجمعنها أضرار إقتصادية وإجتماعية ظخمة . وفق بعض التوقّعات ، سيلمس التأثير فى أواخر هذا القرن فى 29 بلدا فى آسيا و أفريقيا و الكارايبب و المكسيك ستخسرون 20 بالمائة أو أكثر من إنتاجهم الزراعي الحالي بفعل إرتفاع حرارة الكوكب . (16)

و فى البلدان الإمبريالية : شهد إعصار كاترينا فى الولايات المتحدة تقاطعا بين إرتفاع حرارة الكوكب و الإضطهاد الشديد للسود و بيّن الحاجة و الفرصة الكبيرتين للتقدّم بالحركة من أجل الثورة فى " معتقل الوحش " .و إنهيار المفاعل النووي فوكيشيما و ما نجم عنه من عدوى – و كانت شبكة الإمبريالية اليابانية الكبيرة للقوّة النووية و تصديرها للمفاعلات النووية ميزة من ميزاتها التنافسية العالمية – هو أيضا معبّر عن أصناف التفكّك التى من المرجّح أن تتكاثر مستقبلا .

و الأسباب الكامنة و التبعات الظخمة للأزمة البيئية لا تسجّل و لا يمكن أن نسبر غورها عبر مصفاة الضيق الإقتصادي للتناقض الطبقي بإعتباره الشكل الرئيسي المستمرّ لحركة التناقض الأساسي. و مع ذلك ، ستكون هذه الأزمة التى يدفع إليها بصورة طاغية تناقض الفوضى / التنظيم ، عاملا كبيرا محدّدا للمرحلة التى سيجرى على أساسها الصراع الطبقي .

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

مع بداية القرن 21 و لأوّل مرّة فى تاريخ الإنسانية ، بات أزيد من نصف سكّان العالم يعيشون فى المدن . لتقريبا عقود أربعة ن كانت المدن فى الأمم المضطهَدة تنمو بنسق متهوّر و هذا التمدين فوضوي محكم و إضطهادي . أكثر من مليار شخص يعيش فى الأحياء القصديرية فى بؤس مدقع فى المدن و حولها فى ما يسمّى بالعالم الثالث – و من المرجّح أنّ عدد هؤلاء السكّان سيتضاعف بحلول 2030 – بينما عدد مساوى يتدبّر بشقّ الأنفس حياة يأس فى ما يسمّى بالإقتصاد الموازي .

ما الدافع إلى التمدين على هذا النحو ؟ من ناحية ، قفزات فى تصنيع الفلاحة و الإندماج العالمي لإنتاج الغذاء و نقله و المشاريع التجارية الفلاحية الإمبريالية تستولي على الأرض و تعزّز تملّكها لها بما يقوّض المعيشة الريفية القائمة على فلاحة المعاش على نطاق ضيّق .

لقد كانت الإمبريالية تغيّر أنظمة الفلاحة القومية إلى مكوّنات معولمة للإنتاج و لشبكات التسويق العالمية ، أكثر إنفصالا عن السكّان المحلّيين ؛ و بصفة متصاعدة ، تغدو الفلاحة أقلّ " أساسية " لدي عديد الإقتصاديات القومية للعالم الثالث . و تحويل الإمبرياليين للأرض التى كانت تستثمر سابقا لإنتاج

الغذاء إلى أرض فى خدمة إنتاج الإيتانول – الكحول و أنواع من الوقود المستخرجة من المحاصيل قد زادت فى حدّة هذه النزعات .

و من ناحية ثانية ، نتيجة التدمير البيئي و الجفاف و الحروب الأهلية (التى كانت تغذّيها عادة أو تستفيد منها القوى العظمى ، مثلما حصل فى الكنغو) حلّ الدمار بالأنظمة الفلاحية ما دفع الناس نحو المدن .

أثناء ثمانينات القرن العشرين و تسعيناته ، شدّد صندوق النقد الدولي ، كشرط للقروض ، على أن تلغى حكومات عدّة بلدان فقيرة الدعم لمالكي الأراضي الصغيرة الريفية و كذلك " انفتاح " الإقتصاديات على توريد الغذاء من الغرب لتوسيع الأسواق و السماح بمزيد إدخال الرأسمالية فى الفلاحة . و قد وضع هذا ضغوطا لا تصدّق على الفقراء فى الريف و دمّر معيشتهم .

و فرّت قطاعات عريضة من البشر من فقر عالم الريف و دماره و يأسه.

و فى الأخير ، ألقى النموّ الرأسمالي السريع فىالصين بمئات ملايين الفلاحين إلى المدن و مثّل ذلك أكبر هجرة من الريف إلى المدن فى تاريخ الإنسانية فرضها تموّج قوى السوق فى الريف الصيني و جذب مواطن الشغل وهي عادة العمل بأجر بخس فى أعمال صناعية بمعامل عناء أحوالها سيئة فى مدن الصين .

و هذه الظواهر تتحكّم فيها جوهريّا الحاجيات و الضرورات والنتائج غير المرئية للمراكمة على النطاق العالمي ، لا سيما تعمّق لتوغّل الإمبريالي فى الأمم المضطهَدة و عولمة الإنتاج .

التمدين و نشأة " الأحياء القصديرية " لا يمكن تفسيره علميّا كنتيجة أوّليّا للتناقض الطبقي – ببساطة ليس صحيحا أنّ المقاومة الطبقية فى الريف قد ادّت إلى هذه التحوّلات الديمغرافية – الإجتماعية . هل أنّ حجّة نقادنا أنّ تمرّدات الفلاحين فى الريف كانت تمثّل تهديدا للنظام الإجتماعي إلى درجة أنّ الطريقة الوحيدة لتثبيتها كانت عبر طرد عمل الفلاحين عن طريق تقريض فلاحة المعاش ؟

هل أنّ حجّة التمرّد المديني قد بلغت مثل هذه المستويات من عدم الإستقرار بحيث أنّ الطبقات المستغِلَّة إضطرّت نوعا ما إلى الحثّ على هجرات كبرى للفلاحين إلى المدن على أمل أن يكون لهذا تأثيرا نحافظا و معاديا للثورة ؟ هذه ليست منهجيّة علمية .

جانب تاريخي و سؤال : هل أنّ أنصار هذه النظرة سيحاججون بأنّ الحرب العالمية الأولى دفعت إليها الحاجة إلى حرف الصراع الطبقي أو إعادة توجيهه فى البلدان الأوروبية – أم هل كانت هذه الحرب ناجمة ، كما كانت بالفعل ، عن إستفحال النزاع بين الإمبرياليات و خاصة النزاع حول المستعمرات (حتى و إن كانت أوروبا المسرح الأساسي للمعركة) ؟

تفرز عمليّات التمدين و البلترة و إنشاء الأحياء القصديرية التى تشهدها الأمم المضطهَدة بحكم السير الفوضوي لرأس المال نتائجا متناقضة بالنسبة للجماهير ، إقتصاديّا و إيديولوجيّا . فإجتثاث الإمبريالية للطرق التقليدية للحياة فى الريف و عدم الإستقرار المقترن بتمدين قطاعات من الجماهير لم تدمج فى الإقتصاد " الرسمي " قد غذّيا نموّ و دعوة الأصولية الإسلامية و البنتيكوستاليزم و أصناف شتّى من الفكر الديني لألاف السنين الماضية إلخ . و لتقدّم هذه التيّارات مدى إيديولوجي و أخلاقي رجعي صريح فى ظروف تمتاز بالإضطراب و التفكّك .

و من جديد ، العوامل الكامنة وراء ما يحدث فعلا و التحدّيات التى يفرضها فعلا بمعنى تغيير المجتمع و العالم لا يمكن أن تدرك علميّا إذا كان يُنظر إلى حركة التناقض الأساسي وتطوّره من خلال نظّارات إقتصادوية .

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

لقد سبق و أن كتبنا عن العوامل المولّدة لهذه الأزمة . (17) و بإختصار ، لنشخّص بعض مظاهر الديناميكية المفتاح لمسار خاص للنموّ تحوّل إلى نقيضه :

• منح إنهيار الكتلة الإمبريالية الإشتراكية بقيادة السوفيات فى 1989-1991 حرّية جديدة للقوى الإمبريالية الغربية و خاصة الولايات المتحدة للتوسّع و إعادة هيكلة رأس المال . (18) و بوجه خاص ، تلت ذلك **موجة جديدة من العولمة** – على مستوى الإنتاج و التجارة و التمويل . و من أهمّ المظاهر الدالّة على النموّ و التوسّغ العالميين المؤدية إلى الأزمة كانت تعمّق إندماج الإقتصاد الرأسمالي العالمي و كان محوريّا فى هذا الإندماج الأتمّ لبلدان العالم الثالث ذات الإنتاج الموجّه للتصدير و الإقتصاد الصناعي ذى اليد العاملة الرخيصة .

• كانت الصين نقطة إرتكاز سيرورة العولمة المشتدّة قائمة بمهمّة **"**المعامل و الورشات السيّئة الظروف**"** فى العالم الرأسمالي فى علاقة جدلية بقاعدتها الرأسمالية القوية الآخذة فى التشكّل . و قد وسّع ظهور تجارة كبرى لفائض القيمة النطاق العالمي الذى بلغته الصين و دورها كأكبر مشترى لديون خزينة الولايات المتحدة الأمريكية و مموّل لعجز الولايات المتحدة (و القوّة النامية المترافقة مع ذلك) .

• على أرضية إنتاج و إستغلال خارق للعادة أكثر عولمة ، تقدّم قطاع الخدمات المالية فى البلدان الرأسمالية تقدّما سريعا . و أصبح النموّ فى هذه البلدان متصاعدا تقوده المالية و تحرّكه القروض . و كانت الولايات المتحدة النقطة المركزية لهذه السيرورة من **التمويل المكثّف** (بسوق التأمينات المسنود برهن كتعبير مكثّف عن هذه الطفيلية).

• كان الترابط الديناميكي بين الولايات المتحدة و الصين رابطا حيويّا فى نموّ العقد الأوّل من القرن الواحد و العشرين أو لنضج ذلك و بصيغة أخرى ، هناك صلة عميقة بين نزاع موت العمل المستغَلّ إلى أقصى الدرجات فى أحشاء المناطق الصناعية الجديدة للصين و بين ما كان يحدث فى أعلى امستويات المالية .

• و أدّت هذه السيرورات المترابطة من العولمة و التمويل فى النهاية إلى عدم توازن و عدم إستقرار لا يمكن السيطرة عليهما .

- إنتفاض القطاع المالي المرتبط بالقاعدة الإنتاجية فى الولايات المتحدة وعدم التوازن بين النظام المالي (و إنتظاراته للأرباح المستقبلية) و مراكمة رأس المال : الهياكل و الإنتاج الفعلي و إعادة إستثمار الربح القائمين على إستغلال العمل المأجور .

- التوسّع المهتاج للقروض مؤدّيا إلى هشاشة مالية شديدة .

- نشّط إستهلاك الولايات المتحدة و إقتراضها النموّ الصيني لكن النمو المتهوّر للتصنيع الصيني قد زاد تغذية العجز التجاري للولايات المتحدة مشدّدا الضغوطات التنافسية عبر الإقتصاد العالمي ، بقدرة إنتاجية نامية بسرعة فى الصين .

• لقد حاولت الإمبريالية الأمريكية منذ 11 سبتمبر أن تراهن على تفوّق القوّة العسكرية لصياغة نظام عالمي يكون لها فيه التفوّق العالمي على المنافسين وضد أية حواجز عالقة أمام هيمنتها (بما فى ذلك الأصولية الإسلامية الرجعية) لعقود قادمة . لكن وزن العسكرة و العجز و التكاليف الباعثة على عدم الإستقرار لتمويل هذه العسكرة ، صار عاملا مساهما فى هذه الأزمة .

• إنفجرت الأزمة و تركّزت فى المراكز المالية للرأسمالية العالمية . فسعت المؤسسات المالية لتقليص الخطر و الكسب منه بنشر المزيد من الأجهزة المالية المتنوّعة و المعقّدة على مجال أوسع للمستثمرين العالميين – لكن هذا فى النهاية عمل على جلب المستثمرين و الحكومات إلى دوّامة الهشاشة والأزمة.

وولّدت الديناميكية التى حفّزت النموّ حواجزا جديدة أمام المراكمة المربحة لرأس المال . عصارة القول ، الأزمة هي تعبير و نتاج مكثّف و لو أنّه معقّد و مرن إلى أعلى درجة ، لفوضى الإنتاج الرأسمالي .

و قد حاجج البعض بأنّ التناقض الطبقي ، لا سيما فى شكل مقاومة العولمة و ضندوق النقد الدولي كان العامل الدافع الكبير وراء هذه الأزمة بما أثّر فى مخطّطات التعديلات الهيكلية و ما إلى ذلك . و بالفعل هناك موجة كبرى من مقاومة العولمة . إلاّ أنّه أ- مهما كانت دلالة ذلك فى تسعينات القرن العشرين ، لم ترتقي هذه المعارضة و هذا النضال إلى مستوى نوعي يطرق حركة مراكمة العالم و تطوّرها ؛ و ب- فى الواقع ، مثلما عرضنا بإختصار أعلاه ، للأزمة التى برزت فى 2008-2009 محدّدات عميقة فى تناقضات مسار خاص للتوسّع ، متميّز بتلك الديناميكية من العولمة و التمويل المشتدّين .

و تفترض تلك الحجّة أيضا أنّ التواطئ بين القوى الإمبريالية هو الرئيسي و مردّ ذلك هو الحاجة المشتركة لرأس المال لإستغلال قوّة العمل . لكن النزاع المدفوع بالتطوّر اللامتكافئ و تحوّل طرقات الإقتصاد فى العالم كانت مظهرا رئيسيا للعلاقات المتبادلة بين الإمبرياليات المعاصرة . و قد عبّر هذا النزاع عن نفسه بالأساس إقتصاديّا و جغرافيّا إقتصاديّا و ليس بقدر كبير فى المجال العسكري .

إنفجرت هذه الأزمة فى إطار تحوّلات كبرى فى العلاقات والقوى التنافسية ضمن القوىالعظمى و منها : " صعود الصين " و إنتقالها إلى التحوّل إلى قوّة إمبريالية و تأثيرها يبلغ أبعد من شرقي آسيا إلى الشرق الأوسط و آسيا الوسطى و أفريقيا و نموّها الآن يأثّر على التقسيم العالمي للعمل ؛ توسّع سوق الإتحاد الأوروبي و توحيد عُملة المنطقة ما أفرز إطارا لميزة فى النطاق و الفعالية بالنسبة للرأسمال الأوروبي الشرقي المعولم ، و للدفع نحو تحدّى فى العُملة لهيمنة الدولار ، و إمبريالية روسية تعيد تأكيد نفسها .

و بدورها كانت للأزمة إنعكاسات ليس على إستقرار النظام الإمبريالي العالمي فقط بل على تحوّلات القوى القائمة و نزاعاتها صلبه . و أبرز إنعكاسين : طرحت الأزمة التى فاقمت التناقضات بين الولايات المتحدة و الصين ، و الولايات المتحدّة أكثر عدوانية فى بحثها على التصدّى لصعود الصين و نموّ غناها ؛ طرحت صعوبات جديدة أمام المشروع الإمبريالي للإحاد الأوروبي .

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

فى " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا لكن الإنسانية بوسعها تجاوز الأفق** " يؤكّد بوب أفاكيان :

" قد لا يعجبنا كلّ هذا ، لكن هذا هو الوضع الذى نحن فيه . قد لا يعجبنا أنّ الرأسمالية و ديناميكيتها لا تزالان تهيمنان على العالم ، هذا هو الحال غالبا حاليّا ، و تحدّد مرحلة النضال الذى علينا أن نخوضه – قد لا يعجبنا هذا غير أنّ هذا هو الواقع . و فى هذا الواقع يُوجد أساس التغيير الجذري للأشياء . إنّه يوجد فى المواجهة و النضال من أجل تغيير هذا الواقع و ليس ببعض الطرق الأخرى . إنّه عبر فهم هذا الواقع و من ثمّة العمل على تغييره من خلال مسارات الطابع المتناقض الذى يفتحه أمامنا هذا الواقع – مسارات يجب المسك بها و التأثير فيها لإنجاز هذا التغيير للواقع " . (19)

ليس أفاكيان بصدد التعليق و حسب على مهمّة تحليل ديناميكية الرأسمالية و كيف تؤكّد التناقضات فى العالم نفسها و تتفاعل و إستيعاب لماذا " القوّة المحرّكة للفوضى " هي بالفعل الديناميكية الرئيسية للرأسمالية . إنّه يركّز كذلك على موضوع جوهري فى العلم ، فى الشيوعية كعلم و كما كتب :
" إمّا أن ننطلق من الواقع الموضوعي و نعترف بالقاعدة ضمن الديناميكية المتناقضة لهذا الواقع من أجل التغيير الجذري – و إمّا ننطلق فحسب من جملة من الأفكار بما فى ذلك رؤية للجماهير أضحت مثالية نحاول فرضها على الواقع ..." (20)

عند الخوض فى موضوع الرأسمالية – الإمبريالية و سيرها ، نتعامل مع الضرورة – مع قوانين سير خاصة و قوانين الحركة. و هذه القوانين مستقلّة عن إرادة الأشخاص و مستقلّة عن إرادة طبقة ،و حتى عن شخص (الرأسمالي الإمبريالي) ، تملك أكبر ذخيرة للقمع و القوّة فى التاريخ .

الرأسمالية ليست نظاما قائما على الجشع أو " إرادة الإستغلال " . ليست نظاما قائما على حركة الربح ك " مبدأ أوّلي " - إعتصار ما أمكن من العمّال . إنّها نمط إنتاج يتأسّس عل إستغلال العمل المأجور و تدفعه الضرورة الداخلية للتوسّع . و عدم إستيعاب هذا يعنى موضوعيّا إنكار الحاجة إلى الثورة – إن لم يكن هذا النظام تحكمه الضرورة و القوانين الكامنة و ضرورات المراكمة عندئذ ربّما ... ربّما يمكن إصلاحه .

و هذه القوانين و خاصّة القوّة المحرّكة لفوضى على خلاف تهم نقّادنا ، لا " تضفّى " الصراع الطبقي . بل و نكرّر ذلك : هذا ما يحدّد المرحلة الأولية لما يجب القيام به لتغيير المجتمع و العالم . إن جرى إستيعاب ذلك ، حالئذ يمسى من الممكن ،مثلما يشدّد على ذلك بوب أفاكيان ، إكتشاف مسارات التغيير الجذري لهذا الواقع . يمسى من الممكن المسك بالحرّية و نحتها لأنّ نمط الإنتاج هذا و قوانينه ديناميكيين و متناقضين . و هذا ما يفتح إمكانيات عريضة أمام العالم الواعي للعمل على أساس فهم علمي للواقع – فى تعقّده و تغيّره .

هناك قنوات متنوّعة للتغيير و للإنفجارات الفجئية . وهذا التوجّه العلمي حيوي فى بناء حركة من أجل الثورة ، من أجل ثورة **شاملة** فى مداها ،و للإعتراف بالحاجة إلى هذه الثورة و إمكانيتها – و التحدّيات أمامها- و العمل على ذلك الأساس . و الأزمة البيئية عظيمة الشأن بهذا الصدد.

و ثمّة التحديات التى تطرحها كيفية التطوّر **الفعلي** للتناقض الأساسي بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الخاص . و نموّ الأصولية الإسلامية و غيرها من الأصوليّات فى نفس الوقت الذى باتت فيه قوى الإنتاج

أكثر إجتماعية و العالم أكثر تشابكا حالة توافق المقام . و السير " الملتوي" للتناقض الأساسي يبيّن بالشواهد أنّ حركته و تطوّره ليست سيرورة خطّية للعصرنة و البلترة و العلمنة . بل إنّها سيرورة معقّدة من التغيّرات فى الهيكلة الطبقية و الإجتماعية ، فى الإيديولوجيا و الحركات الإجتماعية المتداخلة مع التغيير الإقتصادي ، مع طرح عميق للحاجة إلى أخلاق تحرّرية و لمسألة إجتثاث البطرياركية [النظام الأبوي].

إنّنا نحيا فى فترة إنتقالية مع إمكانية هزّة كبرى : الرأسمالية العالمية فى حالة تغيّر دائم وهي تفاقم اللامساواة و التفكّك و تراجع التوازن البيئي و الفظائع التى تتعرّض لها النساء ، نصف الإنسانية . الرأسمالية فى عصر الإمبريالية نمط إنتاج هو فى أن معا فى مرحلة إنتقالية إلى شيئ أرقي وهي تكدّ بعنف ضد حدودها .

هل سنخلق الوقائع و الحقائق و نبنى روايات بأنّ الصراع الطبقي هو دائما الرئيسي ، من أجل أن نعزّي أنفسنا و نصرف النظر عن التحدّيات الحقيقية ؟ أم سنواجه الواقع من أجل تغييره ؟

ما هو موضع رهان هو فهم مادي للعالم ، لما يجب تغييره فى تفكير الناس و فى المجتمع ، و كيف يتمّ ذلك . أي شيئ آخر عدا مقاربة علمية حقّا سيبقى على العالم كما هو . ما هو موضع رهان هو الثورة الشيوعية التى تحتاجها الإنسانية : معالجة التناقض الأساسي للعصر و تحرير الإنسانية و إنقاذ الكوكب .

الهوامش :

1- من أجل خلفية ، أنظروا " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** " (شيكاغو ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري 2009) لا سيما الأقسام 3-5 . بالأنجليزية على الأنترنت موقع

www.revcom.us

وبالعربية ، ترجمة شادي الشماوي على موقع الحوار المتمدّن ضمن كتاب " **المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** " .

2- بوب أفاكيان ، " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا لكن الإنسانية بوسعها تجاوز الأفق** " (من هنا فصاعدا سيشار إليه " **ليس بوسع العصافير أن تلد تماسيحا** ") .

3- مع ظهور الرأسمالية و تطوّرها ، واصل الفلاّحون الكثيرون فى العالم لعب دور هام فى الإنتاج العالمي و كانوا مهيمنين عدديّا ، لكن علاقات الإنتاج ما قبل الرأسمالية صارت بشكل متصاعد مدمجة فى إطار الرأسمالية و مرتهنة بها و متغلغلة فيها .

4- فريديريك إنجلز ،" **ضد دوهرينغ** " (دار التقدّم ، موسكو 1969) ص 316 -324 باللغة الأنجليزية . و باللغة العربية ص 312-330 وجملة " **إن الفوضى تسود فى مجال الإنتاج الإجتماعي** " ص 317 من طبعة دار التقدّم موسكو 1984.

5- كارل ماركس ، " **العمل المأجور و رأس المال** " فى ماركس إنجلز ، الأعمال المختارة 1 (، دار التقدّم ، موسكو 1973) ص 157 باللغة الأنجليزية .

6- كارل ماركس ، **" رأس المال** " المجلّد 1 (نيويورك : الناشرون العالميون ، 1967) ص 555 باللغة الأنجليزية .

7- أنظروا بوب أفاكيان، " **التناقض الأساسي و التناقض الرئيسي على النطاق العالمي** " ، " العالم الثوري " 17 سبتمبر 1982.

8- ريموند لوتا / " **إنحطاط أمريكا** " (بانربراس ، شيكاغو 1984) ص 40- 56 باللغة الأنجليزية .

9- ماركس ، " **رأس المال** " المجلّد 1 ، ص 300 باللغة الأنجليزية .

10- إنجلز ، " **ضد دوهرينغ** " ، ص 322 باللغة الأنجليزية .

11- ماركس ، " **رأس المال** " ، المجلّد 1 ، ص 555 باللغة الأنجليزية .

12- ماركس ، " **رأس المال** " ، المجلّد 1 ، ص 224 باللغة الأنجليزية .

13- كارل ماركس ، " **غرندريسي** " هاموندسوويرث ، بنغوان 1973 ، ص 552.

14- أنظروا العدد الخاص من " **الثورة** " ، " **حالة طوارئ : نهب كوكبنا و الكارثة البيئية و الحلّ الثوري الحقيقي** " ، 18 أفريل 2010.

15- ل. كيري تورنار و براندن فيشر ، " الإقتصاديات البيئية : تبذير الرجل الغني " ، **" الطبيعة "** عدد 451- ، 28 فيفري 2008 ، ص 1067-1067.

16- وليام كلاين 2007 ،" **إرتفاع حرارة الكوكب و الثقافة : توقّعات التأثير على كلّ بلد** ".(واشنطن ، مركز التطوّر العالمي و معهد بترسن للإقتصاديات العالمية).

17- أنظروا مثلا ، ريموند لوتا " **تحوّلات و تصدّعات فى الإقتصاد العالمي و القوّة الكبيرة للنزاع : ما الذى يحدث و ما الذى يمكن أن يعنيه** " جريدة " **الثورة** " 24 و 27 جويلية و 3 و 24 أوت 2008 ، خاصّة الجزء 1 ، و ريموند لوتا " **الإعصار المالي يرجّ الرأسمال العالمي : فشل النظام و الحاجة إلى الثورة** " جريدة " **الثورة** " ، 19 أكتوبر 2008.

18- ندعو القرّاء إلى دراسة النقاش فى " **ملاحظات حول الإقتصاد السياسي : تحليلنا لثمانينات القرن العشرين و مسائل المنهج و الوضع العالمي الراهن** " (منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 2000). الجزء الأوّل ، صفحات 7-30 أين يشخّص الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية المشاكل فى التحليل الذى أنجزه فى ثمانينات القرن العشرين لحركة الكتل الإمبريالية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية و السوفيات بإتجاه الحرب. و الدروس المنهجية المستخلصة كجزء من تعميق إستيعاب المنهج العلمي .

19- بوب أفاكيان ، " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا...** " .

20- بوب أفاكيان ، " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا...** " .

===

2

===

الحزب الشيوعى النيبالى – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية .

روبار بوربا

نشر المقال بتاريخ 7 أفريل 2014 على موقع مجلّة الحزب الشيوعى الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

www.demarcations.org

فى أواسط 2012 ، إنشقّت مجموعة عن الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماويّ) يتقدّمهم فى ذلك قادة من الحزب هم كيران و غوروف و بادال و غورونغ و آخرون ،و أعلنت تشكيل حزب جديد متبيّنة التسمية الأصليّة للحزب الماوي الذى قاد عشر سنوات من حرب الشعب من 1996 إلى 2006 ، الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي . و أعلن الحزب المعاد تأسيسه ، الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي أنّه قطع مع تحريفيّة الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) ، و ندّد بقادة الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) براشندا و باتاراي على أنّهما " تحريفيين جددا " قد " خانا " الأمّة و الثورة ؛ و أعلن أنّه كان يعيد وضع الحزب على الطريق الثوري . و عقب أشهر ستّة ، عقد ما أطلق عليه إسم المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي فى كتمندو ، عاصمة النيبال ، حيث أعلن أيضا أنّه سيعمل على إعادة تعزيز الحركة الشيوعية العالميّة حول الماركسية – اللينينية – الماوية .(1)

فى عالم يصرخ بصورة ملحّة من أجل الثورة ، بطبيعة الحال ، جلب إعلان الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الإنتباه و بعث الأمل بأنّ هذه التطوّرات قد تؤدّى إلى إحياء ذلك الحزب و تلك الثورة ، خاصة فى صفوف الذين قد ألهمهم ما بلغته الثورة فى النيبال سابقا و الذين أزعجهم حدّ المرارة المنعرج الذى إتبعته فى السنوات الأخيرة .

فى فيفري 1996 ، تجرّأ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) على الإنطلاق فى حرب ثوريّة ضد الحكومة المسنودة من قبل الإمبريالية و التى إتخذت حينها شكل نظام ملكي أرسى بربمانا قبل بضعة سنوات . منطلقا من قوّة صغيرة ، نمى بسرعة أثناء مسار السنوات العشر من حرب الشعب ، كاسبا مساندة الملايين مع تركيزه لسلطة سياسيّة حمراء على نطاق واسع من الريف النيبالي و تكوينه جيش التحرير الشعبي من عدّة آلاف. و كجزء منضاله من أجل ثورة ديمقراطية جديدة ، تحدّى نظام الكاست و إضطهاد النظام الأبوي للنساء و أرسى أسس الثورة الزراعيّة . وفى خلال تطوّر حرب الشعب ، دافع قادة الثورة علاقة وثيقة بالقوى الثوريّة عبر جنوب آسيا كجزء من التقدّم بالثورة فى المنطقة و حول العالم. و فى زمن أعلن فيه موت الثورة و خاصّة الثورة بقيادة شيوعيّة ، و قيل فيه لجيل جديد إنّ دواء

الثورة أسوأ من مرض الرأسماليّة ، ضمّ الكثير من الناس إلى قلوبهم الأهداف الشامخة التى أعلنها هؤلاء الثوريين .

مع تقدّم الثورة ، ظهرت تحدّيات جديدة .و برزت إنقسامات حادّة صلب الطبقات الحاكمة حتى وهي متحدة ضد الثورة . و إثر مجزرة العائلة المالكة على أيدى أحد الأمراء ، مسك ملك جديد غواننددرا بالسلطة و مضى على جميع الأصعدة نحو سحق الثورة .و فى خضمّ هذه السيرورة ، هاجم أيضا المعارضة البرلمانيّة و علّق عمل البرلمان جاعلا الكثيرين فى المناطق المدينية مغتربين ، لكنّه فى نفس الوقت وحّد ببساطة صفوف الدول الرجعيّة . و نمت المعارك مع الجيش النيبالي فى النطاق و الشدّة . كما نمى تدخّل الهند التى تعتبر النيبال " حديقتها الخلفيّة " و تدخّل القوى الأمريكية والأوروربيّة . و بفعل تقدّم القوى الثوريّة ، أخذت مسائلا أساسيّة أيضا بخصوص نوع المجتمع الذى كانت تقاتل من أجله أهمّية جديدة و أكبر فهذا التقدّم جعل مسائلا كانت حلما بعيد المنال تتحوّل إلى واقع يلوح فى الأفق. كيف ستتقدّم الثورة من الريف إلى العاصمة كتمندو و السهول المحيطة بها و كيف يمكن إحداث قفزة لإفتكاك سلطة الدولة عبر البلاد بأسرها ؟ ما هي التعبيرات الممكنة التحقيق فى بلاد ضيّق المساحة الجغرافيّة مثل النيبال ؟ هل يمكن بناء إقتصاد جديد و هل يمكن حقّا أن تتماسك سلطة دولة ثوريّة واقعة بين عملاقين هما الهند و الصين . ما هو نوع الجبهة المتحدة الممكن فى ظرف حيث كانت قبضة النظام الملكي تفرز أعدا ءله ضمن بعض القوى بما فى ذلك ضمن الطبقات الوسطى المدينية ، فى حين لا يقع نسيان حاجة الشيوعيين للمثابرة فى المضيّ نحو هدف تفكيك الدولة القديمة و **كلّ** مؤسساتها الأساسية و تركيز سلطة ثوريّة جديدة ؟

و فى الوقت الذى كانت فيه هذه المسائل و عديد المسائل الأخرى تطرح نفسها بإلحاحيّة متنامية ، و فى إطار حملة عالميّة شرسة معادية للشيوعية أقيمت لعديد السنوات الآن ، لم يكن من المفاجئ أن تظهر أجوبة متنامية صلب الحزب حول كيفيّة الإجابة على هذه المسائل . و ما كانت تلك بالمسائل الهيّنة و ما كانت موجودة صيغ حاضرة سلفا لحلّها – لكنّها بالضبط نوع المسائل التى ستواجهها أيّة ثورة فى تقدّمها نو التى يمكن و يجب أن تعالج لأجل كسب التقدّم و المضيّ فى التقدّم .

لسوء الحظّ ، فى هذا الظرف ، فى صفوف الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) كانت الإجابة نظريّا الأكثر شمولا و المتنامية الهيمنة بشأن المجتمع المرتأى قد مثّلها مقال قائد من قادة الحزب هو بابوران باتاراي فى العدد التاسع من مجلّة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) الصادرة باللغة الأنجليوزية ، " العامل " ، و عنوانه " مسألة بناء نوع جديد من الدولة " . و قد مثّل مقال باتاراي نبذا حادا لنظريّة و ممارسة الثورة الشيوعية و حاجج عوض ذلك من أجل سلسلة من المواقف آلت فى النهاية إلى التخلّى عن هدف دكتاتوريّة البروليتاريا و الشيوعية و تعويض ذلك بالمفاهيم التحريفية لتنافس عديد الأحزاب فى المجال الإنتخابي فى إطار الديمقراطية البرجوازيّة ، و المحاججة من أجل مبادئ ديمقراطيّة برجوازية أخرى . و بدلا من رؤية سلطة دولة ثوريّة فى النيبال تقودها طليعة شيوعية للإضطلاع بالتغييرات الإجتماعيّة والإقتصاديّة الدراماتيكيّة و التحريريّة و تكون فى نفس الوقت قاعدة إرتكاز لتقدّم الثورة فى المنطقة و عبر العالم ،كانت نظرة باتاراي نظرة ستقود – و قادت !- إلى التأقلم مع النظام القائم . هذا خطّ له رواج كبير فى عالم اليوم وهو خطّ يحاجج ، أحيانا بإسم الراديكاليّة أو حتّى " الشيوعية " ، بأنّ الثورة و سلطة دولة جديدة راديكاليّا لا هي ممكنة و لا هي مرغوب فيها فى عالم اليوم ، وهي تبحث عن الإلهام بالعودة إلى الديمقراطيّة البرجوازيّة للقرن الثامن عشر ، قبل أن يفتح ماركس الدرب إلى فهم لماذا و كيف سيكون من الممكن للإنسانيّة أن تبلغ أفقا جديدا تماما .

فى إجتماع تاريخي فى شنغوانغ سنة 2005 ، تبنّى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) رسميّا طعنة موقف باتاراي المعروض و المضمّن فى حجج مقاله ، بأنّ الهدف المباشر للثورة لم يعد الدولة

الديمقراطيّة الجديدة (وهي شكل من أشكال دكتاتوريّة البروليتاريا) بل " جمهوريّة إنتقاليّة " . و على حدّ علمنا ، لم يقع تقديم خطّ بديل أو وجهة نظر معارضة بصورة واضحة لدحضه أو للنقاش. و سرعان ما رأينا تبعات ذلك . (2)

و فى 2006 ، إتّخذ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) جملة من المناورات المعقّدة . إذ عقد تحالفا مع السبعة أحزاب السياسيّة الكبرى فى البلاد و أطاح تمرّد جماهيري بالنظام الملكيّ المطلق . و فى نوفمبر من السنة عينها ، أمضى الحزب إتفاق السلام الشامل الذى دعا إلى وضع القسم الأكبر من جيش التحرير الشعبي فى معسكرات و أسلحته محجوزة تحت مراقبة الأمم المتحدة ، و إلى تفكيك السلطة السياسيّة الحمراء ومشاركة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) فى الحكومة الإنتقاليّة . وضع حدّا لعشر سنوات من حرب الشعب .

و فى أفريل 2008 ، نظّمت إنتخابات . و برز الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) كأكبر حزب فى المجلس التأسيسي الجديد و بات القوّة القياديّة فى النظام الحكومي للبلاد طوال السنوات الخمس التالية . و قد أدّت الإنتقائيّة و التحريفيّة بالحزب إلى الدعوة إلى " إعادة هيكلة " الدولة عوضا عن الهدف الثوري للإطاحة بها و تفكيكها . و بالفعل ، وجد الحزب نفسه ينهض بدور مركزيّ فى الهياكل الحكوميّة للدولة القديمة الرجعيّة التى كان يخوض الثورة ضدّها قبل وقت قصير فقط .

أثناء هذه الفترة ، أقام الحزب وحدة مع مجموعة من القوى التحريفية القديمة التى عارضت حرب الشعب ،و غيّر إسمه إلى الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) . و مذّاك قرّرت القوى الماويّة فى النيبال عامة التحوّل إلى معارضة ديمقراطيّة – إشتراكيّة تشبه أكثر القوى الإصلاحية التى تمرّدت عليها لتشنّ حرب الشعب فى المصاف الأوّل . و أيّة آمال كانت تعقدها جماهير الشعب النيبالي فى التحرّر من الإمبريالية و الرجعية تذهب الآن أدراج الرياح ، إلاّ إذا ظهرت قوّة ثوريّة جديدة تنبذ بوضوح و تقطع مع هذه الرزمة التحريفية و تكون قادرة على تجديد الثورة .

ما الذى حصل ؟ كيف أمكن ، بعد تضحية الآلاف و الآلاف بحياتهم فى حرب ثوريّة و الآلاف الأخرى فى السجن و تحت التعذيب ، أن تبلغ الأمور هذا المبلغ الرهيب ؟ التجربة برمّتها – التطوّرات فى الحركة الشيوعية فى النيبال و أكثر من ذلك ،طريقة تعاطيها مع الحركة الشيوعية العالمية – مرتبطة بمفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية عالميّا ، فى السنوات الأخيرة .

يلقى الجزء الأوّل من هذا المقال نظرة أعمق على خطّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تأسيسه و على تلخيصه للصراع الذى أدّى إلى الإنشقاق عن الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) . و يتناول الجزء الثاني بالبحث فى كيف يتمّ عالميّا تقييم الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و ما الذى يكشفه ذلك بشأن مفترق الطرق . إطار هذه التطوّرات تمّ تحليله بأكثر شموليّة فى **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** و فى **" رسالة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات لمتحدة الأمريكيّة إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية "** فى ماي 2012 وهي من الوثائق التى نحثّ القرّاء على دراستها ، و التى يمكن العثور عليها على موقع الأنترنت

www.revcom.us

و الرسالة يمكن العثور عليها كذلك ضمن العدد الثالث من مجلّة **" تمايزات "** .(3)

الجزء الأوّل : الوضع اليوم و إدعاءات الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي

طوال سنوات حرب الشعب ، صرّح الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) الأصلي أنّ هدفه المباشر هو الإطاحة بالدولة القديمة الرجعيّة المدعومة من قبل الإمبريالية و إرساء سلطة دولة الديمقراطية الجديدة . و تمثّل الديمقراطية الجديدة كما إرتآها ماو تسى تونغ فى مسار الثورة الصينيّة ، ثورة ديمقراطية من نوع جديد فى الأمم التى تضطهدها الإمبريالية فى هذا العصر التاريخي . بقيادة البروليتاريا ، ستكسر بصورة حاسمة القبضة القويّة للإمبريالية الأجنبيّة و تجتثّ بصورة تامة الإقطاعية . و شدّد ماو تسى تونغ على أنّ مثل هذه الثورة ستنتقل بسرعة إلى مرحلة الثورة الإشتراكيّة ، و أنّه بمعنى عام ، الثورة الديمقراطيّة الجديدة جزء من الثورة البروليتاريّة العالمية .

و النيبال اليوم كلّ شيء عدا ذلك الهدف. رغم الدور المهيمن للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) فى الحكومة النيباليّة طوال السنوات الخمس الخوالي من 2008 إلى 2013 ، لم يحدث أي تغيير كبير فى طريقة تسيير المجتمع أو فى ظروف المضطَهدين . و رغم سلسلة الحكومات التى ترأسها الماويّون ، لم يحدث إصلاح زراعي كبير ، ناهيك عن أيّة ثورة زراعيّة . و وقع تفكيك جيش التحرير الشعبي تفكيكا تاما فى 2012 و قبل ذلك بكثير وقع تفكيك المؤسسات الثوريّة للسلطة السياسيّة . عندما دخل سيرورة السلام ، وضع الحزب القتال من أجل " دستور ديمقراطيّة جديدة " فى مركز نضاله ل " إعادة هيكلة الدولة " – لكن لم يقع تبنّى أي دستور بتاتا ، فما بالك بدستور سيشبه بأي شكل من الأشكال دستور ديمقراطيّة جديدة . عوض ذلك ، غرق الحزب فى صراعات و تحالفات و تحالفات مضادة برلمانيّة لا نهاية لها . و لم نشهد تأميمات كبرى للقطاعات المفاتيح للإقتصاد ن حتى من النوع الذى تنجزه أحيانا أحزاب ديمقراطيّة إشتراكية .

فى كلّ مظهر من مظاهره ، ظلّ النيبال متخندقا تماما فى شبكة العلاقات الإقتصاديّة الإمبريالية التى لطالما أبقت البلاد مرتبطا بالهند و بالنظام الإمبريالي العالمي بصفة أعمّ . و يتواصل عذاب شعب النيبال الذى يعدّ تقريبا 30 مليون نسمة ، فى منتهى الفقر و الإضطهاد . زهاء 60 بالمائة يعيشون على اقلّ من دولارين إثنين أمريكيين فى اليوم الواحد ، بينما البطالة و البطالة المقنّعة منتشرتين إلى درجة أنّ أكثر من مليون شخص قد غادروا البلاد للعمل فى الخارج ، أكثر من 5 بالمائة من سكّان البلاد الكهول . و أكثر جوهريّة ، قد فقدوا أي أفق للخروج من نير هيمنة الإمبرياليين و الرجعيين و الشروع فى تغيير ظروفهم كجزء من سيرورة ثورة عالميّة . (4)

و الأنكى ، طوال خمس سنوات ، أنّ الوجوه التى رآها المضطهَدون تترأس إستمرار هذا الإستغلال و الإضطهاد كقادة للحكومة و أكبر حزب فى البرلمان إلى إنتخابات نوفمبر 2013 ، كانت وجوه القادة السابقين للثورة . و فى حين أنّ التفقير و الإضطهاد الذين يشعر بهما الشعب النيبالي يواصلان تغذية الغضب و التمرّد ، سيكون من العسير المبالغة فى التشديد على مستوى النفاق و الإحباط اللذين أدّى إليهما هذا الوضع . و ضمن الحزب الماوي ذاته ، رغم إندلاع متكرّر لمقاومة تراجعات السنوات الأخيرة ، فإنّ هذه المقاومة كانت تنتهى المرّة تلو المرّة إلى التكيّف مع الخطّ التحريفي المهيمن .

لذا ما الذى تمثّله إعادة ظهور الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي فى الصيغة الجديدة : هل قطع مع التحريفية التى إستولت على الحزب فى السنوات الأخيرة ؟ هل يمثّل قوّة يمكن الآن أن تعيد سلوك الطريق الثوري فى النيبال ؟ و إن لم يكن كذلك ، عندئذ ما الذى نحتاجه الآن – و ما الذى يقوله لنا كلّ هذا عن وضع الثورة الشيوعية اليوم و التحدّيات التى تواجهها ؟

قبل الغوص فى خطّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، يجدر بنا أن نتعمّق أكثر فى العلاقة بين وضع الحزب و وضع الحركة الشيوعية العالميّة برمّتها . مع إعادة تركيز الرأسماليّة فى الإتحاد السوفياتي و الصين (فى أواسط خمسينات القرن العشرين و 1976 تباعا) و ما نجم عنها من نهاية المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية ، و فى وجه عديد التحدّيات الجدّية التى يواجهها شيوعيّو العالم ، حلّلت رسالة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة المذكورة أعلاه ، أنّ :

" الفهم الذى قامت عليه الحركة - ما كنّا نسميه الماركسية – اللينينية - الماوية - " ينقسم إلى إثنين" : جوهره الثوري الصحيح و العلمي ثبتت صحته وهو يتقدّم إلى مستويات جديدة ، بينما الأخطاء الثانوية و إن كانت حقيقية و ضارة فى السياسة و النظرية وقع تحديدها و يمكن و من الضروري الصراع ضدّها كجزء من إنجاز القفزة اللازمة. هذه هي المقاربة التى إعتمدها بوب آفاكيان و حزبنا يدعو الآخرين للإلتحاق بها لتلبية هذه الحاجة الملحة. "

و فى تعارض مع هذا التقدّم فى علم الشيوعية ، الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان (5)، ظهر تيّاران خاطئان يُشكّلان نوعا من وجهي مرآة الضدّين :

" إمّا التمسّك تمسّكا دينيّا بكافة التجربة السابقة و النظريّة و المنهج المرتبطين بها أ (جوهريا ، إن لم يكن فى الكلمات) و إمّا التخلّى عنها جميعها " . وفى نفس الوقت : " تيارا " مرآة الضدّين" الخاطئين يتشاركان فى أنهما غارقان أو يتراجعان إلى نماذج من الماضيّ ،بشكل أو آخر (حتى إن كانت النماذج الخاصّة مختلفة) : إمّا التمسّك دغمائيّا بالتجربة الماضية للمرحلة الأولى من الثورة الشيوعية – أو بالأحرى ، بفهم غير تام و إحادي الجانب و فى النهاية خاطئ لها – أو التراجع إلى العصر الماضي بأكمله من الثورة **البرجوازية** و مبادئها : العودة إلى ما كان جوهريّا نظريّات القرن الثامن عشر للديمقراطية (البرجوازية) ، تحت قناع ، أو بإسم ، " شيوعية القرن الواحد و العشرين " و بالفعل مسوّين بين " شيوعية القرن الواحد و العشرين " و الديمقراطيّة التى يفترضون أنّها " خالصة " أو " لاطبقيّة " – ديمقراطية فى الواقع ، طالما وجدت طبقات ، ليس بوسعها إلاّ أن تعني الديمقراطية **البرجوازية** و **الدكتاتورية** البرجوازية ".

طوال الثماني سنوات الماضية ، مثّل الحزب الشيوعي النيبالي أحد الأمثلة الأكثر وضوحا للمعالم عن التوجّه الأخير . و على وجه الخصوص ، لخّصت رسالة الحزب الشيوعي الثوري مقدّمة لسلسلة الجدالات بين الحزب الشيوعي الثوري والحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) (6)ما إعتبرته مشاكلا مفاتيحا فى خطّ ذلك الحزب النيبالي وهي تتركّز فى :

1) طبيعة الدولة ، والحاجة خاصّة إلى إرساء دولة جديدة بقيادة البروليتاريا وطليعتها الشيوعية ، في تعارض مع إستراتيجيا مرتكزة على المشاركة فى و ما يعادل " تحسين" الدولة الرجعية ...

2) بصورة أخصّ ، الحاجة كخطوة أولى إثر الإطاحة بالنظام القديم ، إلى إرساء لدولة ديمقراطية جديدة تضطلع بتطوير القاعدة الإقتصادية و ما يتناسب معها من مؤسسات أمّة تحرّرت من الهيمنة الإمبريالية و العلاقات الإقطاعية ، بالإعتماد على العلاقات الإقتصادية و الإجتماعية الجديدة التي نمت إبّان سيرورة حرب الشعب ، فى تعارض مع تركيز جمهورية برجوازية تشدّد على تطوير الرأسمالية و إيجاد مكان داخل شبكة العالم الإمبريالي ،

3) الدور الديناميكي للنظرية و صراع الخطّين (صراع داخل الأحزاب الشيوعية و ضمن الشيوعيين عموما حول مسائل الخطّ الإيديولوجي و السياسي) مقابل الإنتقائية و البراغماتية و محاولات التعويل

على "البراعة التكتيكية" و ما يعادل السياسة الواقعية البرجوازية – متحركين ضمن إطار الهيمنة الإمبريالية (و قوى عظمى أخرى) و العلاقات الإستغلالية و الإضطهادية القائمة."

وكجزء من هذه المناورة ضمن الإطار الإمبريالي السائد ، صارت النزعات القوميّة داخل الحزب تغلّب نزعات أصحّ لرؤية الثورة فى النيبال كجزء من الثورة العالميّة و التقدّم نحو عالم شيوعي . و عوض ذلك تقدّمت قوميّة ضيّقة تقلّص هدف الثورة فى " ما هو مفيد للنيبال " .

كيف ينظر الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد إلى كلّ هذا ؟ تودّ قيادة الحزب أن تصوّر سنوات 2005-2012 على أنّها فترة صراع خطّين حاد كانت فيه " الكتلة الثوريّة " واضحة أساسا بشأن المشاكل الخطّية ، فترة رفعت خلالها بإستمرار هذه الكتلة الراية الحمراء للماركسية – اللينينية – الماوية و قاتلت من أجل خطّ صحيح ضد الخطّ التحريفي ، و أنّ هذا إستمرّ إلى أن كسبت الكتلة الثوريّة قوّة بما يكفى لشقّ الحزب و تشكيل حزب جديد مؤسّس على خطّ صحيح مثّلته فى الأساسا طوال تلك الفترة . فى تقريره السياسي إلى الإجتماع التأسيسي للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد ، " لنتقدّم بالثورة بخوض الصراع الإيديولوجي ضد التحريفيين الجدد ! " ، أكّد رئيس الحزب كيران أنّ " تاريخ الحركة الشيوعية النيبالية هو تاريخ صراع خطّين حاد بين الخطّ الماركسي و الخطّ التحريفي . لقد كنّا نناضل ضد التحريفية اليمينيّة بأشكالها وألوانها المختلفة طوال الوقت . و الآن نحن فى خضمّ صراع خطّين معقّد ضد أنواع جدّية من التحريفيّة الجديدة التى و جدت فى صفوف كتلة من قادة حزبنا العظيم ، الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) . لقد ناضلنا لمدّة طويلة ضد التيّار اليميني و الوسطي الذى وجد وسط الحزب ". و يحاجج بأنّ " صراع الخطّين هذا " يُخاض بين " كتلة تحريفية " و ما يسمّيه نصفة متكرّرة " كتلة ثوريّة " أو " كتلة ماركسية " و يحاول أن يبيّن الخطين فى ظروف مختلفة . (7)

لسوء الحظّ ، وثائق تأسيس الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد و منشوراته مذّاك جميعها تشير إلى إتجاه مغاير . بعيدا عن أن تكون قطيعة مع الخطّ التحريفي بشأن المسائل الجوهريّة المشار إليها أعلاه ، لا تعدو قطيعة الحزب الجديد أن تكون سوى قطيعة تنظيميّة . سياسيّا و إيديولوجيّا ، ظلّ غارقا فى الإطار الخاطئ عينه ، الإطار الذى أدّى إلى تغيير إتجاه الثورة . و عوض تشخيص ونبذ الخطّ الذى قاد نشاط الحزب فى السبع سنوات التى سبقت الإنشقاق ، ما نحصل عليه هو مزيج نصف نقد يشير إلى أكثر الأمثلة بروزا عن التكيّف مع الرجعيّة بيد أنّه يؤبّد المفاهيم المفاتيح الخاطئة التى أفرزت هذا التأقلم و يقلّص المشكل فى أعمال زوج من الأشخاص ، " خائنان" هما براشندا و باتاراي . هذا قلب للواقع رأسا على عقب . المشكل الحقيقي يكمن فى الخطّ التحريفي الذى كان يقود الحزب برمّته منذ 2005.

و قبل تفحّص خطّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد و كيف يتعاطى مع القضايا المفاتيح التى تواجه مباشرة الثورة فى النيبال ، من المهمّ أن نوضّح من البداية أنّ مشاكل خطّ الحزب الجديد لا يتمّ التعبير عنها فى ما يعالجه وحسب ، لكن أيضا فى ما لا يعالجه .

مهما فتّش المرء ، لن يجد فى أي مكان من شتّى الوثائق التى أصدرها الحزب الجديد أيّة رؤية ملموسة لنوع الديمقراطيّة الجديدة التى يبحث الحزب عن إيجادها ، و كيف سيتحرّر النيبال من هيمنة الهند و النظام الإمبريالي العالمي ، و كيف سيكون نظامه للديمقراطية الجديدة و الدكتاتوريّة منظّما على نحو يخوّل للسلطة الثوريّة الجديدة أن تجتثّ الإنقسامات منذ عصور قديمة التى تشقّ المجتمع النيبالي ، و كيف يرتبط فهمهم لكلّ هذا بتلخيصهم للثورات الشيوعيّة فى القرن العشرين .

و مع ذلك، كان بالضبط هجومباتاراي النظري على تجربة ثورات القرن العشرين و الأدوات المفاتيح للسلطة البروليتاريّة – دكتاتوريّة البروليتاريا و الدور القيادي المؤسّساتي للحزب الطليعي ، التى وصفها ب " المأساويّة " و حتى ب " الشموليّة " – هو الذى عبّد الطريق لإنزلاق الحزب نحو الإصلاحيّة و المفاهيم الديمقراطية البرجوازية للدولة ، و نحو التحريفيّة بصفة أعمّ . بوضوح ، ترك المؤتمر السابع للحزب الجديد جانبا هذه المسائل ، حتى بينما ، مثلما سنرى ، تبنّى إجراءات تمضى تماما مع إتجاه النظرة الإصلاحيّة لباتاراي .

إنّ الإخفاق فى معالجة هجوم باتاراي على نظريّة و ممارسة دكتاتوديّة البروليتاريا كان مأساويّا على وجه الخصوص ، بما أنّ حججه كانت بأشكال عدّة ببساطة " أنسخ و ألصق " من هجوم سابق عليها فى أواخر ثمانينات القرن العشرين من قبل ك. فينو من الهند حول هذه المسائل عينها ، وقد دحضها مطوّلا بوب أفاكيان فى جداله المعنون " الديمقراطيّة : أكثر من أيّ زمن مضى بوسعنا و من واجبنا أن ننجز أفضل من ذلك " ، فى مجلّة " عالم نربحه " عدد 17 ، و يمكن العثور عليه أيضا فى " ماتت الشيوعية المزيّفة ، عاشت الشيوعيّة الحقيقيّة " . (8) لقد كان سيّئا بما فيه الكفاية أن يمرّ ذلك الدحض دون دراسة عميقة لكن مواصلة الإخفاق فى دحض بعض الحجج المفاتيح التى قدّمها باتاراي الآن ، بعد ما يناهز العقدمن الزمن ، سيكون قاتلا . لنقول ذلك بصيغة بسيطة ، بالنسبة للشيوعيين ، أنيتركوا جانبا مسألة ما هو نوع الدولة و المجتمع الذين يرغبون فى بنائهما ،و كيف سيؤدّى ذلك إلى هدف المجتمع الخالي من الطبقات ، وبدلا من ذلك التركيز على كيف يتمّ الإستمرار فى النضال المباشر ، هو مجرّد نسخة أخرى من الخطّ الإقتصادوي الذى يدافع مثلما وضع لينين ، عن " الحركة كلّ شيء و الهدف لا شيء " . للتخلّى عن هدف مجتمع شيوعي بالفعل صلة كبرى بلماذا يقع النضال المباشر ذاته تحت جناح الإمبرياليين و الرجعيين .

لكن للعودة إلى " لنتقدّم ..." – كيف يحلّل المسألة المركزيّة لنظرة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) القديم للدولة ؟ أوّلا ، إنّه يقول إنّه لم يوجد نقد لمفهوم " إعادة هيكلة الدولة " الذى كان فى منتهى المحوريّة فى سياسة الحزبخلال هذه السنوات و كرّر مثل تعويذة فى وثائق الكتلة المعارضة أيضا . ما يعرضه " لنتقدّم ..." هو تلخيص لخطّ الحزب حول دور البرلمان و مشاركته فى سيرورة المجلس التأسيسي :

" يرفع الشعب النيبالي وترفع القوى السياسيّة أصواتهم عاليا للتسريع بكتابة الدستور خدمة لمصلحة البلاد و الشعب " . و يحلّل الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي أسباب عدمإمكانيّة كتابة مثل هذا الدستور " البعيد النظر " و يستنتج أنّ براشندا و باتاراي هما " أكبر المسؤولين عنذلك ". و يحاجج " لا تنكر الماركسيّة أطروحة إستخدام البرلمان و الحكومة . غير أنّ الإستخدام لا يمكن أن يكون إلاّ إستخداما ثوريّا و ليس سلوكا إنتهازيّا . و غستخدام البرلمان و الحكومة إستخداما ثوريّا ، يتعيّن على الحزب أوّلا أن يكون ثوريّا و منضبطا و مخلصا للماركسية ". هنا نودّ أن نسأل الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي : " ألم تكتب الأحزاب التحريفية المرّة تلو المرّة أوراقا حول تكيّفها مع النظام القائم بإعترافات فارغة بأنّها " ثوريّة و منضبطة و مخلصة للماركسيّة " ؟ و لأنّ " الإخلاص " للماركسية ليس أكثر من جملة فارغة تغطّى الممارسة الإصلاحيّة ، يجب أننكون واضحين تمام الوضوح أوّلا و قبل كلّ شيء حول المسألة الحيويّة و الحاسمة لطبيعة الدولة و دورها الأوسع فى الإنتقال إلى عالم شيوعي . و كان هذا الوضوح يعنى قطيعة جذريّة مع خطّ و ممارسة الحزب القائمين .

وواصل الحزب الجديد الذى كان لديه أكثر من 90 عنصرا مواليا له فى المجلس التأسيسي المشاركة فى هذا المجلس أين كان رابع أكبر قوّ' لمدّة سنة ، إلى أنوقع رسميّا حلّ المجلس التأسيسي فى ربيع 2013 . " فى البرلمان أيضا تنهض الكتلة الثوريّة بالدورالضروري . و بوجه خاص قد حالت دون

تمرير بعض مشاريع القوانين و بعض القوانين التى كانت ضد مصلحة البلاد و الشعب . و حتى زمن مشاركة نواب تلك الكتلة الثوريّة فى الحكومة ، قاموا بدور إيجابي عموما ، رغم وجود بعض الهنات و النواقص . " و فى الأخير " إتخذ الحزب قرار إيجاد توازن بين الحكومة و الشارع عبر المجلس التأسيسي و الشروع فى كتابة مشروع دستور للجمهوريّة الفدراليّة الشعبيّة و إدماج الجيش فى وقت واحد . إلاّ أنّ براشندا – باتاراي ذهبا فى الإتجاه المعاكس ".

و الآن فكّروا فى إطار هذا التلخيص : إثر عشر سنوات من حرب الشعب بكلّ التضحيات التى تطلّبتها ، سلّم الحزب أسلحته و فكّك السلطة السياسيّة الثوريّة فى الريف ثمّ إلتحق بالسيرورة البرلمانية تحت الراية التى رفعها أوّلا باتاراي أي " ديمقراطية القرن الواحد و العشرين " ، بخلط بين الديمقراطية و الشيوعية و تصفيته للطبيعة الطبقيّة للدولة – كلّ هذا فى إطار عام حيث الشيوعيّة و الحاجة إلى دكتاتوريّة البروليتاريا يُدفع بهما إلى مزبلة التاريخ من كلّ صوب ونحب – و الآن يقدّم الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي تلخيصا بأنّ خطّ إستخدام " توازن " بين الحكومة و " الشارع " على أنّه كان خطا جيّدا و كان المشكل أنّ الماعونان براشندا و باتاراي كانا يقولان شيئا و يفعلان شيئا آخر أي " ذهبا فى الإتجاه المعاكس " ! فى الواقع كلّ هذا التلخيص و بصورة خاصّة صيغة " تحقيق توازن بين الحكومة و الشارع " هو بصمات النظرة الإنتقائيّة إزاء الدولة التى صاغها براشندا ذاته : من جهة سنستخدم البرلمان و من جهة أخرى سنتمرّد فى الشوارع .(9)

و بالفعل ، مثلما لخّص ذلك مقال ل ك. ج . أ ، " أنقذوا الثورة " (10) : " الوسائل المقترحة لإدراك هذه الجمهوريّة الشعبيّة هي إعلان ولاء صارم لمبادئ الديمقراطية البرجوازيّة وهي عمليّا ذات المؤسسات التى يقع الإقرار بجلاء بأنّها مرتبطة بالجمهوريّة البرجوازيّة ، و التى لا تزال بعد بأيدى الطبقات الرجعيّة ". ما هونوع القطيعة التى يمكن أن يُجسّده مثل هذا التلخيص مع الفهم التحريفي للدولة الذى مضى بالثورة النيباليّة إلى مستنقع البرلمانيّة ؟! فى هذا العالم الإنتقائي للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، يمكن أن تحافظ على ذات السياسات الإنتقائيّة لكن فقط عوّض الأشخاص السيّئين ذوى القبّعات السوداء بذوى القبّعات البيضاء و هكذا سرعان ما يتمّ القضاء على التحريفيّة . و فى العالم الحقيقي ، الأشياء مختلفة للغاية .

و على صعيد أكثر جوهريّة ، يؤشذر هذا المشكل فى إخفاق الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد فى القطيعة مع خلط بين الشيوعيّة و الديمقراطيّة الذى صاغه باتاراي و كان أساسا لقرارات تشنوانغ فى 2005 . هذا المشكل ذى الجذور العميقة فى الحركة الشيوعية العالمية قد حلّله طويلا بوب أفاكيان . وفى تلخيص مركّز لعلاقة الديمقراطيّة بالطبقات و بالمجتمع الشيوعي ، لاحظ أفاكيان : " فى عالم يتميّز بإنقسامات طبقية ولامساواة إجتماعية عميقين ، الحديث عن " الديمقراطية " دون الحديث عن **الطبيعة الطبقية** لهذه الديمقراطية ، بلا معنى وأسوأ. طالما أنّ المجتمع منقسم إلى طبقات ، لن توجد " ديمقراطية للجميع " : ستحكم طبقة أو أخرى وستدافع عن وتروّج لهذا النوع من الديمقراطية الذى يخدم مصالحها و أهدافها. المسألة هي : **ما هي الطبقة** التى ستحكم وإذا ما كان حكمها ونظام ديمقراطيتها، سيخدم **تواصل** أو فى النهاية **القضاء** على الإنقسامات الطبقية و علاقات الإستغلال والإضطهاد و اللامساواة المتناسبة معه ." (11).

و أتت ملاحظة أفاكيان هذه كنقطة إرتكاز لنقد حجج باتاراي فى الرسالة الأولى التى بعث بها الحزب الشيوعي الثوؤري للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) فى أكتوبر 2005 – نقد رفضته كلّيا الرسالة الردّ التى بعث بها الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، التى وصفت هذه المقاربة بأنّها أساسا مجرّد تكرار ل " أبجديّات الماركسيّة " [المبادئ الأساسية للماركسية – المترجم] . لكن أليس من الواضح أنّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد يتمادى فى التفكير الإنتقائي و الخاطئ حول موقف الحزب

الشيوعي النيبالي الموحّد(الماوي) المعروض آنفا ؟ إلى يومنا هذا ، يتمادى فى الدفاع عن الحاجة إلى كتابة دستور" بعيد النظر " ليقع تبنّيه فى ظلّ الدولة الرجعيّة القائمة . إنّه يتمادى فى إعتبار إنتخابات 2008 إنتصارا كبيرا للثورة ، فى حين أنّها فى الواقع مثّلت خطوة عملاقة فى الإبتعاد عن الثورة . كلاهما يؤشّران لتواصل الإخفاق فى القطيعة مع الخلط منذ فترة طويلة بين الشيوعية و الديمقراطية ، و عوض ذلك ، يحافظ على أوهام أنّ بإمكان الشيوعيين بشكل ما أن يجعلوا الديمقراطيّة تخدم مصلحة الشعب دون الإطاحة بالدولة التى تمثّل القاعدة الإقتصاديّة الرأسمالية – الإمبريالية .

لكن لعلّ المعبّر أكثر هو طريقة معالجته لمسألة العامود الفقري لسلطة أيّة دولة ، القوات المسلّحة . (12). إليكم كيف يعالج " لنتقدّم ..." المسألة الحيويّة للقوّات المسلّحة ، و وفى هذه الحال ، جيش التحريرالشعبي الذى كان مفتاحا فى بناء نواة سلطة الدولة الثوريّة فى الريف النيبالي : " بعد التوصّل إلى سيرورة سلام ، قد توقّعت شعوب النيبال الدمج المحترم للجيش و كتابة المجلس التأسيسي لدستور جديد ". ثمّ يؤكّد أنّ صراع الخطّين بينهم و بين كتلة براشندا كان حول " ما إذا يقع دمج جيش التحرير الشعبي فى الجيش النيبالي فى ظروف محترمة [عادة ما تشرح على أنّها تعنى "بكرامة "] أم تصفية هذه القوّة بعد نزع سلاحها " . بصورة متكرّرة يشكو الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد من إخفاق دمج جيش التحرير الشعبي " بكرامة " و سلوك هذا أنّه من أكبر إخفاقات براشندا و باتاراي .

مثّل التكتيك النهائي لجيش التحرير الشعبي فى 2012 صفعة شديدة للثورة و بلا شكّ تجربة مذلّة لآلاف الجنود الذين كانوا قد رأوا أنفسهم قبلا كطليعة جبهة المقاتلين من أجل الثورة فى النيبال و عبر العالم . و مجموعة صغيرة من الضبّاط وقع إدماجهم فى الجيش النيبالي ، بينما من المفترض أنّ كافة بقيّة جيش التحرير الشعبي كانت ببساطة أرسلوا إلى منازلهم مع أجر تدفعه لهم الدولة . لكن ما هذا النوع من " صراع الخطّين " – أن يتمّ إدماج جيش التحرير الشعبي " بكرامة " أملا ؟ ما هي " الكرامة " أو ما هو " الإحترام " الذى يمكن أن يتأتّى من تصفية القوى المسلّحة الثوريّة و إدماجها فى جيش رجعي تسنده الإمبريالية !

لعديد السنوات ، قد قدّم الحزب النيبالي ، و كرّر ذلك الكثيرون ضمن الحركة الماويّة عالميّا ، تطمينات بأنّه رغم أنّه أسير ثكنات تشرف عليها الأمم المتحدة ، فإنّ تشكيلات جيش التحرير الشعبي لا تزال معا و تتدرّب بإنتظام و يمكن أن تسترجع بسرعة أسلحتها و تعيد تشكيل قوّة قتال ثوريّة . و كان الواقع مغايرا لذلك تماما: أسيرا فى ثكنات، عزل جيش التحرير الشعبي عن مناطق الإرتكاز التى كانت تغذّيه ؛ و وقع تخزين أسلحة جيش التحرير الشعبي فى حاويات تحت مراقبة الأمم المتحدّة ؛ و كان موظّفو الأمم المتّحدة بصفة منتظمة يتفقّدون الثكنات ؛ و كانت أجور جيش التحرير الشعبي تموّل فى جزء كبير منها يوفّرها " المجتمع الدولي " ، ليس أقلّها ، التعاونيّة البريطانيّة لتطوير ما بعد البحار بما يعكس تصميم الإمبرياليين على ضمان نجاح " سيرورة السلام " (إضافة إلى إشراف عن كثب ونصائح عميقة من منظّمات غير حكوميّة كمجموعة الأزمة العالميّة). و ليس أقلّ شيء ، عبر مشاركته فى البرلمان و الحكومة بصفة أعمّ ، نجح الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) فى إضفاء الشرعيّة من جديد على سلطة دولة رجعيّة فقدت شرعيّتها أثناء الحرب الثوريّة . و سمح الحزب بتصوير جنود جيش التحرير الشعبي على أنّهم خارجين عن القانون وجبت إعادتهم إلى السبيل القويم ، بينما أصبغ على الجيش النيبالي شرعيّة كجيش يواصل تعزيز سلطة الدولة . ونفس المقاربة إتبعت تجاه الأجهزة الجديدة للسلطة التى كانت ثمرة حرب الشعب . لم يقع الدفاع عنها بأي شكل كجزء من سلطة الدولة الجديدة التى هي فى حاجة لمزيد القتال من أجلها و تعزيزها ؛ بالأحرى كانت أجهزة السلطة القديمة و المجلس التأسيسي المتبعة لنموذج البرلمانات البرجوازيّة و الرجعيّة عبر العالم و التى أرست إطار شرعيّة مؤسسات السلطة و الحكم .

فى هذه الظروف ، نداءات كيران و الكتلة المعارضة من أجل الإدماج " بكرامة " لم يمثّل خطّا ثوريّا كان ليتطلّب على الأقلّ معارضة إستسلام الجيش الثوري و قواعد الإرتكاز . راية كتلة كيران ل " الإدماج بكرامة " تتماهى مع النظرة الإنتقائيّة و غير الثوريّة للكتلة المهيمنة تجاه الدولة الرجعيّة و جهاز قمعها المسلّح ، و تنتهى إلى نفس صنف البراغماتيّة و تحاول التعويل على البراعة التكتيكيّة .

و مثلما تلاحظ رسالة الحزب الشيوعي الثوري المؤرّخة فى نوفمبر 2008 بصدد المتلة المعارضة ، " على الدوام كان لكلّ حزب تحريفي يسار " – قوّة ، مهما كانت غاضبة على بعض نتائج الخطّ التحريفي العام للحزب فإنّها مع ذلك ترفض أن تجري (أو هي غير قادرة على أن تجري) قطيعة حيويّة مع التحريفيّة و تنتهى بالتالى فى نشاطها إلى ما يشبه مخفّف الصدمات صلب الحزب الذى يبتلع الإنفجارات المتكرّرة للغضب نتيجة البون بين الخطابات الراديكاليّة للحزب و مساوماته و تسوياته الجارية. أليس هذا هو الدورالموضوعي الذى تقلّصت إليه الكتلة المعارضة فى الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) – وعود معسولة – " الإدماج بكرامة " فى الواقع لم يفعل أكثر من المساعدة على إبتلاع هذه الجرعة المُرّة دون عناء ؟ و على عكس ما يعلنه الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي أو يمكن أن يؤمن به حتّى ، فإنّ تاريخ الحزب الشيوعي النيبالي قبل الإنشقاق لم يكن صراع خطّين مستمرّ بين كتلة ثوريّة و كتلة تحريفيّة ، و إنّما لا يعدو أن يكون سوى سلسلة من الشكاوى لمعارضة ساخطة بشكل متصاعد أخفقت المرّة تلو المرّة فى القطيعة مع الإطار التحريفي الذى جرّ الحزب إلى المستنقع و ضبط إيقاع توجّهه إليه ، بالضبط لأنّها تشاطره المفاهيم الخاطئة .

و يبرز هذا أيضا فى تلخيص الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ل ط التمرّد الشعبي " القليل الحظّ [و أحيانا يترجم بالإنتفاضة الشعبيّة "] فى ماي 2010 حينها لا يزال الحزب موحّدا تحت إسم الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) . عندئذ جلب الحزب مئات الآلاف من الناس إلى شوارع أكبر المدن و خاصة كتمندو و لعدّة أيّام ، بهدف إنجاز " التمرّد الشعبي " الذى أطلق عليه " جانا أندولان 3" فى إشارة إلى الأسبوعين من جانا أندولان 2 فى أفريل 2006 التى قادت إلى إلغاء النظام الملكي . و قيل للقادمين إلى المدن أنّ هذه الأيّام أيام " الإنتصار أو الموت " . و إثر سلسلة من المسيرات الجماهيرية ، تلاشى التمرّد و عادت الجماهير إلى ديارها فى فوضى و عادة محبطة .

ما سبب هذا الفشل الجلي ؟ المشكل حسب وجهة نظر الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي هو أنّ " براشندا لم يمضى فى سبيل الإعدا للعمل على القرار و تطبيقه . المسيرة الشعبيّة الخاصّة ... لم تستطع أن تحقّق هدفها " . إنّه هنا يكرّر لازمة " خدعتنا كتلة براشندا عديد المرّات " . و بكلمات أخرى ، مجدّدا ، قال براشندا شيئا و قام بشيء آخر .

لكن مثلما لاحظ أحد أنصار الحزب الشيوعي الثوري للمؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي- الماوي ، " المشكل كان يكمن فى الخطّ الجماعي للحزب . المشكل الأساسي مع براشندا ليس أنّه لم ينجز ما قاله **وإنّما هو أنّه مارس فى إنسجام مع الخطّ التحريفي .** جوهريّا ، قام **على وجه التحديد** بما قال إنّه سيقوم به . لقد كرّس براشندا على وجه الضبط الخطّ التحريفي الذى تبنّاه الحزب و هيمن عليه طوال السبع سنوات الأخيرة ." (13) لقد كان إنهيار " التمرّد الشعبي " فى ماي 2010 ثمرة مباشرة لفهم إصلاحي لسلطة الدولة لدي الحزب : فى حين كان الحزب يعدّ للتمرّد الشعبيّ ، كان لا يزال ينشط ضمن المجلس التأسيسي لكتابة دستور جديد " بعيد النظر " و منخرطا فى أنّ يكون " أفضل ممثّل لسيرورة السلام " ، و كلّ ذلك كجزء من " إعادة هيكلة الدولة " – و بالمناسبة ، لا شيء من هذا نبذه الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد . و تمضى اليد فى اليد مع النظرة الإنتقائيّة للدولة نظرة أنّ القوى التقدّميّة صلب الجيش الرجعي ستنشقّ و تساعد الثوريين على بلوغ السلطة . فى الواقع ، كانت تلك هي الإستراتيجيا الكامنة الموضوعة لنجاح التمرّد.

يتطلّب أي جهد جدّي لتمرّد ثوري كسب قسم من الجماهير إلى فهم أنّ الدولة القائمة لا يمكن أن تكون أداة للتغيير الحقيقي .بل و يجب أن يقع تفكيكها تفكيكا نظاميّا عبر الثورة . (14) و إلى جانب عمله اللكلاسيكي **" الدولة و الثورة "** ، لنقرأ الجدالات الشديدة الأخرى ضد الأوهام الإصلاحيّة بين أفريل و أكتوبر 1917 لتخليص الثوريين ذاتهم من أوهام أنّه يمكن ببساطة الإستمرار فى بناء الحركة الشعبيّة و تدريجيّا بناء قوّة السوفياتات الثوريّة فيما يتمّ إضعاف الدولة القائمة ، فى نوع من معنى التطوّر الخطّي . (15)

كان الخطّ القائد ل " التمرّد الشعبي " مزيج إنتقائي : لم يكن يعتمد على إستراتيجيا شاملة للإطاحة بسلطة الدولة القديمة و تركيز سلطة ثوريّة جديدة مستقلّة عن الإمبرياليّة ، و فى أفضل الحالات مثّل محاولة لكسب قطاع من الدولة القديمة ، و خاصّة قطاع ممّا يفترض أنّه قادة عسكريّين " وطنيين " ، و تقاسم السلطة مع الرجعيين .

كإستراتيجيا ، مفهوم إنشقاق قطاع من الجيش النيبالي الرجعي و التوحّد معه للدفاع عن " السيادة الوطنيّة " وصفة للوقوع فى كارثة . و لسوء الحظّ ، لا يزال يمارس تأثيرا على الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي اليوم ، كما سنرى . و مثلما حذّر مقال " حول مفترق الطرق الحيوي للثورة النيباليّة ، و الحاجة إلى قطيعة حقيقيّة مع التحريفية " صدر فى جريدة الحزب الشيوعي الثوري ، **" الثورة "** ، قبل ذلك بفترة قصيرة " يجب أن يقال إنّ هذه النظرة و المقاربة مليئة و فى الواقع يقوم على ، أوهام تحريفية كلاسيكيّة . وكنقطة منهج جوهريّة ، يتجاهل (أو لا يأخذ بعين الإعتبار) الفهم العام المادي الجدلي بأنّ الأشياء يمكن و عادة ما تتحوّل إلى ضدّها – و بصفة خاصة كيف أنّ هذا قد حدث عادة عندما إنجذبت القوى الثوريّة إلى ديناميكيّة السيرورات الإنتخابيّة / الدستورية ، دون تحطيم الدولة الرجعية القديمة و تفكيكها هي و كامل الطريقة التى بها تقوّض ديناميكيّة مثل هذه السيرورة و تسلب القوى الثوريّة مبادرتها و قوّتها " . (16)

إن لم يكن حزب ما مرتكزا بصلابة على الماركسيّة ، فبثبات سيتحدّد نشاطه بمعيار آخر . فى حين يمكن أن يكون أعضاء الحزب أحرارا فى إعلان غضبهم تجاه مظهر أو آخر من التحريفية ، و فى حين يمكن لقطاعات عريضة من الأعضاء و القادة أن يتمنّوا عودة الحزب إلى الطريق الثوري ، فإنّ حزبا أضاعت بوصلته التحرفية سينتهى على الأرجح إلى التأقلم مع النظام الرجعي ، لا سيما فى لحظات الأزمة . و هذا على وجه الضبط ما جدّ سنة بعد إجهاض تمرّد 2010 ، إثر الإخفاق المتكرّر للبرلمان النيبالي فى تشكيل حكومة . ما الذى فعلته مجموعة كيران ؟ فى حركة مناورة كانت ترمي إلى توجيه ضربة لرئيس الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) ، براشندا ، الذى رغب هو نفسه أن يعود إلى موقع الوزير الأوّل ، قدّمت كتلة كيران الأصوات الضروريّة لأكثر من تسعين من أعضاء المجلس التأسيسي لإنتخاب شخصا آخر كوزير أوّل و هذا الشخص الآخر ليس سوى " الخائن " باتاراي **!** و تمّ هذا قبل أقلّ من سنة من القطيعة التنظيميّة و تشكيل الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد **!**

لازمة الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي أنّ المشكل الأساسي لم يكن خطّ الحزب بل بدلا من ذلك " خيانة " " الخونة " للسياسة السليمة لم تدع خيارا من جديد سوى رفع مقولة فريديريك إنجلز حول هذا المشكل :

" ... حينما نبحث عن أسباب نجاح الثورة المضادة تعترضنا فى كلّ ركن إجابة جاهزة بأنّ " المواطن فلان و علاّن " قد خانا الناس . لكن هذه الإجابة لا تشرح كلّ شيء . إنّها لا تشرح حتى كيف حدث أنّ الناس **سمحوا** لأنفسهم بأن يخدعوا . و كم يكون الحزب السياسي مفتقرا للتصديق إذا كان زاده الوحيد يتمثّل فى معرفة الشيء الوحيد أي " المواطن فلان و علاّن " . (17)

بالفعل ، كيف " **سمحوا** لأنفسهم بأن يخدعوا " هؤلاء الذين يقودون الآن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ؟ مهما كانت النوايا الشخصيّة لباتاراي ، أليس واضحا بمرارة أن عشرات قادة الحزب و آلاف الرفاق الذين قاتلوا خلال السنوات العشر من حرب الشعب لم يتصدّوا ل " خيانة " الثورة ؟ التلميح الوحيد للإجابة على هذا السؤال تقدّمه فقرتان فى " لنتقدّم ..." بصدد نواقص " الكتلة الثوريّة " التى تحاجج بأنّ أخطاءها الأساسيّة كانت " الإيمانيّة " و الليبراليّة و الميتافيزيقا " . و بالإيمانيّة ، يشرحون أنّهم يعنون " الإعتقاد فى أيّة سلطة أو شخص والإخلاص التام لها . إعتقدنا أنّ إيماننا بقيادة براشندا التى قد بيّن ضعفنا ". و النقد الذاتي لليبرالية يعنى أساسا ، بكلماتهم ، " البقاء لامبالين بأي مظهر سلبي " ، بكلمات أخرى ، مجدّدا ، عدم النضال بقوّة أكبر مع براشندا . أمّا بالنسبة للميتافيزيقا ، فهي تعنى بكلماتهم " فكرة رؤية الأشياء و الأحداث و السيرورات دائما من زاوية واحدة فحسب . رؤية الجوانب الإيجابيّة أو السلبيّة فقط لكن ليس الكلّ " . و من ثمّة ، من جديد ، فى غياب أيّة إشارة أخرى أبدا لكيفيّة إنطباق هذا على سياسات أخرى ، يبدو أنّ هذا يحيل ببساطة على طريقة رؤية " الكتلة الثوريّة " لبراشندا أي رؤيتها له رؤية إحاديّة الجانب و دينيّة .

عندما تبحثون عن تغيير ماديّ لكيف أنّ قيادة قادت إختراقات كبرى فى أثناء عشر سنوات من حرب الشعب إنحرفت ببساطة لا يوجد أي شيء سوى التنديدات الخاوية ب " الخونة " ، و لا فكرة عن كيفيّة الحيلولة دون المصير نفسه من " الخيانة " وحدوثه مرّة أخرى . لذا ، بالكاد من المفاجئ أنّه ، مثلما نرى ، على الأرجح حلّه لإخراج نفسه من المستنقع التحريفي الذى سقط فيه ، بكلمات إنجلز ، " فرصة ضئيلة " – إلاّ إذا إتخذ مقاربة مختلفة راديكاليّا لتشخيص التحريفيّة التى تسبّبت فى هذا القدر من الدمار و القتال ضدّها .

من اليسير توبيخ " الخونة " على الإنقلاب التحريفي . لكن هذا يخفق فى المسك كذلك بكامل النقطة الماوية :" الخطّ الإيديولوجي و السياسي يحدّد كلّ شيء " . ما هي العناصر السياسيّة و الإيديولوجيّة التى قادت إلى تركيز الديمقراطيّة الجديدة و دكتاتوريّة البروليتاريا ؟ لماذا يتعيّن أن نفترض أنّ الآخرين معصومين من هذه النزعات و التأثيرات ؟ و ما هي معايير تحديد إن كانت "خيانة " قد حصلت ؟ التحريفية ليست جوهريّا مسألة نوايا .

<u>الشعار الأساسي للحزب الشيوعي النيبالي - الماوي اليوم : " تمرّد شعبى على قاعدة حرب الشعب ":</u>

السؤال الأوّل الذى يتعيّن أن يطرحه أي إنسان يعلم أنّ هذا هو الشعار المركزي للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد ، هو **<u>عن أي</u>** حرب شعب تتحدّثون ؟ لقد إنتهت الحرب لما يناهز العقد الآن . و مناطق الإرتكاز الحمراء قد وقعت تصفيتها قبل سنوات ،و جيش التحرير الشعبي قد وقع حلّه الآن نهائيّا . و فوق ذلك ، لم يتمّ التخلّى عن الوسائل العمليّة لخوض الثورة فقط ، بل تمّ تحويل مجمل التوجّه نحو القتال من أجل مجتمع مختلف راديكاليّا ، كجزء من الثورة البروليتاريّة العالميّة ، إلى إستعمال الدولة القائمة لإدخال إصلاحات صغيرة بإسم قطاعات من الجماهير . لذا ما الذى يمكن أن يعنيه فى هذا الوضع قول إنّ حرب الشعب هي " قاعدة التمرّد الشعبي " و أي نوع من حرب الشعب ستكون على أيّة حال ؟

و لقيادة الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي إجابة على هذا : تحيل على " على قاعدة حرب الشعب " على مئات جنود جيش التحرير الشعبي سابقا الذين لا زالوا بعدُ موالين للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و المساندة التى كسبتها حرب الشعب فى قلوب الملايين . أو مثلما وضع ذلك غوروف فى خطابه للمؤتمر السابع فى جانفي 2013 : " لقد إضمحلّت قواعد إرتكازنا بيد أنّ الناس لا زالوا هناك ...

ثورتنا لن تكون مثل الثورة الروسيّة . و لن تكون مثل الثورة الصينية . ستكون مثل الثورة النيباليّة ...على قاعدة مكاسب حرب الشعب سننجز تمرّدا شعبيّا ".(18)

أوّلا ، هذان العاملان – وجود قدماء جيش التحرير الشعبي و تعاطف الناس فى مناطق الإرتكاز السابقة – يمكن فعلا أن يكونا عواملا قويّة لحزب جديد يكون قد قطع مع التحريفيّة و يطوّر خطّا و برنامجا ثوريّين . لكن دون القطيعة مع الخطّ التحريفي ، و فى غياب حملة قويّة لإبلاغ هذه القطيعة إلى الجماهير الشعبيّة لتسليحها بهذا الفهم ، فإنّ " قاعدة " الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي لا تعدو أن تكون تفكيرا آملا ، أو أسوء ، شعبويّة خطيرة .

و حتى لو وجدت قطيعة حقيقيّة مع التحريفيّة ، فإنّ الإشارة إلى بقايا جيش التحرير الشعبي و ذكرى حرب الشعب على أنّها تمثّل " قاعدة التمرّد الشعبيّ " سيكون تضليلا بشكل خطير و كذلك مثلالا آخر عن المقاربة البراغماتيّة و الأداتيّة للواقع المعروفة ب " الحقيقة السياسيّة " – التصريح بأنّ ما هو سياسيّا نافع " صحيح " - التى صارت متجذّرة بعمق كبير فى الحزب النيبالي فى ظلّ براشندا ، و تواصل الوباء مع الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد . الحرب ليست تتكوّن من الذكريات و قدامى المحاربين ، إنّها مسألة وضع ملموس – " وضع من النزاع المسلّح بين بلدان مختلفة أو مجموعات مختلفة صلب بلاد " ، مثلما يحدّدها قاموس أوكسفورد للغة الأنجليزية .

و إضافة إلى ذلك ، الوعد ب " التمرّد الشعبي على قاعدة حرب الشعب " جزء من الإستراتيجيا الإنتقائية التى تخفق مجدّدا فى القطيعة مع سياسة الحزب السابقة . و ترافق هذا الشعار مع إستراتيجيا الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الحالية ل " إحداث توازن بين الحكومة و الشارع " – هذا " التمرّد الشعبي " يتناسب مع مظهر " الشارع " ، بينما مظهر " الحكومة " لدى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي يرتكز على التعبئة من أجل " مائدة مستديرة وطنيّة " فى البلاد . و قد يشمل هذا أساسا العمل مع الأحزاب البرلمانيّة الأخرى ، ويركّز على التحالف الذى يقوده الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي لمعارضة الترتيبات التى تقوم بها الأحزاب البرلمانيّة الأساسية الأخرى ، بما فيها الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي)، من أجل الإنتخابات الوطنيّة المنعقدة فى نوفمبر 2013 . (إنتخابات نوفمبر 2013 إنتهت بهزيمة كبرى لحزب براشندا و باتاراي الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) الذى حصل على المرتبة الثالثة).

واليوم ، جعلت سنوات من الخطّ الخاطئ الشيوعيين فى موقع موضوعيّا أضعف بكثير . و معرفة سير الحزب الجديد و عضويّته قد فُضحت ، و جيش التحرير الشعبي هو الآن منحلّ و مفكّك ، و سيواجه الحزب أيضا ضرورة وجوب تجييش الجماهير التى " سمعت كلّ شيء قبلا " و قد يثبت أنّه قادر على إستشعار أنّه فى حين أنّ الوجوه قد تكون قد تغيّرت ، فإنّ الخطّ القديم ظلّ هو ذاته . وبما أنّه بعيدا عن تصفية الحسابات مع الخطّ التحريفي و القطيعة مع مفهومه الإصلاحي للدولة ، لا يزال الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد يتحرّك ضمن الإطار العام نفسه ، إلاّ إذا تمّت جوهريّا القطيعة مع ذلك ، لا مجال لفرصة أخرى لمحاولة ناجحة لثورة حقيقيّة مثلما حدث مع " التمرّد الشعبي " القليل الحظّ لسنة 2010 .

بإختصار ، ليس " التمرّد الشعبيّ " ثورة ، و لن يقود إلى سلطة دولة جديدة التى لا يمكن أن تنشأ إلاّ نتيجة القطيعة مع الإطار الذى لا يزال الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي أسيرا له . و تركيز الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد على " المائدة المستديرة الوطنية " لتوحيد " كافة القوى الوطنيّة و التقدّميّة " فى النيبال مرتبط بإستراتيجيا تحدّد الدفاع عن " السيادة الوطنية " للبلاد كرابط مفتاح فى تقدّم الثورة الآن تحديدا ، مع إعتبار أنّ الهند هي التهديد الرئيسي لسيادة النيبال. و نقد شامل لهذه

السياسة و للفهم الإنتقائي للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي للأمميّة و طريقة ربط ذلك بمقاربته الإصلاحيّة للدولة خارج نطاق هذا المقال الذى سيحدّد نفسه فى نقطتين إثنتين . أوّلا ، السيادة الوطنيّة للنيبال مسألة فارغة إن تركت ضمن المركب الرجعي القائم بدلا من تطوير إستراتيجيا مستندة إلى الحاجة إلى التخلّص من الدولة الرجعيّة تماما و تركيز دولة ثوريّة **تقودها البروليتاريا** تقطع مع النظام الإمبريالي العالمي السائد . إنّها تخلق وهم نوع من " الطريق الثالث " ، نوع من البديل لحكم إمّا البروليتاريا أو البرجوازيّة ، وهو فى الواقع طريق لا وجود له .

ثانيا ، يواصل إتباع مقاربة براغماتيّة غالطة ل " تكتيك " إستعمال التناقضات فى صفوف العدوّ و يدافع عن أحكام خاطئة ظهرت فى ظلّ الخطّ التحريفي بشأن طبيعة القوى الرجعيّة الكبرى و دورها ، وهو يرفع القوميّة فوق الأمميّة البروليتاريّة . أنظروا إلى كيف أنّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي إستدعى ممثّلا للحزب الشيوعي الصيني " كأهمّ الضيوف " فى إجتماع إطلاق أعمال المؤتمر التأسيسي و ينشر مقالات تحاجج بأنّ الصين تنهض ب " دور إيجابي " فى العالم .(19) إلى درجة كون هذا يقع للتصدّى إلى تأثير الهند التى كانت تاريخيّا القوّة المهيمنة على النيبال ، ينكر واقع أنّ الصين غدت المصنع الإستغلالي العالمي للإمبريالية وهي إجمالا مضطهِد خبيث لمآت الملايين لشعبه مثلما تفعل الهند، إن لم يكن أكثر - و الإختلاف الأساسي هو أنّ الصين ليست القوّة الرئيسيّة **المهيمنة على النيبال.** نعم ، من الضروري أن نأخذ بعين الإعتبار التناقضات صلب القوى الرجعيّة ، لكن حتى إن وجدت مناورات تكتيكيّة يمكن أن تكون مناسبة ، ما هو التعليل الممكن لوجود سفير الصين ك " أهمّ الضيوف " فى مؤتمره التأسيسي ؟**!** ما نوع التأثير الذى سيكون لهذا نوع من السياسة الواقعيّة الساخرة على الجيل الجديد الملتحق بالحياة السياسيّة فى النيبال و عبر العالم قاطبة – مثل شباب أفريقيا الذى يرى الصين تلتحق بالنهب الإمبريالي الجشع للموارد الطبيعيّة ، لتلك القارة و الذين يقول لهم هؤلاء الماويّين الثوريّين أن الصين " قوّة إيجابيّة " فى العالم **!** (20)

و تعكس السياسة الواقعيّة الساخرة كذلك و تعزّز النظرة القوميّة التى صارت مهيمنة على الحزب فى السنوات الأخيرة . و إتخذ هذا عديد التعبيرات المختلفة – من وصف القوى الإمبريالية العالميّة ك " مجتمع دولي " إلى النأي بأنفسهم عن الحرب الثوريّة التى يقودها الماويّون فى الهند (مثلما فعل براشندا فى إجتماع فى داهي فى 2006) (21). و خلال إنتخابات المجلس التأسيسي لسنة 2008 ، قام الحزب بحملة لجعل النيبال " المحور الديناميكي بين الصين و الهند " قصد تطوير البلاد إلى " سويسرا جنوب آسيا " . لا توجد كلمة نقد واحدة لهذه القوميّة الضيّقة المفضوحة فى عشرات الصفحات التى خطّها الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و قادته حول تاريخ الحزب المتوفّرة بالأنجليزيّة – و إن وُجدت فى مكان آخر ، يتعيّن على الحزب الشيوعي النيبالي- الماوي أن يجعلها معروفة **!**

منذ أواخر 2005 ، خاض الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية صراعا حادّا ضد المواقف الخاطئة للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) القديم (و ثمّ الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) فى عديد الرسائل و المقالات – لذا الآن و قد قطع الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي مع الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) و يندّد به على أنّه تحريفي ، ما رأيه فى هذا الصراع الطويل و الموثّق جيّدا ؟ بينما لم ينشر و لا كلمة – و هذا فى حدّ ذاته ينمّ بعد عن نقص فى الجدّية لدي قيادة الحزب الشيوعي النيبالي- الماوي الجديد – فإنّ حجّة يتداولها بعض الناس كالتالي : بينما نقد حزبكم عديد النقاط نقدا ذى صلة فإنّ إتخاذ هذه المواقف قبل ذلك بكثير كان سيبقينا فى كتلة كيران منعزلين و وحيدين فى نوع من النقاوة الدغمائيّة . و كدليل على هذا ، يشير مقترحو هذه الحجّة إلى مصير قادة حزبيين آخرين سابقين ، مثل ماتريكا ياداف و مانى ثابا اللذان تمرّدا عند منعرجات سابقة فى سيرورة السلام ضد سياسات معيّنة التى إتبعها الحزب ، لكنّهم لم ينجحوا فى بناء بديل ثوري

جماهيري . دون التوغّل فى نقاش حول المزايا الخاصّة لترك الحزب فى زمن أو آخر (وهو خارج مجال هذا الكتاب) ، فإنّ الجواب الأساسي لهذا ، إلى درجة أنّها وجهة نظر يدافع عنها الذين فى صفوف الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، هو أن سنوات من التسوية مع التحريفيّة ، من إبتلاع المساومة خلف المساومة مع النظام القائم إتباعا لما يسمّى بصورة شائعة " سياسة الممكن " قد ترك الحزب الجديد دون خطّ ثوريّ حتى اليوم ! لا يزال الحزب غارقا فى وحل الإصلاحيّة و الديمقراطيّة الإشتراكيّة و القوميّة و الإنتقائيّة والبراغماتيّة ، مع فهم خاطئ جوهريّا لسلطة الدولة ، للثورة الديمقراطية الجديدة و كيف ستؤدّى إلى الشيوعيّة و للمنهج العلمي المطلوب لقيادة النضال الثوري .

و يجب أن نشير عند الردّ على هذا الإدعاء بأنّه إلى اليوم، بعد عقد من الزمن من إصدار باتاراي طلقته النظريّة ضد نظريّة و ممارسة الشيوعيّة ، جداله لم يقع بعدُ الردّ عليه من أي كان من الحزب النيبالي ، حتى و إن كان لا يزال بشكل واسع يهيمن على تفكير الحزب . لذا بكلمات أخرى ، إزاء تهمة مواجهة الخطّ التحريفي فى الحزب من قبل خطّ ثوريّ كانت ستؤدّى إلى العزلة ، نودّ أن نسأل : ما أدراكم ، **بما أنّ لا حد قد حاول حقّا ذلك ؟!** و إن كنتم ستسمحون للأعداد أن تكتسي أولويّة نسبة للخطّ ، مثلما تفعلون بهذه الحجّة ، عندئذ سيوجد كذلك ضغط قويّ للإنتهاء تراجعا إلى أحضان الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) لبراشندا و باتاراي – فهذا الأخير ، فى آخر المطاف ، لا يزال أكبر بكثير من الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و لا يزال يدافع عن الماوية فى الكلام .

و أكثر جوهريّة ، كم مرّة وقع حقيقة تأكيد ملاحظة ماو أنّه إن كان الخطّ خاطئا حتى و إن كان لدينا جنود سنخسرهم ؟ و إن كان الخطّ خاطئا ، لن يقود إلى أي مكان جيّد ، و ما هي النقطة على أي حال ؟ ألم تكن خسارة الآلاف من جنود جيش التحرير الشعبي كقوّة ثوريّة – مع أو دون " كرامة "- مع ذلك من الدلائل الأخرى على أنّ هيمنة الخطّ الخاطئ ستؤدّى إلى خسائر مدمّرة ؟ بينما التوافق مع التحريفيّة سيُكسب بعض المنخرطين ، فإنّه فى نهاية المطاف سيؤدّى إلى العزلة عن الذين هم أكثر إضطهادا ، أولئك المتعطّشين بأكثر حماس للثورة . أم هل أنّ عمل الثوريين هو مجرّد عكس للمشاعر القصيرة الأمد للجماهير العريضة حتى – مرّة تلو المرّة يقتضى التمسّك بالطريق الثوري النضال ضد الأوهام التى يولّدها سير النظام و بصورة أعمّ ما وصفه لينين ب " النزعة العفويّة إلى كنف البرجوازيّة " (22) هذه مهمّة مفتاح تقع على عاتق الطليعة الشيوعية بغاية إبقاء أعين الجماهير على هدف سلطة الدولة الثوريّة ، فى خضمّ إنقطاعات زمن الإضطرابات و تغيّراته. (23).

عوض الظهور كبديل ثوريّ للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) عقب صراع خطّين طويل المدى ضد التحريفية ، فإنّ الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي قد لفظ فقط بعض المظاهر و التعبيرات البارزة لتلك التحريفية و لم يقطع حقّا مع الخطّ و الإطار الإيديولوجي و السياسي الذى أفرزها . ما نحتاج القيام به فى وجه هذا هو المضيّ عميقا إلى أسس الخطّ الخاطئ الذى حال دون إجراء هذه القطيعة رغم رغبة ونوايا عديد الذين يدّعون إرادة المضيّ قدما بالثورة . لكن ذلك سيتطلّب أيضا النظر نظرة مفصّلة أكثر فى كيف أنّ الصراع صلب الثورة النيباليّة يرتبط بمفترق الطرق الأوسع الذى يواجه الحركة الشيوعيّة العالمية .

الجزء الثانى : الحركة الشيوعية العالمية و الحزب الجديد

تلقّت عدّة مجموعات صلب الحركة الأممية الثوريّة و مجموعات أخرى ، بحماس إنشقاق القوى التى يقودها كيران عن الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي). و مع ذلك ، فيا لها من سخرية عميقة أن يكون الكثير من الذين يمدحون اليوم الحزب الجديد وهو من جانبه يحتضنهم ، كانوا يمدحون كذلك الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي)عندما كان الخطّ التحريفي هو المرشد للحزب و المهيمن عليه فى المصاف الأوّل !

و أوّل مثال لهذا هو المنظّمتين المحوريّتين فى مبادرة إعادة تجميع الأحزاب الماويّة المرتبطة بمجلّة **الطريق الماوي** (و من هنا فصاعدا سيشار إليهم ب " الطُرقيين") ؛ الحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري . و المثال الثاني هو موقع أنترنت معادي للثورة نهائيّا فى الولايات المتحدة الأمريكيّة ، " كازاما " الذى أسّسه مايك إيلي قبل بضعة سنوات فى محاولة منه لمهاجة الحزب الشيوعي الثوري و بوب أفاكيان بوجه خاص بطرق غير مبدئيّة أصلا ...هذا الموقع على الأنترنت ، فيما يقدّم نفسه كأرضيّة و منتدى لنقاش الثورة و الشيوعيّة ، قد إنخرط طوال سنوات عدّة الآن فى نشاطات تروّج لمعاداة الشيوعيّة و تعزّز الثورة المضادة . (24) إنّ الخطّ والمنهج الإنتهازيين لكازاما متّصلين صلة لا تنفصم بنشاطاته المناهضة للثورة ، يخدم جيدّا كمعلّم بالمثال السيّء. و مظهر من النشاط المناهض للثورة لكازاما كان ربط نفسه بإنتهازيّة بالثورة فى النيبال ، مروّجا و محتفيا بالضبط بالخطّ الذى كان يقود الأمور بعيدا عن الثورة . لمّا كان الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ينطلق من أفق حقيقي لخوض الصراع قصد مساعدة الحزب فى النيبال على العودة إلى طريق الثورة ، كان كازاما يهاجم الحزب الشيوعي الثوري وموقفه المبدئي . كلّ هذه التنظيمات قد تميّزت بدفاعها لمدّة طويلة عن الخطّ التحريفي فى النيبال و بهجماتهم اللاذعة على نقد الحزب الشيوعي الثوري لذلك الخطّ و على الخلاصة الجديدة عامّة أيضا .

فى 2013 ، نشر آجيث الذى كان قد كتب معظم المقالات النظريّة التى أنتجها الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، هجوما مطوّلا عنوانه " ضد الأفاكيانية " (25) مستعملا مفردة " الأفاكيانية " كوصف يسيء به للخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان . و بصورة عرضيّة يتضمّن المقال دفاعا عن مواقفه السابقة حول النيبال . و يحاجج آجيث بغضب أنّ " التهمة التى وجهها الحزب الشيوعي الثوري لحزبنا على أنه كان " مساندا متحمّسا لتفكيك الثورة فى النيبال " محض كذب ." و كدليل على ذلك ، يحاجج أنّه خلال الفترة الممتدّة بين 2006 و 2010 ، أصدر الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري عددا من المقالات قامت بنقد أو لآخر لخطّ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي . هذا صحيح – و هذا بالضبط ما فعله جميع " الطُرقيّين ") – لقد وضعوا موضع السؤال و أحيانا حتى نقدوا **مظهرا** أو آخر من خطّ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، أو بصفة أعمّ ، " تكتيكاته " و حذّروا من مخاطر و منزلقات شتّى فى طريق التقدّم ، **بينما كانوا يدافعون عن جوهر الخطّ و يمدخون الخطوات العمليّة الأساسيّة التى كان الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) يتخذها ، و خاصّة إتفاق السلام الشامل ، و إلتحاق الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) بالحكومة الإنتقاليّة فى 2006 و إنتصاره فى إنتخابات المجلس التأسيسي فى 2008 .** لقد مدحت هذه المجموعات و عديد الماويين الآخرين عالميّا نتائج إنتخابات المجلس التأسيسي لسنة 2008 التى جعلت الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) يترأّس الحكومة و براشندا وزيرا أوّلا ، على أنّها " إنتصار " ، و عادة " إنتصار لحرب الشعب " – لا يهمّ إن كان جيش التحرير الشعبي عمليّا قد إستسلم ، و عمليّا وقع تفكيك

مناطق الإرتكاز و بصفة أخصّ ، أنّ الإنتخابات كانت مناورة من قبل الإمبرياليين و الرجعيين لحرف الحزب عن الطريق الثوري و توجيه التمرّد الجماهيري نحو السياسات البرلمانيّة المهترئة .(26)

لا حاج للتنقيب العميق للعثور على كيف أنّ الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري فى هذه الفترة قد ساند كلّ خطوة من الخطوات الكبرى بإتجاه " تفكيك الثورة فى النيبال " ، ذلك لأنّ الأدلّة يوفّرها قلم آجيث ذاته ، بعد بضعة جمل فقط من ذلك إذ كتب : " و بعد ذلك ، عندما سلك الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) منعرج إيقاف إطلاق النار و التحالف مع الأحزاب السياسية للطبقة الحاكمة و الحكومة الإنتقالية ، شرع حزبنا فى دراسة شاملة للمسألة . **عموما وقع القبول بالتكتيك الجديد للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) على أنّه مبرّر** . و فى نفس الوقت جرت كذلك ملاحظة تضمنه مخاطرا جدّية ." (27) [التشديد مضاف]

أليست هذه هي ذات المقاربة الإنتقائيّة (التى تصبح أوضح حتّى مع مواصلة آجيث محاججته) التى كانت أداة ل " تفكيك الثورة " فى النيبال لسنوات ثماني الآن – من جهة ن هذا و من الجهة الأخر ذاك ، بينما لا يشخّص أبدا ما يمثّل المظهر الرئيسي للمسألة ! من جهة ، " تكتيكات ط الحزب كانت " مبرّرة " لكن من الجهة الأخرى ، كانت تطرح مخاطرا جدّية – عندما كان ما يحدث على أرض الواقع فى النيبال خطوة خطوة هو التكيّف مع النظام الرجعي القائم ، فى ظلّ الخطّ التحريفي الذى وقع تبنّيه فى تشنوانغ سنة 2005.

يقبل آجيث بأنّه وجدت بعض المشاكل فى علاقة بخطّ نكسلباري لكنّه مرّة أخرى يسعى إلى التقليل من أهمّيتها . فبعد الإشارة إلى " المقاربة العقائدية التى عرضها الحزب الشيوعي الثوري " ، كتب : " فى حين رفضنا التقييمات العقائديذ' لتكتيك الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، فإنّ بعض المظاهر الصحيحة التى رأيناها فى النقد إعترفنا بها و لاحظنا :" أشير إلى أنّ الحزب الشيوعي النيبالي(الماوي) كان ينزع السلاح **الإيديولوجي و السياسيّ** لصفوفه و للجماهير بقبوله بمثل هذه الظروف (وضع جيش التحرير الشعبي فى ثكنات و تفكيك أجهزة السلطة المحلّية) ، عند إستسلام الجيش الثوري و السلطة الثوريّة ، **على الأقلّ في القول .** " (28).

و هذا عرض أتمّ – من 2010- لنظرة الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري التى يبحث آجيث عن التقليل من أهمّيتها : " إستنتج الإجتماع الموسّع المركزي لحزبنا فى أكتوبر 2006 أنّ "الخطط السياسيّة – التنظيميّة للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) تنخرط فى مهام و توجه الثورة الديمقراطية الجديدة. على عكس الدعاية التى يقوم بها العدوّ و التحريفيّون ،و كذلك الشكوك التى نشأت فى أذهان بعض الرفاق ، فإنّ **التكتيك الراهن للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) لا يشير بأي شكل إلى رغبة فى التخلّى عن طريق الثورة من أجل البحث عن تقاسم للسلطة القائمة** . بالعكس ، يشير إلى توجّه ماركسي – لينيني – ماوي و إلى تطبيقه . تكتيكه يخدم إستراتيجيا الثورة الديمقراطية الجديدة . إنّهم يطبّقون هذه التكتيكات للقتال و إتمام الثورة الديمقراطيّة الجديدة . يقود الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) نضالا سياسيّا كبيرا و من واجبنا الأممي أن نأيّده و نبني له الدعم "(29)(التشديد مضاف).

يعترف آجيث بالخطإ فقط ليقلّل من أهمّيته و ليجعله دون معنى . إستسلام الجيش و تفكيك السلطة السياسيّة الحمراء كانا مجرّد " قول " ؟! سيكون هذا من الأخبار المذهلة لآلاف جنود جيش التحرير الشعبي الذين وقعت عمليّة حجز أسلحتهم و وضعوا فى ثكنات تحت إشراف الأمم المتحدّة ، و للشرطة الرجعيّة التى عادت إلى مراكز الأمن التى أطردتها منها حرب الشعب عبر الريف برمّته !

معالجة آجيث لهذه التطوّرات على أنّها مجرّد " قول " و على أنّها " تكتيك " نقض جدّية الحرب عينها التى خيضت ليس إيديولوجيّا و سياسيّا فحسب ، بل بمعارضة أصناف من القوى الماديّة – وهو ما جعل

ماو يؤكّد على أنّه مهما كانت المفاوضات التى ندخل فيها مع العدوّ ، لا يجب أبدا التخلّى عن جيش التحرير الشعبي و قواعد الإرتكاز الثوريّة .

و تعكس هذه المقاربة للمعالجة المتكرّرة لمثل هذه المسائل على أنّها مجرّد مسألة " تكتيك الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي)" نفي آجيث ذاته العنيد لحيويّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي و كون إستسلام الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و جيش التحرير الشعبي و السلطة الحمراء لم تكن مجرّد تكتيك خاطئ بل **ينبع من الخطّ التحريفي الذى وقع تبنّيه فى تشونوانغ سنة 2005 و تعزيزه و خدمته.** هذا ما يسعى آجيث لمقاومته بتنديده ب " التقييمات العقائديّة لتكتيك الحزب الشيوعي النيبالي(الماوي)" و بالقيام بذلك يتقاسم آجيث الخطّ الخاطئ للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ذاته الذى فى ردّه على الرسالة الأولى للحزب الشيوعي الثوري إستبعد النقد على أنّه " تعليمنا للأبجديّات " أي " عقائدي " – كما لو أنّها لا تستحقّ العناء إنلم تكن بصراحة ذميمة لإعادة التذكير بالمبادئ القائدة للماركسيّة التى ثبتت صحّتها ، بما فى ذلك فى هذا المضمار بالذات .

و بالفعل ، بحاجزمنيع بين الخطّ و تكتيك مثل هذا ، لا يمكنك أن تمرّر إبرة بين نظرات آجيث و نظرات ... نعم بالفعل ، السيّء الصيت باتاراي " الخائن " . فى حوار صحفي ، حاجج باتاراي ، " للقطع مع نمط الإنتاج القديم و إجراء قفزة نحو نمط إنتاج جديد ، ينبغى أن تكسر جميع العلاقات صلب الدولة المسنودة من الجيش . و هذا يقتضى حتما إستعمال القوّة . هذا قانون تاريخي و مبدأ أساسي فى الماركسيّة – اللينينية – الماوية ليس بوسع أحد مراجعته ... أبدا حزبنا لنيلغي هذا المبدأ الأساسي ... و متمسّكين بهذا المبدأ الأساسي ، خضنا حرب الشعب المسلّحة الطويلة الأمد من 1996 إلى 2006 . لكن بعد 2006 ، إبتعدنا نوعا ما عن ذلك فى **خطّنا التكتيكي** " (30) [التشديد مضاف]. و يمضى باتاراي ليطمئنّ القرّاء بأنّ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) لن يجعل أبدا جيش التحرير الشعبي يستسلم أو لن يفكّك قواعد الإرتكاز و يكرّر مرّة فمرّة أنّ ما يبدو إصلاحيّة بارزة هو فى الواقع مجرّد " تكتيك " – وهي صورة مشوّهة لم يقدر آجيث و لا يزال غير قادر على الرؤية من خلالها ، بالضبط لأنّه يشاطر مقاربة باتاراي عناصرها المفاتيح .

بالنسبة لآجيث ، صفة " العقائدي " الملصقة بالحزب الشيوعي الثوري تنعكس فى رسالته المؤرّخة فى 19 مارس 2008 الموجّهة للحزب النيبالي حيث يعترف الحزب الشيوعي الثوري بأنّه : " فى الظروف السائدة لما بعد تداعي الملكية المطلقة فى أفريل 2006 كان سيكون من العسير و ربّما غير المرغوب فيه مواصلة النضال المسلّح بلا توقّف أو رفض الدخول فى مفاوضات مع الأحزاب البرلمانية السبعة " .

و يسخر آجيث من هذا ، محاججا " إذا كانت موضوعية إمكانية مفاوضات (و كذلك تعنى إمكانية إتفاق مؤقّت) مقبولة **إذن الخطّ و التكتيك اللذان سمحا للحزب بإستعماله لا يمكن بإختصار إستبعاده .** و من جهة أخرى ، إذا وقع إنكاره أو إستعماله و التعاطي معه بصورة سطحية ، إذن القبول ب" الظروف الخاصة" و المفاوضات لن يكون سوى حركة لا معنى لها**.**" (التسطير فى النصّ الأصلي).

هنا موقف مقتضب لفهم آجيث للعلاقة بين الخطّ السياسي و الإيديولوجي و الواقع الموضوعي . بالنسبة لآجيث ، يُفهم الخطّ على أنّه ما " سمح للحزب بإستعماله " فى وضع معيّن – لذا إن " سمح الخطّ للحزب بإستعمال " الوضع عندئذ يكون هذا معيارا لصحّته أي لا يمكن أن ط يستبعد المحاكمة " . هنا يغدو الخطّ **محدّدا** بالضرورة المجسّدة فى الأوضاع الموضوعيّة الخاصّة – يرتئى التطوّر فقط على أنّه ما يمكن يستقرأ خطّيا من هذه الظروف . ما يحتاج إليه عوض ذلك هو إستيعاب الشيوعيّة كعلم يستخدم لتحليل الواقع المتناقض ، و نعم ، ضرورة تنشأ الظروف الموضوعيّة التى يجب أن تتغيّر عبر الصراع – لكن الضرورة التى تواجه الشيوعيين و العوائق التى تأثّر فيهم ، ليست محددة بالوضع المباشر

الخاص و حسب ، و هو ما يقع فى أحابيله آجيث ، و إنّما بالأحرى يجب النظر إليها فى إطار الضرورة الأوسع نطاقا التى تواجه الإنسانيّة – الحاجة إلى الثورة . و بكلمات أخرى ، فى تقييم الحاجة إلى إدخال تعديلات تكتيكيّة – و التعديلات بالتأكيد كانت لازمة زمن جانا أندولان 2 ، مثلما هو مكتوب بجلاء فى رسائل الحزب الشيوعي الثوري إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) من المركزيّ ضمان ألاّ تدخل فى مساومة أو تقوّض الأهداف و المبادئ الإستراتيجية العامة فى الإجابة على متطلّبات اللحظة . المسألة الأساسيّة و الجوهريّة كما عالجتها رسائل الحزب الشيوعي الثوري هي الإطار و الأفق الإستراتيجيين لمقاربة المفاوضات ، و ليس حظّ الخطّ و التكتيك الذى " يسمح للحزب بإستعماله " (31).

لهذا حسب آجيث ، وضع جيش التحرير الشعبي فى ثكنات و تفكيك قواعد الإرتكاز الثوريّة لا يذهبان بالضرورة ضد جوهر مبادئ فهم ماركس لسلطة الدولة . و كذلك لا يرى أنّ هذا " التكتيك " ثمرة متوقّعة كامنة لخطّ تحريفي وقع تبنّيه فى تشنوانغ لكن عوض ذلك يتعاطي معه على أنّه مجرّد " تكتيك" يعتمد أو لا يعتمد تبعا " لفائدته " للحزب . مسألة إمكانيّة إستعمال **ما** يصبح بعيدا عن النظر كما هو الحال بالنسبة للثورة ، تجعل الثورة مغمورة تحت المقاربة الإقتصادويّة السائدة للحركة كلّ شيء و الهدف النهائي لا شيء . و هذا يثير مسألة ماذا لو أنّ فى بعض الظروف المعطاة ، التمسّك بالمبدأ الثوري من الوارد جدّا أن يؤدّي إلى الهزيمة أو التراجعات على المدى القصير ؟ بما أنّه فى نظر آجيث يصبح حينئذ الخطّ عائقا لا " يسمح للحزب بإستعمال " الظروف أصلا ، من الواضح أنّه لا وجود لخيار آخر سوى نفي المبدأ. (أليس هذا بالضبط ما حصل للماركسيين فى الحرب العالميّة الأولى – رسميّا لم يقع التخلّى عن مبدأ الأممية ، على الأقلّ من طرف قيادة الإشتراكيين الألمان و المنظّر كارل كاوتسكى، لكن وفق وجهة نظره لم يكن ممكنا تطبيق الأمميّة – و لهذا دعا القادة الإشتراكيّون العمّال إلى الوقوف إلى جانب حكّامهم الخاصين لإطلاق الرصاص على العمّال " الأعداء " (32). الواقع العملي يمحو المبادئ " العقائديّة ".

رغم حديث آجيث عن وضع جيش التحرير الشعبي فى ثكنات على أنّه مجرّد " قول " ، فإنّه هو و حزبه كانا فى الواقع واعيين تمام الوعي لما حصل فى العالم الحقيقي للنيبال . و على حدّ ما كتبت " **الموجة الجديدة** " ، مجلّة أصدرها الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري فى ديسمبر 2006 : " وفق الإتفاق الجديد ، تقريبا حسب الخطوط التى إقترحها الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، ستظلّ أسلحة جيش التحرير الشعبي ضمن ثكناته ، تحت مراقبة الأمم المتحدة . لكن الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) إحتفظ بحقّ حمل السلاح لحماية قادته و الثكنات . و سيظلّ الجيش النيبالي فى معسكراته بإستثناء مهام الحراسة و بعدد أسلحة مساوي سيبقى تحت مراقبة الأمم المتحدة. سيحكمه قانون عسكري جديد و ضرورة دمقرطة صفوفه و ثم تقليص حجمه . و إضطرّ الخادم الأمين للتوسّعيّة الهنديّة ، الوزير الأوّل ج ب كويرالا إلى التراجع عن موقفه المتعجرف بأنّ الماويين لا يمكن القبول بهم كقوّة سياسيّة طالما حافظوا على أسلحتهم . **كلّ هذا أيضا صفعة شديدة لمحاولات الإمبريالية الأمريكية و التوسّعيّة الهنديّة الحيلولة دون منح مكانة مساوية لجيش التحرير الشعبي فى علاقة بالجيش النيبالي " .** (33) [التشديد مضاف]

أي عرض مدهش للإنتقائيّة المفضوحة حول مسألة سلطة الدولة – جيش التحرير الشعبي و أسلحته محجوزين فى ثكنات معزولة فى الريف ، و جيش التحرير الشعبي مقطوع عن جذوره وسط الجماهير ، يتمّ الترويج لأوهام جامحة عن وعد " دمقرطة الجيش النيبالي و تقليص حجمه " ، لكن بالنسبة لآجيث و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، يمثّل ذلك " صفعة شديدة " للإمبريالية

و للتوسّعيّة ! هنا مجدّدا نرى مثالا من تطبيق آجيث للإنتقائيّة المفضوحة ... لكن ما أهمّية هذا ؟ كلّ هذا غير هام ، يريد آجيث منّا أن نعتقد ، بما أنّ فى عالمه هذا ليس إلاّ " تكيتيك " !

هذا الفصل الثنائي بين الخطّ و التكتيك هو الذى يقف اليوم وراء تلخيص آجيث فى 2008 أنّ " تكتيكا جديدا ينبغى أن يرسم لكن ينبغى أن يكون قائما على واقع أنّ سيرورة تشنوانغ قد إنتهت مع أواسط 2007 ذاته . هناك حاجة إلى تكتيك جديد : ليس لأنّ إنتخابات المجلس التأسيسي إنتهت و تمّ إلغاء النظام الملكي ، و إنّما لأنّ الحزب **قد تقدّم بما فيه الكفاية فى الأهداف التكتيكيّة التى رسمها فى 2005** ، كجزء من الإعداد للهجوم النهائي لإفتكاك السلطة السياسيّة . فى الأخير ، كان هذا هو الهدف المعلن لتكتيك تشنوانغ " [التشديد مضاف]

لكن ما هو المضمون الحقيقي لهذا " التقدّم " الذى ينعته آجيث ب" الكافي " : مع أواسط 2007 ، إستسلم جيش التحرير الشعبي و وقع تفكيك قواعد الإرتكاز و أضحى الحزب جزءا من حكومة إنتقاليّة منخرطة فى سيرورة المجلس التأسيسي لإعادة الشرعيّة للدولة الرجعيّة – لذا حقّا ماذا يعنى قول إنّ " سيرورة تشنوانغ قد إنتهت مع أواسط 2007 " ؟! متى كانت أصلا جيّدة فى المصاف الأوّل ؟! ليست هذه مسألة خطّ سياسي و إيديولوجي ثوري يتناسب مع تكتيك أنجز " تقدّما كافيا " و " قد إنتهى " ، إنّه خطّ غالط قاد الحزب إلى التخلّى عن ثمرة سنوات من الحرب الثوريّة و الإبحار فى طريق سيقودهم إلى المساعدة على إضطهاد أولئك الذين كانوا يقودونهم نحو التحرير .

المسألة هي أنّ الحزب كان بمستطاعه أن يحافظ على خطّ سياسي و إيديولوجي صحيح فى هذه الفترة و كان بمستطاعه أن يصوغ تكتيكا **ثوريّا** ليستغلّ التمرّد الجماهيري فى 2006 ضد النظام الملكي و يطوّر وحدة أوسع و أعمق ، خاصّة مع قوى وسطيّة فى منطقة واد كتمندو . ولنأخذ مثلا مشكل كيفيّة الردّ على الآمال العريضة – و الأوهام – المتصلة بالديمقراطيّة صلب الطبقات الوسطى فى منطقة واد كتمندو . مثلما جرت المحاججة فى رسائل الحزب الشيوعي الثوري إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، هناك الكثير لتعلّمه من المنهج و المقاربة اللتين تقدّم بهما بوب أفاكيان ، فى جزء منهما مكثّفان فى مفهوم " اللبّ الصلب مع الكثير من المرونة " . تنطلق هذه المقاربة طوال سيرورة القيام بالثورة ، قبل إفتكاك السلطة و بعده . و من الممكن و الضروري السماح بإزدهار الأراء السياسيّة و المجموعات السياسيّة المتنوّعة ، مع نظرة تجاه التوجّه بالمجتمع نحو القطائع الراديكاليّة المعنيّة لبلوغ الشيوعية – القطيعة مع كلّ العلاقات التقليديّة و كلّ الأفكار التقليديّة ، فى الأقوال و فى الأفعال . حقّا ، إلى حدّ كبير يمكن تصوّر تكتيك يعكس بلوغ هذا الهدف الإستراتيجي و يخدمه و كان يستطيع أن يعبّئ الجماهير بما فى ذلك شرائح هامة من صفوف الطبقات الوسطى فى منطقة واد كتمندو ، فى خضمّ وضع مضطرب و متأزّم موجود فى النيبال فى تلك السنوات و السنوات التى تلتها ؟

لاحظوا أنّ نقد آجيث للخلاصة الجديدة يفوق المائة صفحة فى طوله ، إلاّ أنّه لا يفرد و لو صفحيتن للصراع حول النيبال . من غير الممكن عدم التعجّب ألا يعود ذلك فى جزء منه إلى كون آجيث يريد أن يصوّر هذا الصراع الطويل الذى تعلّق بإنهيار الحركة الأمميّة الثوريّة بشكل ملتوى بما أنّه يكشف إلى أبعد الحدود عدم قدرة الخطّ الدغمائي (مختلط بالكثير من اليمينيّة من الطراز القديم) ل " الطُرقيين " و عدم قدرتهم على توفير أي نقد موضوعي للمأزق فى النيبال أو توفير أي حلّ . نودّ أن نسأل آجيث : كيف تفسّرون واقع أنّه بإعترافكم الخاص لم يقدر حزبكم على تشخيص الخطّ التحريفي فى النيبال ، و عوض ذلك ساند تماما إستسلام جيش التحرير الشعبي و مناطق الإرتكاز الحمراء كجزء من " الصفعة الشديدة " للإمبريالية و التوسّعيّة ثم مدح الإنتصار فى إنتخابات 2008 وهي خطوة مفتاح فى إصباغ الشرعيّة على الدولة الرجعيّة التى فقدت شرعيّتها ، **بعد عدّة سنوات من قرع الحزب الشيوعي الثوري ناقوس الخطر بصورة إستعجاليّة صلب الحركة الأممية الثوريّة تحديدا بشأن هذا الخطر ؟!**

و أمّا بصدد تنظيمكم الماوي العالمي الجديد المقترح الذى سيُبنى على أساس " إتخاذ حرب الشعب كنقطته المرجعيّة و عاموده الإستراتيجي " ، فنودّ أن نسألكم أي مساعدة تعتقدون أنّه سيقدر على توفيرها للثوريين فى المستقبل فى حين أنّكم لم تلخّصوا تمام التلخيص الأخطاء المنهجيّة الكامنة التى أصابتكم بالعمى فلم تروا أهمّية إستسلام جيش التحرير الشعبي و السلطة السياسيّة الحمراء و هما عنصران ضروريّان للغاية فى خوض أي حرب شعب حقيقيّة و لم تقطعوا معها ؟

أمّا بالنسبة للحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) وهو قوّة من القوى الأخرى القائدة لل" طُرقيين "، فإنّ وجهات نظره هي فى الأساس مجرّد ترديد مبتذل لخطّ آجيث الأكثر تمفصلا . و قد مدح إنتصار إنتخابات المجلس التأسيسي لسنة 2008 و نظّم فى خريف 2009 – بعد أربع سنوات من الرسالة الأولى للحزب الشيوعي الثوري إلى الحزب الشيوعي النبالي (الماوي) ، و سنة بعد تشكيل الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) لحكومة و براشندا وزيرها الأوّل فى النيبال – جولة وطنيّة عبر إيطاليا لبرفاتي ، زوجة باتاراي وهي ذاتها من أبرز زعماء الخطّ التحريفي فى الحزب النيبالي . و لم يمنع ذلك هؤلاء الممارسين المتصلّبين للسياسة الواقعيّة من الظهور فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد فى 2013 و التنديد ب " الخائنين " باتاراي و براشندا ، دون طبعا كلمة نقد ذاتي واحدة للسنوات الطوال من مساندتهم الخاصّة للخطّ التحريفي .(34)

و فى الوقت الذى نعتبر فيه تفحّص مقترحات " الطُرقيين " للحركة الشيوعية العالمية خارج نطاق هذا المقال ، من المفيد هنا أن نلقي نظرة بسيطة عن صلة هذه المقترحات بالثورة فى النيبال . اليد فى اليد مع الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني ،و بالرغم من التاريخ المغزي لمساندة التحريفية فى النيبال من قبل هذه الأحزاب الثلاثة جميعها ، يدّعون إمتلاكهم لحلّ للثورة فى النيبال و للحركة الشيوعية العالميّة بصفة أعمّ – وهي تبنّى " حرب الشعب كنقطة مرجعيّة و عامودها الإستراتيجي " - وهي نقطة شدّد عليها الحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) فى تدخّله فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي .

و يعكس هذا النزعة المشار إليها فى بيان الحزب الشيوعي الثوري ، المشتركة لدى " وجها المرآة " داخل الحركة الشيوعية العالمية ، نحو " تقليص الماوية " " إلى مجرّد وصفة لخوض حرب الشعب فى بلدان العالم الثالث ، بينما يتمّ تجاهل أو التقليص من أهمّية أبرز مساهمة من مساهمات ماوتسى تونغ فى الشيوعيّة : " النزعة المشتركة لتحويل " الماوية " لمجرّد وصفة لخوض حرب الشعب فى بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث بينما تهمل مجددًا أو تقلص أهمية أهمّ مساهمة من مساهمات ماو فى الشيوعية : تطويره لنظرية وخطّ مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا وكافة التحليل الثري والمنهج العلمي اللذان عليهما تأسّس ذلك و اللذان جعلا تطوير تلك النظرية وذلك الخطّ ممكنا ."

و التيّار الذى يتزعّمه آجيث يتميّز بوجه خاص بهذه النزعة لكن لعلّ الحزب الشيوعي الثوري الكندي يمضى بها أبعد . ففى بيانه المرسل إلى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و دون كلمة واحدة عن الحاجة إلى إجتثاث الخطّ التحريفي الذى تسبّب فى إنحراف الثورة النيباليّة ، يستنتج الحزب الشيوعي الثوري الكندي : " بيّنت تجربة حزبنا طوال ال20 سنة الأخيرة كذلك قوّة الماركسية – اللينينية – الماوية و تفوّقها . لقد بيّنت بصفة خاصة أنّ **أفضل وسيلة للدفاع عن الماركسية – اللينينيّة – الماويّة و تطويرها و خاصة جعلها قوّة واقعيّة للتغيير الثوري هي تطبيقها فى الممارسة العمليّة "** (35) (التشديد مضاف).

هذا التلخيص لتجربة الحزب النيبالي الماوي يكدّس الخطأ تلو الخطإ . و كانت الإستهانة البراغماتية بالنظرية أحد أهمّ الأسباب عدم الردّ أبدا على الهجوم النظري لباتاراي على النظرية و الممارسة

الشيوعية ، ما سمح للخطّ التحريفي بأن يعتسح الحزب و يؤدّى به إلى المستنقع فى المصاف الأوّل . و الآن يندفع الحزب الكندي نحو أنّ " أفضل وسيلة للدفاع عن الماركسية – اللينينيّة – الماويّة و تطويرها ... هي تطبيقها فى الممارسة العمليّة " ، وهو ما لا يمكن أن يعني إلاّ مواصلة ذات النهج ، فى حين أنّ ما نحتاجه أكثر من أي ومن مضى هوالقطيعة الراديكاليّة مع مجمل هذه المقاربة و نبذ صارم و شامل – **و نظري** – للنظريّة التى أدّت إلى هذه الممارسة التحريفية .(36)

المنعرج اليميني فى النيبال : مناسبة للغبطة لدى بعض المراكز

بالعودة و النظر فى ما يناهز العقد من السنوات الماضية ، ينبغى أن يكون من الجليّ أنّ خطّ و ممارسة الحزب النيبالي فى الفترة الحيويّة ل 2005 – 2006 مثّلت منعرجا حاسما فى الإنحراف عن مواصلة الإطاحة الثوريّة بالدولة و تركيز سلطة ثوريّة جديدة خدمة للثورة العالميّة ، و عوض ذلك تمّ سلوك طريق سيؤدّى إلى تفاقم التأقلم مع الإمبريالية و الرجعيّة . و هذا أيضا وجّه صفة شديدة للثوريين و لآمال المضطهَدين عبر العالم . لكن هذا بالنسبة للبعض كان مناسبة للغبطة – كان الأمر كذلك بالنسبة لمايك إيلي مؤسس كازاما فبحماس و من صميم قلبه عانق مايك إيلي خطّ و ممارسة الحزب النيبالي منظّما حملات مساندة للثورة فى النيبال و مصدرا كرّاسات تروّج للحزب النيبالي و مرحّبا بمشاركة هذا الحزب فى الحكومة الإنتقاليّة و مادحا مشاركته فى إنتخابات المجلس التأسيسي سنة 2008. (37)

لقد وقع تقليص مشاكل الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، لا سيما إخفاق تمرّد ماي 2010 فى تحقيق الإنتصار ، إلى مسألة " خونة " من قبل عديد المساندين عالميّا للخطّ التحريفي فى النيبال ، بما فى ذلك كازاما الذى كتب :" لكن بالضبط لمّا كانوا [الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي)]على عتبة إختراق كبير ، فى 2010، و لمّا كانوا قد إستنهضوا الملايين لغلق كلّ المدن فى البلاد لمدّة أيّام ستّة من خلال الإضرابات العامة و إقامة الحواجز ، خان براشندا و باتاراي الثورة . لقد تخاذل هذان القائدان و تراجعا و ناديا بفكّ الإضرابات " (38).

لا يتجاوز كازاما و ليس بوسعه أن يتجاوز الخطّ الإنتقائي الذى حرم الثورة من أيّة مبادرة و قوّة و تحديدا لأنّه يتقاسم نفس الإنتقائيّة و الحزب النيبالي .ففى مقال أفريل 2013 عن النيبال ، لا يزال كازاما يحاجج بأنّ " الجيش الحاكم للنيبال لا يشبه جيوش البلدان المضطهَدَة الأخرى حيث الدولة مندمجة عادة مباشرة فى النظام الإمبريالي العالمي . فى النيبال ، كانت الدولة تاريخيّا منوع قومي-إقطاعي(دولة قد إضطهَدت بمرارة الشعب بينما كانت تقاوم الإندماج فى النظام الإمبريالي العالمي)" (39) لا، يا كازاما، المظهر الرئيسي لسلطة الدولة فى النيبال هو أنّها مندمجة جدّا فى النظام الإمبريالي العالمي و تعزّز مصالح الإمبريالية و الرجعيّة و خاصّة طبقتكم الحاكمة الخاصّة ، الإمبرياليّون الأمريكان ، بعنف فعّال. و تجدر الملاحظة بأنّه ليس لكازاما ما يقوله حول العامل " الأصغر " بأنّه فى فترة هذا التمرّد القليل الحظّ و " خيانة " براشندا و باتاراي ، كان كازاما نفسه يروّج لكليهما من أجل " تفكيرهما النقيّ " و تطبيقهما " الخلاّق " للماويّة فى صياغة هذه الأطروحة عن الدولة و الإمبريالية التى شكّلت جزءا من الأساس النظري لسياسات الحزب التى يندّد بها كازاما الآن بنفاق.

مقاربة كازاما للمسائل الحيويّة التى تواجه الثورة النيباليّة المندمجة فى المفهوم الإشتراكي الديمقراطي للدولة . أنظروا الآن كيف حلّل مايك إيلي مشاركة الحزب النيبالي فى إنتخابات المجلس التأسيسي لسنة 2008 ، بموجب تأثير خطّ تشنوانغ : " ...عندما وافقت الأحزاب الأخرى على إنتخاب المجلس التأسيسي ، كان ذلك تنازلا كبيرا (مذهلا) أمام المطالب الشيوعية جرى نضال مرير من أجل تحقيقه طوال خمسين سنة – أمر جوهري . ومثّل ذلك خطوة بعيدا عن البرلمانيّة و دحضا لحقّ البرلمان فى أنّ

يقرّر مستقبل النيبال . كما مثّل نزعا لشرعيّة السياسات البرلمانية النيباليّة الفاسدة " ليصل إلى إستنتاج : " حجج الماويين النيباليين كانت كلّ شيء عدا دعوة إلى " طريق برلماني سلمي " " (40).

هنا مايك إيلي ليس بعيدا عن الخطاب المزدوج الأورويلي [نسبة لجورج أوروال – المترجم] . ففى عالم مايك إيلي ، سير الثوريين نحو فخّ إنتخابات الإمبرياليين البرلمانيّة للمجلس التأسيسي تمثّل نوعا ما " خطوة بعيدا عن " البرلمانيّة و عوض هذه المساهمة فى الإنتخابات التى تطلى بطلاء جديد وجه الدولة الرجعيّة التى كانت قد فقدت مصداقيّتها ، وهو ما حدث عمليّا ، يصبح ذلك نوعا ما " نزع للشرعية عن السياسة البرلمانيّة ". هل هناك أيّة شروط فى ظلّها كان من الممكن و الضروري المشاركة فى هذه الأنواع من الإنتخابات ؟ هذا لا يمكن أننمحيه بصورة مطلقة . لكن 1) كان خطّ تحريفي يقود كلّ هذا ، خطّ ضمن أشياء أخرى قد بدّل الدفاع عن الثورة الديمقراطية الجديدة بالدفاع عن " جمهوريّة إنتقاليّة " لاطبقيّة واهمة ، مع كافة الأوهام الإصلاحيّة حول سلطة الدولة الناجمة عن ذلك ، 2) كانت هذه الإنتخابات مشروطة مسبّقا بإتفاق بموجبه وضع جيش التحرير الشعبي فى حجز و إنتزعت منه أسلحته و فكّكت قواعد الإرتكاز .

أليس واضحا جليّا أنّ إتفاق الأحزاب على المجلس التأسيسي لم يكن " تنازلا " بل وسيلة لجلب الماويين إلى مجال الإنتخابات و السياسات البرلمانيّة ؟ تحريفيّة مايك إيلي تتجلّى بوضوح عندما تجعل من مطلب المجلس التأسيسي " مطلبا شيوعيّا " جوهريّا .

تميّزت مقاربة كازاما كذلك بالبراغماتيّة و التجريبيّة و الإنتقائيّة و بقدر مناسب من النسبيّة ، و جميعها تمضى متشابكة. ومثلا ، إذا قمتم بتحليل إنتقائي لظاهرة و إستنتجتم أنّ لديها معا مظاهر سلبيّة و مظاهر إيجابيّة لكن لم تستطيعوا تمييز أيّهما الرئيسي ، ثمّ كيف يمكن الحصول على أي تأكيد حول أي منهما سيهيمن – باقين منفتحين لإجتياح تيّار الأحداث . و مضى هذا مترافقا بالفصل الحاد لقيمة التحليل العلمي للخطّ السياسي و الإيديولوجي القائد للثورة فى النيبال . (41)

إليكم كيف يضع مايك إيلي نفسه ذلك وهو يكتب عن النيبال فى فيفري 2009 ، سنة بعد إنتخابات المجلس التأسيسي : " أصالة عن نفسي ، أشعر بإستمرار جزئيّا [هكذا] بتراجع قائلا بأنّه لدي معلومات مجزّأة فقط ... و أجد من العسير الحصول على صورة شاملة عن مآل الأمور ... و من حسن الحظّ لسنا فى **حاجة** إلى نوع من الحكم النهائي من أجل العمل على بعض المسؤوليّات العالميّة الهامة –و نحتاج إلى إستيعاب أنّ الثورة لا وجود حقّا لأحكام نهائيّة ضئيلة القصب للتقدّم إلى الأمام عادة ما يكون موضع نزاع و تعارض خلافي و جدال شديد ضد رياح عرضيّة ".

ينبغى أن يكون من الواضح الآن أنّ ما كان جدالا شديدا ضد رياح عرضيّة " هو فعلا ط ضئيل القصب " لمايك إيلى و كازاما – أيانا يتذيّلون للخطّ التحريفي لباتاراي و براشندا و أحيانا يندّدان بإستقامة بكليهما معا على أنّهما " خائنين" يراوحان بين التراجع و التقدّم ، طبعا دون كلمة نقد ذاتي ، بما أنّه بالنسبة لمايك إيلى هكذا جدال شديد هو الوضع الطبيعي للثوريين . هنا نرى كيف تتمّ صياغة مبدأ من التذيّل " للرياح العرضيّة " عوض تطبيق المناهج الشيوعية لبلوغ المبادئ و الأهداف الإستراتيجيّة .

و يستطرد مايك إيلي ، " يمكن أن تنحرف هذه الثورة فى النيبال . يمكن ألاّ تجد فى آخر المطاف طريق تجاوزها جميع التناقضات المعقّدة التى تواجهها . يمكن (فى النهاية) أن يتعزّز خطّ خاطئ . و يمكن أن فى النهاية أن يسحقهم الجيش الوطني " . قد يحدث هذا أو ذاك أو ... من يدري ؟ بكلمات مايك إيلي لا شيء يمكن توقّعه لأنّه فى هذا العالم من اللاأدريّة النسبيّة ، لم يعد الخطّ السياسي و الإيديولوجي هو المحدّد . فى عالم مايك إيلي ، من يمكن أن يعلم مسبّقا أنّ خطّا يخلط بين الشيوعية و الديمقراطية ، خطّاوضع جيش التحرير الشعبي فى ثكنات و فكّك قواعد الإرتكاز الحمراء ، خطّا ركّز عمل الحزب

على الإنتخابات البرلمانيّة فى العاصمة فى ظلّ يافطة تحريفية كلاسيكيّة ل " إعادة هيكلة الدولة " – من يستطيع أن يتنبّأ بأنّ مثل هذا الخطّ ينزع نحو القيادة إلى الإستسلام ؟!

كما لخّصت مجموعة الصياغة التابعة للحزب الشيوعي الثوري أبستيمولوجيا مايك إيلي النسبيّة ، " يتطلّب التغيير الثوري قاعدة أبستيمولوجية قويّة ، و درجة عالية من اليقين القائم على العلم فى فهم المشكل/ الحلّ المستوعب و الذى يجرى عليه العمل و التعميق من طرف قوى واعية ، من طرف أناس ثوريين – بما فى ذلك أنّه عدا سلطة الدولة ، كلّ شيء وهم . بمعيار مايك إيلي ، و ما يحاجج من أجله ، سنصاب بالشلل نظرا لأنّ هناك حقائق نسبيّة ذات " صلة ضعيفة " عادة بما يكون موضع نزاع و تعارض " ضئيل القصب "] ، و بالتالي توفّر قاعدة ضئيلة على أساسها يتمّ العمل و تغيير الواقع ، خاصّة بطريقة مختلفة راديكاليّا . هذا ليس سوى نداء للتذيّل إلى العفويّة و التهرّب من قطائع راديكاليّة و فى النهاية هجر الثورة و الشيوعية معا " .

هذه الأبستيمولوجيا النسبيّة هي التى تكمن وراء الهجمات المتكرّرة لمايك إيلي و كزاما على موقف الحزب الشيوعي الثوري على أنّه " دغمائيّة " قائمة على " نماذج نقيّة " التى سخر منها مايك إيلي على أنّها ط وقوع فى فخّ إلتزام دائم بما إذا كانتهذه الثورة تدوس هذا المبدأ أو ذاك (المستخلص ميكانيكيّا) من كتاب ماركس " **نقد برنامج غوتا** " أو كتاب لينين " **الدولة و الثورة** " . و يخلص إلى : " منهج يعتمد إطلاق الأحكام على بعض البيانات الصحفيّة [!!] لن يفهم أبدا السيرورة العمليّة لكلّ من الثورة **أو** الثورة المضادة ". (42)

تاركين جانبا كاريكاتور مايك إيلي لتحليل الحزب الشيوعي الثوري الذى عالج فى الواقع **خطّ الحزب النيبالي** مثلما جرى التعبير عنه فى الوثائق المفاتيح للحزبو فى عديد ميادين الممارسة العمليّة ، ما ينبغى أن يكون جليّا تماما لكلّ شخص الآن ، بعد بضعة سنوات ، هو أنّ هذا النوع من الإحتقار البراغماتي للخطّ السياسي و الإيديولوجي لن يؤدّي إلى أي مكان بإستثناء التكيّف مع النظام الرجعيّ القائم كي ، مثلما وضعت ذلك مجموعة الكتابة :" يتخلّى عن الثورة و الشيوعية معا ." و هذا هو حال مايك إيلي .

تشتمل أبستيمولوجيا كازاما كذلك على قدر كبير من التجريبيّة وهو ما يمكن رؤيته فى إدّعاءاته العديدة التى كان يقدّمها عن الأوضاع " الحقيقيّة " فى النيبال فى تعارض مع " دوغما " الحزب الشيوعي الثوري الكُتبي . و قد نشرت عديد التقارير تروى أنّ " بعثات كشف الوقائع " التى إدّعت أواخر 2008 و 2009 أنّ السلطة الحمراء متواصل وجودها فى قواعد الإرتكاز بالريف و أنّ جيش التحرير الشعبي لميقع فعلا تفكيكه ، و عدّة أكاذيب و إحباطات بيّنة أخرى هي الآن مفضوحة تماما . وحتى فى نهاية 2011 ، ظلّ مليك إيلي يحاول بثّ الشكّ حول تفكيك السلطة السياسيّة الحمراء ، بحجج كالتالية : " يُعرف القليل عن المشاريع الثوريّة فى المناطق المحرّرة . نعلم أنّ هناك كمونات و محاكم ثوريّة – و قد سمعنا عنها بشكل متموّج طوال سنوات(أحيانا سمعنا أنّها ضعفت بعد 2006 و احيانا أنّها تقفز مجدّدا)". (43) كما لو أنّه فى الوضع السائد حينها ، فى 2011 ، كان بإمكان مؤسسات السلطة الحمراء أن " تقفز من جديد " و تزدهر فى الريف دون حماية جيش التحرير الشعبي و فى إنفصال عن أيّة سلطة حمراء أوسع – و بالرغم من الخطّ العام الخاطئ للحزب ! كان هذا جزءا من جهد مايك إيلي لإيجاد جوّ من اللاأدريّة و حرف الإنتباه عن واقع أنّ الخطّ التحريفي الذى طالما سانده قد أدّى نهائيّا وبلا أدنى شكّ إلى الإنقلاب هلى هذه المؤسسات الثمينة . بما أنّ الإعتقاد فى الوجود المستمرّ للسلطة الحمراء فى الريف و لجيش التحرير الشعبي كان " مفيدا " لكازاما ، لا سيما لحملتها ضد أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري ، يجب أن يكون ذلك صحيحا – لا يهمّ أن يكون جيش التحرير الشعبي فى الحياة الواقعيّة و فى قواعد الإرتكاز السابقة قد جرت تصفيته قبل ذلك بزمن طويل ، وهو ما لا ينكره أحدّ بعدُ الآن ، و الذى

نبع من المفاهيم التحريفيّة الحقيقيّة جدّا للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) التى كان لها مايك إيلي بوق دعاية .

مايك إيلي و كازاما لم يكونا ببساطة مخطئين فى كلّ هذا . لم يكن ذلك مجرّد محاججة حول مبدأ مقصور على فئة معيّنة . لقد مات آلاف و آلاف الناس فى القتال فى سبيل مستقبل ثوري للنيبال و خدمة للثورة العالمية ،حسب ما صاغه ذلك الحزب . لقد إنتشرت روح تضامن أممي عميقة حيال تلك الثورة – و جرى إستنهاض الملايين – وفى هذه الفترة الحاسمة من صراع الحياة أو الموت حول الخطّ ، بما أنّ الثوريين النيباليين تطلّعوا إلى رفاقهم فى الخارج ، ما الذى وجدوه ؟ و لا أثر لجدال ثوري كانت الحاجة إليه ماسّة لإيقاظهم ، ما وجدوه هو تطمينات " ماركسية " بأنّ الجرف الذى كانوا يتجهون إليه حقّا ليس سوى عثرة فى الطريق الذى سيمضى بهم إلى الإنتصار . على عكس المقاربة الأممية المبدئيّة للحزب الشيوعي الثوري الذى بذل كلّ الجهد لمنع الثورة من السقوط فى الهاوية ، قوى مثل آجيث و الحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) و أمثالهما ، فى حين أنّها لمتكن القوى التى كانت تقود مباشرة الثورة نحو الهاوية ، بالتأكيد قد ساهمت بقسطها فى كيل المديح – مع كلّ الضرر الذى ألحقه ذلك ليس بالثورة فى النيبال و حسب بل بالحركة الشيوعية العالميّة أيضا .

و على ضوء كلّ هذا ، لا يستغرب أنّ المبعوث الذى إختاره كازاما لإلقاء خطاب فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي فى جانفي 2013 هو ليام رايت الذى إلتحق بكازاما فى مهاجمة الحزب الشيوعي الثوري . و فى موقع القلب من نصّ رايت على موقع إنترنت كازاما يشرح تغيّر ولائه و يدافع مطوّلا عن مقال بابوران باتاراي " الدولة الجديدة " . لاحظوا أنّ هذا كان فى 2010. وفيه يحاجج رايت : " سأحاجج بأنّ مقال باتاراي [" مسألة بناء نوع جديد من الدولة "] ينطوى على فكر شيوعي هام وهو مثال للتطبيق الخلاّق للنظريّة الشيوعية على الظروف الملموسة فى النيبال . حتى مع بعض المشاكل فى تلخيصه لتاريخ الثورة الشيوعية و كذلك بعض النواقص الثانويّة ، المظهر الرئيسي للمقال هو إيجابي بصفة عامة و شيوعي تماما " . ويمضى رايت للدفاع عن الأطروحات التحريفية لباتاراي و كيف أنّ التنافس الإنتخابي المتعدّد الأحزاب فى ظلّ الإشتراكيّة هو حلّ منع إعادة تركيز الرأسماليّة ،و كيف أنّ الجيش القائم يتعيّن أن يقع على الفور تفكيكه فى ظلّ الإشتراكية و ما إلى ذلك .

نظرا للمساندة الطويلة لكازاما للخيانة التحريفية فى النيبال ، فى أي ضوء ساطع عندئذ نرى الأبطال السابقين ل " التفكير النضر " الذى يمثّله باتاراي " إيجابي بصفة عامة و شيوعي تماما " يقفون الآن أمام المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي مهنّئين الحزب على قطيعته مع " الخونة " براشندا وباتاراي ! و لا حاجة لقول ذلك ، شأنهم شأن أضرابهم الدغمائيين " الطُرقيين " ، قد فعلوا ذلك دون أي ذرّة من النقد الذاتي ! (ومعبّر جدّا عن عمق النفاق البراغماتي الذى غرق فيه الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، أنّ هذا الحزب يشجّع أعداء الثورة مثل كازاما وهو على علم تام بالدور الذى لعبه فى علاقة بكلّ من الثورة النيباليّة وفى جعل هدف حياته التهجّم على الحزب الشيوعي الثوري وأفاكيان).

و ثمّة رواية أنّ هذه المجموعات تودّ أن تمرّر فكرة أنّه وُجد فى الواقع لسنوات صراع خطّين واضح صلب الحزب النيبالي بين كتلة تحريفية وكتلة ثوريّة ، و أنّها بمواصلة مساندة الثورة فى النيبال ، كانت فى النهاية تعدّ أرضيّة أفضل لسيطرة الثوريين مثلما حصل الآن . و القدرة على افشارة إلى علامات على الحياة فى الحركة الشيوعية النيبالية اليوم هو هكذا هام لأجل مصداقية هذه الرواية (على غرار عنوان كازاما " القطار على السكّة – إنفتاحات ثوريّة فى النيبال " الذى ظلّ عنوانا للصفحة الأولى لموقع الأنترنت ذاك لأسابيع فى أفريل 2013) ، وكذلك للتوفيق و الدفع نحو الخلف بدورهم الخاص فى تقديم الدعم للخطّ التحريفي فى كلّ خطوة حاسمة خطاها على مرّ السنين .

قلّة هم فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية الذين تجرّأوا على مواصلة إتباع حزب براشندا و باتاراي ، الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) فى طريقه الإستسلامي للإمبريالية المفضوح أكثر فأكثر . ليس بوسع الخطّ التحريفي لذاك الحزب إلاّ أن يجد تعبيرا عنه فى سياسات لها تأثير واضح و ملموس فى العالم الحقيقي : الإستسلام النهائي لجيش التحرير الشعبي ؛ تسيير إقتصاد معتمد على إستغلال سكّان النيبال الفقراء فقرا مدقعا ، إلى جانب نظام الكاست و العلاقات البطرياركيّة ،و و كلّ هذا يتعزّز بخبث بجهاز القمع المؤسساتي بما فيها شرطته وجيشه ومحاكمه . و قد ترافق هذا بشكل متصاعد بخطاب مفضوح أكثر موالاة للرأسماليّة ، مثل الدفاع المفضوح الآن للوزير الأوّل باتاراي عن فترة مديدة من " التطوّر الرأسمالي " فى النيبال ، إفتراضيّا لأجل بناء صفوف الطبقة العالمة و إعداد الإنتقال إلى الإشتراكيّة الذى لن يحدث أبدا بالطبع على هذا النحو . مع تزايد إفتضاح الجوهر الحقيقي للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) ، مع ذلك ، القوى التى بطلة التحريفية داخل الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) يمكن أن تدير ظهرها الآن و تندّد به و تأمل أن تجعل من الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي وسيلة لتحقيق تطلّعاتها .

ملاحظات مقتضبة ختاميّة عن الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي و الصراع صلب الحركة الأممية الثورية ، و الخلاصة الجديدة للشيوعية :

منذ المؤتمر السابع للحزب الشيوعي – الماوي فى جانفي 2013 ، وبّخ بعض قادة الحزب دفاع الحزب الشيوعي الثوري عن الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان على أنّها سبب أزمة الحركة الأممية الثوريّة . فغوروف مثلا ، قد حاجج بأنّ إستسلام براشندا من جهة و دفاع الحزب الشيوعي الثوري عن الخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان كتقدّم نوعي للشيوعية من جهةأخرى ،هما المسؤولان عن إنهيار الحركة الأممية الثوريّة (بكلمات غوروف : " جهود فرض مختلف أنواع " الخلاصات " ببساطة قد بثّ الإنشقاق فى صفوف الحركة الشيوعية العالميّة ") (45).

نظرة الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد لمشاكل الحركة الشيوعية العالمية فى الواقع لا تنبنى على تقييم لصحّة أو عدم صحّة الخطّ السياسي و الإيديولوجي ، بل على **معيار مغاير كلّيا** كما يكشف تاريخ الحركة الأممية الثوريّة . و يستطرد غوروف ليحاجج : " زمن تأسيس الحركة الأممية الثوريّة سنة 1984 ، ما كان يسمّى حينها بالحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني) (حرب الشعب) و المركز الشيوعي الماوي الهندي و الحزب الشيوعي الفليبيني لم يقع ضمّهم إلى الحركة وهو ما مثّل ضعفا كبيرا ". و يبدو أنّ حجّته الأساسيّة هي أنّ هذه الأحزاب كان ينبغى أن تضمّ لأنّها " أحزاب هامة" " تخوض حرب الشعب ".

ما يمحوه غوروف هنا هو أيّة إشارة إلى الخطّ السياسي و الإيديولوجي الذى قاد إلى تشكيل الحركة الأممية الثوريّة و توحيدها زمنها – و إن كان بشكل لامتكافئ و ينطوى على تناقضات – أو خطّ تلك الأحزاب التى لم تساند تشكيل الحركة الأممية الثوريّة . فعلى سبيل المثال ، قد دافع الحزب الشيوعي الفليبيني عن إنقلاب هواو كوفينغ الرجعي لسنة 1976 فى الصين و ندّد بأنصار ماو أو ما أطلق عليهم مجموعة الأربعة على أنّها " يسارية متطرّفة" ، زمن تشكيل الحركة الأممية الثوريّة كان يصف الإتحاد السوفياتي فى ثمانينات القرن العشرين بأنّه حتى " إشتراكي " . و هناك أيضا مسالة " أقلّ أهمّية " هي أنّ كُلّ من الحزب الشيوعي الفليبيني و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي- اللينيني)(حرب الشعب) قدعارضا تكوين منظّمة عالميّة للشيوعيين ستسير ك " نواة مركز سياسي و إيديولوجي " . و فعلا قد إلتحق المركز الشيوعي الماوي بالحركة الأممية الثوريّة فى 2002 قبل الإندماج مع ما كان سابقا الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) (حرب الشعب) لتأسيس الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) فى 2004 .

عدم معالجة هذه النزعة المتسقة للخطوط الإيديولوجيّة و السياسيّة الجوهريّة موضع الرهان هي التى تقف أيضا وراء تأكيد غوروف بأنّ " جهود فرض مختلف أنواع " الخلاصات " ببساطة قد بثّ الإنشقاق فى صفوف الحركة الشيوعية العالميّة " – وقد ضمّ إلى ذلك الصراع من أجل الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان . و نفس المنهج الكامن هو الذى سمح لغوروف أن ييسوّي و يجمع معا ك " مختلف أنواع الخلاصات " الردّة و الإستسلام التحريفيين لبراشندا من جهة و تقدّم أفاكيان فى علم الشيوعيّة ، مع عدم الرجوع للمضمون العملي لكليهما . فى كلّ هذا الكلام و التصريحات السلبيّة ، لا وجود لذرّة تفاعل فعلي مع الخلاصة الجديدة ، لا سيما منهجها و مقاربتها و لا يتمّ تقديم أي سبب ملموس لرفضها أو أي شيء يشير إلى إختلافات معها .

و يمحو غوروف كامل تاريخ صراع الخطّين و الإستقطاب داخل الحركة الأممية الثوريّة حول المسائل المركزيّة للثورة الشيوعيّة اللذين تفجّرا بشأن التطوّرات فى حروب الشعب فى البيرو و النيبال . و كما أشرنا إلى ذلك أعلاه ، فى وقت كان فيه الحزب الشيوعي الثوري يصارع الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) الأصلي حول توجّه الثورة فى النيبال ، كان الكثيرون فى الحركة الأممية الثوريّة يهتفون للحزب النيبالي ، إن لم يكونوا سلبيين . تشير رسالة الحزب الشيوعي الثوري إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة بوضوح :" لم يكن الفشل الذريع للحركة الأممية الثورية فى الردّ بشدّة و بصورة صحيحة على ظهور الخطّ التحريفي فى النيبال حتميّا ، إلاّ أنه ، لسوء الحظّ ، كان متسقا مع النزعات الإيديولوجية و السياسية الخاطئة الكامنة منذ مدّة طويلة و التى نمت مع الوقت داخل الحركة الأممية الثورية و الحركة الشيوعية العالمية بشكل أعمّ ".

و مظهر آخر جدّ معبّر عن هذا سابق عن هزيمة النيبال تمثّل فى نزعات داخل الحركة الأممية الثوريّة نحو الأداتيّة و البراغماتيّة و ضمن بعض القوى نقص فى التمسّك بالمبادئ فى مقاربة التطوّرات التى جدّت فى الحزب الشيوعي البيروفي على إثر إيقاف رئيس الحزب الشيوعي البيروفي غنزالو فى 1992 و ظهور ما بات يسمّى الخطّ الإنتهازي اليميني المنادي بوضع نهاية لحرب الشعب هناك . و هذا مفصّل فى رسالة الحزب الشيوعي الثوري إلى أحزاب و منظّمات الحركة الأممية الثوريّة .

كلّ هذا ، بما فيه الخطوط و الإطارات الكامنة التى أفضت بعديد أحزاب الحركة الأممية الثوريّة إلى التذيّل إلى الطريق التحريفي الذى كان يسلكه الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، يُغفله غورورف إغفالا تامّا. و لئن كان الخطّ الذى كان يروّج له براشندا و باتاراي قد فهم حقّا على أنذه خطّ تحريفي ، لماذا لا يتمّ الترحيب بجهود الحزب الشيوعي الثوري لخوض الصراع ضدّه و المساعدة على عودة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) إلى الطريق الثوري ، ترحيبا صريحا ، و لا يتمّ التفاعل معها والتعلّم منها من قبل الذين يقولون إنّهم كانوا يصارعون هذا الخطّ فى حزبهم ؟

و ينطبق هذا ليس على غوروف فحسب بل كذلك على آخرين لهم ذات المقاربة فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، مثل آجيث . فى " ضد الأفاكيانية " يصوغ إتهام :" قد إغتنم مسألتي الحركة الشعبية البيروفية و أحداث النيبال كوسائل لتقويض الحركة الأممية الثورية و تتويج الأفاكيانية ".

أوّلا ، أية مراجعة نزيهة لجدالات الحزب الشيوعي الثوري بصدد النيبال – رسائله الأربع الموجّهة للحزب النيبالي بين 2005 و 2009 ، ومقال جريدة " الثورة " بالضبط قبل التمرّد الشعبي المجهض فى ماي 2010 ، و تصريح أحد أنصار الخلاصة الجديدة أمام المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي فى 2013، و غيرها من الوثائق المنشورة فى النيبال نفسه – ستبيّن أنّها بصفة متكرّرة تشخّص المسائل الأساسيّة للخطّ السياسي و الإيديولوجي التى كانت موضع رهان . و المقاربة و النقاط الأساسية

مضت ضد موجة العفويّة التى تذيّلت ببراغماتيّة ل " النجاحات " التكتيكية للحزب ،حتى بينما كانت بصفة متصاعدة تبعده عن الطريق الثوري .

لنذكّر ببعض الوقائع الأساسيّة حول كيف تطوّر هذا الصراع (من أجل نظرة أشمل لتطوّر صراع الخطّين صلب الحركة الأمميّة الثوريّة ، أنظروا مجدّدا الرسالة الموجّهة لأحزاب الحركة الأممية الثوريّة و منظماتها). فى أكتوبر 2005 ، بعث الحزب الشيوعي الثوري برسالة خاصة إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) محذّرا ما كان باتاراي يدافع عنه فى مقاله " الدولة الجديدة " . ثمّ وقع توزيع هذه الرسالة داخليّا فى صفوف الحركة الأمميّة الثوريّة . ما كان الردّ ؟ صمت مطبق ، مع إستثناءات قليلة ، و نهائيّا آجيث لم **يكن** إستثناءا منتلك الإستثناءات. وكما رأينا ، إنجرف الكثيرون ضمن الحركة الماويّة ، عوض ذلك ، وراء ما كان يبدو نجاحات " تكتيكيّة " للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ن بينما وضعوا جانبا بشكل تصاعدي سلسلة رائل الحزب الشيوعي الثوري الملحّة و المحذّرة من تفاقم خطر التحريفية ، على أنّها [الرسائل] غير مهمّة و غير مفيدة إن لم تكن صراحة " إنعزاليّة ط و " عقائديّة " بغيحاءات عدوانيّة . بعيدا عن أن يكون " موضوع النيبال " قد إستخدم ل " تدمير الحركة الأممية الثوريّة " ، كان الحزب الشيوعي الثوري يرتئى أن يقرع أجراس الخطر و أن يشجّع المنتمين إلى الحركة الأممية الثوريّة على خوضالصراع الضروري للغاية بما أنّ الثورة كانت تنزلق أكثر فأكثر إلى الطريق التحريفي .

ثمّ ، خلال السنوات القليلة التالية ، و قد صارت التبعات البشعة لتحريفيّة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) بشكل متصاعد من الصعب تجاهلها ، عوض أن تنخرط مجموعات مثل الحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) و حزب آجيث ، الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، فى تفكير و نقد ذاتي بشأن ما أدّى بها إلى التذيّل وراء حتى مدح هذه التحريفيّة ، عوض ذلك ، إختارت أن تبرّر أداءها الباعث على الخجل . القيام بأخطاء جدّية شيء لكن تبريرها نظريّا أو حتى الدفاع عنها لا يمكن إلاّ أن يقود إلى مزيد الغرق أبدا فى المستنقع . إنّه لخطّ إنتهازي ذلك الخطّ الذى ينعت دعوة الحركة الأممية الثوريّة لإعمال الفكر وطرح التساؤلات و الصراع بأنّه محاولة " تدمير للحركة الأممية الثوريّة " .

ثانيا ، أمّا بالنسبة لتهمة آجيث بأنّ الحزب الشيوعي الثوري إستغلّ " موضوع النيبال " ل " يفرض" الخلاصة الجديدة على الحركة الأمميّة الثوريّة ، لا شيء يمكن أن يكون مجافيا منه للحقيقة . فمنذ البداية إرتأى الحزب الشيوعي الثوري أن يتفاعل مع المسائل المفاتيح التى تواجه الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) **فى حدّ ذاتها** و ليس ل" فرض " جملة من التعاليم أو المبادئ . بكلمات أخرى ، كان الحزب الشيوعي الثوري ينظر علميّا لما إذا كانت أم لم تكن المقترحات التى تقدّم بها الحزب النيبالي بعد تشنوانغ تتناسب مع الواقع الموضوعي ، لا سيما مع الحاجة إلى التقدّم بالثورة فى النيبال و عالميّا . هل كانت خلاصات باتاراي للموجة الأولى من الثورة الشيوعيّة فى القرن العشرين صحيحة أو لا ؟كيف يرتبط ذلك بإقتراحات تشنوانغ حول " ديمقراطية القرن الواحد و العشرين " و علاقة الديمقراطية بنوع المجتمع الذى يرتئيه الحزب ؟ما كانت إنعكاسات ذلك على إستراتيجيا الثورة فى النيبال ،و بصورة خاصّة إقتراح " مرحلة دنيا " جديدة للثورة الديمقراطية الجديدة – هل كان هذا فعلا ينطبق على تقدّم الثورة إعتبارا لوجود النظام الملكي ؟

و حاجج البعض فى الحركة الأممية الثوريّة كما لو أنّه لم يكن من المهمّ الخوض جدّيا فى مثل هذه المسائل ، إن لم يكن من غير الممكن . و على العكس من ذلك ، تلخّص رسالة الحزب الشيوعي الثوري إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة : " نقصد الإجابة و الردّ على تطوّر الخطّ التحريفي (أو ربّما ، بصيغة أفضل عموما **غياب الإجابة** على الخطّ التحريفي) من طرف الكثير

من المشاركين فى الحركة الأممية الثورية فى حدّ ذاته إنعكاس لإختلافات عميقة و متطوّرة حول المسائل الجوهري للخطّ. و تشمل هذه الإختلافات ليس مسألة الخطّ بشأن الدولة و الثورة فحسب ، بل كذلك بشأن طبيعة الأممية البروليتارية و كيفية مقاربة المسائل الكبرى للخطّ السياسي ، و هل يكون ذلك على ضوء مبادئ و نظرية الشيوعية العلمية و المنهج الماركسي بصفة أعمّ ، أو بالموافقة على المعايير والمقاربات غير الشيوعية ، مثل السياسة الواقعية بكلّ الآداتية و البراغماتية و التجريبية القائمة عليها. "

لقد بيّن الحزب الشيوعي الثوري فى جداله و صراعات الخطّين مع الحزب النيبالي الفهم العلمي اللينيني بأنّ ، بكلمات لينين ، الثورة فى كلّ بلد ينبغى أن ينظر إليها ك " إشتراكي أنا فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها." و يتعارض هذا مع النظرة المهيمنة و المسيطرة - و الخاطئة و غير العلمية – للأمميّة مثلما تتكثّف فى نظرة جايمس كونولى الذى حاجج بأنّ الأمميّة هي المساندة أو الدعم الذى تمدّه ثورة إلى ثورة أخرى – و بكلمات أخرى ، " سأسانك فى القيام بالثورة فى بلادك و ستساندنى فى القيام بالثورة فى بلادي " – إضافة إلى نتيجة مباشرة هي " لا تنقدنى و أعد بألاّ أنقدك " (47). و هذه النزعة لتجاهل المسائل الخطّية فى حزب شقيق قد تعزّزت أكثر بفعل البراغماتيّة التى مدّت جذورها وسط الحركة الشيوعية العالمية أي لماذا الإنشغال بالمساعي النظريّة لباتاراي أو حتّى اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) على كلّ حال ، نظرا للمكاسب المفترضة التكتيكيّة الكبرى التى كان الحزب يحقّقها على أرض الواقع ؟

هنا مجدّدا ، يجب أن نعلّق و نكرّر بأنّه فى حين أنّ الذين مثل آجيث و أضرابه يدّعون أنّهم يرفعون راية " الماويّة " ينبذون بحسم الحقيقة الأساسية الماويّة أنّ " الخطّ الإيديولوجي و السياسي هو المحدّد ".

فى ما يتّصل بمسائل الدولة و الثورة هذه وما نعته بسخرية الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) السابق ب" أبجديّات الماركسية " ، تشمل الخلاصة الجديدة للشيوعية فهما و مقاربة علميين حتى أكثر للتعاليم الأساسية للماركسية بما فيها الماديّة الجدليّة و التاريخية و طبيعة الدولة و الحاجة إلى الثورة الشيوعيّة . و يشير أفاكيان إلى أنّ هذه **لم** يقع تزويرها رغم الجهود المتكرّرة للقيام بذلك . (48) إعادة صياغة المرحلة الإنتقاليّة الإشتراكيّة التى تنطوي عليها الخلاصة الجديدة للشيوعية تتخذ بصلابة كنقطة إنطلاق لها و قاعدة " القيام بالثورة و إفتكاك السلطة " و ليس شيئا آخر. هناك إستمراريّة فى هذه المسائل الأساسيّة المركزيّة فى علم الشيوعيّة و أيضا هناك تقدّم بها و تعزيز لها أكثر علميّة فى إطار الخلاصة الجديدة للشيوعية . و إضافة إلى ذلك ، فى معالجة النواقص الثانويّة فى الثورات و المجتمعات الإشتراكيّة السابقة ، و كذلك فى مسألة المعارضة و المثقّفين ، ضمن هذا الإطار الجديد ، يعطى أفاكيان المزيد من الدفع و الخلفيّة الماديّة لإمكانيّة هذا النوع الجديد راديكاليّا من الدولة ومرغوبيّته و فعاليّته. و بالفعل ، هناك بعض ذات المسائل التى تطرحها الثورة فى النيبال و التى قدّم بشأنها باتاراي خلاصة ديمقراطية برجوازيّة . و على النقيض ممّا جاء به باتاراي ، وقع التقدّم بمظاهر حيويّة لفهم أفاكيان و إطار " اللبّ الصلب مع الكثير من المرونة " فى محاججة الحزب الشيوعي الثوري كبديل و خلاصة شيوعيّة ثوريّة مختلفة راديكاليّا .

ليس بوسع آجيث أسير إطار دغمائي – ديني إلاّ أن ينظر إلى الخلاصة الجديدة ك " فرض " لجملة من التعاليم بدلا من كونها تمثّل تقدّما فى **علم** الشيوعية بما يضع الشيوعية نفسها و ضمنها مساهمات إختراقات ماركس و لينين و ماو تسى تونغ على أساس علمي أرسخ ، مع ما يتناسب مع ذلك من **إبستيمولوجيا** و منهج و مقاربة **علميين** ، بمعنى ، أكثر ماديّة و أكثر جدليّة و أشمل للطبيعة المتناقضة للواقع و تغييره ، و فى النهاية أكثر إنسجاما مع الواقع و بلوغ الشيوعية . و كانت الخلاصة الجديدة و لا تزال محور صراع شرس فى صفوف الحركة الشيوعية العالميّة و منها أحزاب الحركة الأممية الثوريّة

فى الوقت الذى تواجه فيه الحركة الشيوعية الخيار الموضوعي لأنّ تكون طليعة للمستقبل أو الإنحطاط إلى بقايا الماضي .

لنخطو خطوة إلى الولاراء و نلقي نظرة على ما كان يحدث عامة فى صفوف الحركة الأمميّة الثوريّة . كانت هناك أشياء ثلاثة متمايزة لكن مترابطة :1- كانت هناك حاجة إلى الصراع صلب الحركة الأممية الثورية و من طرفها ضد الخطّ التحريفي الذى أمسى مهيمنا فى الصراع فى النيبال ، صراع لم ترد عليه غالبيّة الأحزاب الأخرى فى الحركة الأمميّة الثوريّة . 2- و فى نفس الوقت ، كان صراع يخاض صلب الحركة الأممية الثوريّة و صلب الحزب الشيوعي الثوري ذاته فى شكل ثورة ثقافيّة حول ما هي الشيوعيّة اليوم و الخلاصة الجديدة لأفاكيان كتقدّم فى علم الشيوعية . 3- كان الحزب الشيوعي الثوري يطبّق هذا العلم ، هذا الفهم المادي الجدلي على مشاكل و مسار الثورة فى النيبال و الصراع داخل الحزب الشيوعيّ النيبالي (الماوي) على هذا الأساس ، معتمدا على يقين و فهم أكثر علميّة حتى للمسائل المركزيّة للدولة و الثورة ، و على هذا الأساس مطبّقا كذلك هذا على مشاكل مثل طبيعة سلطة الدولة الإشتراكية و المثقّفين و الشرائح الوسطى إلخ فى تعارض مع مقال الدولة الجديدة لباتاراي ، و على مسائل أخرى ذات أهمّية .

و يمثّل المنهج و المقاربة فى جوهر الخلاصة الجديدة مقاربة و إبستيمولوجيا علميّة مختلفة راديكاليّا تقطع تماما مع البراغماتيّة و التجريبية و الأداتيّة التى ميّزت الإنحراف و الطريق التحريفيين اللذين إتبعهما الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) السابق و يواصل الغزو و المطاردة ذاتهما الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، و الشيء نفسه تفعله الحركة الشيوعية العالمية أيضا . لقد واجهت الثورة فى النيبال و تواصل مواجهة مسائل صعبة للغاية و باعثة على التحدي – على سبيل المثال ، جدوى إقتصاد جديد و دولة جديدة فى وجه القوى و الإمبريالية العدائيتين أو طبيعة الدولة الإشتراكيّة ، أو " ما العمل ؟ " و كيفيّة إختراق الظرف الراهن . و فى حين أنّ ذلك غير يسير ، فإنّ تطبيق مقاربة ماديّة جدليّة تماما يفسح المجال لإمكانيّة إكتشاف و صياغة دروب عبر العراقيل ، معترفين بطبيعة الواقع المتناقضة و المتعدّدة الطبقات و يجعل من الممكن تغيير الضرورة و تغيير العالم تغييرا تغييرا راديكاليّا بإتجاه الثورة الشيوعية . وهذه هي المقاربة التى طبّقتها رسائل الحزب الشيوعي الثوري إلى الرفاق النيباليين ، منطلقا من و مناضلا من أجل المبادئ و الأهداف الإستراتيجية ، فى الوقت الذى تواجه فيه و تبحث عن حلّ المشاكل و التحدّيات الحقيقيّة فى المضيّ فدما بإتجاه هذه الأهداف .

الصراع حول النيبال ليس مردفا لمفترق الطرق الذى يواجه الحركة الشيوعية العالمية اليوم ، لكن هناك تداخل كبير . و كيف يمكن أن يكون بشكل آخر : بما أنّ قادة الثورة فى النيبال واجهوا تحدّى التقدّم من الريف صوب إفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها ، ومجموعة مثيرة من المسائل التى كانت موضوعيّا تواجه الثوريين فى كلّ الأماكن غدت ملحّة أكثر فأكثر:هل من الممكن حتى إفتكاك السلطة فى بلد واحد ، و إن كان ذلك ممكنا ، كيف ستكون العلاقة بالثورة العالميّة الأوسع و النضال البعيد المدى فى سبيل عالم شيوعي ؟ كيف يتمّ كسب الشرائح الوسطى فى المناطق المدينيّة ، منها المثقّفين و الفنّانين و كيف سيرتبطون بالقطاعات الأفقر فى الريف و المدينة ؟ ما هي أشكال الديمقراطيّة الضروريّة لأجل إطلاق العنان لأقصى المعارضة و الإبداع فيما يقع إجتثاث الإنقسامات المستمرّة فى المجتمع ، و القيام بذلك فى إنسجام مع ممارسة الدكتاتوريّة على من سيصبحون المضطهِدين الجدد؟ كيف سيغالج الحزب الطليعي كافة التناقضات المتباينة التى تشقّ صفوف المضطهَدين أنفسهم – تمييز الكاست و التمييز الإثني و سلاسل النظام الأبوي التى تقيّد النساء و ما إلى ذلك ؟ كيف سيقود الحزب إفتكاك السلطة ، و ما سيكون دوره فى نظام سلطة الدولة الثوريّة عقب الإنتصار ؟

واجهت قيادة الحزب طرح هذه التحدّيات على بساط البحث بأكثر قوّة أبدا فى 2004 و 2005 – لا وجود لأرضيّة حياديّة فى معركة بشقّ الأنفس و أجابت قيادة النيبال ، كما فعلت الحركة الشيوعية بأكملها ، بشكل أو آخر . و مثلما رأينا أعلاه ، الإجابات المقدّمة فى النيبال و من قبل الكثير من الآخرين إتخذت بصفة واسعة شكل وجهي المرآة المشخّصة فى **بيان** الحزب الشيوعي الثوري . كون الحزب الشيوعي الثوري تمكّن من تشخيص الخطّ التحريفي الذى ظهر فى النيبال و أن يقدّم إجابات شيوعيّة ثوريّة للتحدّيات كان فى جزء كبير منه بفضل تحليل أفاكيان تحليلا عميقا و من كافة الجوانب النظريّة و الممارسة اللتان قادتا الثورات الكبرى للقرن العشرين . وهذا أيضا يبيّن حقيقة أنّه كما تلاحظ رسالة الحزب الشيوعي الثوري إلى أحزاب الحركة الأممية الثوريّة :

" حتىّ فى أكثر البلدان المضطهدة و المستغلّة بخبث تواجه ...الثورة نفس القضايا الجوهريّة التى تواجه كامل الحركة الشيوعية العالمية ، قضايا معالجتها حاسمة فى فسح المجال للتقدّم المستقبلي " .

لتطوير نقد لما حدث فى النيبال و إعادة تجميع القوى الثوريّة هناك ، من الحيويّ أن تقطع القوى التى تتطلّع حقّا إلى إيجاد طريق للتقدّم بالثورة فى النيبال كجزء من النضال العالمي برمّته فى سبيل إنشاء عالم شيوعي ، مع الإنتقائيّة و القوميّة و البراغماتيّة و خاصة الخلط بين الديمقراطيّة و الشيوعية . الخلاصة الجديدة ضروريّة لتطوير هذا النوع من النقد التام و للشروع فى تشكيل نواة من الثوريين و الشيوعيين الذين يستطيعون إخراج أنفسهم من الرمال المتحرّكة للمستنقع الذى علقت فيه الثورة هناك. و ينبغى أن يتمّ هذا فى إرتباط وثيق بتحليل الخطوط الخاطئة المفاتيح فى المجتمع النيبالي اليوم ، لأجل الشروع فى رسم خطوط تمايز بين التكيّف التحريفي مع النظام القائم و الثورة .

و لنختم بما شدّدنا عليه فى رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري إلى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي :

" قبل عشرين سنة لمّا واجه الثوريون تراجعا حدث فى البيرو، تقدّم الثوريون النيباليون للقفز فى الفجوة. و اليوم وضع الحركة الشيوعية على الصعيد العالمي أحرج و يتطلّب جرأة أكبر بكثير للتقدّم و المشاركة فى إنقاذ المشروع الشيوعي و قيادته إلى الأمام نحو قمم أعلى . غير أنّ هذا لن ينجز دون قطيعة تامة مع الخطّ التحريفي الذى هيمن على الحركة فى النيبال لسنوات الآن . و مثلما قال ماو ، صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي – السياسي هي بالفعل المحدّدة . "

<u>الهوامش :</u>

1- لاحظوا أنّ باللغة الأنجليزية الإسم الأصلي للحزب كان

CPN(M)

و الحزب الجديد إسمه

CPN-M

و أنّ عناوين مواقع الأنترنت و مراجع الأنترنت تعود إلى 4 أفريل 2014 ، إلاّ إذا تمّت الإشارة إلى غير ذلك .

2- من أجل المزيد بشأن الخلفيّة التاريخيّة لهذا الصراع و بشأن حجج باتاراي و إجابة الحزب الشيوعي الثوري عليها ، أنظروا خاصّة إلى رسالة الحزب الشيوعي الثوري لأكتوبر 2005 إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) . **" رسائل الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب**

الشيوعي النيبالي (الماوي) ، 2005-2008 (مع ردّ من الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، 2006 " .

http://www.revcom.us/a/160/Letters.pdf

3- **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية."**

http://www.revcom.us/Manifesto/index.html.

و **" رسالة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية "**

http://www.demarcations-journal.org/issue03/letter_to_participating_parties_of_rim_revolutionary_communist_party_usa.htm.

4- تعدّ التحويلات الماليّة تحويلات مدهشة إن تبلغ 25-30 بالمائة من الإنتاج القومي الخام بما فى ذلك 50 مليون دولار أمريكي سنويّا من جنود غورخا العاملين كمرتزقة فى الجيش البريطاني ،و توزيع ثروة البلاد توزيعا من أكثر اللاتكافئ فى العالم . والوفاة الحديثة لعشرات النيباليين العاملين فى قطر فى الإعدادات لكأس كرة القدم العالمي 2022 فى الأشهر الأخيرة ، و عدد منهم شباب ماتوا جرءا سكتة قلبيّة ، يكشف ظروف العبوديّة تقريبا التى يشتغل فيها هؤلاء المهاجرين . و " تبيّن الدراسة أن 68 بالمائة من العمّال المهاجرين النيباليين من الإناث ".

http://www.nepalnews.com/archive/2011/feb/feb15/news10.php

5- لتلخيص الخلاصة الجديدة ، كتب بوب أفاكيان التالي :

" تعنى الخلاصة الجديدة إعادة تشكيل و إعادة تركيب الجوانب الإيجابية لتجربة الحركة الشيوعية و المجتمع الإشتراكي إلى الآن ، بينما يتمّ التعلّم من الجوانب السلبية لهذه التجربة بابعادها الفلسفية والإيديولوجية و كذلك السياسية ، لأجل التوصّل إلى توجه و منهج و مقاربة علميين متجذّرين بصورة أعمق و أصلب فى علاقة ليس فقط بالقيام بالثورة و إفتكاك السلطة لكن ثمّ ، نعم ، تلبية الحاجيات المادية للمجتمع و حاجيات جماهير الشعب ، بطريقة متزايدة الإتساع ، فى المجتمع الإشتراكي – متجاوزة ندب الماضى ومواصلة بعمق التغيير الثوري للمجتمع ، بينما فى نفس الوقت ندعم بنشاط النضال الثوري عبر العالم و نعمل على أساس الإقرار بأن المجال العالمي و النضال العالمي هما الأكثر جوهرية و أهمّية ، بالمعنى العام – معا مع فتح نوعي لمزيد المجال للتعبير عن الحاجيات الفكرية و الثقافية للناس ، مفهوما بصورة واسعة ، و مخوّلين سيرورة أكثر تنوّعا و غنى للإكتشاف و التجريب فى مجالات العلم و الفنّ و الثقافة و الحياة الفكرية بصفة عامة ، مع مدى متزايد لنزاع مختلف الأفكار و المدارس الفكرية و المبادرة و الخلق الفرديين و حماية الحقوق الفردية ، بما فى ذلك مجال للأفراد ليتفاعلوا فى " مجتمع مدني " مستقلّ عن الدولة – كلّ هذا ضمن إطار شامل من التعاون و الجماعية و فى نفس الوقت الذى تكون فيه سلطة الدولة ممسوكة و متطوّرة أكثر كسلطة دولة ثورية تخدم مصالح الثورة البروليتارية ، فى بلد معيّن وعالميا و الدولة عنصر محوري ، فى الإقتصاد و فى التوجّه العام للمجتمع ، بينما الدولة ذاتها يتمّ بإستمرار تغييرها إلى شيئ مغاير راديكاليا عن الدول السابقة ، كجزء حيوي من التقدّم نحو القضاء النهائي على الدولة ببلوغ الشيوعية على النطاق العالمي .

" القيام بالثورة و تحرير الإنسانية " - الجزء الأوّل : تجاوز الأفق الضيّق للحقّ البرجوازي .

http://www.revcom.us/avakian/makingrevolution1/index.html

6- " حول التطوّرات فى النيبال و رهانات الحركة الشيوعية " ، جريدة " **الثورة** " عدد 160 ،مارس 2009 ، أعيد نشره ضمن العدد الأوّل من مجلّة " **تمايزات** "

http://demarcations-journal.org/issue01/nepal_article.html

7- هذا التقرير الذى يستعرض سياسة الحزب منذ إجتماع تشنوانغ 2005 و هيمنة الخطّ التحريفي مثّل وثيقة مفتاحا فى إجتماع جوان 2012 الذى أسّس الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي الجديد. أنظروا " لنتقدّم بالثورة بخوض الصراع الإيديولوجي ضد التحريفيّة الجديدة ! التقرير السياسي المقدّم للمجلس الوطني للحزب الشيوعي النيبالي - الماوي فى 18 جوان 2012 من قبل رئيس الحزب كيران " نشر فى " **نظرة ماويّة** " ، أوت 2012.

http://www.bannedthought.net/Nepal/CPN-Maoist/MaoistOutlook/2012/MO-01-01.pdf

8- بوب أفاكيان " **ماتت الشيوعية الزائفة ...عاشت الشيوعية الحقيقيّة** " منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو ، الطبعة الثانية 2004 .

9- يشرح بوب أفاكيان الإنتقائيّة على النحو التالي : " هنا من المهمّ أن نشدّد على جوهر الإنتقائيّة (و الطريقة التى تعمل بها التحريفيّة عندما يكون الشيوعيّون أو الذين يعلنون أنّهم شيوعيين هم الذين يتبنّونمثل هذه الإنتقائيّة و يطبّقونها) ليس فقط وضع الأمور على " من جهة هذا " و" من جهة أخرى ذلك " – بل القيام بذلك بطريقة **تحجب جوهر** المسألة ، و خاصّة **تقوّض** ما هو فى الواقع **المظهر الرئيسي و المحدّد للتناقض .**

مثلا ، لنأخذ هذا التصريح : " صحيح أنّ الإمبريالية تعنى الإستغلال و الإضطهاد الشديدين و الخبيثين للناس فى عديد أنحاء العالم ؛ لكنّها قد أدّت أيضا إلى تطوّر عديد الأشكال المفيدة من التكنولوجيا و إلى مستوى عيش عالي لأعداد هامّة من الناس " . كلا المظهران هنا – ما قيل عن الإمبريالية (قبل كلمة " لكن ") و ما يلى ذلك – صحيحان . لكن ما هو المظهر الرئيسي ، المحدّد و الجوهري ؟ بوضوح هو الأوّل : الطبيعة الإستغلاليّة و الإضطهاديّة العالية للإمبريالية و النتائج السلبيّة جدّا لهذا بالنسبة للغالبيّة العظمى للإنسانيّة . لكن طريقة صياغة هذه الجملة تحجب الحقيقة الجوهريّة بأن تضع شكليّا المظهر الثانوي (المتجسّد فى الجزء الثاني من الجملة إعلاه) على نفس مستوى المظهر الرئيسي . و يخدم هذا ، على الأقلّ موضوعيّا ، كمديح للإمبرياليّة . كلّ المقاربات الإنتقائيّة ذات الطبيعة و النتيجة الأساسيتين تخدم خلط الأشياء و إنكار أو تقويض المظهر الرئيسي و الجوهري للأشياء "(بوب أفاكيان، " **لنخرج إلى العالم – كطليعة للمستقبل** " ،2009

(http://www.revcom.us/avakian/Out%20into%20the%20World/ba-out-into-world-en.html)

و قد درّب براشندا الحزب على الإنتقائيّة لسنوات ، و كان ذلك أحد أهداف الرسالة الأولى للحزب الشيوعي الثوري إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) فى أكتوبر 2005 . و ردّ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) لم يُشر حتى إلى الموضوع .

10- ك. ج .أي " لننقذ الثورة " ،

http://thenextfront.com/?p=41

11- بوب أفاكيان " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 2001 ، ص 17 .

12- خلط الحزب الجديد بصدد دور الإنتخابات البرلمانيّة متّصل بلا شكّ بتواصل فشله فى تصفية الحساب مع وجهات نظر باتاراي حول الديمقراطيّة و الدكتاتوريّة ، بما فيها حجّته بأنّ التنافس المتعدّد الأحزاب هو الوسيلة المفتاح لمعالجة الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكيّة ، و الذى دحضته مطوّلا رسائل الحزب الشيوعي الثوري . و بالرغم من أنّ الحزب الجديد قد قاطع الإنتخابات الوطنيّة للمجلس التأسيسي الثاني سنة 2013 ، فإنّه نبذها على قاعدة أنّ المجلس التأسيسي السابق " لم ينجح " فى إنجاز المهام المنوطة به و أنّ الإنتخايات "ستتلاعب " بها " القوى الأجنبيّة " ، عوض نبذه على قاعدة فهم أوضح للماذا فى مجتمع منقسم إلى طبقات ليس بوسع الإنتخابات أن تكون الوسيلة الأساسيّة لممارسة الجماهير السلطة و تغيير المجتمع . ما هو ضروري هو دكتاتوريّة البروليتاريا بقيادة حزب شيوعي طليعي ، و سلطة دولة و مؤسسات جديدة ستطلق العنان لسيرورة من خلالها تتمكّن الجماهير من تغيير المجتمع فى إتجاه ثوري.

http://www.bannedthought.net/Nepal/CPN-Maoist/PeoplesVoice/ PeoplesVoice-01.pdf

13- " مفترق طرق حاسم : رسالة بعثها مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تنظيمه ."

جريدة " **الثورة** " عدد 296 ، 24 فيفري 2013 و عدد 297 ، 10 مارس 2013.

http://revcom.us/a/296/critical-crossroads-in-nepal-en.html.

14- أنظروا مقدّمة فريديريك إنجلز لكتاب كارل ماركس " **الحرب الأهليّة فى فرنسا** " ص 15- 18 ، و كذلك القسم الثالث من عمل ماركس نفسه حيث يقول فى الصفحة 64 " و بوجه خاص برهنت الكومونة أن " الطبقة العاملة لا تستطيع أن تكتفي بالإستيلاء على آلة الدولة جاهزة و أن تحرّكها لأهدافها الخاصّة " ...". و قد شدّد على أنّ هذا من أهمّ دروس كمونة باريس لسنة 1871 ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، الطبعة الثالثة ، 1977.

15- **لينين ، " الأعمال الكاملة ، المجلّد 24 ، 25 و 26** ، دار التقدّم للنشر ، موسكو 1964.

16- " حول مفترق الطرق الحيوي فى الثورة النيباليّة و الحاجة الملحّة إلى قطيعة حقيقيّة مع التحريفية "

http://revcom.us/a/200/Nepal_crossroads-en.html

17- فريديريك إنجلز " **الثورة و الثورة المضادة فى ألمانيا** " ،منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1977 ، ص 4 .

18- حسب ما إقتطف فى " توحيد الماويين فى النيبال : القطائع و العوائق " ، ليام رايت ، كازاما .

http://kasamaproject.org/component/content/article/64-winter-has-its-end/4393-maoists-regroup-in-nepal

19- أنظروا للعدد الأوّل من الإصدار باللغة الأنجليزية التابع للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، " **الجبهة الحمراء** " ، لأجل أمثلة عديدة .

http://www.wprmbritain.org/?p=1382

20- للمزيد حول حاجة الشيوعيين إلى أن يكونوا " محرّري الإنسانيّة " و قطيعة الخلاصة الجديدة مع نزعات ضمن الحركة الشيوعية العالميّة نحو الخلط بين القوميّة و الأممية ، أنظروا مقال " أفكار جداليّة

حول مقال برنار دميلو " ما هي الماويّة ؟ " فهم الماويّة علميّا و رفع رايتها بصلابة و المضيّ أبعد منها من أجل مرحلة جديدة من الشيوعيّة " ، مجلّة " **تمايزات** " عدد 2 .

http://demarcations-journal.org/issue02/demarcations-polemical_reflections,html

21- حوار صحفي مع براشندا ، جريدة " **الهندي** " ، 6 فيفري 2006 .

22- لينين ، " **ما العمل** ؟ " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1973 ، ص 48.

23- من أجل المزيد ، أنظروا تحليل بوب أفاكيان فى " **تأملات و جدالات : حول أهمّية المادية الماركسية و الشيوعية كعلم و العمل الثوري ذو الدلالة وحياة لها مغزى** " ، قسم " الأخطاء الأساسيّة للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) : فهم خاطئ للمشاكل ، حلول خاطئة " حول كيف أنّ الحزب النيبالي قد نظّر لنظرة أنّ العفويّة دائما إلى جانب القوى الثوريّة بعد الإفتكاك الأوذلي للسلطة ، و لماذا يعدّ ذلك خاطئا .

http://www.revcom.us/avakian/ruminations/BA-ruminations-en.html

24- " تربية خنازير صريحة من معسكر الثورة المضادة " ، جريدة " **الثورة** " عدد 249.

http://revcom.us/a/249/outright_piggery_from_the_camp_of_counter-rev-en.html

25- آجيث " ضد الأفاكيانيّة " ، مجلّة " نكسلباري " ، جويلية 2013 ، عدد 4 .

http://theNaxalbari.blogspot.com/2013/07/Naxalbari-issue-no-4.html"

26- مثلا ، أنظروا المقال التالي" الماويّون فى تركيا : يجب أن نقدّم دعما أمميّا قويّا للناس فى النيبال" ، للحزب الشيوعي الماوي (تركيا و شمال كردستان).

https://southasiarev.wordpress.com/2008/09/22/maoists-of-turkey-peoples-of-nepal-should-be-given-strong-international-support/

27- " ضد الأفاكيانيّة " و أنظروا أيضا " الموجة الجديدة " ، ديسمبر 2006.

http://bannedthought.net/India/CPI-ML-Naxalbari/TheNewWave/nw-2-full-final-1.pdf

28- " ضد الأفاكيانيّة " ، الهامش 266.

29- من " حول خطّ و تكتيك الحركة الماويّة النيبالية " ، الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، أكتوبر 2010 ،

http://bannedthought.net/India/CPI-ML-Naxalbari/Naxalbari-Magazine/Number03/OnNepalLine-101000.pdf

30- " النيبال : حوار صحفي مع الرفيق بابوران باتاراي " ،

http://www.wprmbritain.org/?

31- ملخّصا ذلك بصفة أعمّ ، حاجج أفاكيان فى " القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة " ، الجزء الثاني أنّه يجب على الشيوعيين أنيبحثوا عن " إستيعاب العلاقة الجدليّة الحيويّة بين العوامل الموضوعيّة و الذاتيّة و قدرة الأخيرة (العوامل الذاتيّة – نشاطات الناس الواعية) على ردّ الفعل و اغيير السابق (العالم الموضوعي – الظروف الموضوعيّة).

http://www.revcom.us/avakian/makingrevolution2/index.html

32- هذا هو دفع حجّة كارل كاوتسكي بأنّ القرارات التى أصدرتها الأمميّة الإشتراكيّة قبل الحرب العالميّة الأولى و الرامية للردّ على الحرب الإمبرياليّة و التى كانت تبحث عن القيام بالثورة صارت غير ذات فعاليّة لأنّه " ليست الحكومة أبدا جدّ قويّة و ليست الأحزاب أبدا جدّ ضعيفة ، كما هو الحال عند إندلاع حرب " و بالتالي بكلمات مرتدّ " تبيّن أنّ آمال الثورة أوهام " ف. إ. لينين " إفلاس الأمميّة الثانية " ، الأعمال المختارة ، المجلّد 21 ، منشورات دار التقدّم ، موسكو 1964 ، الصفحات 215 و 212 تباعا.

33- " حول التطوّرات فى النيبال ..."

http://bannedthought.net/India/CPI-ML-Naxalbari/TheNewWave/nw-2-full-final-1.pdf

34- نظرا لهذه النزعة نحو تقليص النظريّة و عدم تقليلهم منأهمّية الفكر النقدي عامّة ، ليس من المفاجئ جدّا أنّ الشيء الأخير فى أذهان أصحاب هذه النزعة هو أيّ تساؤل نقد ذاتي عن دورها فى التهليل لإنزلاق الثورة النيباليّة إلى الهاوية .

35- تصريح لفراد أنجلار ، بإسم اللجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري (الكندي) ، " النيبال : تحيّة من الحزب الشيوعي الثوري الكندي إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي
http://maoistroad.blogspot.fr/2013/01/nepal-salute-from-revolutionary.html

36- تجدر الإشارة إلى أن الدفاع عن أو حتّى خوض الكفاح المسلّح نفسه لا ينقذ حزبا من الإقتصادويّة . أليس فصل الهدف الشيوعي عن الحرب الثوريّة التى نحتاج إليها لكسب سلطة الدولة تنتهى إلى تحويل النضال المسلّح إلى لا شيء أكثر من إقتصادويّة مسلّحة : الحركة عبر السلاح ، هي كلّ شيء و الهدف النهائي لا شيء ؟ هل من عجب حالئذ أنّ نظرة الحزب الشيوعي الثوري الكندي و الحزب الشيوعي الإيطالي (الماوي) قد إنتهى ، فى كلتا الحالتين ، إلى مزج عقود طويلة من النداءات لشنّ " حرب الشعب الطويلة الأمد " فى هذه البلدان مع ممارسة تركّز فى الأساس على نوع النضال النقابوي الذى لطالما ميّز الأحزاب التحريفية فى البلدان الإمبريالية ؟

37- إلى جانب الحوارات الصحفيّة المتوقّدة ما بعد الإنتخابات و التى نشرتها كازاما على موقعها ، مع باتاراي و براشندا و برفاتي ، أنظروا مقالات مثل " تهليل : إكتساح ماوي – ثورة إنتخابيّة فى النيبال "
(http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/395-27leupp-a-maoist-sweep-electoral-revolution-in-nepal)

أو " براشندا : الشعب النيبالي سيفتكّ السلطة "

(http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/1044-76prachanda-nepal-s-people-will-seize-power)

و الكرّاس الناري الأطول الذى صاغه و وزّعه كازاما فى 2009 و الذى مدح الإنتصار فى إنتخابات المجلس التأسيسي على أنّه " خطوة إلى الأمام فى السيرورة الثوريّة فى ظلّ ظروف جديدة ".
(http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/1743-75new-pamphlet-a-revolution-at-the-brink-stand-with-nepal)

وتواصلت مساندة كازاما للخطّ التحريفي الواضح للحزب الشيوعي النيبالي ، حتّى لمدّة أطول من ما فعلت معظم القوى الدغمائيّة مثل آجيث ، وصولا إلى زيارة براشندا سنة 2009 إلى الأمم المتحدة فى نيويورك و بعدها . و نشرت كازاما رابطا لحوار صحفي مع باتاراي (نعم باتاراي **ذاك** ، " الخائن ") أجرته معه بعثة الحركة الثوريّة لشعوب العالم – بريطانيا إلى النيبال بدايات حريف 2009 ، دون كلمة نقد واحدة و أكثر من ذلك حثّت قرّاءها على " نشر هذه الوثائق على أوسع نطاق " .

http://www.wprmbritain.org/?p=926

38- " توحيد الماويين فى النيبال : القطائع و العوائق " ، ليام رايت

http://kasamaproject.org/projects/revolution-in-south-asia/4393-maoists-regroup-in-nepal

39- القطار على السكة [هكذا] – إنفتاحات ثوريّة فى النيبال " ، أفريل 2013 ، إيريك ريبالارسي
http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/4428-legitimacy-crisis-and-revolutionary-opportunity-in-nepal

40- " مايك إيلي : وإن حصلت مواجهة حاسمة فى النيبال ...؟ " ، مايك إيلي ، قسم التعليقات ، مايك إ.
http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/1267-99mike-ely-and-if-a-showdown-comes-in-nepal

41- للمزيد بشأن لاأدريّة مايك إيلي و نسبيّته و كيف يتّصل ذلك بمعارضته لنقد بوب أفاكيان ل " الحقيقة الطبقيّة " ، أنظروا كرّاس مجموعة كتابة الحزب الشيوعي الثوري " البقاء فى إطار " الرأسماليّة الفظيعة الراهنة " أم سلوك طريق نحو الشيوعية المستقبليّة ؟ " ، لا سيما قسم " الحقيقة ، رابط ضعيف بصورة مؤلمة بالواقع ؟ "

http://www.revcom.us/a/poleics/NineLettersResponse.pdf

42- رغم أنّ مايك إيلي هو الذى كتبه ، فإنّ كازاما تتبرّأ من هذا المقال ، مدّعية أنّه لا يمثّل بالضرورة ط النظرة المشتركة لمشروع كازاما "، و مع ذلك قد رفع من التعليقات فى شبكة البلوغ الأساسي للغاية ، لتعميق هذا النوع من التفكير و المنهج " . " تفكيك بعض الرفض السهل للثورة النيبالية " لمايك إيلي .

http://kasamaproject.org/projects/revolution-in-south-asia/1050-82dissecting-some-easy-rejection-of-nepal-s-revolution

43- " مقاربة لخيارات النيبال : باتاراي حول إعادة الهيكلة و الخيارات " ، قسم التعاليق ، مايك إيلي ،

http://kasamaproject.org/south-asia-revolution/3140-72one-:approach-to-nepal-039-s-options-bhattarai-on-restructuring-choices

44- " نقد الحزب الشيوعي الثوري : وداعا بقايا الماضي " ، ليام رايت
http://kasamaproject.org/communist-organization/2773-5critique-of-the-rcp-goodbye-to-a-residue-of-the-past

45- " الحركة الشيوعية العالمية و دورنا " سنبن كاجورال [غوروف] ، نائب رئيس الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي ، " صوت الشعب " ، نشريّة شهريّة يصدرها القسم الدولي للحزب الشيوعي النيبالي – الماوي .

http://kasamaproject.org/files/peoples-voice-1.pdf

46- الحركة الشعبيّة البيروفيّة كانت مجموعة مرتكزة فى أوروبا تبنّت مقاربة غير مبدئيّة تماما حيال التطوّرات التى جدّت صلب الحزب الشيوعي البيروفي عقب إيقاف رئيس الحزب البيروفي غنزالو فى 1992 و ظهور الخطّ الإنتهازي اليميني . أنظروا الرسالة الموجّهة لأحزاب الحركة الأمميّة الثوريّة و منظّماتها

www.demarcations-journal.org/issue03/letter_to_participating_parties_of_rim_revolutionary_communist_party_usa.htm

47- بوب أفاكيان ، " **التقدّم بالحركة الثوريّة العالمية : قضايا توجّه إستراتيجي** "

http://revcom.us/bob_avakian/advancingworldrevolution/advancingworldrevolution.htm

على النقيض من فهم كونولي ، شرح لينين نظره على النحو التالي : " أمّا الإشتراكي ، البروليتاري الثوري ، الأممي ، فإنّه يحاكم على نحو آخر : ... فليس من وجهة نظر بلاد"ي" يتعين علي أن أحاكم (إذ أنّ هذه المحاكمة تغدو أشبه بمحاكمة رجل بليد و حقير ، محاكمة قومي تافه ضيق الأفق، لا يدرك أنّه لعبة فى أيدى البرجوازية الإمبريالية) ، بل من وجهة نظر إشتراكي أنا فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها. هذه هي الروح الأممية ، هذا هو الواجب الأممي ، واجب العامل الثوري ، واجب الإشتراكي الحقيقي ."

" (ف إ لينين " **الثورة البروليتاريّة و المرتدّ كاوتسكي** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1972 ، ص 80 باللغة الأنجلزية و باللغة العربية ، ص 68-69 من طبعة دار التقدّم ، موسكو) .

48- أنظروا جدال آفاكيان ضد كارل بوبر فى " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانيّة** " ، الجزء الأوّل .

demarcations-journal.org

ملحق من إقتراح المترجم

الثورة النيبالية و ضرورة القطيعة الإيديولوجية و السياسية مع التحريفية .

كلمة للمترجم :

هل قطع الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي مع التحريفية ؟ سؤال لطالما أثاره فى المدّة الأخيرة عديد الماويين غير أن الإجابة لم تكن واحدة و قطعية بعد عقد المؤتمر الأوّل- أو السابع لإعتبارهم للإستمرارية التاريخية - لهذا الحزب الجديد . و منذ سنوات ما إنفكّ البعض من الماويين عبر العالم يساند مؤسّسي الحزب الجديد حتى عندما كانوا ضمن الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) المنعوت بالتحريفية لسنوات الآن و يعتبرونهم " كتلة حمراء " داخله و يعقدون عليهم الآمال العريضة ؛ فى حين إعتبر آخرون أنّ الحزب برمّته قد تغيّر لونه و صار تحريفيّا و أنّه على الثوريين القطع مع هذه التحريفية بعمق إيديولوجي و سياسي و تنظيمي و الإنفصال عنها على أساس شيوعي ثوري حقّا يعيد وضع قطار الثورة على السكّة .

و ها قد إنعقد فى جانفي 2013 المؤتمر الأوّل / السابع الذى أعلن مؤسسوه إنفصالهم عن الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) منذ أكثر من نصف سنة قبل ذلك . حصل إنشقاق و حصلت قطيعة تنظيمية و تشكّل حزب آخر و مع ذلك يظلّ السؤال مطروحا : هل قطع الحزب الجديد مع التحريفية التى خرّبت الثورة الماوية فى النيبال بالعمق و الشمولية اللازمين ؟ هل حدّد مظاهرها و أسبابها العميقة فى الخطّ الإيديولوجي والسياسي ؟ هل أعاد على جدول الأعمال مواصلة حرب الشعب ؟ هل يستهدف تحطيم الدولة القديمة وبناء سلطة حمراء و دولة ديمقراطية جديدة ؟ هل يضع الثورة الزراعية و " الأرض لمن يفلحها " للإنجاز أم يؤجّلها ؟ بإختصار شديد هل يتبنّى و يكرّس تكتيك و إستراتيجيا حرب الشعب الطويلة الأمد طريقا لإفتكاك السلطة و إنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة و بناء دولة الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا ممهدة الطريق للثورة الإشتراكية كتيّار من تيّاري

الثورة البروليتارية العالمية – تيارها الآخر الثورة الإشتراكية فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية أم يتبنّى و يكرّس طريق التحوّل السلمي و الديمقراطية البرجوازية ؟

بعد أكثر من شهر الآن ، نادرة هي الأحزاب الماوية التى صدحت برأيها فى هذا المضمار . و إعتبارا لكوننا لا نودّ أن نقدّم هنا إجابة شافية كافية بقدر ما نرمى إلى دفع الماويين و الماويات خاصّة و الثوريين و الثوريات عامة إلى إعمال الفكر و النقاش الجدّي و العلمي للقضايا المطروحة ، من جهة أولى ندعوهم إلى متابعة آراء مختلف الأحزاب و المنظّمات متابعة عن كثب و إلى دراسة وثائق المؤتمر إيّاه ؛ و من جهة ثانية ، ندعوهم إلى إتخاذ الوثيقة التى نضع بين أيديكم مدخلا من المداخل و إتخاذ كتبى المنشورة على الحوار المتمدّن بشأن صراع الخطين بصدد النيبال و أيضا بصدد الماوية التى تنقسم إلى إثنين كمراجع لوثائق فائقة الأهمية و ذلك قصد إجراء تقييم علمي على أساسه تتخذ المواقف الصحيحة و ترسم السياسات السليمة فى إطار قضيّة من قضايا صراع الخطّين الدائر عالميّا صلب الحركة الماوية راهنا .

مفترق طرق حاسم : رسالة مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي المعاد تنظيمه .

جريدة " الثورة " 24 فيفري 2013

لسنوات عشر (من 1996 إلى 2006) شهدت النيبال حرب شعبية هامة . فى ظلّ قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ، إستطاعت قوى صغيرة أن تتحدى الدولة القديمة التى كان يحكمها حينها النظام الملكي . و كان هدف الحزب المعلن هو إنجاز ثورة الديمقراطية الجديدة كمرحلة أولى من الثورة ستمضى لاحقا إلى الأمام نحو المرحلة الإشتراكية ، مثلما فعل ماو فى الصين . و قد لاقت الثورة إستجابة هائلة فى صفوف ملايين الفلاحين و العمال و الشباب المثقّف فى النيبال . و تشكّل جيش التحرير الشعبي الذى إنتزع غالبية الريف النيبالي من قبضة الحكّام الإقطاعيين التقليديين و الرأسماليين الكمبرادوريين ، و أعلنت مناطق إرتكاز محرّرة فى معظم تراب البلاد. و كذلك إكتسبت الثورة مساندة متزايدة من عناصر الطبقات الوسطى المركزة فى العاصمة و المدن الأخرى من البلاد . و فاقمت قوى الثورة من المأزق الذى تعيشه الطبقات الحاكمة فإستخلص العديد من عناصرها أنّه سيستحيل مواصلة حكم النيبال بنظام ملكي قديم . و فى نفس الوقت قاتل الحكّام اليائسون و قاتلت القوات المسلّحة للدولة القديمة مدعومة من الهند و القوى الإمبريالية الغربية ، ومسنودة أيضا من الحكّام الرأسماليين الجديد فى الصين ، قاتلت بشراسة القوّات الثورية .

و لسوء الحظّ ، فى 2005 ، حدث إنحراف حيوي فى خطّ الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) فى إجتماع شونوانغ . فقد صادق إجتماع اللجنة المركزية للحزب على سياسة التخلّى عن هدف تركيز دوبة جديدة ، جمهورية شعبية بقيادة البروليتاريا و حزبها ، لفائدة القتال من أجل" دولة ديمقراطية ". و عندما تركّز هذا الخطّ ، إنجرّت عنه سلسلة كاملة من الإنحرافات فى الإستراتيجيا و التكتيك و السياسات فعُقدت إتفاقيّات " ديمقراطية متعدّدةالأحزاب " مع أهمّ الأحزاب السياسية الرجعية فى النيبال . و فى نوفمبر 2006 ، تمّ إمضاء إتفاق سلام شامل أنهى رسميّا حرب الشعب ووافق على مخطّط دمج جيش التحرير الشعبي ضمن الجيش الرجعي للدولة القديمة ؛ و تفكيك أجهزة السلطة التى أرسيت فى مناطق

الإرتكاز المحرّرة ؛ و أقرّ بإنتخابات المجلس التأسيسي . و تشكلت حكومة إنتقالية شارك فيها الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ببضعة وزراء .

خلال هذه المرحلة ، أعيد تنظيم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) تحت إسم الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) ، متّحدا مع أحزاب و أشخاص آخرين لم يشاركوا فى حرب الشعب أو عارضوها حتى . و أجريت إنتخابات فى 2008. و كسب الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) أكبر عدد من المقاعد فى المجلس التأسيسي و تشكّلت حكومة كان رئيس الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) براشندا وزيرا أوّلا فيها .

و طوال هذه الفترة من الإنقلاب على الثورة ، خيض مقاش حاد ، بداية على نحو خاص ثم على الملأ، بين الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية و الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) . و بعث الحزب الشيوعي الثوري بسلسلة من الرسائل نقدت بشدّة الخطّ التحريفي الذى تبنّاه الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) و إنعكاساته و ناضل ضدّها [أنظروا " حول التطوّرات فى النيبال و رهانات الحركة الشيوعية : رسائل من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) 2005-2008 (مع ردّ من الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) 2006].[هذه الوثائق متوفّرة بالعربية على الحوار المتمدّن ترجمة شادي الشماوي] .

و بفعل ضغط جيش الدولة القديمة و قادتها ن إستقالت حكومة براشندا سنة 2009 و تشكّلت حكومة جديدة من المعارضين السابقين لحرب الشعب .

و فى نوفمبر 2011 ، عقب أزمة حكومية دامت ، تشكّلت حكومة جديدة ترأسها هذه المرّة كوزير أوّل قائد بارز من الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) ن بابوران باتاراي . و سرعان ما تحرّكت هذه الحكومة بإتجاه إنهاء تحطيم الثورة .[أنظروا " بابوران باتاراي : حفّار قبر الثورة النيبالية المختار " – " الثورة " ، 11 سبتمبر 2011].

و فى الأثناء ، صار عديد أعضاء الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) و مناصريه على نحو متصاعد غير مرتاحين للمسار الذى تتخذه الأمور مع التخلّي عن ثمار الثورة الواحدة تلو الخرى . ومثّلت هذه القوى داخل الحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) معارضة لقيادة رئيس الحزب براشندا . و لاحقا فى 2012 ، غادرت الحزب و أنشأت الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي .

و فى المدّة الأخيرة عقد هذا الحزب الجديد مؤتمره التأسيسي . و بينما جلب إليه أولئك الغاضبين على النتائج المتراكمة لخيانة الثورة ، لسوء الحظّ لم يستطع أن يقطع بصفة حاسمة مع مشاكل الخطّ الأساسية للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و الممارسة الناجمة عنها – الخطّ الذى قاد إلى هذا الوضع الكارثي الذى تعرفه الثورة .

على ضوء ما تقدّم ، دُعي مناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية كان لمدّة طويلة منخرطا فى بناء الدعم للثورة فى النيبال ، إلى أن يبلغ آراءه للمؤتمر الحديث . و فعل . و فيما يلي نسخة منقّحة بصفة طفيفة لما أرسل به إلى ذلك المؤتمر .

تحيّاتي للرفاق ،

أمضي مباشرة إلى جوهر الموضوع . إنّنا فى منعرج حاسم ليس فحسب بالنسبة للثورة النيبالية و إنّما أيضا بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية . قبل بضعة سنوات ، كان ملايين النيباليين يتطلّعون إلى الماويين على أنّهم أملهم فى القضاء على الإضطهاد . و الآن أضحى القادة السابقون الوجه القبيح لمضطهديهم و مستغلّيهم . و تحوّل الكثيرون فى صفوف الحركة الأممية الثورية إلى مدّاحي التحريفية . ماذا حصل – ما المشكل – و ما هو الحلّ ؟

كمناصر للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، أرغب فى أن أقدّم الدعم لكلّ من يريد أن يعيد وضع الثورة على السكّة الصحيحة . لكن إنقاذ الثورة يتطلّب قبل كلّ شيء آخر قطيعة جذرية مع الخطّ الذى قاد إلى هذه الكارثة – وهي قطيعة لم تتمّ بعدُ.

لقد سمعت الكثير من الحديث عن كيف أنّ المشكل هو انّ براشندا و باتاراي قد خانا الثورة و باعا نفسيهما إلى الهند . فلنستمع إلى ما قاله إنجلز ، أقرب رفاق ماركس عن خيانة القادة : " ... حينما نبحث عن أسباب نجاح الثورة المضادة تعترضنا فى كلّ ركن إجابة جاهزة بأنّ " المواطن فلان و علاّن " قد خانا الناس . لكن هذه الإجابة لا تشرح كلّ شيء . إنّها لا تشرح حتى كيف حدث أنّ الناس **سمحوا** لأنفسهم بأن يخدعوا . و كم يكون الحزب السياسي مفتقرا للتصديق إذا كان زاده الوحيد يتمثّل فى معرفة الشيء الوحيد أي " المواطن فلان و علاّن " .

فكروا فى ما يطالب به إنجلز : لماذا **سمح** الناس لأنفسهم بأن يخدعوا ؟ و هذا يعود بنا إلى تلخيص ماو المركّز و مفاده صحّة الخطّ أو عدم صحّته هي المحدّدة . إنّ الخطّ الخاطئ سيغيّر حتى أفضل المقاتلين و بإمكان الخطّ الصحيح أن يعيد صهر حتى الذين أضاعوا البوصلة .

لا أرى تاريخ الحزب على أنّه جهد مستمرّ لبلوغ خطّ أصحّ . فبينما هناك دائما صراع خطين صلب الحزب ، فإنّ المنعرج كان عندما ظهر خطّ تحريفي قبل سبع سنوات من الآن و صار مهيمنا و الجميع تقريبا مضوا فى ركابه و ركاب نقاطه الأساسية . و لنضرب مثال إنتخابات المجلس التأسيسي فى 2008. كان العديد من الرفاق فى النيبال منشغلون بخطر الإصلاحية. لكن مع ذلك هلّل الحزب برمّته و غالبية الحركة الأممية الثورية للإنتصار على أنّه " معجزة إنتخابية " . لماذا يعدّ معجزة ؟ تلك كانت طريقة لتقولوا لأنفسكم نعم نعلم جميعا أنّ التقدّم بالثورة عبر برلمان برجوازي يتحدّى قوانين المجتمع الطبقي ، نعم نعلم أنّه يذهب ضد أبجديّات الماركسية ، لذا ما حدث يشبه تدخّلا إلاهيّا . لا لم يكن كذلك . كان خدعة حبك خيوطها الإمبرياليون و الرجعيون الحقيقيون و مثّل خطوة عملاقة بإتجاه المستنقع البرلماني . مهما كانت نوايا براشندا ، لماذا سمح الحزب لنفسه بأن يسقط فى هذه الخدعة الديمقراطية البرجوازية ؟

لأنّ الحزب كان واقعا بين براثن التفكير التحريفي . بعدما بات الخطّ التحريفي مهيمنا فى أكتوبر 2005 فى تشنغوان ، أمسى كلّ شيء منحدرا من هناك ، و كافة التكتيكات كانت تخدم هذا الخطّ التحريفي . دون القطيعة مع هذا الخطّ ، سيظلّ فى صفوفكم فكر براشندا دون شخص براشندا .

مرارا و تكرارا سمعت رفاقا يقولون إنّ المشكل يكمن فى أنّ براشندا كان يقول شيئا و يفعل شيئا آخر . و هذه الرؤية مجرّد تعبير آخر عن رفض مواجهة أنّ المشكل كان يكمن فى الخطّ الجماعي للحزب . المشكل الأساسي مع براشندا ليس أنّه لم ينجز ما قاله **وإنّما هو أنّه مارس فى إنسجام مع الخطّ**

التحريفي . جوهريّا ، قام **على وجه التحديد** بما قال إنّه سيقوم به . لقد كرّس براشندا على وجه الضبط الخطّ التحريفي الذى تبنّاه الحزب و هيمن عليه طوال السبع سنوات الأخيرة .

حين لا تعرف المشكل ، لن تجد الحلّ . ما المشكل إذن ؟ كان الخطّ التحريفي خاطئا بشأن مواضيع مفاتيح بما فى ذلك مواضيع الدولة و القومية و المنهج الشيوعي . فقد تنكّر الخطّ التحريفي للفهم الماركسي للدولة حيث كان يتحدّث عن " الجمهورية الإنتقالية غير الطبقية " ،و شجّع على جميع أنواع الأوهام حول الإنتخابات المتعدّدة الأحزاب و الديمقراطية البرجوازية . و قد أنكر الخطّ التحريفي أنّ فى المجتمع الطبقي تنشأ كلّ طبقة حاكمة شكلا مختلفا من الديمقراطية لخدمة مصالحها و حكمها الطبقي ؛ و ليس بوسع الديمقراطية البرلمانية المفروضة على النيبال إلاّ أن تعزّز حكم الطبقات الرجعية و تقود إلى تفكيك مناطق الإرتكاز و جيش التحرير الشعبي .

و قد تميّز هذا الخطّ التحريفي بالنزعة القومية . لتتذكّروا شعار الإنتخابات القائل بتحويل النيبال إلى سويسرا جنوب آسيا . و مثلما نعلم جميعا ، ليست سويسرا بالضبط قاعدة للثورة العالمية . إنّها دولة رجعية مرتبطة بالقوى الإمبريالية الأعتى وهي تخدم مصالح هذه القوى . هذا هو النموذج الذى عناه براشندا حين قال يجب أن تكون النيبال قطب رحى حيوي بين الهند و الصين . و لم يعارضه أحد . وقد جرى كلّ هذا بمنهجية تميّزت بالإنتقائية سمّيت المزج و بالبراغماتية و الواقعية السياسية و مصطلحات أخرى ، مضحّية بالمبدأ أملا فى مكاسب على المدى القصير .

لقد تخلّى الحزب عن هدف إرساء دولة بروليتارية قويّة يقودها الحزب الطليعي خدمة للثورة العالمية . و قد عوّض النظرة الشيوعية بمفاهيم تحريفية لإعادة هيكلة الدولة ما يعنى أنّه مهما كانت التكتيكات التى يتوخّاها لن ينتهي به الأمر إلاّ إلى إصلاح الدولة الرجعية القائمة . ولنتذكّر ماي ، قبل سنتين و نصف السنة من الآن . زحف مئات الآلاف على كتمندو مستعدّين للتضحية بحياتهم من أجل الإنتفاضة بيد أنّه بالنظرة الخاطئة للدولة القائمة حتى و لو نجح ذلك التكتيك ، فلن تكون نتيجته تفكيك سلطة الدولة القديمة و تطيم الجيش الرجعي . قامت الإستراتيجيا كلّها على كسب شريحة عريضة من الجهاز الرسمي الرجعي لمساندة ما يسمى ب " الإنتفاضة " . فى حال نجاحكم كانت النتيجة ستكون أقرب إلى مثال هوغو تشافاز فى فنزويلا منها إلى مثال ماو فى الصين . سواء بلغتم هذه الحصيلة الإصلاحية عبر وسائل سلمية أو عبر وسائل عنيفة لن يغيّر ذلك من جوهر الأمر.

و بخطّ تحريفي متمكّن من قيادة تفكير الرفاق ، كان براشندا و باتاراي موافقين على السماح للقوى المعارضة بأن تستنهض الجماهير كنوع من مجموعة ضغط . ليست هذه صورة للصراع من أجل خطّ ثوري لتحقيق تقدّم مستمرّ . عوض ذلك ، عملت المعارضة فى السنوات الأخيرة كصمّام نجاة حيث ينفّس الغاضبون فى الحزب عن ما آلت إليه الأمور عن غضبهم . لم يقع أي نبذ حقيقي للخطّ التحريفي . و بهذه الطريقة ، فُقدت قوّة التمرّد الثوري و جرى إصباغ الشرعية على الدولة الرجعية جرّاء سبع سنوات من مشاركة الماويين فى السياسة الإنتخابية .

فى السنوات الأخيرة ، المرّة تلو المرّة ، سمعت الشرح التالي لرفض إنجاز القطيعة الحيوية مع التحريفية : أتفهمون ، ليس بإمكان الثورة أن تنجح دون براشندا ، علينا أن نبقي الصراع داخل الحزب لأجل كسبه . بكلمات أخرى ، صحّة الخطّ أو عدم صحّته أقلّ أهمّية من خسارة براشندا .

إنّ الأوهام البراغماتية و الديمقراطية التى سيطرت لسبع سنوات يجب بخثها بعمق و القطع معها – و ينتظركم الكثير من العمل فى هذا المضمار . هل تظنّون أنّ المهمّة إنتهت ؟ لا ، هي فى بدايتها لا غير. يتفق الجميع على أنّ تعاون براشندا و باتاراي المخزي مع الهند يفوح براغماتية و واقعية سياسية، وهما بذلك يخونان المبادئ فى سبيل التموقع البرجوازي . لكن إلى أي مدى تختلف مقاربة الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي للصين عن مقاربتهما ؟ لقد جعل التحريفيون الصينيون من الصين مصانع فيها ظروف العمل سيّئة للغاية فى خدمة الإمبرياليين . إنّ الصين الراهنة مجتمع من أهمّ المجتمعات المتيّزة باللامساواة على وجه الأرض . نعم هناك حاجة للدبلوماسية و إستعمال التناقضات فى صفوف العدوّ و أتفهّم هذه الحاجة . بيد أنّ هذا مغاير لتركيز **الإستراتيجيا على مناورات الواقعية السياسية** . لقد قيل لى " إنّنا واضحون بشأن طبيعة الصين " . إذن بيّنوا لى مقالا واحدا فى صحافتكم يفضح فظائع الرأسمالية فى الصين . فكّروا فى الإضطراب الذى ينجرّ عن ذلك لدى شعوب العالم . يريد الملايين رؤية تغيير حقيقي لكن بإمكانهم أيضا رؤية ما فعلته الصين للجماهير هناك و فى أفريقيا و غيرها من الأماكن – كلّ هذا بإسم الشيوعية . إنّ إستغلال التناقضات فى صفوف الرجعيين لا يجب التعامل معه وفق مغيار القومية ، بل وفق معيار الأممية البروليتارية .

الآن يقع الحديث عن توحيد " الجميع " ضد الهند ، حتى القوى السياسية المناهضة للشعب بعناد و الأعداء اللدودين الثابتين للثورة مثل البرجوازية الصينية . أليس هذا حقّا مجرّد مرحلة فرعية مثل المرحلة الفرعية لإتفاق السلام الشامل لتوحيد " الجميع " بما فى ذلك الهند ضد النظام الملكي ؟ (بالطبع من الصحيح و الضروري توحيد الناس ضد النظام الملكي إلاّ أنّ ذلك يجب أن يكون كجزء من الثورة الديمقراطية الجديدة و ليس خلقا لمرحلة فرعية خاصة مثلما تمّت المحاججة و الممارسة). هل ما يُقترح الآن أفضل حقيقة ؟ ماذا عن التغييرات الجوهرية و الإصطفاف الطبقي للثورة الديمقراطية الجديدة ؟ ماذا عن العمّال و الفلاحين و المثقفين الثوريين ؟ المشكل **ليس** أنّ عديد القوميين و الديمقراطيين البرجوازيين قد إلتحقوا بالثورة : مشاركتهم فى الثورة ضرورية لا سيما فى مرحلتها الديمقراطية الجديدة . لكن من اللازم أن تقودهم نظرة أممية بروليتارية .

هناك حاجة لقطيعة راديكالية مع القومية التى هيمنت لسبع سنوات . إنّ وعد براشندا القومي أثناء الإنتخابات بتحويل النيبال إلى سويسرا ينتهي إلى ذات الإستسلام القديم للهند .و أليست هذه القومية كذلك سبب تجنّب العديد من الرفاق جدال الحزب الشيوعي الثوري ضد الخطّ التحريفي الذى أطلقه قبل سبع سنوات . مرّة أخرى ، جزئيّا لأنّ الرفاق فكّروا فى أنّ من كتب الجدال أهمّ من الخطّ الذى يدعو إليه .

ما يجرى فى النيبال جزء من سيرورة عالمية أوسع . إنّ الماركسية – اللينينية – الماوية تنقسم إلى إثنين و العلم يتقدّم نحو مرحلة جديدة .هناك البعض فى الحركة الشوعية العالمية قالوا إنّهم أصدقاءكم و مع ذلك يهاجمون بخبث الحزب الشيوعي الثوري و الخلاصة الجديدة للشيوعية لرئيس هذا الحزب بوب آفاكيان . و أعتقد أنّهم بالفعل أصدقاء لشيء هنا : لقد رحبوا بإمضائكم إتفاق السلام الشامل ،و رحّبوا بمشاركتكم فى إنتخابات المجلس التأسيسي و هم اليوم أيضا يفعلون الشيء نفسه. قولوا لنا إن كانوا أصدقاء للثورة ؟

فى المدّة الأخيرة قرأتُ بيانا أصدره أحد هؤلاء الأصدقاء المزيفين لم يعبّر فيه أبدا عن توبته بشأن ترحيبه بالخطّ الخاطئ طوال الوقت و خلال السنوات السبع الماضية . و هذا المدّعى صديقا للنيبال أدان الحزب الشيوعي الثوري على أنّه " دغمائي " لمعارضته خطّ الماويين النيباليين فى الالسبع سنوات

الماضية ، و حاجج بأنّ خطأ خطّ الحزب النيبالي لوحده لا يعنى أنّ الثورة ستنتهى إلى الفشل . و هذا يشبه القول بأنّك تذهب إلى مطار تريبوفان و الطائرة مسجّلة على أنّها قاصدة دلهي وهي طائرة صغيرة معدّة للمسافات القصيرة و وقودها يكفيها لدلهي فحسب ،و مخطّط الطيران مرسوم بإتجاه دلهي – ثمّ حين تنزل من الطائرة ترفع يديك مستغربا ، يا إلاهي إنّنا فى دلهي ! رجاء قولوا لنا ، أين على كوكبنا قاد خطّ تحريفي إلى ثورة !

و الآن هؤلاء معيدي تنظيم الحركة الشيوعية العالمية يريدون أن يُمضي حزبكم على منظّمة جديدة يصرّحون بأنّها ستقوم على " حرب الشعب كأساس إستراتيجي " . لذا هذه الحركة الشيوعية العالمية تعلن صراحة أنّها لن تعتمد خطّا سياسيّا و خطّا إيديولوجيّا صحيحين بل ستعتمد على المكاسب **العملية** .
و القيام بهذا سيكرّر بالضبط الوقوع فى أحد أهمّ المشاكل التى قادت الثورة إلى الكارثة هنا فى المصاف الأوّل – **فصل الهدف عن إستراتيجيا كيفية بلوغه** . فكّروا فى ما جدّ سنة 2005 . بينما كان باتاراي يقاتل بضراوة حول المسائل الكبرى مثل سلطة الدولة و كان يراجع حقائق دكتاتورية البروليتاريا و تجربة روسيا و الصين و يعوّضها بديمقراطية برجوازية متعدّدة الأحزاب ، إكتفى العديد و العديد من الرفاق بتجاهل ذلك و ركّزوا فقط على النضال العملي . لقد فقد الرفاق رؤية الهدف الأساسي الأوّلي لخوض حرب الشعب ألا وهو تفكيك الدولة القديمة و تركيز سلطة ثورية جديدة كجزء من التقدّم بالثورة العالمية . طوال الثلاثين سنة الماضية هاجمت الإمبريالية العالمية هجوما عنيفا على التجربة الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين قائلة كلّ ما قوامه أنّ الثورة الشيوعية تقود إلى كارثة . ما هي إجابتكم على ذلك ؟ كيف ستنظّمون إقتصاد نيبال إشتراكي ؟ كيف سترتبط الدولة الثورية الديدة بالثورة فى جنوب آسيا و بقيّة العالم – هل ترغبون فى " علاقات جيدة " مع الهند أم تريجون مساعدة المضطهَدين هناك على الإطاحة بتلك السلطة الرجعية التوسّعية ؟

إنّ الثورة الديمقراطية الجديدة تعنى مزج الثورة الإجتماعية و الثورة الوطنية و من غير الممكن حدوث واحدة دون الأخرى . و ليس هذا جوهريّا مسألة حكومة مسؤوليها " أشخاص جيدون ". إنّها سلطة دولة مختلفة ، تحالف طبقي مختلف . إنّها تعنى تفكيك علاقات الإنتاج القديمة و إنشاء علاقات إنتاج جديدة .
إنها تعنى ثورة زراعية و إجتثاث تمييز الكاست و إستنهاض الجماهير لتغيير العالم ، لا السعي إلى الحصول على وضع أفضل فى عالم رجعي . و كلّ ما تقومون به ، بما فى ذلك كيفية خوضكم حربا ثورية ، يجب ربطه برؤية واضحة لأين نمضى .

كيف يمكن لأي شخص جدّي بشأن إنقاذ الثورة النيبالية من الكارثة التى تواجهها أن لا يرغب فى دراسة فكر الحزب الذى كان المبادر الأوّل فى إطلاق صافرة الإنذار بقوّة حول الخطّ التحريفي قبل سنوات سبع ؟ كيف يمكن أن لا ترغبوا فى مزيد المعرفة بصدد الفهم الذى تجرّأ على السير مباشرة ضد تيار العفوية الذى يدفع الحزب و جزء كبير من الحركة الأممية الثورية إلى مستنقع التحريفية ؟ ألحّ عليكم أن تدرسوا الخلاصة الجديدة للرفيق آفاكيان إذ لديه الكثير يقوله حول هذه المشاكل المتصلة بالبراغماتية و الواقعية السياسية و القومية و الإنتقائية التى خرّبت ثورتكم الخاصّة و الحركة الشيوعية العالمية برمّتها . إنّه يعالج هذه المشاكل و يوفّر إجابات أساسية دفاعا عن تجربة الثورة البروليتارية و كيف يمكننا نحن الشيوعيين أن ننجز ما أفضل مستقبلا .

ختاما : قبل عشرين سنة لمّا واجه الثوريون تراجعا حدث فى البيرو ، تقدّم الثوريون النيباليون للقفز فى الفجوة . و اليوم وضع الحركة الشيوعية على الصعيد العالمي أحرج و يتطلّب جرأة أكبر بكثير للتقدّم

و المشاركة فى إنقاذ المشروع الشيوعي و قيادته إلى الأمام نحو قمم أعلى . غير أنّ هذا لن ينجز دون قطيعة تامة مع الخطّ التحريفي الذى هيمن على الحركة فى النيبال لسنوات الآن . و مثلما قال ماو ، صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي – السياسي هي بالفعل المحدّدة .

==

3

==

الشيوعية أم القومية ؟

كلمة الناشرين بمناسبة نشر المقال

صدرت على الأنترنت فى 2 سبتمبر 2014 على موقع :

http://demarcations-journal.org/

فى جويلية 2013 ، نشر آجيث ، الأمين العام لما كان يسمّى حينها الحزب الشيوعي الهندي(الماركسي – اللينيني) نكسلباري (1) وهو حزب ماوي هندي ، جدالا عنونه " **ضد الأفاكيانية** " و قد صدر بمجلّة ذلك الحزب النظريّة ، **نكسلباري** (2) . و يحيل مصطلح " الأفاكيانية " على الحلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان و قد حمّل آجيث دلالة سلبيّة . و كان جداله محاولة لدحض و نبذ شاملين للتقدّم فى علم الشيوعيّة الذى تمثّله الخلاصةالجديدة . و إدّعى آجيث أنّه يخوض هذا الجدال من موقع ظاهريّا ماوي حسب كلماته (وهو يعتبره فى هذا الجدال و فى مجلّة **نكسلباري** ماركسية – لينينية – ماوية) .

و يزعم آجيث أنّ الخلاصة الجديدة للشيوعية لأفاكيان " تصفويّة و تحريفية " و ينادى بنبذها " كخطوة ملحّة و ضروريّة يجب إتخاذها فورا حتى حينما يحتفظ المرء بمسؤوليّة تفحّصها تفحّصا شاملا و دحضها " كما ورد ذلك فى مقدّمة **نكسلباري** لجدال آجيث . و بكلمات أخرى ، أنبذوا أوّلا و تفحّصوا لاحقا صورة خاصّة ، تسترسل تلك المقدّمة ذاتها وهو" يعلن أنّه يجب تعويض الماركسية – اللينينية – الماوية بالأفكايانية " (3) .

إنّ مجلّة " **تمايزات** " ، إنسجاما مع مهمّتها المعلنة – " الإنخراط فى جدال الخلاصة الجديدة مع المفاهيم و المقاربات الأخرى ل " **مشكل** " إضطهاد الإنسانية و إستغلالها فى العالم... و **حلّه** ، و ل " ما العمل " للقيام بالثورة و تحرير الإنسانية " - قد حثّت على خوض هذا الجدال و تحصّلت على عدد من مشاريع الردّ على مقال آجيث .

و نحن متحمّسون للغاية لإعلان نشر مساهمة من **المنظّمة الشيوعية الثورية** ، **المكسيك** و عنوانها " **شيوعية أم قومية ؟** " و هذا الجدال يتفحّص القوميّة المبثوثة فى هجمات آجيث على أحد المكوّنات الحيوية للخلاصة الجديدة للشيوعية : **الأممية** . لم يرفع أفاكيان راية الفهم البروليتاري للأممية فحسب بل

عمّقه أيضا . و بوجه أخصّ ، قد صوّر بعمق العلاقة بين المجال العالمي و الثورة فى كلّ بلد على حده ، و مهام الشيوعيين فى كلّ من البلدان الإمبريالية و الأمم المضطهَدة .

و فى حين أرسى لينين أسس الأممية فى عصر الإمبريالية ، فإنّ التجربة التاريخية للثورات الشيوعية مذّاك قد تميّزت ، ثانويّا و لكن بشكل له دلالته ، بإنحرافات عن هذه المقاربة . و تمثّل الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان تقدّما حقيقيّا فى فهم الأمميّة منذ زمن لينين . و فى جدال **المنظّمة الشيوعية الثورية ، المكسيك** يتمّ شرح ذلك و تطبيقه و تقديمه بشكل حيوي .

مهمّة هي الجدالات لأنّ الأفكار مهمّة . بهذا الصدد ، موقف أعرب عنه تشانغ تشن تشياو ، أحد القادة الثوريين للثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى فى الصين و أحد ما سُمّي ب " مجموعة الأربعة " مفيد إلى درجة عالية : " النظرية هي العامل الديناميكي فى الإيديولوجيا " فى تغيير كيف يقارب الناس العالم و كيف يفهمونه و كيف ينظرون إليه . يتعلّم الناس النظريّة ليس فقط بالدراسة المباشرة لعلم الشيوعية و إنّما أيضا بالملاحظة و الإنخراط فى الصراع بين الخطوط المختلفة و الأفكار التى تمّ الإشتغال عليها. و عبر هذا الصراع الشرس يعمّق الناس فهمهم و يستوعبون النظريّة و يعزّزون قدرتهم على المقارنة بين الخطوط المتعارضة و يتعلّمون بشكل أفضل كيفيّة **التمييز بين ما هوصحيح و ما هو خاطئ ... بين ما سيؤدّى إلى التحرير و ما لا يؤدّى إليه .**

و فى حين أنّ هذا الجدال نشأ داخل الحركة الشيوعية العالمية – لا سيما داخل الحركة الماويّة كما تطوّرت منذ زمن الثورة الثقافيّة فى أواسط ستينات القرن الماضي و إنتشرت عبر اعالم – فإنّ للقضايا المناقشة إنعكاسات واسعة النطاق و ملحّة .

يشهد العالم غليانا ، " فترة إنتقاليّة تحمل فى جنباتها إمكانية نهوض كبير " (4). و فى زمن وجود الكوكب فى خطر و إشتداد الفظائع بالنسبة للبلايين من البشر ؛ فى زمن يتّسم بإنتفاضات من فترة إلى أخرى و بتمرّدات دائمة ، قضيّة اللحظة تطرح موضوعيّا : هل هناك **حلّ للخروج من كلّ هذا الجنون ؟**

مع التطبيل ل " موت الشيوعية " و هيمنة عولمة الديمقراطية البرجوازية من النمط الغربي و عولمة الأصوليّة الدينية ، يعتقد القليل جدّا من الناس أنّ **عالما مختلفا راديكاليّا ممكن و مرغوب فيه و فعّال .** لكن **هناك** بديل حقيق للرأسمالية – الإمبريالية . كيف يبدو هذا البديل و كيف نبلغ تحقيقه ؟ فى إطار مادي و بنظرة ثاقبة و ملموسة ،هذا ما تعالجع الخلاصة الجديدة للشيوعية لأفاكيان و ما تجيب عليه . و هذا تحديدا ما يهاجمه آجيث . إنّهذا النقاش نقاش ملحّ ، يشمل مقاربتين متباينتين راديكاليّا لمعرفة العالم و تغييره .

فى الوقت الذى تنهض فيه الشعوب و تقاتل أو تتمرّد عن حق ضد الحكم الإضطهادي ، المسألة الحيويّة فى النهاية هي : ما الذى يرشد هذا ، ما هو الأفق الذى تناضل من أجله الشعوب ، و إلى أين يؤدّى ؟ و بالفعل ، بالنسبة لغالبيّة الحركة الشيوعية ، غالبيّة الوقت ، مسائل الشيوعية هذه و الإنتقال الإشتراكي قد تبدو متناقضة و عادة " بعيدة عن النظر و خارج الذهن " – بينما نشطاء الحركة بمن فيهم الثوريين **بأطيب النوايا و أعظم التضحيات** ، منشغلين فى القيام بشيء آخر .

و هذا " الشيء الآخر غالبا ما يكون قليل الصلة ؛ حتى فى التفكير الخاص للناس و فهمهم ، كي لا نتحدّث عنالتأثير الفعلي ، بالمجهود العام لإيجاد نظام إجتماعي مغاير تماما . فقط " إستمرّوا فى الإستمرار " كما تقول كلمات أغنية .

و من خلال هذه السيرورة من الجدال و المقارنة ل " المشكل / الحلّ " ، نحن فى " **تمايزات** " نهدف إلى أن نجذب جمهورا أوسع – **كلّ الذين يبحثون عن عالم أفضل** – إلى فهم أعمق و التفاعل مع الشيوعية كعلم نقدي و ثوري و حيوي و تعبيرته الأكثر تقدّما هي الخلاصة الجديدة للشيوعية .

و مسألة حاسمة بالنسبة لتحرري الإنسانيّة هي **منهج و مقاربة** الواقع و تغييره . ما سيصبح واضحا من خلال هذه الجدالات – و نبحث عن رسم خيط ناظم بينها – هو أنّ هناك مقاربتين و حزمتين مختلفتين راديكاليّا و فى نزاع هنا : الشيوعية التحريريّة للخلاصة الجديدة لأفاكيان مقابل ما يمثّله آجيث .

" مثلما عبّر عن ذلك بوب أفاكيان ، الشيوعية فلسفة و نظرية سياسية كاملتين و فى نفس الوقت هي حيّة ، نقدية و علم مستمرّ التطوّر. ليست إضافة كمّية لأفكار أفراد لعبوا دورا قياديا فى تطويرها (و لا يعنى أن كلّ فكرة و سياسة و تكتيك معيّنين إتبعوهما كانا خاليان من الخطإ). الإيديولوجيا الشيوعية خلاصة لتطوّر و بالخصوص للإختراقات النوعية التى أنجزتها النظرية الشيوعية منذ تأسيسها على أيدى ماركس إلى يومنا هذا. " (5)

(مقتطف من " **الشيوعية كعلم** " ملحق **للقانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية**) .

يهدف المنهج و تهدف المقاربة العلميين إلى فهم ، بأعمق مستوى ممكن ، **لماذا** الأشياء كما هي و **كيف** تتطوّر ، و إلى البحث عن الأسباب فى العالم المادي و بالأدلّة و تطبيق ذلك على الواقع و تغييره . و يتطلّب تغيير العالم تغييرا راديكاليّا خدمة للمصالح الجوهريّة للغالبيّة العظمى من الإنسانية أي البلايين الذين يعيشون حياة بؤس و يأس ، يتطلّب نظريّة ثوريّة مؤسسة على منهج و مقاربة علميين و فى علاقة جدليّة مستمرّة بين النظرية – الممارسة – النظرية .

و فى تعارض مع هذه المقاربة العلميّة الشاملة و الحيويّة للشيوعية ، وُجدت على الدوام نزعة نحو الدغمائيّة و النزعة الدينيّة فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية ، نزعة تقليص الشيوعية ذاتها – بما فى ذلك إختراقات ماركس و لينين و ماو – إلى " جملة من الوصفات " أو حتّى الكتابات المقدّسة . و تشمل هذه النزعة الدينيّة تقريبا مقاربة غائيّة للتاريخ (بالتشديد على كلمة التاريخ عندا على أنّه يمضى إلى هدف محدّد سلفا) و" إعتقاد " فى " حتمية " الشيوعية ، بدلا عن مقاربة علميّة مادية تاريخية صريحة .

و مناقضا بعمق لروح الشيوعية و فحواها ، الشيوعية التى تمثّل قطيعة راديكالية مع كافة وجهات النظر الدينيّة ، تترافق هذه الحزمة كما كثّفها آجيث ، بالضرورة مع براغماتية فى الممارسة منسجمة مع " ما يعمل " و تستهدف " النتائج الفوريّة " و بدلا من المواجهة العلميّة للتحدّيات الكبرى أمام الثورة الشيوعية فى هذا الظرف التاريخي ، لدينا تراجع نحو دغمائيّة هشّة فى النهاية ونزعة دينيّة و براغماتيّة .

الرهانات محفورة بشدّة و بيّنة جدّا : ما هو نوع الحركة الشيوعية العالمية الذى سيوجد ، **نوع متجذّر فى العلم و ينطلق من العالم كما هو أم نوع ينطلق من "روايات " يجعلها تتمتشى بالقوّة مع الواقع فى إطار نظام يعيد تأكيد الإعتقاد** ؟ لمزيد إستيعاب و تصوّر هذا ، لنعد خطوة إلى الوراء ، إلى اللحظة التاريخية التى تشكّل إطار هذا النقاش .

اللحظة التاريخية – نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية :

أفضل فهم للحظة التاريخية الراهنة هو فهم " نهاية مرحلة و بداية مرحلة جديدة من الثورة الشيوعية ".

لقد أنجز ماركس بمعيّة إنجلز إختراقا فى المقاربة العلميّة و فهم المجتمع – و بهذا أبرزا إمكانية تغيير عالم إضطهاد و إستغلال إلى عالم مغاير راديكاليّا يتجاوز " الكلّ الأربعة " – **كلّ** الإختلافات الطبقيّة و **كلّ** علاقات الإنتاج الإستغلالية الكامنة و **كلّ** العلاقات الإجتماعية الإضطهادية و **كلّ** الأفكار التقليدية التى تتناسب مع كلّ ذلك .

و قد ظهر هذا الإنتقال إلى عالم شيوعي إلى الواقع فى مناسبتين كبيرتين و على نطاق واسع فى الموجة الأولى من الثورات و المجتمعات الإشتراكية : أوّلا ، فى ثورة أكتوبر فى روسيا سنة 1917 ثمّ تعمّق أكثر و أنجز قفزة أخرى فى الثورة الصينية لسنة 1949 ، و خاصّة فى الثورة الثقافيّة بين 1966 و 1976 . و الموجة الأولى التى بدأت مع كمونة باريس سنة 1871 التى لم تعمّر طويلا بلغت نهايتها مع الإطاحة بالإشتراكية فى الصين و إعادة تركيز حكم الرأسماليّة بعد حوالي 20 سنة من الإطاحة بحكم البروليتاريا فى الإتحاد السوفياتي فى خمسينات القرن الماضي ، عقب وفاة ستالين .

ومثّلت هذه الموجة الأولى من المجتمعات الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي(1917 – 1956) والصين (1949 – 1976) إختراقا غير مسبوق و ملهم فى تحرير الإنسانيّة . و فى نفس الوقت ، و ليس أمرا مفاجئا ، تميّزت الموجة الأولى ثانويّا بنقائص و أخطاء .

ما الذى أدّى إلى هذه الهزائم و إعادة تركيز الرأسمالية فى كلّ من الإتحاد السوفياتي و الصين ؟ كيف نقارب علميّا و نلخّص دروس هذه الثورات وإرثها ؟ ماذا نفعل بالتجربة الثريّة لممارسة سلطة الدولة بإتجاه الإنتقال إلى الشيوعية ؟ ألا تزال الشيوعية و سلطة الدولة البروليتارية ضروريّة و ممكنة و فعّالة ومرغوب فيها ؟ ما هو الإطار النظري للتقدّم إلى الأمام ؟

مقاربة " نهاية مرحلة " و مقاربة هذه المسائل (المطروحة موضوعيّا ، التى يطرحها واقع أنّ الموجة الأولى بلغت نهايتها) قد أحدثت إنشقاقا فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية .

وعلى خلاف آجيث الذى لا يولى هذه المسائل العناية الجدّية ، و بالكاد يشير إليها إن أشار ، هذه المسائل التاريخية - العالمية - إلى جانب تجربة تشكيل و قيادة سيرورة القيام بالثورة فى الولايات المتحدة – هي التى تقف وراء أعمال بوب أفاكيان وهي التى مدّت بشريان الحياة فى العقود الثلاثة الماضية ما صار خلاصة جديدة للشيوعية . و هذه الخلاصة لا تمثّل خلاصة للنظريّة و التجربة الشيوعية منذ تأسيس الشيوعية إلى يومنا هذا فقط بل إنّ الخلاصة الجديدة للشيوعية لأفاكيان تنطوى على فهم قائم على التطوّرات و الإختراقات فى مجالات متنوّعة فكريّة و علميّة و فنّية أوسع ، و كذلك على مقاربة علميّة للتغيّرات الكبرى التى شهدها العالم .

و ليست هذه الخلاصة الجديدة إلصاقا- تجميعا ل " أفضل ما فى التجارب السابقة " و نقد لجوانبها الخاطئة , بالأحرى كما يضع ذلك " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** " ، الخلاصة الجديدة : " بناء على كل ما حدث قبلا ، نظريا وعمليا ، وإستخلاص الدروس الإيجابية و السلبية من ذلك ورفع هذا إلى مستوى خلاصة جديدة و أرقى. " (6) .

و فى ما يتعلّق **بالفلسفة و المنهج** ، تركّز الخلاصة الجديدة للشيوعية على أسس علميّة أشمل و أرسخ . و تعمّق الفهم الأساسي المادي **للأممية** و لماذا ، بالمعنى النهائي و الشامل ، المجال العالمي هو الأكثر حيويّة ، حتى بالنسبة للثورة فى بلد خاص . و بشأن طابع **دكتاتورية البروليتاريا** ، تقدّم أفاكيان بنموذج

إشتراكية أعاد صياغتها كمجتمع حيوي و ديناميكي – متميّز بصراع و معارضة و تجريب و مبادرة كبيرين – يمثّل أيضا إنتقالا ثوريّا نحو الشيوعية . و تشمل الخلاصة الجديدة كذلك إختراقا فى **المقاربة الإستراتيجية للثورة فى عالم اليوم** ، لا سيما توجّه للقيام بالثورة فى البلدان الإمبريالية مثل الولايات المتحدة .

و مثلما يشير بيان " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة** " تقف الخلاصةالجديدة لبوب أفاكيان موضوعيّا فى معارضة لما يبدو أنّه توجّهات " متناقضة تناقض إنعكاس المرآة " فى صفوف الذين يعتبرون أنفسهم أو فى زمن ما إعتبروا أنفسهم شيوعيين ، مفاهيم ظهرت كإجابة على هزيمة المرحلة الأولى .

و يتمسّك المفهوم الجديد بلا نقد و بطريقة دغمائيّة و دينيّة بالتجربة و النظريّة الإشتراكيتين السابقتين – و هكذا يضع نفسه ضد المقاربة العلمية للتلخيص التاريخي للماضي ولمزيد التقدّم فى النظريّة الشيوعية.
و هذا الموقف الدغمائي المترافق عادة مع قوميّة فجّة يتعارض مع الشيوعية ، وهو هشّ و عادة ما ينزلق أكثر فأكثر إلى الديمقراطية البرجوازية المفضوحة .

ويسقط المفهوم الثاني فى الحكم البرجوازي بأنّ المجتمعات الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و الصين فى القرن العشرين كانت جوهريّا متصدّعة و إضطهادية – تميّزت ب" الشمولية " و " البيروقراطية " و " دكتاتورية حزب " لاديمقراطي . و يتداخل مع هذا التبنّى بالجملة للبراغماتيّة و التجريبيّة و تقديس الديمقراطية البرجوازية ، سواء صراحة أو فى شكل تفكير " جديد " (كما هو الحال بالنسبة لآجيث و معانقته للعناصر المفاتيح ل " ما بعد المعاصرة ") .

بداية من سيعينات القرن الماضي ، إنحسرت عبر العالم النضالات الثورية و نضالات التحرّر الوطني ما مدّ هذه التيّارين إيّاهما بأسباب قوّة... و زد على ذلك الهجوم الإيديولوجي البرجوازي – الإمبريالي الذى لا هوادةفيه على التجربة الشيوعية .

و كما سنرى فى الجدالات التى ننشر ، أو سننشر قريبا ، " حزمة " آجيث مزيج إنتقائي (7) بائس من الشيوعية لتوجهات " متناقضة تناقض إنعكاس المرآة " (الدغمائيّة من جهة و الديمقراطية البرجوازية من الجهة الأخرى) كلّ هذا مقنّعا بقناع الماوية .

<u>نقطة للتوضيح حول حزمة آجيث و الخلاصة الجديدة و الماوية – إنقسام الماويّة إلى إثنين</u> :

فى ماي 2012 ، بعث الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية رسالة إلى الأحزاب و المنظمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية ، التجمّع العالمي المتشكّل سنة 1984 ك " مركز جنيني للحركة الماوية العالمية " . و أشارت هذه الرسالة التى عبّرت عن فهم الحزب الشيوعي الثوري لمضمون صراع الخطّين الدائر صلب الحركة الشيوعية العالمية و جذوره و تاريخه ، إلى :

" نشأت أزمة الحركة الأممية الثورية و الحركة الشيوعية العالمية بصورة أعمّ لأنّ الفهم الذى قامت عليه الحركة - ما كنّا نسميه الماركسية - اللينينية - الماوية - " ينقسم إلى إثنين" : جوهره الثوري الصحيح و العلمي ثبتت صحته و هو يتقدّم إلى مستويات جديدة ، بينما الأخطاء الثانوية و إن كانت حقيقية و ضارة فى السياسة و النظرية وقع تحديدها و يمكن و من الضروري الصراع ضدّها كجزء من إنجاز القفزة اللازمة. " (8) .

بهذا المعنى فقط ، مقال آجيث " **ضد الأفاكيانية** " يخدم هدفا مفيدا فى صراع الخطّيؤن الدائر رحاه فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية . و كما سيقع تبيان ذلك فى الجدالات ، ما يحاجج من أجله آجيث هو

تعبير مكثّف بصفة عالية ، و طلقة معبّرة عن هذه النزعة نحو إتّخاذ هذه " الأخطاء الثانوية لكن مع ذلك الحقيقيّة و الضارة " فى المنهج و التصوّر ، و تنظيمها و رفعها إلى مستوى الخطّ السياسي العام .

و يتمّ إلباس هذا الخليط قناعا ماويّا . و فى الواقع ليس سوى طبل خاوى . مضمونه يشترك فى القليل مع ما تقدّم به جوهريّا و رئيسيّا ماو و ما مثّله و دافع عنه . و على العكس من ما يجسّده آجيث و ينظّر له و يجادل من أجله ، يلتقط بيان الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، فى توصيغه للمظاهر المشتركة بين التوجهات " المتناقضة تناقض إنعكاس المرآة " التى تطوّرت فى تعارض جوهري مع الخلاصة الجديدة :

" • عدم الإضطلاع أو عدم الإنخراط مطلقا بأي طريقة منهجية ، فى تلخيص علمي للمرحلة الأولى من الحركة الشيوعية وبوجه الخصوص للتحليل الثاقب لماوتسى تونغ لخطر وقاعدة إعادة تركيز الرأسمالية فى المجتمع الإشتراكي. وهكذا ، بينما قد تدافع أو قد كانت تدافع فى الماضي عن الثورة الثقافية فى الصين ، تفتقر إلى أي فهم حقيقي وعميق للماذا كانت هذه الثورة الثقافية ضرورية ولماذا وبأية مبادئ وأهداف أطلقها ماو وقادها. إنها تحوّل الثورة الثقافية ، فى الواقع ، إلى مجرّد حلقة أخرى فى ممارسة دكتاتورية البروليتاريا أو من جهة أخرى تعيد تأويلها على أنها نوع من الحركة الديمقراطية البرجوازية " المناهضة للبيروقراطية " تمثّل فى جوهرها نقضا للحاجة لطليعة شيوعية ودورها القيادي المؤسساتي فى المجتمع الإشتراكي ، عبر المرحلة الإنتقالية إلى الشيوعية .

• النزعة المشتركة لتحويل " الماوية " لمجرّد وصفة لخوض حرب الشعب فى بلدان ما يسمّى بالعالم الثالث بينما تهمل مجدّدا أو تقلص أهمية أهمّ مساهمة من مساهمات ماو فى الشيوعية : تطويره لنظرية وخطّ مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا وكافة التحليل الثري والمنهج العلمي اللذان عليهما تأسّس ذلك و اللذان جعلا تطوير تلك النظرية وذلك الخطّ ممكنا .

• الفلسفة التجريبية و البراغماتية و التجريبية . ومن جديد بينما يمكن أن يتخذ هذا تعبيرات متنوّعة تبعا لوجهات النظر والنظرات المتنوعة الخاصّة، فإن الشائع عندها هو إبتذال النظرية والإستهانة بها ، محوّلينها إلى " مرشد للعمل " فقط بالمعنى الأضيق والأكثر مباشرة ، معاملين النظرية كما لو أنها ، جوهريا ، إفراز ممارسة خاصة ومحاولين عقد مقارنة بين الممارسة المتقدّمة (التى ، من جانب هؤلاء الناس ، تتضمّن عنصرا من التقييم الذاتي والإعتباطي) و النظرية المتقدّمة المفترضة. إن وجهة النظر الشيوعية العلمية ، المادية الجدلية ، تؤدّى إلى فهم أن الممارسة هي مصدر ومحكّ النظرية ، لكن على عكس هذه التشويهات التجريبية الضيقة ، يجب فهم هذا على أن الممارسة بالمعنى الواسع ، شاملة التجربة الإجتماعية و التاريخية الواسعة ، وليس فقط التجربة المباشرة لشخص أو مجموعة أو حزب أو أمّة . تأسيس النظرية الشيوعية ذاتها ومزيد تطويرها يبيّن ذلك بقوّة : منذ زمن ماركس ، تشكّلت هذه النظرية وأثيرت إنطلاقا من جملة واسعة من التجارب ، فى جملة واسعة من الحقول المختلفة وخلال تطوّر تاريخي واسع النطاق ، فى المجتمع و الطبيعة. ستتحوّل مقولة أن الممارسة مصدر النظرية ومقولة " الممارسة معيار صحّة النظرية " إلى **كذب عميق** إن جرى تأويلها وتطبيقها بأسلوب ضيّق ، تجريبي وذاتي. " (9)

لقد ركّز آجيث و معارضون آخرون للخلاصة الجديدة للشيوعية على " ماو مختلف " : ماو ببعض العناصر المشتركة مع ماو الشيوعي الثوري ، لكن مع إقتلاع قلبه العلمي و الماركسي . لقد جعلوا مبدأ من الدفاع عن الأخطاء التى إرتكبها ماو و إن كانت نقائصا ثانويّة ، و رفعوها عاليا و حوّلوها إلى شيء

جوهري ، فيما يقفزون أكثر فأكثر بإتجاه ديمقراطيتهم البرجوازية و قوميتهم و براغماتيتهم الخاصين و إنحرافات أخرى مشوّهة لماو .

كلّ من الخلاصة الجديدة للشيوعية و خطّ آجيث يمثّلان " تطويرات " للنظريّة الشيوعية السابقة و إن كانت تلك تطويرات بإتجاهات متعارضة . إذ يدافع أفاكيان و يشيّد على الموقف و وجهة النظر و المنهج الماركسيين الأساسيين بما فى ذلك كما طوّرتهم اللينينية و الماوية بينما يشخّص الأخطاء الثانوية و ينقدها . و من خلال هذه السيرورة ، رفع أفاكيان علم الشيوعية إلى مستوى جديد تماما . و آجيث من الجهة الأخرى ، ينبذ الجوهر العلمي للماركسية . و يبحث عن تعويضه بإيديولوجيا نوعيّا مختلفة و غير علميّة فى حين يحافظ على بعض المظاهر الماركسية الثانوية و الخارجية . لآجيث و أفاكيان "أسلاف مشتركين " فى الماوية بيد أنّهما يمضيان فى إتجاهين مختلفين راديكاليّا .

جدالات ردّا على آجيث – خلاصات وافية ردّا على حزمة :

لهجوم آجيث على الخلاصة الجديدة لأفاكيان عدّة خطوط مفاتيح متشابكة :

• فى حقل **الأبستمولوجيا** (حقل الفلسفة الذى يعالج مسائل المعرفة و الحقيقة و كيفيّة بلوغها) : هل الحقيقة موضوعيّة أم هي ترتبط بالموقع الإجتماعي و لها " طبيعة طبقيّة ؟ هل الشيوعية علم ، إيديولوجيا أم كلاهما ؛ و ما هو دور ما يحدّده آجيث على أنّه " مجرّد مشاعر طبقيّة " فى النضال من أجل القيام بالثورة و تغيير المجتمع تغييرا راديكاليّا ، و إختراقات ماركس فى المادية التاريخية و هل أنّ " الشيوعية حتمية " .

• مفهوم أفاكيان ل " اللبّ الصلب مع الكثير من المرونة " لقيادة السيرورة نحو الشيوعية ، و فى علاقة بالمفاهيم الماضية فى القيام بالثورة و قيادة المجتمعات الإشتراكية : طبيعة المرحلة الإنتقاليّة إلى الشيوعية و هدفها ، و ما إرتآه ماركس فى الأصل على أنّه دكتاتورية البروليتاريا .

• **الأممية** البروليتارية ، ما هي قاعدتها فى عالم اليوم وز ما هي مهام الشيوعيين فى كلّ من البلدان الإمبريالية و الأمم المضطهَدَة و العلاقة بين المجال العالمي و الثورة فى كلّ بلد على حده.

• فى مجال الإقتصاد السياسي : هل أنّ قوانين المراكمة الرأسمالية تتفاعل و تحدّد الإطار الأولي للصراع الطبقي أم لا ؟ و ما هو الشكل الرئيسي لحركة التناقض الأساسي للرأسمالية - - و لماذا ذلك حيويّ فى فهم حركة المجتمع الإنساني و تطوّرها فى هذه الحقبة وفهم أنواع التغيّرات التى جدّت فى العالم ، لا سيما التغيّرات طوال الخمسين سنة الماضية ، وفهم الأرضيةالتى تقام عليها الثورة ؟

• و إلى جانب بعض الخيوط الثانوية الأخرى ثمّة هجمات على دور الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية فى الحركة الأممية الثوريّة ، التجمّع العالمي السابق للقوى الماويّة الذى كانت تنتمى إليه مجموعة آجيث و الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

وفضلا عن الجدال الذى ننشر معكلمة الناشرين هذه و الذى صاغته المنظّمة الشيوعية الثورية ، المكسيك ، قد نشرنا سابقا مقالات ثلاثة تمثّل جزء من الردّ الجدالي على آجيث و هجومه على الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان . و تتطرّق هذه المقالات الثلاثة إلى جوانب من مضمون الخلاصة الجديدة للشيوعية و منهجها ومقاربتها و دور بوب أفاكيان فى الحركة الشيوعية العالمية .

• حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير ، نقاش حاد و جدال ملحّ : الصراع من أجل عالم مختلف راديكاليّا و الصراع من أجل مقاربة علميّة للواقع ، لريموند لوتا . لم يشر بحقث لوتا

صراحة إلى آجيث على أنّه هدف الجدال النظري بل وضع المسألة بصفة أعمّ على أنّها مسألة خلافيّة فى الإقتصاد السياسي الماركسي المعاصر . و مع ذلك ، المسائل المطروحة و المقاربة و خطّ التفكير محور هذا الجدال هم بالذات مسائل و مقاربة و خطّ تفكير آجيث ، بما فيها الهجمات الخاّصة فى عمله الأخير ، **" ضد الأفاكيانية "**.

• **الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية** ، لروبار بوبا . و هذا الجدال فى قسم فرعي منه يوثّق و يتفحّص ردّ آجيث على كلّ من الإنعطاف التحريفي الذى سلكه الحزب الماوي الأصلي الذى قاد عشر سنوات من حرب الشعب فى النيبال من 1996 إلى 2006 ، و غياب القطيعة الحيوية مع التحريفية لدى الحزب الجديد ، الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و واصلها فى صفوفه – فى إطار اللحظة التاريخية و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية .

• **رسالة إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة** ، من طرف الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

وجرى توزيع هذه الرسالة فى البداية بصفة خاصة فى غرّة ماي 2012 على الأحزاب و المنظّمات التى كانت منخرطة فى الحركة الأممية الثورية ، التجمّع العالمي المتشكّل فى 1984 ك " مركز جنيني للحركة الماوية العالمية " . و نهضت الرسالة بدحض جوهري لتشويهات آجيث و مغالطاته الأساسيّة بشأن دور الحزب الشيوعي الثوري فى هذه الحركة . وعند تلخيص هذه التجربة ، تقارب رسالة الحزب الشيوعي الثوري الصراعات الكبرى من قمّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي ، مجسّدة تشديد ماو على أنّ الخطّ هو المحدّد .

و فى المستقبل المنظور ، تخطّط مجلّة **" تمايزات "** لنشر ردّ جدالي كبير على هجمات آجيث على الخلاصة الجديدة للشيوعية فى **مجال الأبستيمولوجيا** . و نحن ندرس ما بُعث إلينا عن خطّ آجيث فى ما يتّصل بدور الدين و الأصوليّة الدينية ، و بهجومه الشامل على المساهمات التاريخية لينين وإستخدامه ماو ضد لينين ، بصمته الذى يصمّ الآذان فى **" ضد الأفاكيانية "** عن تحرير نصف الإنسانية ، النساء .

و فى سياق القضيّة الأخيرة ، تنطوى الخلاصة الجديدة للشيوعية لبوب أفاكيان على فهم معمّق للماذا و كيف أنّ **تحرير النساء** جوهري و محوري فى الثورة الشيوعية و تخطى " الكلّ الأربعة " (التى أشرنا إليها سابقا) . و يحتوى كتاب " كسر كلّ السلاسل ! بوب أفاكيان حول تحرير النساء و الثورة الشيوعية " جملة من المقتطفات و الأعمال المفيدة وهو متوفّر الآن على موقع : revcom.us

وهنا ننشر مقتطف من هذا الكتاب يتعلّق ب " **الخلاصة الجديدة و قضيّة المرأة : تحرير النساء و الثورة الشيوعية – المزيد من القفزات و القطائع الراديكالية** " ، (الجزء الثالث من " **التناقضات التى لم تحلّ قوّة محرّكة للثورة** " – 2009) . و هذا العمل الملقّح للأذهان يجرى قراءة نقديّة للتجربة التاريخية للمجتمعات الإشتراكية و الحركة الشيوعية فى ما يتّصل بتحرير النساء و يبيّن الحاجة و أساس مزيد القفزات و القطيعة الراديكاليّة ، فى التصوّر و الممارسة .

وندعو كم إلى مراسلتنا حول هذه المسائل و المسائل ذات الصلة و إلى مدّنا بمقترحاتكم و بمشاريع مقالات .

الهوامش :

(ملاحظة للمترجم : المراجع 1 و2 و 5 و6 و8 و9 متوفّرة بالعربية بمكتبة الحوار المتمدّن ترجمة شادي الشماوي).

1- **بيان مشترك فى غرّة ماي 2014 – بيان إندماج بين الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، تحية لإندماج الحزبين الماويين فى الهند فى حزب واحد .** بتاريخ غرّة ماي 2014 ، أعلن أنّ الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري قد إندمج مع الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) و كفّ عن الوجود كحزب منفصل. و فى حين أنّ هذا الإعلان نشر على مواقع مثل

http://icspwindia.wordpress.com/2014/05/10/hail-the-merger-of-the-maoist-parties-in-india-into-a-single-party/

و

http://maoistroad.blogspot.com/2014/05/pc-1-maggio-merger-declaration-of.html

(حسب المعلومات المستقاة من الأنترنت فى 28 جويلية 2014) و فى الصحافة ، فإنّ ناشرو " **تمايزات** " ليست لديهم أيّة معلومات عن أيّ تأكيد رسميّ آخر أو شرح لمقام هذا الإندماج .

2- آجيث ، " **ضد الأفاكيانية** " مجلّة **نكسلباري** عدد 4 ، جويلية 2013 ، رابطه هو التالي :

http://thenaxalbari.blogspot.com/2013/07/naxalbari-issue-no-4.html

3- إفتتاحية " **التحدّيات أمام الماويين** " ، مجلّة **نكسلباري** عدد 4 ، جويلية 2013 ، ، وروابط الإنترنت هو :

http://thenaxalbari.blogspot.com/2013/07/naxalbari-no-4-editorial_7820.html

(حسب المعلومات المستقاة من الأنترنت فى 28 جويلية 2014)

4- بوب أفاكيان – " **الوضع الجديد و التحدّيات الكبرى** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 36 ، 26 فيفري 2006 و رابطه على الأنترنت هو :

http://revcom.us/a/036/avakian-new-situation-great-challenges.htm

5- **" الشيوعية كعلم "** ، ملحق **للقانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدةالأمريكية** (شيكاغو ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2008) ص 42 ، و على الأنترنت رابطه هو :

http://revcom.us/Constitution/constitution.html

6- **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة ، بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية "** (شيكاغو ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2008) ص 24 ، و من هنا فصاعدا فقط **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة "** . على الأنترنت رابطه هو :

http://www.revcom.us/Manifesto/Manifesto.html

7- يُستعمل مصطلح إنتقائي كمصطلح علمي يقصد به منهج يخدم حجب المظهر الرئيسي لتناقض . وكما شرح بوب أفاكيان :

" هنا من المهمّ التشديد على أنّ جوهر الإنتقائيّة (و طريقة خدمتها للتحريفية حينما يتبنّاها الشيوعيون أو الذين يدّعون أنّهم شيوعيّون و يطبّقونها) ليس ببساطة وضع الأمور بمعنى " من جهة "هذا " و من الجهة الأخرى " ذاك " – لكن القيام بذلك على نحو يحجب جوهر المسألة و بوجه خاص يقوّض ما هو بالفعل المظهر الرئيسي و المحدّد للتناقض ... مثلا ، لنأخذ الموقف التالى : " صحيح أنّ الإمبريالية تعنى إستغلال الشعوب و إضطهادها بشدّة و خبث فى عديد أنحاء العالم ؛ لكنّها أدّت كذلك إلى تطوير عديد أشكال التكنولوجية المفيدة و إلى مستوى عيش عالى بالنسبة لأعداد هامة من الناس " . كلا المظهران هنا – ما يسبق شبه الإستعمار (قبل كلمة " لكن ") و ما يتبع ذلك – صحيحان . لكن ما هو المظهر الرئيسي و المحدّد و الأساسي ؟ بوضوح إنّه المظهر الأوّل : الطبيعة الإستغلاليّة و الإضطهادية العالية للإمبريالية و التبعات السلبيّة جدّا لهذا بالنسبة للأغلبيّة العظمى للإنسانية . إلاّ أنّ الطريقة التى صيغت بها هذه الجملة تحجب الحقيقة الأساسيّة ، شكليّا ، بوضع المظهر الثانوي (كما تجسّد فى الجزء الثاني من الجملة أعلاه) على قدم المساواة مع المظهر الرئيسي . و يخدم هذا ، على الأقلّ موضوعيّا ، كمديح للإمبريالية ... لكافة المقاربة الإنتقائيّة نفس الطابع و التأثير الأساسيين : إنّها تخدم خلط الأمور و إنكار المظهر الرئيسي و جوهر الأشياء و تقوّضه ".

(بوب أفاكيان - " **الأزمة " فى الفيزياء و" الأزمة " فى الفلسفة و السياسة** "، جريدة " **الثورة** " عدد 161 ، 12 أفريل 2009 ؛

http://www.revcom.us/avakian/Out%20into%20the%20World/Avakian_Out_into_World_pt5-en.html

8- الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية – " **رسالة إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة** " ضمن العدد الثالث من مجلّة " **تمايزات** " ،

http://demarcations-journal.org/issue03/letter_to_participating_parties_of_rim_revolutionary_communist_party_usa.pdf

9- " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة** " ، ص 32-33 [بالأنجليزية] .

==

الشيوعية أم القومية ؟

المنظّمة الشيوعية الثوريّة ، المكسيك

المقال نشر على الأنترنت بموقع مجلّة " **تمايزات** " فى سبتمبر 2014

http://demarcations-journal.org/

إنّ العالم الذى نعيش فيه فظيع و يجب أن يتغيّر . إنّه عالم كارثة بيئيّة متفاقمة الخطورة ، و تتحكّم فيه الحروب الرجعيّة و فيه يموت ثلاثة ملايين طفل سنويّا جوعا (1) ، و فيه يُستعبد ملايين و ملايين النساء والأطفال فى تجارة عالمية ل " صناعات " الدعارة و البرنوغرافيا (2) ، ضمن عديد الفظائع الأخرى .

و كي نتمكّن من تغيير هذا العالم تغييرا راديكاليّا ، من الأساسي أن نفهم طبيعته و كيف يمكن حقيقة تغييره . و جزء من هذا هو كيف نفهم و كيف نغيّر تماما عالما معولما أكثر فأكثر و يتميّز كذلك بإضطهاد قومي و إنقسامات عميقة . يعلم الجميع أنّنا نحيا فى عالم معولم : و العلامات التجاريّة على

ثيابنا تبيّن أنّها على نطاق واسع مستوردة من بلدان بعيدة جدا ، و يتحدث الشباب على الأنترنت مع أناس من الضفّة الأخرى من العالم ، و الأزمة الإقتصادية فى مكان من العالم تحدث الخراب فى مكان آخر. ومع ذلك تنمو الهوّة بين الثروات الهائلة المكدّسة فى بعض الأمم و يميّز الفقر المستشري الغالبية ، و تضطهد أمّة أو قوميّة أمّة أو قوميّة أخرى ، و يتمّ إصطياد المهاجرون بحثا عن العمل كالحيوانات على عدة حدود قومية .

و من الشائع جدا حتى فى صفوف الناس الذين يعتبرون أنفسهم ثوريين أو شيوعيين أنّ المشكل الجوهري و حله يكمنان أساسا ضمن حدود كلّ بلد على حده . هل الأمر كذلك ؟ هل أن النظام الذى نحيا فيه و إمكانيّات التحرر منه تُحَدَّد أكثر بخصوصيّات كلّ أمّة أم بالنظام العالمي و النضال الأممي ؟ هل هناك نظام عالمي ، و هل نحتاج إلى سيرورة ثوريّة عالميّة لتجاوزه ؟ هل أن بلوغ مستقبل مختلف راديكاليّا و تحرّريّا يتطلب أن نكون أفضل ممثلي الشعب أو البروليتاريا فى أمتنا الخاصة أم يتطلب أن نكون ممثلي تحرير الإنسانيّة ؟ هل يجب على الثوريين فى ما يسمّى بالعالم الثالث أن يطمحوا ببساطة إلى تحرير أمتهم الخاصة أم إلى إلغاء الإختلافات الطبقية و كل أشكال الإضطهاد فى العالم قاطبة ؟

إن الأجوبة على هذه الأسئلة جوهرية لأجل أن نقدر على فتح الأبواب أمام مستقبل جديد واعد . و الخلاصة الجديدة للشيوعية التى طوّرها بوب أفاكيان (3) ، ضمن مساهمات أخرى ، قدعزّزت الأسس النظرية للأممية وهي أساسية للإجابة على تلك الأسئلة إجابة علمية و لقيادة النضال فى سبيل ذلك المستقبل عبر العالم بأسره . و مع ذلك ، كما أشار ماو " منذ الأزمنة الغابرة ، لم يتم أبدا تلقى أي شيء تقدّمي بالترحيب فى البداية و كلّ ما هو تقدّمي كان على الدوام عرضة للصدّ " (4) و لم تكن الخلاصة الجديدة إستثناء لهذه القاعدة . فقد عرفت معارضة خاصة من قوى متنوّعة تعتبر نفسها شيوعية و قد أقلمت عمليا الشيوعية مع القومية و بالتالى تقاتل من أجل هدف مغاير كلّيا . و هنا نتناول بالنقد مقالا مطولا للآجيث كأحد ممثلى هذه المواقف المعرضة للخلاصة الجديدة للشيوعية . (5)

<u>1- موقفان متعارضان ، هدفان مختلفان و متعارضان جوهريا :</u>

تجسّد الخلاصة الجديدة للشيوعية التى طوّرها بوب أفاكيان تطبيقا صحيحا و حيويّا للغاية للمادية الجدليّة خدمة للأممية البروليتارية و تقدم الثورة البروليتارية بإتجاه الهدف النهائي : عالم شيوعي . و الموقف التالى تعبير مكثف عن هذا الفهم الجديد : " بلوغ [الظروف الضرورية للشيوعية] يجب أن يتمّ على نطاق عالمي من خلال سيرورة مديدة و متعرّجة من التغيير الثوري يكون فيها تطوّر غير متكافئ و إفتكاك للسلطة فى بلدان و أوقات مختلفة و تداخل جدلي معقّد بين النضالات الثوريّة و تثوير المجتمع فى مختلف هذه البلدان ... [علاقة جدلية] فيها المجال العالمي هو الحاسم جوهريّا وفى آخر المطاف ، بينما يمثّل التفاعل المتبادل و الدعم المتبادل بين نضالات البروليتاريين فى بلدان مختلفة العلاقة المفتاح فى التغيير الجوهري للعالم قاطبة . " (6)

و لهذه العلاقة الجدلية فى النضال فى سبيل الشيوعية بين المجال العالمي الذى هو المحدّد فى آخر المطاف ، و الترابط بين نضالات البروليتاريا فى بلدان مختلفة ، الذى يمثل العلاقة المفتاح ، قاعدة مادية فى واقع تشكّل نظام رأسمالي – إمبريالي عالمي مع نهاية القرن التاسع عشر .

ويأكّد آجيث و عديد الآخرين ، بالعكس ، على أن مهام الثوريين " تنشأ عن الخصوصيات الداخلية لبلدهم وهي تتحدّد أكثر بها " (7) و أنّ المستوى العالمي يمارس تأثيره فقط عبر العلاقات الداخلية لكلّ بلد . و إلى الدرجة التى يعلق فيها هذا الموقف على القاعدة المادية ، يحاجج بأنها توجد فى البروليتاريا التى تظهر نتيجة سيرورة " بصفة خاصة وطنية شكلا و مميزات " (8) و كذلك " الثورات الإشتراكية فى البلدان الإمبريالية و الثورة الديمقراطية الجديدة فى البلدان المضطهَدة ." (9)

و إعتمادا على الطبيعة الحقيقية للثورة الشيوعية العالمية ، تشدّد الخلاصة الجديدة على أن " الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل ." (10) و أنّ الشيوعيين فى أيّ بلد هم و لا يمكن أن يكونوا سوى مقاتلين من أجل تحرير الإنسانية و ليسوا بالأساس ممثّلين لأمة أو أخرى . و بالنسبة لآجيث ، على العكس ، تمثل البروليتاريا و يمثل الشيوعيون " تقاليد الأمّة التقدّمية و الديمقراطية ." (11) ، و على الأقل فى البلدان المضطهَدَة ، يجب أن يكونوا " وطنيين على أساس إيديولوجي أممي " (12) .

سنبيّن أن بخصوص هذه المسائل و غيرها ، الخلاصة الجديدة للشيوعية أساسيّة للتمكّن من قيادة موجة جديدة من الثورات فى العالم بإتجاه هدف الشيوعية وتحرير الإنسانيّة قاطبة . و بالرغم من أنّ آجيث يدّعى أنّه يعتمد على منهج و مقاربة الشيوعية فإنّ موقفه عمليّا خليط إنتقائي (13) من الشيوعية و القومية. و إعتبارا لرؤيته الضيّقة للعالم و التى تنطلق من الأمّة إلى الخارج ، لا يفهم و ربّما لا يمكنه أن يفهم الديناميكيّة الجدليّة الواقعيّة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي و للثورة الشيوعية الملخّصة فى الصيغة المذكورة أعلاه للرفيق أفاكيان .

فى العالم الحقيقي اليوم ، يقتضى النضال من أجل تحرير أنفسنا من النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي قيادة الشيوعية و ليس قيادة خليط آجيث و آخرين الإنتقائي من الشيوعية و القومية ، و الذى هو، فى الجوهر ، بالرغم من خطابهم " الشيوعي " ، لا يتخطى الحدود الضيّقة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي الراهن فى رؤيتهم النظريّة ، و بالتالى لا يمكن أن يؤدى إلى تجاوزها فى الممارسة العمليّة . لذا هذه الجدالات ليست " صراعات إنعزاليّة على اليسار " : إنّها تتعلّق بالتمييز بين تحرير الشعوب من الإضطهاد و الإستغلال و الإهانة بوسائل الثورة الشيوعية فى مختلف البلدان و فى العالم ، أو الحكم عليها بتواصل قيود النظام الرأسمالي – الإمبريالي بكلّ فظاعاته .

<u>2- مواصلة تطوير علم الشيوعية أم التمسك بأخطاء الماضى و تمجيدها ؟</u>

من البداية ، يطالب آجيث بأن يتمّ نبذ الخلاصة الجديدة قبل تفحّصها تفحّصا شاملا : " حين يُعلن أنّه يجب تعويض الماركسية – اللينينية – الماوية بالأفاكيانية ، ألا يكون هذا كافيا بنبذ الأفاكيانية نبذا تاما على أنّها تصفويّة و تحريفية . أليست هذه خطوة ملحّة و ضروررية ينبغى إتخاذها حتى بينما يحتفظ المرء بالنهوض بمسؤولية التفحّص و الدحض الشاملين بتؤدة . " (14)

فى الواقع ، الخلاصة الجديدة هي على وجه الضبط خلاصة جديدة **للشيوعية** وهي ترسي الشيوعية على أسس علمية أكثر حتى بمزيد تطوير الفهم السابق و كذلك إستبعاد هذه العناصر التى ثبت أنّها لا تتناسب مع الواقع الحقيقي و تغييره ثوريّا . و من ثمّة ، مثلما تشير إليه المواد التى يستشهد بها آجيث نفسه ، هي رئيسيّا مواصلة ومزيد تطوير للعلم الثوري المحدّد بالمساهمات الخالدة لماركس و لينين و ماو ، وثانويّا، نعم ، هي قطيعة ضروريّة مع أخطاء ثانويّة لكن هامة .

و على العكس ، " ماركسية – لينينيّة – ماويّة " آجيث و آخرين تذهب ضد الشيوعية الأصليّة و تتمثل عمليّا فى التمسّك بأخطاء الماضى و تمجيدها خدمة لأقلمة الشيوعية مع القومية و الديمقراطية البرجوازية .

و إلى ذلك ، لننظر فى المنهج الضمني فى طلب آجيث أن يتمّ نبذ الخلاصة الجديدة للشيوعية قبل تفحّص مضمونها تفحّصا شاملا : يأتينا شخص بثمار ثلاثين سنة من الجهد و يقول لنا إنّه يعتبر تلك الثمار تقدّما فى العلم و يطلب منّا أن نتفحّصها . و فجأة يعلن أحد ما : " إنّه يقول إنّنا يجب أن نعوّض العلم الذى لدينا معرفة به بعدُ بعلمه ؟ أليس هذا سببا كافيا لنبذه بصراحة الآن و تفحّصه لاحقا ؟"

هل بوسع العلم أن يتقدّم بهكذا منهج من نبذ ما هو جديد ببساطة لأنّه جديد و ينقد بعض مظاهر الفهم السابق ؟ إنّ طلب آجيث هذا لا يمثّل منهجا و مقاربة علميين بل بالأحرى موقفا دغمائيّا و دينيّا إزاء الماركسية . برأينا ، يتطلّب العلم التفحّص أولا – و ، نعم " بصفة شاملة " – لأي موقف نظري ، سواء كان الخلاصة الجديدة أو مواقف آجيث و أمثاله أو أي إقتراح آخر ، بهدف تحديد **إن كان أم لا يتناسب أو إلى أيّة درجة يمكن أن يتناسب مع العالم الواقعي فى حركته و تطوّره** ، و على **هذا** الأساس و هذا الأساس فقط يمكن تحديد إن كان يمكن القبول به أو نبذه كلّيا أو جزئيّا .

ولنمرّ الآن إلى تفحّص الخلافات التى ميّزناها هنا على هذا النحو .

3- النظام الرأسمالى – الإمبريالى نظام عالمي :

مثلما أشرنا سالفا ، جزء من القاعدة الماديّة للعلاقة الجدلية " فيها المجال العالمي هو الحاسم جوهريّا وفى آخر المطاف ، بينما يمثّل التفاعل المتبادل و الدعم المتبادل بين نضالات البروليتاريين فى بلدان مختلفة العلاقة المفتاح فى التغيير الجوهري للعالم قاطبة " هو تشكّل نظام إقتصادي عالمي حقا مع حلول الإمبريالية كأعلى مراحل الرأسمالية مع نهاية القرن التاسع عشر . و منذ بداياتها الأولى ، كان للرأسمالية طابع عالمي بارز . و كما لاحظ ماركس : " لقد أعلن إكتشاف الذهب و الفضّة فى القارة الأمريكية و نهب السكّان الأصليين و إستعبادهم و دفنهم فى المناجم ، و بداية إستعمال و نهب الهند ، و تحويل أفريقيا إلى خزّان للمتاجرة بالسود ، لقد أعلن بزوغ الفجر الوردي لعصر الإنتاج الرأسمالي " (15) .

بإندفاع الرأسمالية الناشئة للقرن السادس عشر، نظّم عديد الأوروبيين الأسفار المسمّاة مغالطة " إستكشافيّة " و أخذت السوق العالميّة فى التشكّل و نتيجة الديناميكية الخارقة للعادة لنمط الإنتاج الجديد، سيعوّض بواسطة سيرورة مديدة و عنيفة نمط الإنتاج الإقطاعي فى الكثير من البلدان الأوروبيّة .

و مع ذلك ، رغم تشكّل السوق العالمية ، ظلّ من غير الممكن الحديث عن نظام إقتصادي عالمي متكامل فى حدّ ذاته ، و لم يلعب المجال العالمي دورا أكثر حسما و تحديدا من خصوصيّات كلّ بلد ، و إن كان العدوان الإستعماري قد تسبّب عادة فى إضطرابات كارثيّة و نموّ متزايد للصلات العالمية .

لقد إعتمد نموّ السوق العالمية على دائرة عالميّة للسلع الرأسماليّة أي على رأس مال مرتبط بالتجارة و شراء و بيع المنتوجات فى العالم . و بحكم الإنتقال إلى المرحلة الإمبريالية من الرأسمالية حدث تغيّر حيوي فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر فوجدت **دائرة عالمية لرأس المال المنتج** ما عني ليس مجرّد التجارة العالمية بل **سيرورة إنتاج معولمة** ، نتيجة هيمنة تصدير رأس المال و ليس فقط السلع ، من البلدان " المتقدّمة " . و قد تشكّل هذا الطابع العالمي تدريجيّا و مذّاك تعزّز إلى أن بلغ ما يسمّى ب " عولمة " العقود الأخيرة . لذكر مثال من مجموعة وقائع من الحياة الإقتصادية المعاصرة ، فإنّ سيارة بى أم " الألمانية " المباعة فى الولايات المتحدة قد يكون وقع تجميعها فى المكسيك و قد تحتوى على أجزاء لم تجلب لا من ألمانيا و لا من المكسيك بل جلبت أيضا من المجرّ على غرار المصابيح الأمامية، و أجزاء سلسلة القيادة من عديد البلدان الأمريكية الجنوبية أو من اليابان ، و نظام تبريد من فرنسا إلخ . فى الواقع ، إفتراضيّا لا صنف سيّارة تُجمّع أجزاؤه من بلد واحد. والشيء نفسه صحيح بشأن الخدمات : مشترى غير راضي عن سلعة يابانيّة فى بريطانيا العظمى قد ينتهى به الأمر إلى تقديم شكوى بمهاتفة مركز إتصالات هاتفيّة فى الهند .

يمثّل تشكّل هذه الدائرة العالميّة لرأس المال المنتج عنصرا أساسيّا فى القاعدة الإقتصاديّة ل نظام عالمي متكامل ، النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، وهو مع ذلك نظام مشوّه و مفكّك بدرجة عالية ، و يتميّز بتناقض عميق بين البلدان الإمبريالية ل " الشمال " و بلدان " الجنوب " التى تضطهدها

الإمبريالية ، و بالتقاسم العنيف للعالم بين أهمّ القوى الإمبريالية و كذلك بالكتل الإحتكارية الضخمة لرأس المال المالى ، و بإشتداد تقريبا جميع تناقضات الرأسمالية السابقة ، على النطاق العالمي .

بنشأة هذا النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، أخذ المجال العالمي الآن يلعب دورا جوهريا و فى النهاية دورا حيويّا فى علاقة جدلية بالخصوصيّات و التناقضات الداخلية لكلّ بلد و بموقع هذا البلد فى النظام العالمي .

مثلا ، كيف يمكن فهم الأزمات الإقتصاديّة العالمية ؟ هل هي رئيسيّا إفراز للتناقضات الداخليّة لكلّ بلد و التى لنفس السبب تتفاعل كذلك مع " العوامل الخارجيّة " ؟ لا . بالعكس ، هي إفراز و تعبير عن واقع أنّ النظام الرأسمالي – الإمبريالي نظام عالمي بإقتصاد عالمي و هيكلة ماليّة عالميّة . وفى الحال الأخير الذى يتواصل تأثيره إلى اليوم ، من ضمن أشياء أخرى ، ما إنطلق كإنهيار فى فقاعة المضاربة فى سوق المساكن فى الولايات المتحدة سرعان ما أصبح يهدّد الهيكلة الماليّة العالميّة برمّتها . و بالعكس، المجال العالمي ، وبصورة خاصة ، النظام الإقتصادي و المالي العالمي فى هذه الحال ، نهض بدور جوهري و حيوي ، حتى إن كان هذا فى علاقة جدلية بكلّ من موقع مختلف البلدان فى النظام العالمي و خصوصيّاتها الداخليةّ التى أثرت ، مثلا ، على الأشكال الخاصة التى إتخذها هذه الأزمة فى مختلف البلدان و واقع أنّها أصابت بعض البلدان إصابة جدّية أكثر بكثير من إصابة بلدان أخرى .

أو كيف ينبغى فهم واقع أنّ جزء كبيرا من الفلاحين قد أفلسوا تقريبا فى كلّ مكان فى بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، ما تسبّب فى أمور فى منتهى الخطورة كإنتحار أكثر من 17 ألف فلاّح فى سنة واحدة فى الهند جرآء عدم القدرة على إعالة أسرهم (16) و ما نجم عنه من إنتفاخ " أحزمة الفقر " حول المدن فى تقريبا كافة البلدان المضطهَدَة ؟ بديهيّا يتحدّد هذا فى جزء منه بخصوصيّات كلّ بلد : فالوضع متباين جدّا ، مثلا ، فى بلد مثل الأرجنتين أين سكّان الريف الآن عددهم قليل ، مقارنة بالمكسيك و الوضع الراهن فى المناطق الريفيّة بالهند بعدُ أكثر كارثيّة . لكن هل أنّ حدوث هذه السيرورة بصفة متصاعدة فى عدد كبير من البلدان فى نفس الوقت مجرّد مصادفة ؟ لا . لقد تحدّدت حيويّا بالعوامل العالمية ، كهيكلة و تداول رأس المال الإمبريالي فى العالم المعبّر عنهما فى البلدان المضطهَدة كإستثمار أجنبي و تنافس مع المنتوجات الفلاحيّة المدعومة من قبل البلدان المتطوّرة ، ضمن عوامل أخرى .

و لهذا الواقع ، لهذه العلاقة الجدلية بين المجال العالمي و التناقضات الخاصة لكلّ بلد (و كذلك موقعه فى النظام العالمي) أيضا أهمّية بالنسبة للمهام الثورية . و الحال ليس كما يؤكّد آجيث أنّ هذه ببساطة " تنبع من الخصوصيّات الداخلية لبلدانهم وهي محدّدة أكثر بها " .

4- فى البلدان المضطهَدَة : القتال من أجل بلد رأسمالي مستقلّ أم من أجل ثورة تتبع الطريق الإشتراكي كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية العالميّة ؟

رغم أنّه يدعى تطبيق المنهج الماركسي ، لا يعالج آجيث مسألة القاعدة الإقتصاديّة التى تشكّل أسس النظام الرأسمالي – الإمبريالي الراهن ، و إن كان قد خصّص فصلا للتشويهات المختلفة للإقتصاد السياسي التى دحضها بقوّة ريموند لوتا (17) .

مؤكّدا على أنّ مهام الثوريين " تنبع من الخصوصيّات الداخلية لبلدهم وهي تتحدّد بها " ، حاجج آجيث على النحو التالي ضد الخلاصة الجديدة للشيوعية : " شكليّا يقبل بمكوّني الثورة الإشتراكية العالمية – الثورات الإشتراكية فى البلدان الإمبريالية و الثورة الديمقراطية الجديدة فى البلدان المضطهَدة . لكن فى نظرته المثالية المقلوبة يعتبر المكوّنين فعلا نابعان من الثورة الإشتراكية العالمية . وهكذا تعوّض هذه

التركيبة الميتافيزيقية السيرورة التاريخية الحقيقة التى تشكّل فيها الأخيرة من خلال ظهور و وحدة المكوّنين . " (18)

و فى الواقع ، مكوّنا الثورة الشيوعية العالمية ينبعان جوهريّا من التناقض الأساسي للرأسمالية (19) الذى صار يهيمن على العالم فى عصر الإمبريالية ، و كذلك من تناقضات أخرى تنتج إمّا عن هذا التناقض أو تتطوّر فى هذا الإطار . وهذا صحيح و متعارض مع كلّ من تشويه آجيث للخلاصة الجديدة (" المكوّنان ينبعان من الثورة الإشتراكية العالمية " (20)) و حجّته أنّ المكوّنين ينبعان تاريخيّا كسيرورتين منفصلتين تتحدّدان بخصوصيّات كلّ نوع من البلدان و ثمّ يعبّران عن منهج مثالي يتخذ من الصراع السياسي نقطة إنطلاقه دون أخذ التغيّرات فى القاعدة الإقتصادية فى عصر الإمبريالية التى تحدّد هذا الصراع ، بعين الإعتبار .

و مع ذلك ، لنحلّل حجّته . بأي معنى يوجد شيء واقعي مرتبط بتاكيده أنّ مكوني الثورة العالمية بصورة منفصلة ثمّ يلتقيان ؟ بمعنى أنّه وُجدت ثورات و إنتفاضات من أنماط معيّنة فى غالبيّة البلدان الأكثر إضطهادا قبل ظهور الثورة الديمقراطية الجديدة : مثلا ، حرب الأفيون وثورة 1911 فى الصين، أو حرب الإستقلال لسنة 1810 و ثورة 1910 فى المكسيك . بيد أنّ **هذه الثورات لم تكن تعبيرات عن الثورة الديمقراطية الجديدة ، و إنّما بالأحرى تعبيرات عن الثورة الديمقراطية البرجوازية من النوع القديم بقيادة البرجوازية و هدفها الأساسي هو تركيز أمّة رأسمالية مستقلّة .**

لقد كانت الثورة الديمقراطية **بمعنى معيّن** مواصلة لهذه النضالات السابقة بما أنّها تعالج ذات مشاكل الإقطاعيّة و الهيمنة الأجنبية (رغم أنّ شكل هذه الهيمنة يتغيّر نوعيّا فى المرحلة الإمبريالية من الرأسمالية) . لكن من الخاطئ تماما قول إنّها نبعت منفصلة عن الثورة الإشتراكية لتتوحّد معها لاحقا ، مثلما يؤكّد آجيث ، أو إنّها مجرّد مواصلة للنضالات الثوريّة السابقة . بالعكس مثلما يشير ماو عن حقّ ، تمكّنت الثورة فى الصين من التحوّل من ثورة ديمقراطية برجوازية من الطراز القديم إلى ثورة ديمقراطية جديدة " ...لأنّ الحرب العالمية الأولى و الثورة الإشتراكية الظافرة الأولى ، ثورة أكتوبر ، قد غيّرتا إتجاه تاريخ العالم كلّه و إفتتحتا عصرا جديدا " (21) . لم تنبع الثورة الديمقراطية الجديدة منفصلة بل بالذات نتيجة للثورة الإشتراكية فى أمم الإمبراطورية الروسية ، ما شيّد جسرا بين الثورة الإشتراكية التى كانت مركّزة إلى حينها فى البلدان الأوروبيّة و بين الثورات الديمقراطية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات ، ما حثّ على تشكيل الأحزاب الشيوعية فى تقريبا كلّ بلدان العالم و توحّدها فى إطار الأممية الشيوعية .

و نودّ أن نشير إلى أنّ ماو تسى تونغ فى الصيغة المذكورة أعلاه يشدّد تشديدا صحيحا على الدور الأساسي للمجال العالمي ، و فى هذه الحال الحرب العالمية الأولى و ثورة أكتوبر ، اللتان " غيّرتا إتجاه تاريخ العالم كلّه و إفتتحتا عصرا جديدا " عبّد الطريق لتغير طبيعة الثورة فى الصين و البلدان المضطهَدة الأخرى ، فى علاقة جدلية مع الأوضاع الملموسة و التناقضات الخاصة بكل بلد . و الإخفاق فى تقدير الدور المحدّد الذى لعبته هذه التغيّرات فى الوضع العالمي فى هذا التغيير متّصل بإنحرافات قومية نحن بصدد تحليلها هنا ، بينما الإخفاق فى تقدير أهمّية الظروف الخاصة لبلد معين ، فى علاقة جدليّة بالمجال العالمي ، تؤدّى كذلك إلى أخطاء جدّية مثل النزعات صلب الحزب الشيوعي الصيني التى حاولت أن تطبّق ميكانيكيّا نموذج الثورة السوفياتيّة على الظروف المختلفة جدا للصين . و مرّة أخرى ، من الضروري أن نستوعب الجدليّة التى أكّد عليها بوب أفاكيان ف " فيها المجال العالمي هو الحاسم جوهريّا وفى آخر المطاف ، بينما يمثّل التفاعل المتبادل و الدعم المتبادل بين نضالات البروليتاريين فى بلدان مختلفة العلاقة المفتاح فى التغيير الجوهري للعالم قاطبة ."

و بالعودة إلى نقد صيغة آجيث ، يمكن أن يسأل المرء ، حسنا لقد إقترف خطأ فى ما يتعلّق بالتطوّر التاريخي الملموس ، لكن ما هوالإختلاف الناجم عن ذلك ؟ إنّ المشكل المركزي البيّن فى محاولة آجيث هنا توفير أساس لدوغما أنّ ما هو جوهريّ و حاسم هوالتناقضات الداخليّة صلب كل بلد هو أنه بحكم نظرته القوميّة الضيّقة ، هو غير قادر على التمييز الواضح بين **الثورة الديمقراطية البرجوازية من الطراز القديم و الثورة الشيوعية فى البلدان المضطهَدة** .

الثورة الديمقراطية البرجوازية من الطراز القديم تقودها البرجوازية أو البرجوازية الصغيرة ، إنّها جزء من الثورة البرجوازيّة أو الرأسمالية العالميّة ، و هدفها الأساسي هو إنشاء بلد رأسمالي مستقلّ. و مع ذلك ، فى عصر الإمبريالية ، بصفة عامة ، ليس بوسع هذه الثورة حتى أن تحقّق ذلك بالذات لأنّ المشكل ليس مجرّد تناقضات داخليّة لبلد مضطهَد و إنّما بالأحرى هيمنة النظام الإمبريالي العالمي و **هيمنة الرأسمال الإمبريالي على البلدان المضطهَدة كجزء من هذا النظام** ، ما يعرقل تطوّر سوق و إقتصاد وطني مستقلّ نسبيّا .

لهذا حتى المهمّة الديمقراطية لتحرير البلاد من الهيمنة الإمبريالية لا يمكن عموما بلوغها إلاّ بواسطة ثورة تقودها البروليتاريا و الحزب الشيوعي ، تكون جزء من الثورة الشيوعية و يكون هدفها المحوري ليس إنشاء بلد رأسمالي مستقلّ بل بالأحرى من خلال سيرورة فى إنسجام مع الظروف الملموسة لكلّ بلد، مع بلوغ الإشتراكية كجزء من الإنتقال إلى العالم الشيوعي .

ليس آجيث بل كذلك مؤقلمي الشيوعية مع القوميّة عموما **غير قادرين فى الأساس على التمييز بين وهم تركيز بلد رأسمالي مستقلّ و هدف الثورة التى تنتهج طريقا إشتراكيا كجزء من الإنتقال العالمي إلى الشيوعية** .

و ما هذا بتمييز تافه : إلى يومنا هذا ، من الثورات التى حدثت فى البلدان المضطهَدَة ، وحدها الثورة فى الصين كانت ثورة شيوعية سلكت طريقا إشتراكيّا و إستمرّت عليه لعقود ثلاثة تقريبا . و بالرغم من النضال البطولي و الملهم فى عدّة حالات ، فإنّ جميع الثورات الأخرى فى آخر التحليل لم تتجاوز الحدود الضيّقة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، كما كان الحال مع التجربة المريرة للثورة الفتناميّة و الثورة الكوبيّة و الثورة النيكاراغويّة و غيرها . حتى حين كانت الثورة مظفّرة و حافظت على بعض الخطاب الشيوعي و أشكال ملكيّة الدولة ، فى هذه الحالات **لم تقطع مع النظام الإمبريالي العالمي و لم تنجز تغييرا إشتراكيّا حقيقيّا للبلاد و بالذات فى جزء منه بسبب الإيديولوجيا القائدة القومية و الديمقراطية البرجوازية** (و من المفارقات أنّه لذات السبب ، لم تقدر هذه الثورات على بلوغ هدفها الثمين أي إنشاء بلد مستقل ، عصري و متطوّر). و على الرغم من التضحيات الجسام ، يجد العمال الفتناميّون اليوم أنفسهم يعملون كعبيد مستأجرين فى المصانع الإمبريالية و تجد النساء الكوبيّات أنفسهنّ مستعبدات فى الدعارة أو خادمات فى النزل الأجنبيّة و الرئيس دانيال أورتيغا يرسل النساء النيكاراغويّات إلى السجن أو إلى القبر بفعل منع الإجهاض ، حتى و إن كان الإجهاض ضروريّا لإنقاذ حياة النساء .

و حتّى فى الصين ، بإستثناء بارز لماو تسى تونغ و تشيانغ تشنغ و تشانغ تشن تشياو و آخرين ، فإنّ قسما كبيرا من القادة الأساسيين ، و إن كانوا قد قدّموا مساهمات هامة خلال الثورة قبلا فى عديد المجالات ، قد أصيبوا بالفساد و تحوّلوا إلى " أتباع الطريق الرأسمالي " و تمكّنوا فى النهاية من أن يعيدوا تركيز الرأسمالية إثر وفاة ماو تسى تونغ . لقد مرّوا من " ديمقراطيين – برجوازيين إلى أتباع الطريق الرأسمالي " : أناس إلتحقوا بالحزب الشيوعي فى فترة الثورة الديمقراطية للتحرّر الوطني إلاّ أنّهم لم يقطعوا قطيعة ناجزة إيديولوجيا مع القوميّة و الديمقراطية البرجوازية و هدفهم الأساسي ليس الإشتراكية كمرحلة إنتقاليّة نحو الشيوعيّة و إنّما بالأحرى أمّة رأسماليّة مستقلّة و معاصرة ، بالرغم من

كونها يمكن أن تطلق على نفسها وصف الإشتراكية وتتخذ بعض أشكال ملكيّة الدولة كما يتواصل الأمر جزئيّا فى الصين الرأسمالية اليوم .

إنّ عدم قدرة آجيث و آخرين على التمييز الواضح بين وهم تركيز بلد رأسمالي مستقلّ و هدف بلوغ الإشتراكية كجزء من المرحلة الإنتقاليّة العالمية إلى الشيوعية ، ينجم عن ضيق أفقهم القومي و أفكارهم المسبّقة الديمقراطيّة – البرجوازية . و كانت مظاهر الإنعكاسات السلبيّة الجدّية لهذا جليّة ، ضمن أشكال أخرى ، فى دعمهم الأساسي ، و إن مع نقد إنتقائي تكتيكي ، للخطّ التحريفي الذى تبنّاه الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) سنة 2005 ، بعد ما يناهز العقد من الحرب الشعبيّة الملهمة ، و الذى عوّض الهدف الثوري لتحطيم الدولة القديمة وإرساء دولة ثوريّة جديدة تقودها البروليتاريا بهدف إصلاحي ل " إعادة هيكلة " دولة الطبقات الحاكمة إفتراضيّا كمرحلة إنتقاليّة ، ما أدّى إلى تفكيك جيش التحرير الشعبي و تصفية السلطة الحمراء فى قواعد الإرتكاز و التحول إلى جزء من الدولة الرجعيّة بهدف معلن هو تحويل النيبال إلى " سويسرا جنوب آسيا " . هل يمكن أن يوجد تعبير أوضح من الوهم الخاطئ للقتال من أجل بلد رأسمالي مستقل يخدم فى الواقع تأبيد إستغلال الشعب و إضطهاده لا غير!

و الآن يسعى آجيث إلى إنكار أنّه قد ساند هذا التفكيك للثورة فى النيبال و يصف براشندا ب" التحريفي " و إن أقام ذلك على مجرّد نقد تكتيكي . و بإقرار منه فى هذا المقال عينه الذى ننقد ، يواصل الدفاع عن السياسات المركزيّة التى نبعت من الإنقلاب التحريفي لسنة 2005 الذى تخلّى عن الثورة الديمقراطية الجديدة كهدف للنضال القائم : " عندما سلك الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) منعرج إيقاف إطلاق النار و التحالف مع الأحزاب السياسية للطبقة الحاكمة و الحكومة الإنتقالية ، شرع حزبنا فى دراسة شاملة للمسألة . عموما وقع القبول بالتكتيك الجديد للحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) على أنّه مبرّر. و فى نفس الوقت جرت كذلك ملاحظة تضمنه مخاطرا جدّية ." (22) . هذه هي الموضة الإنتقائيّة النموذجيّة لآجيث : كانت التكتيكات " مبرّرة " إلاّ انّه " لاحظنا ... مخاطرا " . و من أجل تحليل أشمل للوضع الراهن فى النيبال و لدور آجيث و آخرين فى هذا المضمار ، ننصح و نصرّ على النصح بدراسة المقال الممتاز لروبار بوربا (23) .

و هنا نودّ فقط أن نأكّد على الدرس المرير لهذه التجربة التى تذيّل فيها الكثيرون إلى تصفية الثورة الديمقراطية الجديدة جرّاء ما يفترض أنه كان " نجاحا " ظاهريّا مباشرا للحزب النيبالي فى كسب إنتخابات تعدّديّة و إحتلال مواقع فى الدولة البرجوازية . للخليط الإنتقائي من الشيوعية و القوميّة و الديمقراطيّة البرجوازية (و جوهره تتقاسمه قوى متنوعة ، على إختلافاتها) جاذبيّة و أحيانا يحقّق بعض" النجاح " الظاهري بالضبط لأنّه يتذيّل و يعبّر بكلمات تبدو ماركسية ، للأفكار المسبّقة القوميّة و الديمقراطيّة – البرجوازية للبرجوازية و البرجوازية الصغيرة ، التى لها ، عفويّا ، دون قيادة شيوعية حقيقيّة ، تأثير واسع وسط جميع الطبقات . لكن ثمن هذه الإمتيازات المباشرة المفترضة هو دائما ، فى النهاية و أحيانا رغم التضحيات البطولية ، سجن الشعب فى إطار الحدود الخانقة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي الراهن بكلّ فظاعاته .

5- إدماج بلدان فى النظام الرأسمالى – الإمبريالى جعل الثورة الإشتراكية ممكنة فى البلدان الأقلّ تطوّرا رأسمالياّ :

كيف يمكن لوجهة النظر القوميّة الضيّقة لآجيث و آخرين أن تشرح واقع أنّ الثورة البروليتارية حصلت فى بلد متخلّف نسبيّا كروسيا أين كانت البروليتاريا تعدّ فقط 10 بالمائة من السكّان ؟ كيف يمكن أن يشرحوا لماذا كان من الممكن التقدم عبر الثورة الديمقراطية الجديدة نحو الإشتراكية فى الصين أين كانت البروليتاريا فى البداية تعدّ تقريبا نصف بالمائة من السكّان ؟

لئن وقعت مقاربة هذه المشاكل ببساطة من وجهة نظر التناقضات الداخليّة لبلد كالصين (أو روسيا) ، من غير الممكن فهم كيف أنّ العلاقات الرأسماليّة غدت بسرعة كبيرة عراقيلا لتطوّر قوى الإنتاج ، و كلّ من الإشتراكيين – الديمقراطيين و التروتسكيين قد إستخدموا هذه الحجّة لوقت طويل ، من أطر نظريّة مختلفة ، لمهاجمة و إستبعاد التقدّم الكبير غير المسبوق فى الفترة الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي (إلى 1956) و الصين (إلى 1976).

و تتغافل هذه الحجج عن كون النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي أدمج كافة البلدان فى نظام عالمي يتميّز بالتناقض الأساسي للرأسمالية بين الإنتاج ذى الطبيعة الإجتماعية و التملك الخاص / الرأسمالي . و هذا التناقض يعرقل تطوّر كافة البلدان و العالم ككلّ – ليس بمعنى ميكانيكي لتشكيل حاجز مطلق أمام النموّ ، بما أنّ الرأسمالية تظلّ ديناميكيّة للغاية ، لكن مقارنة بالتغيّرات التحرّريّة الممكنة من خلال الثورة الإشتراكية . فى عصر الإمبريالية ، هذا التناقض الأساسي و التناقضات الناجمة عنه يمثّلون فى النهاية عراقيلا للقوى المنتجة فى كلّ البلدان ، و هذا جزء من القاعدة المادية ، فى علاقة جدليّة بالنضال بقيادة البروليتاريا و الظروف الخاصة فى البلاد ، التى جعلت ذلك ممكنا وضروريّا فى الصين ، بعد إفتكاك سلطة الدولة ، المضيّ مباشرة من إنهاء الثورة الديمقراطية الجديدة إلى الثورة الإشتراكية ، فى تعارض مع الخطّ التحريفي لليو تشاوتشي و آخرين الذين حاججوا بأنه كان من الضروري " تعزيز الديمقراطية الجديدة " الذى هو فى الجوهر برنامج " تعزيز " للرأسمالية .

لقد طوّر أفاكيان نظرة أكثر جدليّة و إنسجاما مع الواقع مقارنة بالفهم السابق بيد أنّه فى ما يتّصل بالقضيّة موضوع الحال هنا ، ليس خارج الموضوع أن نذكّر أيضا بالملاحظة الأساسيّة الصحيحة فى " **أسس اللينينية** " ، فى تناقض مع الماركسية الزائفة للإشتراكيين – الديمقراطيين و التروتسكيين ، و التى تعقد مقارنة بين الوضع قبل حلول الإمبريالية و بعده :

" فقبلا ، كان تحليل الظروف التى تسبق الثرة البروليتارية يجرى عادة من وجهة نظر الوضع الإقتصادي لهذا البلد أو ذاك مأخوذا بمفرده . أمّا الآن ، فإنّ هذا الشكل فى معالجة القضيّة لم يعد كافيا . فينبغى الآن مجابهة الأمر من وجهة نظر الحالة الإقتصاديّة فى مجموع البلدان ، أو فى أكثريّتها ، من وجهة نظر حالة الإقتصاد العالمي ، لأنّ مختلف البلدان و مختلف الإقتصاديّات الوطنيّة لم تعد وحدات تكفى نفسها بنفسها ، بل أصبحت حلقات فى سلسلة واحدة إسمها الإقتصاد العالمي ، لأنّ الرأسماليّة القديمة " المتمدّنة " تطوّرت إلى إستعمار ، و الإستعمار هو نظام عالمي قائم على الإستعباد المالي لأكثريّة السكّان العظمى فى الكرة الأرضيّة من قبل قبضة من البلدان " المتقدّمة " (24)

إنّ السيرورة العالميّة شيء نظرة آجيث و آخرين – " من بلدى فخارجا " - غير قادرة على فهمه .

6- البروليتاريا : طبقة أمميّة فى الأساس أم " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات " ؟

فى هذا السياق ، يمكن أن نتفحّص محاولة آجيث الأخرى أن يبيّن قاعدة ماديّة لتأكيده على أنّ الخصوصيّات الداخليّة لكلّ بلد أساسية و محددّة : إدّعاؤه أن البروليتاريا قد كفّت عن أن تكون طبقة عالميّة أساسا و أمست طبقة " بصفة خاصة قوميّة شكلا و مميّزات ".

وبعد تأكيد أنّ الأممية مسألة إيديولوجية فحسب متّصلة بهدف الشيوعية ، مسألة سنعود إليها لاحقا ، يتحدّث آجيث عن " السيرورة التاريخية الحقيقية لظهور هذه الطبقة [البروليتاريا] من إطارات قوميّة متباينة " و خاصة الطبيعة المختلفة للبروليتاريا فى البلدان المضطهَدة جراء التطوّر الرأسمالي البيروقراطي (25) و فى هامش مخفيّ عن الأنظار ، يعلمنا أنّه " نظرا للزمن الذى عاشت فيه ، مثل هذه التعقيدات كانت حتما خارج نطاق التحليل الذى أجراه ماركس و إنجلز للبروليتاريا كطبقة واحدة "

(26) . و هذا يعنى إن كان فى مستطاعه الحديث بصفة مباشرة أكثر ، لم يعد التحليل الشيوعي للبروليتاريا كطبقة عالمية واحدة قابل للتطبيق .

قد يكون صحيحا أنّ هذا التحليل لم يعد قابلا للتطبيق لكن أدنى النزاهة الفكرية كانت تفترض التصريح بهذا مباشرة وبصراحة و ليس إخفاءه فى هامش و التعبير عنه بلغة بليدة .

إستنادا إلى هذا التحليل و عوامل أخرى ، أعرب ماركس و إنجلز كذلك عن أنّه " ليس للعمال وطن " (27) لكن آجيث يقلب الأمر فيحول بلدهم ، طابعهم القومي ، إلى المظهر الأكثر جوهريّة لظهور البروليتاريا و وجودها . و يؤكّد مرّة أخرى على أن الأممية لا تعدو أن تكون مسألة إيديولوجية لا يجب خلطها مع " الواقع الملموس المعقّد لظهورها و وجودها فى مختلف البلدان . تظهر بروليتاريا أي بلد و تتشكّل فى خضمّ سيرورة تاريخية ، سيرورة خاصة بهذا البلد . و هذه السيرورة التاريخية يمكن أن تدفع إليها التطوّرات العالمية . و حتى حينها ، ستكون بصفة خاصة قومية شكلا و مميزات "(28).

يجب أن نلاحظ بصفة عابرة أنّ هذا يقلّص " الأممية " فى أفضل الأحوال إلى نوايا حسنة دون أيّة قاعدة ماديّة فى العالم الراهن . و فى الواقع ، كل من تطوّر الرأسمالية البيروقراطية و ظهور البروليتاريا و وجودها أعقد من ما يدّعيه آجيث دون الإحالة على أيّ مرجع مهما كان لوقائع " السيرورة التاريخية الواقعيّة ".

فى الواقع ، تطوّرت الرأسمالية التابعة للإمبريالية فى البلدان المضطهَدَة عبر سيرورة معقّدة من تصدير أو توسّع رأس المال من طرف البلدان الرأسمالية الأكثر تطوّرا كجزء من المرحلة الإمبريالية للرأسمالية، فى علاقة تداخل جدلي مع الظروف الملموسة فى بلدان مختلفة و حتى فى مناطق قوميّة مختلفة . ويصف ماو الدور الأساسي الذى يلعبه توغّل رأس المال الأجنبي بداية من أواسط القرن التاسع عشر فى تطوّر الرأسمالية البيروقراطية فى الصين و يشير خاصة إلى أنّ :

" نشوء و نمو البروليتاريا الصينية لم يتم تبعا لنشوء و نموّ البرجوازية الوطنيّة الصينية فحسب ، بل تمّ أيضا تبعا لمزاولة الإمبريالية مشاريعها فى الصين بصورة مباشرة . و لذا ، فإنّ قسما كبيرا جدّا من البروليتاريا الصينية لهو أقدم و أغنى خبرة من البرجوازية الصينية ..." (29) .

و حصلت سيرورة مشابهة ، و إن كانت لها ميزاتها الخاصة ، كذلك فى المكسيك مع ولوج رأس المال المالي فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، لا سيما فى الفترة المعروفة ب البرفيريالو (30) . و حدثت تغيرات مشابهة فى عديد البلدان التى نسمّيها اليوم " العالم الثالث " أثناء تقريبا الفترة نفسها . هل هذا مجرّد مصادفة ، مجرّد نتاج ل " سيرورة خاصة " فى كلّ بلد ؟ بديهيّا لا : إنّه نتاج لنشأة النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، مع تصدير رأس المال من البلدان الإمبريالية و تقسيم العالم بين القوى الإمبريالية و كتل رأس المال المالي العالمي ، فى تفاعل مع خصوصيّات كلّ بلد . هذا من ناحية و من ناحية ثانية ، بديهي أن هذه الخصوصيّات تنهض أيضا بدور هام جزئيّا : إن قارننا شمال المكسيك أين تهيمن نسبيّا أشكال أكثر رأسماليّة فى الفلاحة الشاسعة و الجنوب أين لا يزال قائما الإقتصاد الفلاحي [ما قبل الرأسمالي – المترجم] ، من البديهي أن ّنتائج هذه السيرورة متنوّعة جدّا ، و أنّ هذا هو الحال أكثر حتّى إن عالجنا التنوّع الكبير من الظروف فى البلدان المضطهَدَة .

محوريّ هو فهم ظروف و سيرورة التطوّر فى أيّ بلد معطى بكلّ خصوصيّاته ذلك أنّ فهم المظاهر العامة المشتركة فى السيرورة العالميّة ليس كافيا . و كذلك ، لا يمكن فهم سيرورة تطوّر فى بلد فهما صحيحا دون فهم علاقته بالسيرورة العالمية التى يشكّل جزء منها. و هذا ما لا يفقهه ضيق الأفق القومي لآجيث. فبالنسبة إليه ، السيرورة الكبرى و الإضطهاديّة الكاملة لظهور و تطوّر النظام الرأسمالي –

الإمبريالي العالمي و تأثيره العميق على تقريبا كلّ بلدان العالم تنحطّ إلى حدث لا أهمّية له: " هذه السيرورة التاريخية **يمكن أن** تدفع إليها التطوّرات العالمية " (التشديد مضاف).

إنّه لواقع تاريخي أنّ السيرورة العالمية إضطلعت كذلك بدور أساسيّ فى علاقة بالظروف الملموسة لكلّ بلد ، فى ظهور البروليتاريا فى البلدان المضطهَدَة . و توجد أشكال و خصوصيّات قوميّة و يجب أخذها بعين النظر " البروليتاريّون كأفراد جزء مثل الآخرين فى عصرنا من أمّة أو أخرى و من ثقافة أو أخرى . بيد أنّ البروليتاريا أساسا طبقة عالمية و ليست طبقة قوميّة . و على خلاف التناقضات العدائيّة بين رأسماليي مختلف الأمم ، لبروليتاريي كافة الدول ، كطبقة ، ذات المصلحة الجوهريّة فى القضاء على كافة أشكال الإستغلال و الإضطهاد و ليس بوسع البروليتاريا تحرير نفسها إلاّ بالقضاء نهائيّا على الطبقات فى العالم بأسره .

إنّه لمفارقة أن يأكّد البعض على ما يخالف ذلك فى حين أنّ الحياة المعاصرة تمدّنا أبدا بأمثلة ملموسة أكثر لهذا الطابع العالمي الأساسي ، من مثل تشكّل بروليتاريا متعدّدة القوميات فى الكثير من البلدان الإمبريالية و حتى فى الكثير من البلدان المضطهَدَة (و إن كان عامة بدرجة أقلّ) نظرا فى جزء هام إلى تدفّق الهجرة الجماهيرية العالمية إذ يقدّر أنّ أكثر من 232 مليون شخص هاجروا من بلد إلى آخر فى 2013 (31) . و منهج آجيث الدغمائي بالكاد يولى أهمّية لوقائع العالم الحقيقي .

7- الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية :

كان الفهم الأكثر جدليّة و علميّة للتفاعل بين المجال العالمي و النضال فى شتّى البلدان المجسّد فى الخلاصة الجديدة ثمرة ، فى جزء منه ، للتقدّم الفلسفي المتّصل بالتفاعل بين ما هو داخلي و ما هو خارجي .

فى سيرورة حركة الأشياء و تغيّرها ، نلاحظ فى العالم أنّ الأساسي هو تناقضها الداخلي ف " الأسباب الخارجية هي عامل التبدّل و الأسباب الباطنية هي أساس التبدّل و...الأسباب الخارجية تفعل فعلها عن طريق الأسباب الباطنية " مثلما لخّص ذلك ماو تسى تونغ فى " **فى التناقض** " (32) و يعطى مثال بيضة ملقّحة يمكن أن يولد منها كتكوت فى حرارة مناسبة (ظرف خارجي) نظرا لطبيعتها الداخليّة أو تناقضها الداخلي ، بينما لا تستطيع حجارة ذلك لأنّ طبيعتها الداخلية أو تناقضها الداخلي مختلف .

و مطبّقا هذا على العلاقة بين البلدان ، قال التالي :

" فى عصر الرأسمالية ، و على الأخصّ فى عصر الإمبريالية و الثورة البروليتارية كان هذا التأثير و التفاعل المتبادل عظيما جدّا بين مختلف البلدان فى مجالات السياسة و الإقتصاد و الثقافة . و لم تفتح ثورة أكتوبر (تشرين الأوّل) الإشتراكية عصرا جديدا فى تاريخ روسيا فحسب ، بل فى تاريخ العالم أيضا ، و قد كان لها نفوذ يتّسم بالعمق بصفة خاصة على التغيّرات الداخليّة فى الصين ، إلاّ أنّ هذه التبدّلات قد حدثت عن طريق قوانين التطوّر الداخلي لتلك البلدان بما فى ذلك الصين . " (33) .

وهذا أيضا صحيح فى الأساس على هذا المستوى من التحليل أي " التأثير والتفاعل المتبادل بين مختلف البلدان " . و هذا حال تأثير الأحداث فى روسيا ، كعامل خارجي ، على التغيّرات الداخلية فى الصين . و يشير أفاكيان إلى أنّه مع تطوّر هذه النقطة هنا و فى كتابات أخرى ، " وجّه ماو صفة حقيقيّة للتفكير و النزعات الميتافيزيقيّة التى كانت ترى السبب الأساسي (أو حتى الوحيد) لتغيّر الأشياء خارجي ؛ و تطبيق هذا المبدأ فى الصين كان حاسما فى النضال ضد الدغمائيّة ..." (34) و مع ذلك فى النصّ المذكور هنا ، رغم أنّ ماو يشير إلى أنّ ثورة أكتوبر قد دشّنت عصرا جديدا فى تاريخ العالم ، لم يأخذ صراحة بعين الإعتبار هنا إنعكاساتها على **المستوى العالمي** (و ليس فقط كتأثير بلد على بلد آخر)

و **تأثيره بدوره على هذه التغيّرات على المستوى العالمي عامة** (ما تطرقنا له قبلا ، مثلا ، فى علاقة بجذور الثورة الديمقراطية الجديدة).

و فى ما يتّصل بهذا المشكل أي الترابط بين ما هو خارجي و ما هو داخلي ، صاغ أفاكيان هذا النقد :

" إلى درجة معيّنة ، وجدت نزعة لرؤية هذا المبدأ ذاته و تطبيقه ميتافيزيقيّا ، و كان هذا متّصلا بقدر معيّن من القوميّة داخل الحزب الصيني بما فى ذلك لدى الماركسيين – اللينينيين الحقيقيين و حتى لدى ماو نفسه . و بالفعل كانت هذه النزعة فى تعارض مع مبدأ آخر وقع التشديد عليه فى **" فى التناقض "** : أنّه " بسبب أن أنواع الأشياء لامتناهية و أنّ تطوّرها غير محدود ، فإنّ ما هو عمومي فى حالة معيّنة يصير خاصا فى حالة معيّنة أخرى " و العكس بالعكس . و هذا يعنى أنّ ما هو داخلي فى إطار ما يصبح خارجي فى إطار آخر و العكس بالعكس . فللصين (أو الولايات المتحدة أو أي بلد آخر) على سبيل المثال خصوصيّات، تناقضها المميّز الخاص ؛ و فى إطار ما ، بقيّة العالم (الصراع و التغير فيه) خارجي (بالنسبة أو الولايات المتحدة إلخ) لكن كذلك صحيح أنّه فى إطار آخر ، الصين و الولايات المتحدة و بقيّة البلدان فى العالم يشكّلون أجزاء من العالم (من المجتمع الإنساني) ككلّ ، بتناقضه و تغيره الداخليين محدّدين بصورة شاملة بالتناقض الأساسي للعصر البرجوازي ، بين الإنتاج ذى الطبيعة الإجتماعية / التملّك الخاص الرأسمالي .

و هذا يعنى أنّ تطوّر الصراع الطبقي (و الوطني) بالمعنى العام و تطوّر الأوضاع الثوريّة إلخ ، فى البلدان محدّد أكثر بالتطوّرات فى العالم ككلّ أكثر منه بالتطوّرات فى بلدان معيّنة – محدّدة ليس فقط كشرط خارجي (سبب خارجي) بل كأساس للتغيّر (سبب داخلي) . برأيى ، لم يحدث هذا قبل حلول الإمبريالية ..." (35).

و لأجل توضيح النقطة الأساسية و مفادها أنّ ما هو داخلي فى إطار ما يصبح خارجي فى إطار آخر و العكس بالعكس ، يمكن أن نلاحظ أنّه فى إطار المجتمع الإنساني ، النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي داخلي و بقيّة الطبيعة عامل خارجي ، لكن فى إطار آخر أو مستوى آخر من التحليل ، يمكن إعتبار بلد ما داخلي و النظام العالمي خارجي . و يمكن أن نستمرّ فى ذلك . و من وجهة نظر جهة فى بلد ما ، بقيّة البلاد عامل خارجي ؛ و من وجهة نظر قرية ، الجهة خارجية ، و من وجهة نظر فرد ، القرية خارجية ؛ و من وجهة نظر الكُلى ، بقيّة الجسد خارجية ؛ و هكذا دواليك . إن كان المبدأ الصحيح هو أنّ السبب الأساسي لتطوّر الأشياء ليس خارجيّا بل داخليّا ، يُطبّق بطريقة مثاليّة و ميتافيزيقيّة ، يمكن أن نتوصّل إلى إستنتاجات عبثيّة (و لسوء الحظّ تحضى بقبول معيّن فى الحياة اليومية بفعل التجريبيّة) (36) مثل كون آفاق الثورة تتحدّد أساسا بما يحصل داخليّا فى منطقتى أو فى قريتى (أو حتى الكُلى ، للمضيّ بذلك إلى أقاصي عبثيّة).

مسألة ما هو مستوى تنظيم المادة (الطبيعة ، المجتمع الإنساني ، بلد إلخ ، فى مثالنا) **التى تلعب الدور الأكثر تحديدا لظواهر معيّنة لا يمكن معالجته فقط على أساس فلسفي و إنّما بالأحرى فقط بتحليل هذا العالم المادي** ، آخذين بعين الإعتبار فى نفس الوقت أنّ هناك تداخل و تفاعل مستمرّين بين كافة مستويات تنظيم المادة ، كما كنّا نفعل .

مثلا ، فى حال جسد الإنسان كنظام متكامل ، ما يحدث فى الجسد ككلّ هو عموما و فى آخر المطاف حيويّ و محدّد للحياة أو الموت . و ما يحدث فى جهاز داخلي – حال الفشل الكلوي على سبيل المثال – يمكن أن يكون حاسما فى وقت معيّن ليس فقط بالنسبة لذلك الجهاز بل أيضا لحياة الشخص أو موته ، لكن هذا فى النهاية حال العلاقة بالنظام ككلّ و التى تشمل ، هنا ، إنعكاسات عدم التخلّص من مواد معيّنة فى الجسد . ماذا سنقول عن طبيب يعلن عند تفحّصه لجثّة ذات حنجرة مقطّعة ، أنّه حال فشل كلوي

نظرا لتناقض داخلي فى الكلى ؟ بداهة سيكون الطبيب المسكين مضطربا جدّا ، رغم أنّه فى نطاق ضيّق جدّا سيكون على حقّ : جزء من التناقض الداخلي أو طبيعة الكلى ، شأنها شأن الأجهزة و الأنسجة الأخرى لجسد الإنسان ، هو أنّها تحتاج إلى الدم لتظلّ على قيد الحياة و لذلك فإنّ خسارة الدم فى النظام ككلّ ستؤدّى إلى خسارة وظيفة الكلى و كذلك وظائف الجسد الأخرى .

فى هذا العصر الإمبريالي ، يوجد نظام عالمي بتناقضاته **الداخليّة** الخاصة **كأساس للتغيّر فى النظام ككلّ** وهو يشكّل أيضا و يحدّد الأحداث و التناقضات الداخلية فى كلّ بلد ، و ليس كمجرّد شيء **خارجي** لهذه البلدان ، بالضبط مثل النظام المتكامل لجسد الإنسان ليس ببساطة **خارجيّا** لأجهزته الداخلية . وفى ديناميكية هذا النظام ، المجال أو المستوى العالمي للأسباب التى سبق شرحها و تفصيلها نوعا ما بأمثلة هو عموما و فى النهاية الأكثر حيويّة و تحديدا من خصوصيّات بلد مأخوذة فى حدّ ذاتها ، رغم تواصل إعتبارها جزء هاما من أساس التغيّر ، و العلاقة المفتاح لتقدّم الثورة العالمية هي التفاعل المتبادل للبروليتاريا و الدعم المتبادل للنضالات فى مختلف البلدان .

8- عدم قدرة القوميّة الضيّقة على تصوّر السيرورة العالميّة و تفاعلها الجدلي مع التناقضات الداخليّة للبلدان :

من البداية ، يبيّن آجيث أنّه لا يفهم و ربّما ليس قادرا على فهم حجّة أفاكيان : " تهمة أفاكيان هي أن نظرة ماو لإعتبار العوامل الداخلية للصين كأساس لتغييرها ثوريّا مثلت نظرة قومية . " (37) . هذا عبثيّ . كيف يمكن لأفاكيان أن يشير إلى أنّ هذه الفكرة مثّلت " صفعة حقيقيّة للتفكير و النزعات الميتافيزيقيّة " إن كانت ببساطة خاطئة ؟ فى الواقع ، مثلما أنّ آجيث واعى بذلك و لا شكّ ، يشدّد أفاكيان مباشرة فى نفس المقال (**" حول الأساس الفلسفي للأمميّة البروليتارية "**) : " كلّ هذا لا يعنى أنّ التناقض الداخلي فى بلد معيّن ليس بعد كلّ شيء أساس التغيّر هناك ، كما ناقشنا سابقا . لكن يعنى أنّ هذا نسبيّ " (38) .

مبدأ ماو الفلسفي العام – أنّ الأسباب الداخليّة هي أساس التغيّر و أنّ الأسباب الخارجيّة هي شروط التغيّر – صحيح ، لكنّه يحتاج إلى أن يأخذ بعين الإعتبار علاقات الترابط فى العالم الحقيقي بين مستوى ما من تنظيم المادة و مستوى آخر . الخطأ فى النصّ المقتطف من ماو و الذى له تأثير أوسع لم يكن بوضوح يأخذ بعين الإعتبار ليس مجرّد تأثير البلدان الأخرى كعامل خارجي فقط لكن أيضا التناقضات **الداخلية** للسيرورة العالمية فى تفاعل جدلي مع التناقضات الداخليّة فى كلّ بلد .

فى العالم الحقيقي ، فى عصر الإمبريالية ، هناك نظام عالمي بتناقضاته الداخليّة التى هي أيضا أساس التغيير . و المشكل هو تحليل و فهم جدليّة و ديناميكيّة هذين المستويين و علاقات التغيير بينهما . آجيث لا يفهم حتى المشكل : بنظرته القوميّة الضيّقة ، إن كان المستوى العالمي فى النهاية ينهض بدور حاسم فذلك يفيد أنّ التناقضات الداخليّة فى بلد لم تعد أساس التغيير ، لذا يعتقد أنّه ليس من الضروري أن يبيّن أي شيء فى العالم الحقيقي ، لكن مجرّد إستبعاد التحليل الذى لا يسعى إلى فهمه.

و تسترسل حجّته كالتالي :

" إنّ تناقضات الوضع العالمي **" ككلّ "** بالتأكيد داخلية بالنسبة له . و أجل ، العالم بالتأكيد متكوّن من **" أجزاء من العالم "** (مختلف البلدان) إلاّ أّن **" العالم ككلّ "** مختلف بجلاء عن " أجزاء من العالم " . يمكن أن نحلّل و نتحدّث عن التناقضات التى نراها فى العالم **ككلّ** فقط على مستوى مختلف بجلاء عن مستوى البلدان – رغم أنّها تشكّل العالم ، فإنّها تتأثّر بالوضع العالمي و بدورها تأثّر فيه . الوضع العالمي ما هو بالحصيلة العامة لأوضاع مختلف البلدان و لا الوضع فى أي بلد هو قسم من الوضع

العالمي. إنّ أفاكيان يتلاعب بكلمة " الوضع " عندما يأكّد أنّ " ما هو داخلي فى وضع ما يصبح خارجي فى وضع آخر " . فى المثال الخاص الذى نتفحّص هنا ، تغير " الوضع " (من وضع فى بلد إلى وضع عالمي ككلّ) يعنى بعدا جديدا تماما و مختلفا نوعيّا . و من هنا اللجوء إلى الطبيعة النسبية للداخلي و الخارجي لا يثبت صحّة بأي شكل من الأشكال صحّة الإستنتاج الذى يبلغه أفاكيان . وحججه بالفعل تنحو نحو فضح الإلتواءات المنطقية التى يجد فيها نفسه (موضوع نقد فى الندوة الثانية) . " (39)

و من جديد يبيّن آجيث أنّه لا يفهم أو لا يريد أن يفهم أو لا يستطيع أن يفهم حجّة معارضيه . إنّه يجعل الحجّة المركزيّة أنّه بالرغم من كون لكلّ بلد خصوصيّاته فهو " يشكّل جزء من العالم (من المجتمع الإنساني) ككلّ ، بتناقضاته و تغيّره الداخليين المحدّدين بطريقة شاملة بالتناقض الأساسي لعصر البرجوازية ، بين الإنتاج ذى الطبيعة الإجتماعية / التملّك الخاص " و أنّ هذا ، بالمعنى الشامل أكثر تحديدا بالضبط مع " حلول الإمبريالية " : إنّه لا يأخذ بعين الإعتبار التغيّر الأساسي فى العالم مع حلول الإمبريالية الذى قد حلّلنا بشيء من التفصيل . إنّه لا يفهم النقطة الأساسية و مفادها أنّه هناك سيرورة عالمية بتناقضاتها **الداخلية** الخاصة و التى هي أساس التغيير فى النظام ككلّ ، أو كيف هي إطار التناقضات الداخلية لـ**كلّ** بلد وهي تتفاعل معها بإستمرار . لا يفهم آجيث الفهم الجدلي الجوهري بأنّ هناك مستويات مختلفة من تنظيم المادة تتفاعل بإستمرار ، لا يفهمها آجيث إلاّ ك " تلاعب" بكلمة " ظرف " . و ينحطّ فقر حجّته إلى تأكيد أنّه إعتبارا لكون المستوى العالمي مغاير نوعيا لمستوى بلد معطى (وهو أمر صحيح) ... يبدو أنّه لا حاجة إلى تحليل تفاعلهما و يمكن أن نعلن ، دون أيّة أدلّة ، مهما كانت ، أن المستوى القومي هو المحدّد ، مع ما يتبع من إعتبار المستوى العالمي كشيء منفصل جدّا أو بعيد جدّا عن الأحداث فى بلد معيّن .

9- ما الذى تعلمنا إيّاه التجربة التاريخية الحقيقيّة للثورة البلشفيّة ؟

لو إستطاع أن يترك برجه المثالي والدغمائي للحظة ، كيف سيفسّر لنا السيد آجيث وقائع العالم الحقيقي ؟ كيف سيفسّر ، مثلا ، الثورة البلشفيّة و تأثيرها على العالم ؟ هل كانت ببساطة نتاجا للتناقضات الداخليّة للإمبراطورية الروسيّة مع بعض التأثير الثانوي للعوامل الخارجيّة ؟ لا . لا يمكن فهمها فهما صحيحا دون فهم ما حدث فى إطار الحرب العالمية الأولى التى " جمعت كلّ هذه التناقضات فى عقدة واحدة ، و ألقت بها إلى كفّة الميزان " (40) ، مولّدة أوضاعا ثوريّة ليس فى الإمبراطورية الروسية و حسب بل أيضا فى عديد البلدان الأخرى . و سيكون من الضروري أن نشرح لآجيث أنّ الحرب العالمية الأولى لم تكن بالضبط حدثا داخليّا فى روسيا أو حدثا خارجيّا ظهر فحسب عبر العوامل الداخليّة و إنّما بالأحرى أنّ المستوى العالمي " المختلف نوعيّا " ظهر بشكل غير مريح ، ضمن أشكال أخرى ، فى صدام دموي للجيوش الكبرى للقوى الإمبريالية على مناطق واسعة عبرت العديد من الحدود القوميّة ؟

هذا من جهة و من جهة أخرى ، سنكون مخطئين إذا لم نأخذ بعين الإعتبار موقع الإمبراطوريّة الروسيّة فى النظام العالمي و كذلك التناقضات الداخليّة لروسيا و سلسلة الأمم أسيرة " سجن الأمم " الذى كانته الإمبراطوريّة الروسيّة . و يشمل هذا واقع أنّه رغم أنّها كانت تضطهد كثيرا من الأمم ، كانت قوّة إمبريالية ضعيفة و قليلة التطوّر الرأسمالي ، أين الغالبيّة العظمى من السكّان لا تزال تعيش تحت سلاسل العلاقات شبه الإقطاعية ، مع إستفاقة للحركات المناهضة للإضطهاد القومي الذى كانت تفرضه روسيا ، و عديد العوامل المتنوّعة الأخرى ذات الصلة ، من جهة ، و من جهة أخرى ، مع لماذا كانت الأزمة الثوريّة أشدّ هناك و كذلك مع برنامج لعدد كبير من الأمم المضطهَدة إلخ : عوامل كانت متباينة مع ما كان يمكن تطبيقه زمنها على فرنسا مثلا .

و هنا يمكن أن نرى بحيويّة أهمّية ملاحظة أفاكيان " يمثّل التفاعل المتبادل و الدعم المتبادل بين نضالات البروليتاريين فى بلدان مختلفة العلاقة المفتاح فى التغيير الجوهري للعالم قاطبة . " كانت الثورة البلشفيّة إفرازا ليس فحسب لظروف أكثر مواتاة لكن أيضا للخطّ الثوري للينين والحزب البلشفي . ففى كلّ البلدان ، إستسلم قسم واسع من القادة الإشتراكيين ، مصطفّين إلى جانب برجوازيتهم " هم " فى الحرب الرجعية و حتى المعارضة الثوريّة التى نهضت فى عدّة بلدان فى وجه الخيانة – و التى بذل لينين والبلاشفة قصارى جهدهم لتشجيعها – لم تبلغ موقفا ثوريّا صريحا . كان هذا حال حتى أفضل ممثّليها كروزا لكسمبورغ و كارل لايبنخت فى ألمانيا ، مثلما ينعكس ذلك فى نقد لكسمبورغ من وجهة نظر ديمقراطية – برجوازية للحزب اللينيني الطليعي و الثورة البلشفيّة ذاتها (و يمكن أن نشير بصورة عابرة إلى أنّه ليس من الصدفة أن يقترح آجيث إعتماد هذا النقد على الأقلّ جزئيّا – إنعكاس لإيديولوجيّته الخاصة الديمقراطية – البرجوازية) . (41)

علاقة الترابط بين المستوى العالمي و البلدان علاقة ثابتة و ديناميكية و متغيّرة بإستمرار . و بوجه خاص إعتمادا على ظهور النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي و فى إطار الحرب الإمبريالية العالميّة الأولى ، كان للثورة البلشفيّة تأثير بدورها على مستوى تأثير بلد على بلد آخر كعامل خارجي بل أيضا ، معا مع الحرب ، **على العالم كلّه** مغيّرة ، حسب جملة ماو تسى تونغ المستشهد بها أعلاه " إتجاه تاريخ العالم كلّه و مفتتحتا عصرا جديدا " (42) الذى فيه سرعان ما تم وضع الثورة الشيوعية على جدول الأعمال فى تقريبا كلّ البلدان ، بما فى ذلك تغيّر فى طبيعة الثورة التى كانت ضروريّة و ممكنة فى البلدان المضطهَدَة كما أشرنا آنفا .

كيف يمكن فهم هذا التغيّر فى " المسار العام لتاريخ العالم " بدوغما آجيث القوميّة الضيّقة القائلة بأنّ مهام الثوريين " تنشأ من الخصوصيات الداخلية لبلدها وهي تتحدّد أكثر بها " ؟ (43) لا يمكن ذلك .

10 – هل أنّ حملة الحروب الإمبريالية محدّدة أساسا بخصوصيّات كلّ بلد ؟

يواصل آجيث المحاججة بأنّ تحاليل أفاكيان ل " التناقض و التغيّرات الداخليّة فى العالم على أنّها جميعا "محدّدة بصورة عامة بالتناقض الأساسي للعصر البرجوازي" بالأحرى معالجة سطحيّة لهذا الموضوع " لأنّ فى رأيه التناقض الرئيسي و ليس التناقض الأساسي فى حدّ ذاته " أكثر تحديدا " (44) حسنا ، فى المقام الأوّل ، جوهر المسألة هو ما الصحيح ؟ هذا من جهة ، و من جهة ثانية ، هناك تشويه متعمّد لموقف أفاكيان هنا ، وهو ، حسب آجيث ، أنّ الشيء الوحيد الهام هو التناقض الأساسي ، فى حين أنّ أفاكيان فى الواقع يحلّل (معتمدا تحليل إنجلز و مطوّرا إيّاه) أنّ للتناقض الأساسي شكلان من الحركة ، القوّة المحرّكة للفوضى (المنعكسة مثلا فى التغيّرات الديناميكيّة فى الإقتصاد العالمي و الأزمات و التناقضات صلب الإمبرياليين) و التناقض الطبقي بين البرجوازية و البروليتاريا الذى له أيضا تعبيره فى التناقض بين البلدان الإمبريالية و البلدان المضطهَدَة و بين الرأسمالية و الإشتراكية عندما توجد بلدان إشتراكية (45). و يحيل ذلك على أنّه ثمّة تناقضات مختلفة (إضطهاد النساء و الإضطهاد القومي إلخ) رغم تطوّرها فى إطار التناقض الأساسي لا يمكن أن تقلّص إليه . و سنترك للقرّاء الحكم إن كان هذا التحليل أكثر " سطحيّة " من الموقف الذى أعرب عنه آجيث ، و فيه ظاهريّا الشيء الوحيد الذى يحتاج إلى أن نأخذه بعين النظر على المستوى العالمي هو " التناقض بين الإمبريالية و الأمم و الشعوب المضطهَدة هوالتناقض الرئيسي ." (46) و ننصح بالمقال الممتاز لريموند لوتا الذى يعنى بتحليل أخطاء آجيث و آخرين بشأن هذه المسائل و يدحضها (47) ، و لن نتوغّل أكثر فى هذا الموضوع هنا .

و بعد تقليص الوضع العالمي إلى التناقض بين الإمبريالية و الأمم و الشعوب المضطهَدَة ، يمضى آجيث إلى تقليص هذا التناقض العالمي إلى خصوصيّات الوضع فى كلّ بلد : " بالرغم من أن الهند أو بلد

مستعمر مثل أفغانستان او العراق ، هي بلدان مضطهَدة جميعها ، فإنّ التأثير الذى يمارسه التناقض الرئيسي على الوضع فى كلّ بلد مغاير بجلاء . و هذا بداهة محدّد بالخصوصيات الإجتماعية – السياسية- الثقافية – الإقتصادية لهذه البلدان . وإذا لم يقع إستيعاب هذه الخصوصيات الداخلية ، فإنّ القوى الماوية لن تنجح بتاتا فى مهامها . و لن تستوعبها إذا أخفقت فى فهم أنّها تنشأ عن الخصوصيات الداخلية لبلدها وهي تتحدّد أكثر بها ." (48).

نعم " بداهة " التناقض بين الإمبريالية و المم المضطهَدَة يتمّ التعبير عنه بشكل مختلف فى بلدان مختلفة و من الضروري فهم هذه الخصوصيّات . لكن لا هو بديهي و لا هو صحيح أنّ الوضع المختلف فى كلّ بلد يتحدّد فى الأساس بخصوصيّات كلّ بلد . ففى الواقع ، يتحدّد بتفاعل جدلي ثابت و ديناميكي بين الوضع العالمي و موقع البلد فى العالم و خصوصيّاته .

لنلقى نظرة على العالم الحقيقي : ألم يكن الإحتلال الإمبريالي للعراق أو أفغانستان جزء من الوضع " المختلف " لهذه البلدان ؟ كان كذلك بوضوح . هل يمكن أن نقول إنّ هذا " بداهة تحدّده الخصوصيات الإجتماعية و السياسية و الثقافيّة و الإقتصادية لهذه البلدان " ؟ لم يحدث بمنأى عن هذه الخصوصيّات و كان مشروطا بها ، لكنّه لم يكن مجرّد نتاج لهذه الخصوصيّات و لم يكن ببساطة نتاجا لحملة الحروب الإمبريالية المخطّط لها فى جزء هام قبل الهجوم على مركز التجارة العالمي سنة 2001 و الذى كان يستهدف "إعادة رسم خارطة " الشرق الأوسط و أنحاء أخرى من الكوكب ، فيها كانت الإمبريالية الأمريكية ، فى تحالف مع قوى أخرى تسعى إلى ، ضمن أشياء أخرى ، مدّ هيمنتها أمام إنهيار الإمبريالية الإشتراكية السوفياتيّة و إلى إخضاع قوى كصدّام حسين و طالبان التى و إن كانت قوى رجعيّة برجوازية و إقطاعيّة ، تصادمت مع مصالح الإمبريالية الأمريكية . و كانت كذلك تبحث عن منع أي منافسين محتملين آخرين من تحدّى هيمنتها . (49)

و تؤدّى مقاربة آجيث القوميّة ، إلى جانب أداتيّه ، و التى ليست قائمة على الواقع الموضوعي بل بالأحرى على ما سيبدو أكثر ملاءمة للحركة الثورية ، تؤدّى حقيقة إلى العبثيّة . إنّه يشتكى من أنّ " الهجوم على مركز التجارة العالمية كان يُستغلّ لشنّ هجوم عالمي قصد خفض المقاومة الجماهيرية النامية للعولمة و إرتداد " ظهور موجة جديدة من الثورة العالمية " قُلّص إلى مظهر ثانوي " (50) فى تحليل أفاكيان و آخرين لجذور حملة الحروب الإمبريالية .

و بالرغم من أنّه من الصحيح أن ما يسمّى ب " الحرب على الإرهاب " قد إستعملت لوسم الثوريين و التقدّميين بالإرهابيين (و قد وُجد قدر كبير من التشهير بهذا فى صحافة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، على عكس ما يريد منّا آجيث أن نعتقده) ، فإنّ تأكيد آجيث على أنّ هذا ليس " مظهرا ثانويّا " يعنى أنّه كان المظهر الرئيسي و على الأقلّ بصفة غير مباشرة الدافع الأساسي لحملة الحروب الإمبريالية . فى عالم آجيث التبسيطي ، الشيء الوحيد الموجود هو المواجهة بين العدوّ و الشعب . هل علينا أن نعتقد مثلا أنّ حملة الحروب قامت بالأساس ل " دحر" الثورة و النضال ضد العولمة .. و أنّ الإمبرياليين أطاحوا بصدّام حسين و طالبان لذلك الغرض ؟ من المعلوم لدى عموم الناس أنّ بوش لم يكن عبقريّا على وجه الضبط لكن مهندسو الإستراتيجيا الإمبريالية الأمريكية بداهة لا بدّ أنّهم أدركوا أنّ صدّام حسين و طالبان لم يكونا تماما مركز الحركات الثوريّة و الشعبيّة فى العالم !

11- القوميّة و الإقتصادويّة بإسم " الخصوصيّات " أم تغيير الظروف إلى أقصى درجة ممكنة للقيام بالثورة ؟

فى ما قد ذكرناه أعلاه ، يقول لنا آجيث إنّ الشيوعيين " لن يدركوا أبدا خصوصيّات كلّ بلد ما لم يفهموا أنّها " تنشأ عن الخصوصيات الداخلية لبلدها وهي تتحدّد أكثر بها ". على ما يبدو ، يعتقد آجيث أنّه من

الضروري فقط فهم ما هو الأكثر تحديدا (بما أنّ الخصوصيّات فى رأيه لن تفهم إذا لم يُقبل بأنّها أكثر تحديدا). لكن هذا خاطئ كلّيا . فى مثال البيضة الذى إستخدمه ماو ، بالرغم من أنّ طبيعتها الداخليّة هي المظهر الأكثر تحديدا و الذى يوفّر إمكانيّة تحوّلها إلى كتكوت ، هل يعنى هذا أنّ المظهر الآخر ، الحرارة ، لا أهمّية له و يمكن ببساطة أن نركن البيضة فى الثلاّجة و ننتظر أن يفقس كتكوت ؟

و لتقديم مثال مباشر أكثر و متعلّق بمسألة إطار ما هو داخلي و خارجي الذى لا يفهمه آجيث ، إن كان المرء يشدّد بصيغة صحيحة على أنّ سلطة الدولة يجب إفتكاكها على المستوى القومي و أنّ المستوى القومي بهذا المضمار أكثر حسما و تحديدا عامة و فى النهاية من ما يقع فى منطقة معيّنة ، هل أنّ هذا يفيد بالضرورة أنّكم ستتجاوزون الخصوصيّات الجهويّة على أنّ لها قدر قليل من الأهمّية بالنسبة للنضال الثوري ؟ لا . لا بوضوح لا يفيد ذلك .

ثمّ يحذّر آجيث من أنّ " " النظرة الأفاكيانية المشوّهة للأممية ... وصفة للإنعزال عن الشعب " (51) . و هنا نصل إلى مبدأ أساسي آخر لدى الماركسيّة الزائفة . كلّ إمرء قد شارك بشكل ما فى الحركة الثوريّة يعرف الحجّة التالية بشكل أو آخر: غالبيّة الناس معنيين فقط ببلادهم ؛ غالبيّتهم قوميّون ، إنّهم لا يتفقون مع الشيوعية . إن كنّا سنقول للناس إنّه ينبغى أن لا نعتني بالبلد فحسب بل علينا الإعتناء بالعالم قاطبة و إنّه لا ينبغى أن نروّج للقوميّة بل بالأحرى نروّج للأمميّة ، و إنّ ما نحتاجه هو الثورة الشيوعية و تحرير الإنسانية ، **سننعزل عن الناس** . هنا لم تعد هناك أهمّية لما هو صحيح ، المهمّ هو فقط " الوصفة " الإقتصادويّة للتذيّل للعفويّة .

و من البديهي أنّ هذا الجزء من " وصفة " آجيث و طاقمه المتنافر من أشباهه. و كما سبق و أن رأينا ، قد تذيّلوا إلى التحريفيّة فى النيبال منبهرين ب " النجاحات " الإنتخابيّة . و هم كذلك يتذيّلون للتأثير المفترض بأنّه " معادي للإمبريالية " للأصوليّة الإسلامية (53)، منكرين الضرر الكبير الذى تلحقه الأصوليّة الإسلامية – و أصوليّات الديانات الأخرى – بالناس نظرا للفهم الخاطئ للعالم الذى يطبع فى الذهن نتيجة لذلك ، و كيف و ما يفعله الناس و ما لا يفعلونه (54) حتى لا نشير إلى دورها السياسي الرجعي فى إعادة فرض أشكال بربريّة لإضطهاد النساء ، و قتل الثوريين إلخ . من الصحيح أنّ القوى الأصوليّة كطالبان و القاعدة تسبّبت فى مشاكل للإمبريالية الغربيّة إلاّ أنّها ليست بأيّة حال " معادية للإمبريالية " : إنّها لا تنوى بتاتا القطيعة مع النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، بل بالأحرى ، على أقصى تقدير ، تنوى فحسب تحسين موقع بعض المستغِلين الكبار على حساب آخرين و فرض إيديولوجيا أصوليّة وبرنامج سياسي و إجتماعي و ثقافي و تغيرات دينيّة رجعيّة كلّيا .

وكلّ من يتذيّل للأفكار الخاطئة فى صفوف الشعب يمكن ربّما أن يتجنّب " الوقوع فى عزلة " و يمكن حتّى أن يحقّق بعض " النجاح " الوقتي مضاربا بتخلّف الجماهير غير أنّه بالقيام بذلك يكون قد **تخلّى بالفعل عن النضال من أجل الشيوعية** ، مهما كان قدر المقتطفات الماركسيّة التى يمكن أن يتقيّأها . ذلك أنّ أيّة ثورة شيوعية (وهي تشمل ، كي يتمكّن السيد آجيث من فهمنا ، الثورة الديمقراطية الجديدة حيث تكون قابلة للتطبيق) تتطلّب النهوض بتدريب الشعب على **الإيديولوجيا الشيوعية** و ليس على أيّة إيديولوجيا أخرى . وفى غياب مثل هذه الثورة ، يستمرّ عذاب الناس فى ظلّ النظام الرجعي و هذا ، و ليس " النجاحات " القابلة للذوبان المحقّقة مقابل التخلّى عن الثورة بالفعل إن لم يكن بالقول أيضا ، هو و يجب أن يكون الهدف الساسي لكلّ الشيوعيين .

و التهمة الأخيرة التى يوجّهها آجيث لأطروحة أفاكيان هي " و أنكى حتى ، إنّها توفّر تعليلا لجعل الوقت حجّة بإنتظار وضع ثوري " تحدّده الأحداث العالمية " " (55).

هذا تشويه سخيف على ضوء كلّ الجهد الذى بذله أفاكيان لتعميق نقد الحتميّة (56) و كان على آجيث أن يقرّ فى هامش من الهوامش بأنّ أفاكيان يقول العكس ، لكنّه لا يناقش موقفه الحقيقي و الفعلي . فى الواقع ، يرفع أفاكيان عاليا و يتبنّى مفهوم ماو " التعجيل و إنتظار حصول تبدّلات فى الوضع الدولي " (57). و يشنّ آجيث هجمات عدّة على الخلاصة الجديدة بإسم " ماوية " مفترضة لكن لماذا ليس لديه أي شيء يقوله عن كلمات ماو **هذه ؟** لأنّها تعبّر بوضوح عن كلّ من الدور الحاسم للمجال العالمي و الحاجة إلى النضال بنشاط لتغيير الظروف إلى أكبر درجة ممكنة فى كلّ من داخل البلد وفى العالم ككلّ . يطبّق أفاكيان منهجا صريحا و علميّا و يرفع عاليا المساهمات العظمة لمو التى ثب أنّها تتناسب و العالم الحقيقي و كيفيّة تغييره ، لكنه يشير بجلاء إلى أين يعتقد أنّ ماو إقترف بعض الأخطاء الثانويّة لكن الهامة ، امّا آجيث فيطبّق منهجا دغمائيّا و مثاليا للإختيار الإنتقائي للمقتطفات التى يمكن أن" تثبت " أفكاره المسبّقة ، متناسيا بصمت تلك التى تتناقض معها و غير عابئ بوقائع العالم الحقيقي .

إنّ الإطار الخاص الذى كان ماو يتحدّث عنه كان الحاجة إلى التسريع بينما ينتظرون التغيّرات فى الوضع العالمي و إضعاف الإمبريالية اليابانية للتمكّن من المرور إلى الهجوم المضاد الإستراتيجي ، متجنّبين الأخطاء العكسيّة للمرور إلى الهجوم المضاد قبل توفّر ظروف نجاحه ، من جهة ، أو ، من الجهة الأخرى ، القيام بدفاع سلبي و عدم بذل قصارى الجهد الممكن للتسريع فى التغيّرات التى ستجعل ممكنا المرور إلى الهجوم المضاد . و إنطبقت و تنطبق هذه المقاربة بوجه عام على كلّ من الإنتصار فى الصين و على التوجّه الإستراتيجي الثوري فى العالم ككلّ .

و بالرغم من كون المرحلة العالمية أساسيّة و حاسمة فى آخر المطاف و عامة ، فإنّ نضالات البروليتاريا فى مختلف البلدان هي الرابط المفتاح لأنّ هكذا يمكن للقوى الثوريّة أن تأثّر فى تغيير الظروف ، فى بلد معيّن و أيضا على الصعيد العالمي ، إلى أقصى درجة ممكنة لأجل القدرة على القيام بالثورة . بهذا الصدد ، قد يتمّ السقوط فى خطأين إثنين (58) : خطأ سقط فيه آجيث و عديد الآخرين بعدم أخذهم بعين الإعتبار أنّ المجال العالمي أساسي و فى النهاية حاسم ؛ و ليس من قبيل الصدفة أنّ الثورتين الإشتراكيتين إلى اليوم قد حدثتا فى إطار الحروب العالمية و هذا لا يمكن فهمه فهما صحيحا (و بالتالى يمكن تطوير إستراتيجيا و تكتيك صحيحين) ببساطة بالإعتماد على خصوصيّات كلّ بلد . و الخطأ المناقض له سيكون الإعتقاد أنّه ينبغى دائما أن يوجد ظرف تاريخي من التمركز الشديد للتناقضات فى النظام العالمي حتى تستطيع الثورة الشيوعية أن تنتصر فى بلد معيّن . قول إنّ الصعيد العالمي حاسم " فى آخر المطاف " يعنى كذلك أنّه ليس حاسما مباشرة و دائما فى كلّ مكان . و كما أشرنا ، التناقضات الداخليّة فى كلّ بلد تظلّ جزء أساسيّا من قاعدة التغيير ، و بالتالى ، من الممكن أن تكون الظروف الملموسة فى بلد معيّن أكثر مواتاة من الوضع العالمي ككلّ . و كان هذا حال مثلا حرب الشعب فى البيرو و فى النيبال اللتان بلغتا ، لفترة من الزمن ، تقدّما مهمّا فى ظروف جزر نسبيّ فى الثورة العالمية . وفى الواقع ، فى أي ظرف ، ليس بوسع أيّ كان أن يتنبّأ بكلّ شيء قد يتمكّن النضال المصمّم للقوى الثوريّة التى يقودها خطّ صحيح فى الأساس ، من تغييره فى تفاعل مع التغيّرات الأخرى فى الوضع و تحرّكات القوى الطبقيّة الأخرى إلخ.

لهذا فى غاية الأهمّية هو نقد أفاكيان للحتميّة التحريفية إذ تصرّح مثل هذه الحتميّة " بأنّه إلى أن تتدخّل بعض القوى لتغيّر مجرى الأحداث – نوعا من **العالم الخارجي -** ، لا يمكن أن يحدث تغيير هام فى الأوضاع الموضوعية و أقصى ما يمكننا فعله فى كلّ لحظة هو القبول بالإطار المعطى و العمل ضمنه ، بدلا من (مثلما قد صغنا بطريقة صحيحة) **الإجتهاد بإستمرار ضد حدود الإطار الموضوعي و البحث عن تغيير الظروف الموضوعية إلى أقصى درجة ممكنة** فى أي زمن معطى ، منتبهين دائما لإمكانية إلتقاء أشياء مختلفة ما يُوجد (أو يجعل من الممكن أن توجد) قطيعة و قفزة نوعيّين عمليين فى الوضع

الموضوعي " (59) . هذا التوجّه الأساسي – و ليس الإقتصادويّة و القوميّة الذين يدافع عنهما آجيث – هو ما تحتاجه الحركة الشيوعية العالمية لأجل أن تكون طليعة المستقبل .

و فى النهاية ، يقول آجيث : " سنحسم هذا الموضوع بكلمات ماو " (60) ويورد مقولة ماو كنّا بعدُ قد دقّقنا فيها النظر و نقدناها جزئيّا ، المقولة المتصلة بالعلاقة بين الثورة فى روسيا والصين . و هذا هو بالضبط الخطأ (و حتى ذات النصّ) الذى ينقده أفاكيان ، و لأجل " إثبات " أنّ هذا النقد خاطئ ، يبيّن آجيث أنّ ماو قال شيئا خلاف ذلك . و بالفعل ، خاتمة آجيث الوجيهة هي " ماو قال ذلك ، أنا أؤمن به ، إنتهى النقاش " . و سنترك للقرّاء الحكم بما إذا كان هذا يمثّل منهجا و مقاربة علميين أم موقفا دغمائيّا و دينيّا فى التعاطى مع الماركسية .

12- الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل :

الأممية البروليتارية مسألة جوهريّة فى التوجّه الإيديولوجي و السياسي المعتمد على الواقع المادي بأنّ الشيوعية ممكنة فقط كنظام عالمي ، و أنّ البروليتاريا طبقة عالميّة ، و أنّ النظام الذى يجب التخلّص منه نظام عالمي ؛ و أنّ التغيير الثوري للنظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى نظام شيوعي سيرورة عموما تاريخية – عالميّة و خلال هذه السيرورة ، المجال العالمي عامة و فى آخر المطاف أساسي و حاسم ، وفى نفس الوقت الرابط المفتاح هو النضالات الثوريّة للبروليتاريا فى شتّى البلدان ، متفاعلة مع بعضها البعض و متّحدة تحت راية الأمميّة .

و يشير آجيث بالعكس ، إلى أنّ الأمميّة ليست سوى مسألة إيديولوجيّة قائمة على الهدف النهائي للشيوعية (61) ، و ينقد أفاكيان لأنّه " بإنتقائية ، خلط ... المظهرين المنفصلين . أحدهما هو الأممية البروليتارية ، مسألة إيديولوجيتها . والآخر هو الواقع الملموس المعقّد لظهورها و وجودها فى مختلف البلدان . " (62) و هذا " الواقع الملموس المعقّد " مثلما سبق و أن رأينا و دحضنا ، حسب آجيث ، يعنى أنّ البروليتاريا ليست أساسا طبقة عالميّة بل هي رئيسيّا محدّدة بطابعها القومي ، لهذا السبب ، ضمن أسباب أخرى ، ما هو حيويّ هو " الخصوصيّات الداخليّة " لكلّ بلد .

مسالة الإيديولوجيا الأممية للشيوعية مسألة أساسيّة ، فى تعارض ، فى هذه الحال ، مع إيديولوجيا مزج الشيوعية و القوميّة فى طبخة واحدة . و مع ذلك ، حجّة أنّ الأممية لقيامها على الهدف الشيوعي **تُقلّص** إلى مسألة إيديولوجية تترافق مع معالجة هذا الهدف النهائي على أنّه مسألة مجرّدة و بعيدة ، ذات أهمّية ضئيلة بالنسبة للنضال الراهن . و فى الواقع ، إن لم يتمّ خوض النضال **الآن** بالقيادة الحقيقيّة جدّا للهدف النهائي للشيوعية ، فإنّ النضال حتما سينحرف عن الطريق السليم ، بغضّ النظر عن نوايا الأشخاص ، و ينتهى إلى شكل أو آخر من التأقلم مع النظام القائم . (63) و كلّ من هذا و إنكار الأسس الماديّة للأمميّة اليوم يساوى التأكيد على تأويل قومي ل " الأممية " .

الأمميّة مسالة إنطلاق من ، بكلمات لينين : " ليس من وجهة نظر بلاد" ي" يتعيّن عليّ أن أحاكم ...بل من وجهة نظر **إشتراكي أنا** فى تحضير الثورة البروليتارية العالمية ، فى الدعاية لها ، فى تقريبها " (64) أو كما عبّر عن ذلك أفاكيان : " الأممية – العالم بأسره فى المصاف الأوّل ." (65)

فى **رسالته إلى الأحزاب والمنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثوريّة** ، يعقد الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية مقارنة بين هذا التوجّه الصحيح للينين و وجهة نظر أخرى (وجهة نظر جايمس كونولى ، ضمن آخرين ، وهو ثوري إيرلندي كان معاصرا للينين) لا ينطلق من الثورة العالمية و إنّما بالأحرى من **بلد "ى"** ومن وجهة نظر أنّ الثوريين الماركسيين هم أساسا أفضل ممثّلى أمّتهم وأنّ الأممية ببساطة هي المساندة التى تقدّمها بروليتاريا أو شعب بلد إلى شعوب البلدان الأخرى .

وبهذا المضمار، يتّهم آجيث الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ب" إملاء المقولات". و بعد إيراد مقولة لنصّ لينين قبل هذه الجملة ، يؤكّد لنا أنّه : " عندما نورد المقتطف كاملا ، على الفور يصبح بديهيّا أنّ " وجهة النظر " التى كان لينين يهاجمها لم تكن تخصّ وجهة نظر مختلفة بشأن الثورة البروليتارية العالمية أو الأمميّة كما يريد إفهامنا الأفاكيانيّون . كان يفضح الشوفينية البرجوازية و يميّز الأممية عنها . "(67)

و كما يُقال إن كان عليك أن تكذب فأكذب لكن لا تبالغ فى الكذب . مصدر المقولة هو كتاب " **الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكى "** و تحديدا الفصل المعنون " ماهي الأممية ؟ " الذى ينقد بالفعل " نظرة مختلفة " للأممية ألا وهي نظرة كاوتسكى الذى كان قائدا بارزا للأمميّة الإشتراكية الثانية فى فترة الحرب الإمبريالية الأولى . و يبتدأ الفصل ب : " يعتقد كاوتسكى و يعلن بأعظم الإقتناع ، أنّه أمميّ " . و هذا يحيل على " هكذا تتقوّم إذن أممية كاوتسكى و المناشفة فيما يلى : مطالبة الحكومة البرجوازية الإمبريالية بالإصلاحات ، و لكن مع الإستمرار فى دعمها ، مع الإستمرار فى دعم الحرب التى تخوضها هذه الحكومة . " و يفضح لينين تفكير " الكاوتسكيين " و آخرين بأنّ " الإشتراكية تفترض حرّية الأمم و المساواة فيما بينها وحقّها فى تقرير مصيرها ؛ و **بالتالى** ، حين تتعرّض بلادنا للهجوم أو حين تجتاح قوات العدو أرضنا ، كان من حقّ الإشتراكيين و واجبهم الدفاع عن الوطن " . و يجلى أنّ الخطأ الجوهري لهذه النسخة القومية ل " الأممية " هو أنّها لا تنطلق من " تقييم الحرب **ككّل** من وجهة نظر البرجوازية العالمية و البروليتاريا العالمية " و إنّما من وجهة نظر " بلدى" الذى تقع مهاجمته . (68)

لكن المركزي هنا ليس تشويه نصّ لينين . إنّه واقع أنّ آجيث يبحث عن إنكار أنّ الأمميّة البروليتارية تعنى أو يجب أن تعني الإنطلاق من " مساهمتى فى الثورة البروليتارية العالمية " و ليس من " بلدى " لأنّ فى الجوهر **وجهة نظره هي وجهة نظر أنّه على المرء أن ينطلق من البلد و ليس من العالم** ، لأنّ حسب رأيه ، ما هو داخلي و خاص لكلّ بلد هو الأساسي دائما ، و لأنّ الثورة الديمقراطية الجديدة و الثورة الإشتراكية تظهران منفصلتين ، و لأنّ البروليتاريا طبقة " بصفة خاصة قوميّة فى الشكل و الخصوصيّات " إلخ إلخ ، على حدّ ما مرّ بنا . لكن **التشديد على الإنطلاق من البلد عوضا عن و فى معارضة للإنطلاق من الثورة البروليتارية العالمية هو قوميّة ، و ليس أمميّة** ، إضافة إلى تجاهل الطبيعة الحقيقيّة للنظام الذى نحيا فيه .

ويبدو هذا حتى أكثر بديهيّة عندما يعارض آجيث مباشرة مقولة أخرى للينين بالمقولة التى كنّا نعلّق عليها : " لكن فى مناسبة أخرى ، كتب لينين :" لا يوجد سوى مفهوم أممي حقيقي واحد وهو أن يعمل كل فى بلاده بتفان من أجل تطوير الحركة الثورية و النضال الثوري وأن يدعم (عبر الدعاية و التعاطف و المساعدة المادية) ذلك النضال ذاته و ذلك الخط نفسه و لا سواه ، فى جميع البلدان بدون إستثناء ".

ماذا نستشفّ من هذا ؟ هل علينا أن نستنتج تبعا للمنطق الأفاكياني أنّ المقتبس الثاني مثال ل " لينين يبتعد عن اللينينية " ؟ أم هل أنّه حال الحزب الشيوعي الثوري يحاجج بمشروعية لرؤية " تطوير النضال الثوري فى بلده الخاص " ك " مساهمتنا فى الثورة العالمية " ؟ لكن إن كان ذلك صحيحا ، سيكون إنكارا لهجومه الخاص على ماو . " (70).

لا يدرك آجيث أنّه يفضح نفسه بمثل هذه الطرفة . فبالنسبة إليه ، الفهم " الشرعي " ل " مساهمتى فى الثورة العالمية " هو " تطوير النضال الثوري فى بلدى الخاص " نقطة إلى السطر . إنّه **يترك جانبا** المهمّات العالمية و الأممية الخاصة فى المقتطف الثاني للينين ، مهمّات " دعم هذا النضال نفسه (بالدعاوة ، و التحبيذ ، و العون المادي) " (71) **.** هنا ، بوضوح يُعبّر آجيث عن النظرة القوميّة

الضيّقة التى ، ضمن مشاكل أخرى ، أدّت إلى الصمت العام و حتى المعارضة السافرة للنضال من أجل " **هذه الخطّة نفسها ، و وحدها فقط** ، فى **جميع** البلدان بلا إستثناء " فى وجه الإنحرافات التحريفية فى الخطّ القائد فى البيرو و النيبال الذين لخّصتهما **رسالة** الحزب الشيوعي الثوري الذكورة أعلاه . (72)

إنّ تقليص " الأممية " إلى مجرّد " تطوير النضال الثوري فى بلدى الخاص " ليس سوى قوميّة . و طبعا ، من الجوهري أنّ نقوم بالثورة فى البلد الذى نوجد به ، و هذا حتى عامة المساهمة الرئيسيّة التى يمكن أن نقدّمها ، شريطة أن **يتمّ تطويرها بأفق التقدّم بالثورة الشيوعية العالمية** ، و ليس بأفق قوميّ لمجرّد " تحرير بلدى ". و مثلما ألمحنا إلى ذلك ، فى آخر المطاف ، القوميّة **ليست حتى قادرة على بلوغ ذلك** فى عصر الإمبريالية هذا . و كلّ هذا يذكّرنا بخليط آخر من الشيوعية و القومية لأوّل كتلة شقّت صفوف منظّمتنا ثمّ ذهبت للعمل على " إعادة بناء " حزب يتّبع الخطّ الإنتهازي اليميني فى البيرو أعلنت أنّ " الأممية " تتمثّل فى النضال فى البلد الخاص و كذلك القبول بالمساعدة من بلدان أخرى !

يناضل البرجوازيّون والبرجوازيون الصغار ، على غرار قادة الثورة الفرنسية لسنة 1789 ، و سان يات سان فى الثورة الضينية لسنة 1911 ، و هيدالغو و زاباتا فى المكسيك (و ندعو آخرين ليضيفوا أمثلة من إطارهم القومي الخاص) كذلك من أجل " تطوير النضال الثوري فى بلدهم الخاص " (و يساندون ويتعاطفون بشكل ما مع بعض الثورات فى بلدان أخرى حتى وإن لم يشر آجيث إلى هذا). ومع ذلك ، لا يقومون بذلك كجزء من أو بهدف التقدّم بالثورة الشيوعية العالمية ، بل بالأحرى جوهريّا بهدف محاولة الحصول على بلد رأسمالي مستقلّ . هناك بعدُ الكثير الذى يمكن أن نتعلّمه بكلّ من المعنى الإيجابي و السلبي ، من هذه التجارب ؛ و فى البلدان المضطهَدَة بوجه خاص ، من الممكن و الضروري فى عديد الحالات إقامة وحدة مع القوميين التقدّميين و الثوريين **لكن إن قادت القوميّة (بما فى ذلك عندما تمزج مع الشيوعية) النضال ، فإنّه لن يتجاوز فى نهاية المطاف حدود النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي** ، و سيتواصل إستغلال الجماهير وإضطهادها ، كما هو الحال فى فتنام و نيكاراغوا و كوبا و عديد الحالات الأخرى التى هي أقلّ شهرة لأنّها لم تؤدّى أبدا إلى أية ثورة .

13- فى البلدان الإمبريالية " نداء العزّة القوميّة " أم تطبيق الإنهزاميّة الثوريّة ؟

بالضبط كما تجد حاسة أنف الكلب دائما الأشياء ، يجد التحريفيّون دائما المقولات الأكثر مواتاة ل " إثبات " مواقفهم المعادية للماركسية ؛ أو كما لاحظه ماو تسى تونغ بنظرة ثاقبة : بعد وفاتي سيستخدم اليمين بعضا من كلماتى ليبرّر موقفه التحريفي. يعثر آجيث خدمة لأغراضه الخاصة ، كما فعل الكثيرون قبله ، على مقال للينين (73) نقده أفاكيان لمزجه التوجّه الصحيح للإنهزامية الثوريّة و الدعوة إلى " الكرامة القومية " [أو العزّة القومية] للروس ، القومية المهيمنة و المضطَهِدة فى الإمبراطوريّة الروسية . فى المقال إيّاه ، ينادى لينين جوهريّا " الكرامة القوميّة " للروس و يحاجج بأنّ أفضل طريقة ل " الدفاع عن الوطن " هي الرغبة فى هزيمة حكومة القيصر الإضطهادية فى الحرب العالمية الأولى . و يصفّق آجيث لهذا على أنّه " تقديم بارع " ، و ينطلق فى التأكيد على أنّ الأممية و الطابع القومي للبروليتاريا ، حسب رأيه ، لا يتعيّن " تمتزج بإنتقائيّة " ، معلنا أنّ " تمثّل البروليتاريا تقاليد الأمّة التقدّمية و الديمقراطية " (74) .

فى المقام الأول ، يمثل الشيوعيّون فى كلّ البلدان أو يجب أن يمثّلوا **الشيوعية** و ليس أساسا " العادات التقدّمية و الديمقراطية للأمّة " ، أو لن توجد أيّة إشتراكيّة ، حتى لا نتحدّث عن أيّة شيوعية . بلا شكّ ، هناك حاجة إلى التعلّم من و تشجيع و نشر شعبيّا و قيادة كلّ شيء يساهم فى الأساس ، بما فى ذلك بصفة غير مباشرة ، فى إيجاد جوّ مواتي أكثر للثورة الشيوعية ، و هذا يشمل عدّة أشياء ليست بذاتها

و فى حدّ ذاتها ثوريّة مباشرة . مثلا ، أنصار حركة السلام التقدّميين فى البلدان الإمبريالية قد نهضوا أحيانا بدور إيجابي جدّا فى معارضة الحروب الإمبريالية العدوانيّة ضد الفتنام و العراق إلخ . و هم جزء من " التقليد التقدّمي " الذى ينبغى أن ننشأ معه وحدة و صراعا .

هل تمثل البروليتاريا عندئذ أو يجب أن تمثّل تقاليد أنصار حركة السلام ؟ هذا من جهة و من جهة ثانية ، الفكرة الضمنيّة هنا بأنّ الشيوعيين يحتاجون إلى أن يهتمّوا فقط بتقاليد أمّتهم " الخاصة " معيار قوميّ و ليس معيارا أمميّا . هل أنّ لو هسون للصينيين فحسب ؟ هل أن فلم " يول " [ليلماز غوناي التركي] لسكّان تركيا وكردستان فحسب ؟ هل أنّ " خاولا دى أورو " (القفص الذهبي) للمكسيك و أمريكا الوسطى فحسب ؟ هل أنّ " إثنا عشرة سنة من العبوديّة " للولايات المتحدة فحسب ؟

و بالعودة إلى مقال لينين الذى أنفت الإشارة إليه ، فى الواقع ، وهذا يجب أن يعرفه آجيث ، كان موقف البلاشفة ليس جوهريّا الترويج ل " العزة القومية " بل للإنهزاميّة الثوريّة ، عاملين من أجل هزيمة حكومتهم " الخاصّة " و برجوازيّتهم " الخاصة " لأجل شنّ حرب ثوريّة ضدهما . و قد نجم عن هذا الموقف الأممي ، لا سيما فى بداية الحرب الإمبريالية العالمية ، ليس قمع الحكومة و حسب بل أيضا حتى تعرّض البلاشفة للرجم بالحجارة من قبل فئات من الجماهير . (و البلاشفة على خلاف ما ينصحنا به آجيث ، لم يتخلّوا عن الأممية الصريحة خشية " الإنعزال عن الجماهير " .) و هذا الوضع لم يتغيّر نتيجة " تقديم رائع " للينين فى مقال وحيد عن " الكرامة القوميّة " و أفضل طريقة " للدفاع عن الوطن " (ضمن جبال من المقالات التى كتبها مندّدا بدعوات " الدفاع عن الوطن " بإعتباره خيانة للإشتراكية). و بالفعل كانت تجربة الحرب ذاتها و النضال الثوري ذاته ضدّها هما اللذان أثبتا فى النهاية صحّة موقفهم الأممي الثوري و أكسبهم أناس إنخرطوا فى **الثورة** .

يرفع آجيث هذا الخطأ الثانوي المقترف فى وضع صعب إلى مبدأ جوهري للدعوة إلى " العزّة القومية " حتّى فى الأمم الإمبريالية ، بالضبط كمعارضة **أي ديمقراطي إصلاحي** فى الولايات المّحدة (أو المملكة المتّحدة أو فرنسا أو ألمانيا أو إيطاليا أو إسبانيا إلخ) لغزو العراق إلخ ، تحت راية " الأفضل للولايات المتّحدة و تقاليدها الديمقراطية " ، عوض قول الحقيقة للناس بأنّ الولايات المتّحدة بلد إمبريالي ، و مصالحه القوميّة هي فى الأساس مصالح برجوازيّته فى الإستغلال و الإضطهاد العالميين ، و أنّه بدلا من التماهي مع **هذه** المصالح ، على المرء أن يتماهى مع مصالح و فوق كلّ شيء النضال الثوري للشعوب المضطهَدَة و المستغَلّة عبر العالم قاطبة. و بالعكس ، تطبيق صريح لموقف آجيث سيعنى مثلا ، أنّه على الشيوعيين فى الولايات المتّحدة أن يدعوا ل" العزّة القومية " للشعب الأمريكي فى هذه الأوضاع . كم جميل سيكون ذلك بالنسبة للثورة العالمية !

و فى نفس الوقت وهو يحاجج منأجل الدعوة إلى " العزّة القوميّة " ، يتّهم آجيث كذلك الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ب " الإقتصادويّة الإمبريالية " أي بإنكار الحاجة إلى النضال ضد الإضطهاد القومي فى العالم و أيضا الحاجة إلى ثورة ديمقراطية جديدة فى الكثير من البلدان . و فى الواقع ، تفضى الدعوة إلى " العزّة القوميّة " فى البلدان الإمبريالية على وجه الضبط إلى الإقتصادويّة الإمبريالية لأنّ مصالح الولايات المتحدة فى العالم لا يمكن توطيدها إلاّ إعتمادا على إضطهاد بلدان أخرى .

و كان على آجيث أن يعترف بأنّ " أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري قد كتبا الكثير عن الإضطهاد الإمبريالي و لم ينكرا مطلقا المكوّن الوطني للثورة الديمقراطية الجديدة " لكن هذا بالنسبة إليه لا يعدو أن يكون مجرّد " الكثير من الكلام المعسول " (75). و مع ذلك ، فى الواقع ممارستهم متناغمة مع كلماتهم. مَن نَقَدَ قبل تسع سنوات الآن خطّ تصفية الثورة الديمقراطية الجديدة فى النيبال بإسم "مرحلة " " إعادة هيكلة " الدولة القديمة ؟ و من يواصل الدفاع عن الأطروحات المحوريّة لتلك التصفية ؟

وفق آجيث ، " فى بداية ثمانينات القرن العشرين ، كان يتنصّل تقريبا من كافة نضالات المقاومة فى الأمم المضطهَدة على أنّها مجرّد إمتدادات للنزاع بين الإمبرياليات . " (76) و فى الحقيقة ، أشار الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية على نحو صحيح إلى أنّ " النزاع ما بين القوى الإمبريالية " كان يلعب دورا حيويّا فى المجال العالمي زمنها (بين الكتلتين الإمبرياليتين و على رأسهما الولايات المتحدة من جهة و الإتحاد السوفياتي من الجهة الأخرى). و فى نفس الوقت ، طبّق موقف الإنهزاميّة الثوريّة ، مناضلا من أجل إلحاق الهزيمة بالولايات المتحدة فى السلفادور و نيكاراغوا و إيران ، و فاضحا الطابع الرجعي للإمبرياليين وعملائهم ومسلّطا الضوء على الطابع العادل للنضال الثوري فى تلك البلدان ، و فى الآن نفسه كان يشير إلى أنّ القيادة فى نيكاراغوا و السلفادور و إلى أنّ القوى الإسلامية أو الديمقراطية – البرجوازية فى إيران لم تكن لتمضي بالنضال إلى حدّ القطيعة مع الإمبريالية و سلوك الطريق الإشتراكي . و كانوا على صواب .

و يوجّه آجيث ذات الإتهام الخاطئ فى ما يتعلّق بأفغانستان و العراق لأنّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية لا يتذيّل للأصوليين الإسلاميين . ماذا فعل الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية إزاء الهجوم على مركز التجارة العالمي و موجة الشعور القومي الذى آثارته و العدوان الإمبريالي على أفغانستان و العراق ؟ طبّق الإنهزاميّة الثوريّة فشهّر بإمبريالية بلده "الخاص" و بجرأة عبّا الجماهير للنضال ضدّها فى وحدة مع الشعوب المضطهَدَة من قبل بلده " الخاص " فى مبادرات مثل " **ليس بإسمنا** " و " **ليس بوسع العالم الإنتظار** " ، مصرّحا أنّ " حياة الأمريكيين **ليست** أهمّ من حياة الآخرين . " (77) و إن جرى تطبيق " المبدأ " القومي لآجيث ، سيعتقد المرء أنّه كان عليهم أن يقوموا ب " تقديم بارع " ل " الكرامة القومية " للولايات المتّحدة .

فى الحقيقة ، خطّ الحزب الشيوعي الثوري و ممارسته (وقبله ، الإتحاد الثوري) عبر تاريخه ، فى معارضة عدوان الولايات المتحدة ضد الفتنام و بطرق أخرى لا تحصى و لا تعدّ إلى يومنا هذا ، كان مثالا نموذجيّا و ملهما للأممية البروليتارية . و كلّ شخص ينظر فى هذا بكلّ موضوعيّة سيذهل من واقع أنّ ذلك كان دائما و لا يزال أحد أبرز مميّزات الحزب الشيوعي الثوري . و واقع أنّ آجيث يرفض أو هو غير قادر على الإقرار بهذا ، و عوض ذلك يوجّه تهما شنيعة و سخيفة بأنّ الحزب الشيوعي الثوري يقترف " الإقتصادوية الإمبريالية " و الشوفينية ، و هذا تعبير آخر عن نظرة آجيث التى تخلط القومية و الشيوعية و التى تؤدّى به إلى التذيّل للرجعيين و الإمبرياليين و مساندتهم بإسم " الأممية " – وهو شيء رفض الحزب الشيوعي الثوري صراحة و عن حقّ تماما القيام به .

<u>14- الإيديولوجيا الشيوعية فى البلدان المضطهَدَة يجب أن تكون أيضا الشيوعية و ليس القومية :</u>

لقد قلنا إنّ الشيوعيين يجب أن يمثّلوا الشيوعية و ليس أساسا " تقاليد الأمّة التقدّيمة و الديمقراطية " ، و هذا صحيح كذلك فى البلدان المضطهدَة بالرغم من كون المسألة فى هذه الحال نوعا ما أعقد .

قوميّة القوى الإمبريالية التى تضطهد أمما أخرى قوميّة رجعيّة . (78) ففى البلدان المضطهَدَة (و أيضا فى حال الأمم المضطهَدَة أو الأقلّيات القوميّة ضمن حدود البلدان الإمبريالية) ، الوضع مختلف ، على وجه الدقّة لأنّها تتعرّض للإضطهاد القومي . فى هذا الوضع ، يمكن للقوميّة أن تلعب دورا تقدّميّا و حتى ثوريّا **شريطة توجّجها ضد المضطهِدين** و ليس ضد الجماهير المضطهَدة للبلد المضطهِد و لبلدان أخرى ، أو ضد القوميّات المضطهَدَة التى توجد كذلك ضمن عديد البلدان المضطهَدة (مثلما هو الحال بالنسبة للشعوب الأصليّة فى المكسيك و غالبيّة أمريكا اللاتينية) .

و مع ذلك ، ينبغى أن تقود الشيوعية و ليس القوميّة (بما فى ذلك أقلمة الشيوعية مع القومية) النضال الثوري . تركّز القوميّة فى هذه البلدان بالأساس على إضطهاد البلد و كما رأينا ، ليست حتى قادرة على

تجاوز هذا الإضطهاد فى عصر الإمبريالية . لكن هناك كذلك الكثير الذى يحتاج إلى أن نقاتله ونتخطّاه : إضطهاد النساء ، إستغلال العمل المأجور ، تحطيم البيئة ، إضطهاد أناس لهم نزعات جنسيّة مختلفة ، إضطهاد القوميّات فى صفوف البلد المضطهَد ، و التناقض بين العمل الفكري والعمل اليدوي إلخ . وحدها الشيوعية توفّر لنا فهما علميّا لترابط كافة هذه التناقضات فى العالم الحقيقي و كيف يمكن لها و لغيرها و قد تمّ تجاوزها فى خضمّ النضال الثوري نحو تحرير الإنسانيّة قاطبة .

و فى ما يتعلّق بالإضطهاد القومي فى بلدان ما يسمّى " بالعالم الثالث " ، أفكار الدونية القوميّة – التى تروّج لها الطبقات الحاكمة و التى تنهض كذلك على الواقع المادي للهيمنة الإمبريالية و اللامساواة المنتشرة فى العالم – هي عموما مشكل فى صفوف فئات هامة من الجماهير وفى المكسيك مثلا ، يتمّ التعبير عنها ، فى إعتقاد تفوّق الولايات المتّحدة ، فى أفكار أنّ أغنياء البلد المجاور جذورهم ضاربة لدى أناس أّذكى و أكثر إجتهادا أو فى التعليم هناك ، و كذلك مسألة " ما الخطأ فينا نحن المكسيكيين ؟" . من الأساسي أن نقاتل هذه الأفكار و أن نبيّن ، ضمن أشياء أخرى ، أن أغنياء الإمبريالية الأمريكية جذورهم ضاربة فى إستعباد شعب السود و المجازر الجماعيّة للهنود الحمر ، وحروبهم الإستعماريّة و الإستغلال الإمبريالي لأنحاء كبرى من العالم ، و ليس فى بعض خصوصيّات السكّان هناك . مشكل الأفكار الدونيّة القوميّة هو المشكل الوحيد الذى يشير إليه آجيث . لكن هناك مشكل آخر .

فالقوميّة تلعب أيضا دورا سلبيّا من عدّة نواحى . و هذا أكثر بداهة (أو يجب أن يكون أكثر بداهة) عندما تفرض إضطهاد آخرين . ولنستعمل مرّة أخرى مثال المكسيك أين تتّخذ القومية المكسيكيّة كذلك تعبيرات رجعيّة تخدم الإضطهاد القومي و العنصريّة ضد مختلف قوميّات السكّان الأصليّين ، و المكسيكيين من أصول أفريقيّة و السود عامة ، و الصينيين و اليهود إلخ . و من الضروري أن نخوض الصراع الإيديولوجي ضد هذه الأفكار الرجعيّة فى صفوف الجماهير .

و تعبير أكثر تناقضا للقومية يلخّص فى لقب يطلق على سكّان الولايات المتّحدة " المجانين السخفاء " وهو فى الكثير من الأحيان ردّ فعل ، على الأقلّ فى جانب منه ، على هيمنة الإمبريالية الأمريكية على المكسيك . هذا من جهة و لكن من الجهة الأخرى ، لا يميّز بين الطبقة الرأسماليّة الإستغلاليّة فى الولايات المتّحدة و البروليتاريا و أوسع الجماهير المستغلّة و المضطهَدَة على الجانب الآخر من الحدود . و فى مسار توحيد الناس ضد الإمبرياليين و الطبقات الحاكمة الأخرى ، من الأساسي أن نخوض الصراع الإيديولوجي هنا أيضا . و من المفارقة أنّ المعارضة القوميّة للإمبريالية الأمريكية غالبا ما تنتهى إلى الإستسلام إليها ، و من ضمن عديد الأسباب ، سبب المغالاة فى التراص المفترض و عدم فهم إمكانيّة صياغة وحدة ثوريّة بين البروليتاريا و الجماهير المضطهَدَة فى كلا النوعين من البلدان و الحاجة إليها .

و ختاما ، ينكر آجيث مشكلا هاما إنكرارا محوريّا ألا وهو أنّ الطبقات الحاكمة للبلدان المضطهَدَة تستعمل كذلك القوميّة لتحاول أن توحّد جميع الطبقات تحت قيادتها ، مبرّرة كلّ سياساتها بإسم " ما هو جيّد للمكسيك " (أو الهند أو أي بلد كان) . و هذا هو ببساطة عادة خطاب عملاء الإمبريالية . و مع ذلك ، هناك حالات تشمل أيضا ممثّلين متنوّعين للبرجوازية الكبيرة و الرجعيين الآخرين فى البلدان المضطهَدَة الذين دون الخروج عن النظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي ، يتناقضون مع قوّة إمبرياليّة أو أكثر فى السعي وراء مصالحهم الطبقيّة الخاصة : مثلا ، هوغو تشافيز فى فنيزويلا و صدّام حسين فى لحظة معيّنة و القاعدة و الجهاديين من نوع طالبان ، ضمن آخرين . و عندما يحدث هذا ، مجموعة كاملة من الشيوعيين المفترضين عادة ما يتوجّهون إلى العمل فى ظلّ جناح البرجوازية الكبرى و القوى الرجعيّة الأخرى ، بتبرير مفترض هو النضال ضد الإمبريالية . و قد جدّ شيء مشابه فى المكسيك مع إرتهان الحزب الشيوعي للمكسيك القديم للازارو كرديناس فى ثلاثينات القرن العشرين أو الإفتتان

الحالى بتنوّع من الماركسيين المفترضين مع أندرياس مانوال لوباز أو برادور (79) . و آجيث ، كما أشرنا ، يتذيّل للتأثير الأصوليين الإسلاميين المفترض أنّه " معادي للإمبريالية ".

الأمثلة متعدّدة ومتباينة جدّا إلاّ أنّ فكرة الحاجة إلى تذيّل القوى الثوريّة ، بطريقة أو أخرى ، قد قادت على الدوام إلى تصفية الثورة الشيوعية و إلى الحكم على المضطهَدين بأن يظلّوا مضطهَدين . و التقدّم نحو إنتصار الثورة البروليتارية قد يتطلّب و قد لا يتطلّب تحالفات معيّنة مع القوى الرجعيّة فى زمن معيّن ، لكنّه **يتطلّب على الدوام الصراع من أجل قيادة الحزب الشيوعي** ، و ليس التذيّل للقوى الطبقيّة الأخرى ، كما تُنادى بذلك أقلمة الشيوعية مع القومية .

لعلّ حجّة آجيث الأكثر " وجاهة " هي الجملة التالية لماو تسى تونغ : " إذا إنتصرت الصين و دحرت الإمبرياليين الغزاة تكون قد قدّمت بذلك عونا إلى شعوب البلدان الأخرى " (80).

و الجملة الأولى غالبا ما يقع محوها لأنّ التدريب على الأمميّة ليس بالذات من دوافع هذه القوى فى إستخدام المقولة ، بالضبط مثلما لا يروّجون لتصريحات أخرى لماو والحزب الشيوعي الصيني من مثل:
" و **فيما يختص بالمسألة القومية فإن نظرة الحزب البروليتاري إلى العالم هي الأممية لا القومية."** (81)

المشكل مع هذه الصيغة لماو حول الوطنيّة هي أنّها خلط بين الإيديولوجيا الأممية و البرنامج السياسي : فى الحال الملموس ، مسؤوليّة الحزب الشيوعي فى قيادة حرب التحرير الوطني ضد غزو الإمبريالية اليابانيّة للصين . سياسيّا ، كان من الصحيح و الضروري للغاية قيادة تلك الحرب ، و بالمعنى الجوهري لم يقدها ماو بمقاربة قوميّة بل بالأحرى بمقاربة أمميّة و من ذلك التأكيد على الوحدة بين الشعب اليابانى و الشيوعيين رغم أنّ معارضة الحرب العدوانيّة فى اليابان كانت غاية فى الضعف ؛ و القتال من أجل معاملة كريمة للسجناء اليابانيين و للقيام بالعمل السياسي معهم ؛ و الإشارة إلى مساهمة هذه الحرب فى مساعدة " شعوب البلدان الأخرى " ، ضمن أشياء أخرى .

" أفضل " تأويل للمقولة هو أنّ ماو يتحدّث عن " تطبيق " الإيديولوجيا الأممية على البرنامج السياسي لخوض حرب عادلة للتحرير الوطني . ومع ذلك ، ليست الوطنيّة محدّدة فى مسألة مساندة و خوض الحروب العادلة . لها أيضا مكوّن إيديولوجي و كإيديولوجيا هي القوميّة ، نظرة تقارب العالم و تفهمه من وجهة نظر الأمّة و المصالح القوميّة . و هذا المشكل لا نجده فقط فى هذه المقولة بل بالأحرى مثلما أشار إلى ذلك أفاكيان : " من المنصف قول إنّه لم يعترف بالتناقض بين أن نكون أمميّين و فى نفس الوقت نحاول أن نكون ممثّلى أعلى مصالح الأمّة " (82).

و عدم الإعتراف بالتناقض خطأ ثانوي لكنّه هام ضمن الموقف الأممى العام لماو تسى تونغ . والتأكيد على أنّه لا وجود **لتناقض** يفضى بالضرورة إلى أقلمة الشيوعية مع القوميّة . و يؤكّد آجيث أنّ هذا التمييز يعنى تجنّب المسألة الإيديولوجية التى يطرحها ماو " أن يكون المرء وطنيّا على أساس إيديولوجي أممي " (83)

جواهر من الإنتقائيّة ! كما رأينا ، بالنسبة لآجيث ، الأمميّة مسألة إيديولوجيّة لا يجب خلطها مع الطابع القومي للبروليتاريا إلخ إلخ . و الآن " أن يكون المرء وطنيّا " **يغدو أيضا مسألة إيديولوجيا**. الإضافة الإنتقائيّة ل " على أساس إيديولوجي أممي " لا تخدم سوى حجب و طمس النقطة الأساسية لما يقوله : " أن يكون المرء وطنيّا " مسألة إيديولوجيا " و " أن يكون المرء وطنيّا " جزء من الإيديولوجيا الشيوعية ؛ و هكذا هذه الإيديولوجيا تتحوّل ، فى تأويل آجيث و آخرين ، إلى خليط إنتقائي للقوميّة و الأممية الشيوعية .

فى رأي آجيث ، للخلاصة الجديدة للشيوعية " مفهوم مطلق ، نقي للأممية البروليتارية " (84) . هل علينا إذن أن نمتلك " مفهوما " نسبيّا ، مغشوشا للأممية البروليتارية مختلطا مع القومية ؟

مثلما أشرنا عدّة مرّات و شرحنا بأمثلة من الفتنام و نيكاراغوا و النيبال و غيرها ، خلط من هذا القبيل للشيوعية مع القومية لا يتجاوز حدود النظام الرأسمالي – الإمبريالي الراهن وهو بالتالى غير قادر على تحرير الشعب ، و فى النهاية تحرير الإنسانيّة ، مهما كانت النوايا الذاتيّة للمدافعين عنه . فى حين أنّ الشيوعية التى هي أمميّة قادرة على إنجاز ذلك .

15- التغيير التاريخي – العالمي من النظام الرأسمالي – الإمبريالي إلى النظام الشيوعي العالمي :

لا يمكن بلوغ الشيوعية فى العالم ككلّ و لم تكن السيرورة التاريخية – العالمية للتغيير الثوري من النظام الرأسمالي – الإمبريالي الراهن إلى النظام الشيوعي العالمي المستقبلي ، و ليست و لن تكون سيرورة ببساطة خطّية فيها يتقدّم كلّ بلد بصورة منفصلة صوب الشيوعية . و بالعكس ، هي : " سيرورة مديدة و متعرّجة من التغيير الثوري يكون فيها تطوّر غير متكافئ و إفتكاك للسلطة فى بلدان وأوقات مختلفة و تداخل جدلي معقّد بين النضالات الثوريّة و تثوير المجتمع فى مختلف هذه البلدان ...". و من أجل التقدّم نحو الهدف الشيوعي ، من المركزي القطيعة ، عند إفتكاك سلطة الدولة ، مع النظام الرأسمالي-الإمبريالي العالمي ، لكن الإشتراكية فى مختلف البلدان ، كجزء من الإنتقال إلى الشيوعية ، توجد فى عالم لا يزال يهيمن عليه النظام الرأسمالي – الإمبريالي و لهذا و لغيره من الأسباب ، تتطوّر كجزء من علاقة جدليّة " فيها المجال العالمي هو الحاسم جوهريّا وفى آخر المطاف ، بينما يمثّل التفاعل المتبادل و الدعم المتبادل بين نضالات البروليتاريين فى بلدان مختلفة العلاقة المفتاح فى التغيير الجوهري للعالم قاطبة . " (85).

و مثلما يشير ماركس " هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه " (86) .

مع أعظم مساهمات ماو تسى تونغ – نظريّة و ممارسة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتوريّة البروليتاريا – تمّ بلوغ فهم أعمق بكثير للحاجة إلى إلغاء هذه " الكلّ الأربعة " : الإختلافات بين الطبقات و علاقات الإنتاج و العلاقات الإجتماعية و الأفكار الموروثة عن المجتمع القديم التى تظلّ موجودة جزئيّا و يعاد إنتاجها بعد مشركة القاعدة الإقتصاديّة . و يستمرّ الصراع الطبقي طوال كامل الفترة التاريخيّة للإشتراكية ، و يتركّز بدرجة كبيرة فى الصراع حول تحديد أم توسيع اللامساواة و العلاقات و الأفكار المختلفة الباقية بعدُ و التى يعاد إنتاجها فى المجتمع الجديد . و أكثر من ذلك ، إكتشف ماو و رفاقه أنّ الوقوف وسط هذا الطريق سيؤدّى حتما إلى إعادة تركيز الرأسمالية .

و على الرغم من كون التجربة قد بيّنت أنّه من الممكن تركيز الإشتراكيّة فى بلد واحد ، هل سيكون من الممكن الإستمرار على الطريق الإشتراكي – أي الإستمرار فى هذه التغييرات – إلى ما لا نهاية له دون تحرير أجزاء أخرى من العالم ؟ لا . **قسم كبير من العلاقات و الأفكار التى تحتاج إلى التغيير (" الكلّ الأربعة ") لا توجد ضمن حدود بلد معيّن بل بالأحرى على نطاق عالمي** ، فى النظام الرأسمالي – الإمبريالي . بطريقة مشابهة لكيف أنّ الإخفاق فى الإستمرار فى تغيير " الكلّ الأربعة " ضمن بلد إشتراكي سينتهى إلى تعزيز أساس وقوى إعادة تركيز الرأسمالية و يفضى إلى إعادة تركيز الرأسمالية ، **فإنّ الإخفاق فى مواصلة مزيد تغيير العالم بواسطة تقدّم الثورة الشيوعية العالمية سيعزّز قوى إعادة تركيزالرأسمالية و خطر إعادة تركيز الرأسمالية .**

لذلك نبّه أفاكيان إلى أنّ هناك حدّ ... لمدى التمكّن من المضيّ قدما فى تغيير القاعدة و البنية الفوقيّة ضمن البلد الإشتراكي دون القيام بمزيد التقدّم فى كسب المزيد من العالم و تغييره ، ليس بمعنى كسب المزيد من الموارد أو الناس كما يفعل الإمبرياليّون ، بل بمعنى إنجاز تغييرات ثوريّة ... على حدّ فهمى مردّ هذا قبل كل شيء إلى أن هناك التأثير الإيديولوجي و أيضا الضغط الفعلي العسكري و السياسي للحصار الإمبريالي . لكن هناك أيضا واقع أنّ هذا هو عصر سيرورة عالميّة واحدة و لهذا أساس مادي، ليس مجرد فكرة . ما يمكن أن يكون عقلانيّا بمعنى الإنتاج ، حتى و إستعمال قوّة العمل و الموارد ضمن بلد واحد ، و تجاوز نقطة معيّنة ، بينما قد يبدو ذلك عقلانيّا لذلك البلد ، هو غير عقلاني إذا نظرنا إليه عمليّا من الصعيد العالمي " . (87)

فى هذا الإطار ، كيف يمكن تفسير إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين بعد تقريبا ثلاثين سنة من الإشتراكية و عشر سنوات من الثورة الثقافيّة ؟ صحيح أنّه وُجدت أخطاء ثانويّة فى الخطّ و المنهج و صحيح أنّه وُجدت صعوبات موضوعيّة نسبيّة داخليّة فى الصين ، لكن على أهمّية هذه العوامل فى الواقع لا يمكن فهم هذا فهما صحيحا دون أن نأخذ بعين الإعتبار المجال العالمي و بوجه خاص الإطار غير المناسب للعوامل العالمية التى حدث فى إطارها الإنقلاب . لم تكن إعادة تركيز الرأسماليّة فى الصين (وفى الإتحاد السوفياتي قبل ذلك) مجرّد مسألة صينيّة داخليّة – فى الأساس هَزَمت البرجوازية العالمية الإشتراكية ، هذه البرجوازية العالمية التى لا تزال بعدُ أقوى بكثير فى عالميّا .

و بفعل نظرته القوميّة الضيّقة ، آجيث إمّا لم يفهم و إمّا ليس مهتمّا بفهم المشكل الموضوعي أي **الترابط بين التثوير المستمرّ للإشتراكية فى البلد أو البلدان الإشتراكية من جهة و تقدّم الثورة فى أجزاء أخرى من العالم .** و لا يفهم كذلك حجة أفاكيان أنّ هناك **حدّ نسبيّ لتقدّم بلد إشتراكي دون بلوغ مزيد التقدّم فى الثورة العالمية** ، بإفتكاك السلطة فى أماكن أخرى . ببساطة ، يتّهم آجيث أفاكيان بإرادة فرض العقلانية الإقتصادية البرجوازية وهو شيء جدّ عبثيّ على ضء أعمال أفاكيان و نقده على وجه الضبط لذلك الخطّ فى التجربتين الصينيّة و السوفياتية ، إلى درجة كونه لا يستحقّ حتى إجابة عليه .

ثمّ يصرّح آجيث " للمساهمة فى الثورة العالمية و للعمل كقاعدة لها ، **لا تستطيع** البروليتاريا المظفّرة و **لا يجب عليها** أن تتخذ ما هو الأفضل على " النطاق العالمي " معيارا لها ... فترة زمنية طويلة ، ينبغى على البروليتاريا أن تعالج مهام الإنتاج **فى المصاف الأوّل** " على النطاق القومي " . يجب عليها أن تجتهد من أجل أن تعوّل البلاد ككلّ و جهاتها على ذاتها كمسألة مبدئية . بالمعنى الإقتصادي الضيّق (البرجوازي) سيكون هذا غير معقول ، إهدارا للموارد . بنظرته ، حتى إستعمال معقول للموارد داخل البلد يمكن أن يصبح غير ضروري و غير معقول من وجهة نظر الإقتصاد العالمي (" النطاق العالمي " لأفاكيان) . و من وجهة النظر البعيدة المدى للثورة البروليتارية ، من أجل تجاوز اللاتكافئ و القضاء عليه فى العالم حتى يغدو كلّ شيء متساويا و بالتالي تخلق الأرضية المواتية للتقدّم نحو الشيوعية ، سيكون معقولا بصورة فائقة . " (88)

يحدّثنا آجيث عن أنّ " ما هو أفضل على " النطاق العالمي " سيكون حتما عقلانيّة إقتصاديّة ضيّقة " لماذا ؟ لأنّ البرجوازية تقول ذلك ؟ لن نقدّم أيّة خدمة للثورة البروليتارية العالمية بالتأكيد على أنّ " ما هو أفضل على " النطاق العالمي " هو العقلانية الإقتصادية البرجوازية المحكومة بالربح الأقصى و نظريّتها ل " مقاربة الإمتيازات " . لنأخذ ، على سبيل المثال ، مشكلا يتهدّد ذات مستقبل الكوكب و النوع البشري ألا وهو إرتفاع حرارة كوكبنا بحكم إستعمال الوقود الأحفوري (الفنط و الغاز الطبيعي و الحم الحجري) و العقلانيّة البرجوازية للربح الأقصى تطالب بمواصلة إستعمالها إلى أن يتمّ تحطيم الكوكب وعديد أشكال الحياة الأخرى ، إن لم يتم تحطيم الإنسانيّة أيضا . أليس بديهيّا أنّ هذا ليس " ما هو أفضل على " النطاق العالمي " و أنّ " معالجة مهام الإنتاج **أوّليّا** على " النطاق القومي " كما يقترح

آجيث لن تسوّى هذا المشكل ؟ يمكن لبلد إشتراكي (و برأينا يجب عليه بأسرع ما يمكن) أن يوقف إستخدام الوقود الأحفوري لكن أفعال بلد واحد (أو حتّى عدّة بلدان) لن توقف السباق نحو كارثة عالميّة . بصدد هذه المسألة و غيرها من المسائل ، ينبغى على البروليتاريا المظفّرة أن تنطلق من ما هو أفضل على النطاق العالمي و بصورة إستعجاليّة تنادى إلى توحيد العلماء و الناس حول العالم ليعملوا معا مع البلد الإشتراكي أو البلدان الإشتراكية ضد إرتفاع حرارة الكوكب على نحو يخدم أيضا التسريع فى الثورة العالمية ، و هذا أساسي لمعالجة جذور هذا المشكل و مشاكل أخرى عديدة .

و بشأن مشكلة كيفيّة تجاوز اللامساواة العميقة بين البلدان الإمبريالية و البلدان المضطَهَدة فى العالم ، يقترح آجيث أساسا ، فى ما إستشهدنا به ، أن كلاهما ، بعد تركيز الإشتراكية ، ينبغى أن يمارس التعويل على الذات . إن فكّرنا قليلا فى العالم الحقيقي ، ينبغى أن يكون بديهيّا أنّه حتّى بإلغاء إستغلال بلدان أخرى بفضل الثورة الإشتراكية ، إن مارس كلا من البلدان الإمبريالية السابقة و البلدان المضطهَدَة سابقا ببساطة التعويل على الذات ، على الأرجح أنّها لن " تصبح متساوية " بل بالعكس سيتّسع البون بينها – لأنّه بقدر ما تكون البلدان أكثر تطوّرا من المرجّح أكثر أنّها ستمتلك بعدُ أكثر قوى إنتاج وأكثر تقنية و أخصّائيين مدرّبين إلخ . التعويل على الذات مبدأ أساسي إلاّ أنّه مبدأ **نسبيّ** . ففى الصين الإشتراكيّة مثلا، لم يقع التشديد ببساطة على أن تمارس كلّ منطقة بشكل متساوي التعويل على الذات ، الشيء الذى كان سيؤدّى إلى توسيع و ليس إلى تقليص الإختلافات الكبرى بين المدينة و الريف و منطقة و أخرى . لقد أعطوا الأولويّة لتوجيه الموارد إلى الريف و المناطق و القوميّات الأقلّ تطوّرا بالذات لأجل تخطّى اللامساواة تدريجيّا . و المقارنة الأساسية عينها ستكون مركزيّة لردم الفجوة بين البلدان المضطهَدَة سابقا والبلدان الإمبريالية سابقا . وهذا سيقتضى النظر إلى الأشياء على المستوى العالمي و ليس مجرّد النظر إليها على المستوى القومي الذى يريد آجيث التمسّك به.

لا ترى الديمقراطية البرجوازية و القومية أبعد من المساواة الشكليّة . غير أنّ المساواة الشكليّة تفرز **لامساواة** فى العالم الحقيقي لأنّ نفس المعيار يطبّق على الناس و الأمم إلخ الذين يجدوا أنفسهم فى ظروف متباينة . و لأجل تخطّى عدم التوازن و اللامساواة الهائلين الذين نجما عن هذا النظام ، فإنّ **معالجة لامتساوية تميّز** الذين كانوا منبوذين بالأمس مطلوبة : الفقراء و النساء و الأقلّيات التى تمّ التمييز ضدّها ،و نعم ، البلدان المضطهَدَة منطلقين ، نعم ، من " ما هو أفضل على النطاق العالمي " للبروليتاريا والغالبيّة العظمى من الإنسانية .

إنّ " **دستور الجمهورية الإشتراكية الجديدة فى أمريكا الشماليّة (مشروع مقترح)** " الذى صاغه الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية وثيقة إستفزازية و ملهمة فى هذا و بعدّة معانى أخرى و السيّد آجيث يتوغّل عميقا جدّا فى ماء فكري كماء الصرف الصحّي محاولا إتهام الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة لأمريكية و أفاكيان ب " التوسّعيّة " و بنيّة مبيّتة للإستيلاء على مناطق مكسيكيّة . و دليله المفترض على ذلك هو " صيغة " شمال أمريكا " ، إلى جانب الإشارة إلى التراب المحرّر من " الرجعيين الآخرين " تدلّ على أنّ الدولة الجديدة يمكن كذلك أن تتوسّع إلى ما وراء المنطقة الترابية الحالية للولايات المتحدة الأمريكية ." (89) و خاصة إلى المكسيك لأنّه هناك ، حسب منطقه الغريب ، سيوجد " رجعيّون آخرون ".

منتهى الحدود التى يمكن للإنتهازيّة القوميةّ الذهاب إليها أقلّ بقليل من مذهلة . على ما يبدو لم يستطع آجيث حتى تصوّر المعنى و النيّة الحقيقيين لإسم " الجمهوريّة الإشتراكية الجديدة فى أمريكا الشمالية " ، و هذا ضمن أشياء أخرى تنصّل من الشوفينيّة الكامنة فى إسم " الولايات المتحدة الأمريكية " ، كما لوأنّ الولايات المتحدة تشمل كافة القارة الأمريكية .

و فضلا عن ذلك ، ألا يفهم السيّد آجيث حقّا أنّ فى الولايات المتحدة كما فى كلّ البلدان ، هناك أيضا رجعيّون ليسوا تحديدا أعضاء أو ممثّلين مباشرة للطبقات الحاكمة ؟ أليس قادرا على القراءة فى ذات الفقرة التى إقتطفها بإنتقائية أنّها تتحدّث عن " إنتصار الثورة التى ستضع نهاية للإمبريالية الأمريكية و **تعوّضها** بمجتمع إشتراكي ثوري جديد ؟ (90) لكنّه لم يكن عليه أن يضارب بهذا الصدد ، فقط كان من الضروري أن يقرأ ما كانت الوثيقة تقوله فعلا عن العلاقات مع المكسيك و السياسة تجاه جنوب غرب الولايات المتّحدة الذى كان قبل حرب 1846-1848 جزء من المكسيك . إنّه يؤكّد ، ضمن أشياء أخرى ، أنّه بإعتبار الوضع فى المنطقة و العالم ، " فى هذا الإطار العام و كذلك مع أخذ مشاعر سكّان تلك الجهة و طموحاتهم ، لا سيما ذوى الأصول المكسيكية و نسلهم ، مسألة تركيز من عدمه فى أجزاء من هذه الجهة لبلد منفصل عن كلّ من المكسيك و الجمهورية الإشتراكية الجديدة فى شمال أمريكا ، يجب أن تتولاّها الحكومة ... على كلّ حال ، ضمن هذه الجهة - أو جزء منها يظلّ ضمن الجمهورية الإشتراكية الجديدة فى شمال أمريكا - يجب الإعتراف بحقّ الحكم الذاتي للمكسيكيين- الأمريكيين و يجب التعاطى معه إنطلاقا من المبادئ و الأهداف الواردة فى هذا الباب و فى هذا الدستور ككلّ." (91)

و مفاد هذا أنّ آجيث يريد أن يجعلنا نعتقد أنّ برنامجا يرتئى حتّى التخلّى عن جزء من التراب الحالي من الولايات المتحدة لصالح المكسيك أو بلد جديد يتشكّل تاريخيّا فى المنطقة ، مرتبطا بالمكسيك " وصفة خطيرة للتوسّعيّة " (92) لسرقة مناطق من المكسيك !

و علاوة على تبيان إنتهازيّة آجيث ، يبيّن هذا عدم قدرة التحريفيّة القوميّة على التمييز بين الطبقة الحاكمة فى الولايات المتحدة ، من جهة و البروليتاريا و حزبها الشيوعي من الجهة الأخرى ، وهو أمر سنعلّق عليه ، آخذين حرّية إعادة صياغة جمل للينين بأنّه إن إنجرف ماركسي من "العالم الثالث " " فى تيار حقد مشروع و طبيعي تماما على " الإمبريالية الأمريكية " إلى حدّ أن يكنّ و لو قدرا طفيفا جدّا من الحقد ، و لو شعورا من البرودة ، لثقافة العمّال " فى الولايات المتّحدة " فإن هذا الماركسي ينزلق بالتالى فى مستنقع التعصّب القومي البرجوازي . " و كذلك ، الماركسيّون فى الولايات المتّحدة أو أي بلد إمبريالي سينجرفون ليس إلى المستنقع البرجوازي القومي وحسب بل سيصبحوا أيضا " قوميين مناهضين للثورة بعمق " إذا نسوا لحظة واحدة " واجبهم فى دعم قضيّة التحرّر الوطني فى بلدان تضطهدها الإمبريالية .(93).

و مساهمة أخرى لبوب أفاكيان أهمّيتها عظيمة لفهم أكثر علميّة لسيرورة الثورة الشيوعية العالمية هي الإعتراف بوجود تناقض بين تقدّم الثورة العالمية و الدفاع عن الإشتراكية فى بلد معيّن (أو مصالح الدولة القوميّة فى ظلّ الإشتراكيّة) . و على الرغم من كون هذا التناقض لا ينبغى بالضرورة أن يكون عدائيّا ، قد صار حادا جدّا فى الماضي و بلا شكّ سيتكرّر هذا من جديد لمّا يتمّ تركيز بلدان إشتراكيّة جديدة . من المهمّ جدّا الدفاع عن الإشتراكيّة حيثما توجد لكن ، فى الأساس و كجزء من الكلّ ، ربط الدفاع عن البلد (أو البلدان) الإشتراكية بتقدّم الثورة العالميةّ . و لهذا كذلك صلة بما علّقنا عليه آنفا بشأن الحدود النسبيّة للتغيير الثوري فى بلدان إشتراكية دون تقدّم أكبر على المستوى العالمي . البلدان الإشتراكية ، عندما توجد ، يجب أن تكون فوق كلّ شيء قواعد إرتكاز للثورة الشيوعية العالمية .

فى تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، لم يفهم هذا التناقض ، و بالفعل فى عدة مناسبات كانت الثورة العالمية فى تبعيّة للدفاع عن الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي و لاحقا فى الصين ، ما تسبّب أو ساهم جدّيا فى أخطاء رمت عرض الحائط حتى بفرص ثوريّة لا سيما أثناء الحرب العالمية الثانية و نتائجها .
و هذا موضوع معقّد و واسع لن نخصّه هنا بأكثر من ملاحظة أنّه بالرغم من كون آجيث يقبل شكليّا بوجود خطإ جعل الثورة العالمية فى تبعيّة للدفاع عن الإتحاد السوفياتي قبل الحرب العالمية الثانية و خلالها و بعدها ، فهو يدافع ساسا (ب " لكن " الإنتقائيّة المميّزة له) عن الإنحرافات العميقة بإتجاه

القوميّة و الديمقراطية البرجوازيّة ل " الجبهة المتّحدة ضد الفاشيّة " و التى تعود جذورها إلى ذلك الخطإ و قد أهدرت إمكانيّات تقدّم و حتى إنتصار الثورة فى عدد من البلدان .

إنّ توجّه آجيث القوميّ توجّه غير ثوري فهو يذهب بعيدا إلى حدّ قول :

" و النضال الذى تخوضه دولة إشتراكية فى الحقل الدبلوماسي جزء هام من الثورة العالمية . لا ينبغى أن ننسى أبدا أن الدولة الإشتراكية ستكون الأداة الأساسية التى عبرها تتمكّن البروليتاريا من التدخّل على المستوى العالمي ، إلى أن تبلغ الثورة العالمية مستوى عاليا . " (94)

لا . آجيث . الدبلوماسيّة الإشتراكية جزء ضروري من الثورة العالمية بيد أنّ " الأداة الأساسيّة التى عبرها تتمكّن البروليتاريا من التدخّل على المستوى العالمي " كانت و لا تزال **الثورة** . بالنسبة لكلّ من هو قادر على نزع غمامات القوميّة للنظر إلى العالم بلدا فبلدا ، منالبديهي أن لثورة أكتوبر و الثورة الصينية و الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى تأثير عالمي هائل أكبر بكثير حتى من أفضل التدخّلات الدبلوماسيّة لتلك البلدان حينما كانت إشتراكية .

16- الشيوعية أم القوميّة ؟

وفى الختام ، ينبغى تذكّر أنّ الأمم المعاصرة – التى هي واقع ملموس فى عالم اليوم – هي ببساطة إفراز للعصر الرأسمالي (95) و أنّه لأجل التجاوز النهائي لهذا العصر و بلوغ الشيوعية سيكون من الضروري معا إلغاء الإضطهاد القومي و فى النهاية تخطّى تقسيم العالم إلى أمم .

إنّ ضيق الأفق القومي الذى يرى العالم " من بلدى فخارجا " و غير القادر على فهم الطبيعة الحقيقيّة للنظام الرأسمالي – الإمبريالي العالمي و السيرورة الحقيقيّة لتغييره الثوري نحو الشيوعية العالمية ،غير قادر على تجاوز حدود الأفق الضيّق للعصر البرجوازي فى النظريّة و بالتالى ، كما بيّنّا ، كذلك غير قادر على تجاوز العلاقات الإضطهاديّة للنظام الرأسمالي - الإمبريالي فى الممارسة .

و الشيوعية ، بالعكس ، بالفهم العلمي للعلاقة الجدلية بين السيرورة العالمية و النضال الثوري فى كلّ بلد و بتشخيصها الصحيح للقاعدة الماديّة فى تناقضات النظام الرأسمالي – الإمبريالي ذاته التى تفرز كلّ من الحاجة و الإمكانية الحقيقيّة لتغييره الثوري بإتجاه الشيوعية ، يمكن و تحتاج إلى أن تقود سيرورة تعبيد الطريق بواسطة نضال عسير و ملتوى من أجل مستقبل مختلف جدّا و أفضل بكثير .

وحدها الشيوعية ، و ليس القومية ، يمكن أن تحرّر الناس و تقود إلى تحرير الإنسانيّة قاطبة . / .

==

الهوامش :

1- " **أزتاكا نوتيسياس** " (أخبار أزتاكا) ، " يموت جوعا 3 ملايين طفل سنويّا " ،

http://www.aztecanoticias.com.mx/capitulos/internacional/151315/3-millones-de-ninos-mueren-de-hambre-al-ano

2- يقدّم رقم تقريبا 2.5 مليون ضحيّة لهذه التجارة لكن يقدّر أيضا أنّه بالنسبة لكلّ شخص يجرى عدّه لا يقع عدّ 20 شخصا ما يعنى جملة حوالي 50 مليون شخص . " التقرير العالمي حول معاملة الأشخاص 2012 " على :

http://www.miguelcarbonell.com/docencia/Informe_mundial_sobre_la_trata_de_personas.shtml

3- من أجل تلخيص موجز للخلاصة الجديدة للشيوعية ، أنظروا بيان الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكيّة ؛ **" الشيوعية : بداية مرحلة جديدة "** ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري، شيكاغو 2009 ، وهو متوفّر على موقع :

revcom.us.

و بوب أفاكيان هو الذى تقدّم بهذه الخلاصة الجديدة وهو رئيس الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية . و الرابط على الأنترنت هو :

http://revcom.us/Manifesto/index.html

4- ماو تسى تونغ ، **" أحاديث فى ندوة الكتّاب العامّين للجان الحزب للمقاطعات و البلديّات و مناطق الحكم الذاتي "** ، **المؤلّفات المختارة** ، المجلّد الخامس ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، 1977 ، ص 380.

5- **" ضد الأفاكيانيّة "** ، مجلّة **نكسلباري** عدد 4 ، جويلية 2013 ، و على الأنترنت :

http://thenaxalbari.blogspot.com/2013/07/naxalbari-issue-no-4.html

و أيضا على :

https://liberationbase.files.wordpress.com/2013/10/agnstavk-lnkd.pdf

وهذا المقال متوفّر بموقع مجلّة **نكسلباري** كجزء من المجلّة المذكورة و كملفّ منفصل . هنا نستخدم أرقام صفحات الملفّ المنفصل . عندما كتبنا هذا المقال ، كان آجيث هو الأمين العام للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري ، الذى شارك فى المبادرة الإنتهازيّة لبعض المجموعات التى إنتمت سابقا إلى الحركة الأممية الثوريّة ، لتشكيل منظّمة عالميّة جديدة مختلفة عن الحركة الأمميّة الثوريّة ، و ما وحّد هذه المجموعات هو موقفها من الخلاصة الجديدة الذى حلّلنا فى مقال **" الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي "** وهو متوفّر بالأنجليزية و الإسبانيّة على :

https://d83b7796-a-62cb3a1a-ssites.googlegroups.com/site/aurorarojamx/home

(و بالعربيّة ترجمة شادي الشماوي ضمن كتابه **" الماوية تنقسم إلى إثنين "** بمكتبة الحوار المتمدّن ، و منفصلا على الموقع الفرعي لشادي الشماوي بموقع الحوار المتمدّن) .

و مذّاك إندمج الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري مع الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) .

6- **" الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته "** 2:12 ؛ منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 2011 ، ص 43-44 . و قد نشر نصّ المقتطف أوّل ما نشر فى كتاب **" ماتت الشيوعيّة الزائفة ... عاشت الشيوعية الحقيقيّة "** ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 1992 (الطبعة الثانية لسنة 2004) بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 41 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان اعلاه (**" الأساسي ..."**) وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

7- **" ضّد الأفاكيانيّة "** ، قسم " تشويه الأممية "، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 24 من كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه "** بمكتبة الحوار المتمدّن .

8- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

9- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " المهمّة الوطنيّة فى البلدان المضطهَدَة " ص 30 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 27 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

10- " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " 5:8 ، ص 156 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 91 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان اعلاه (" **الأساسي** ...") وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

11- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

12- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، الهامش 71 ، ص 27 بالأنجليزية .

13- الإنتقائيّة ، بهذا المعنى ، مقاربة تسعى إلى توحيد العناصر المتعارضة و التوفيق بينها : فى هذه الحال ، الشيوعية التى هي أمميّة و القومية . وهي كذلك تحيل على خطإ وضع مظهري ظاهرة واحدة على قدم المساواة دون تحديد ما هو المظهر الرئيسي ، ما يحجب الطابع الأساسي للظاهرة . مثلا ، "النظام الرأسمالي – الإمبريالي يستغلّ و يضطهد الشعوب لكنّه يطوّر قوى الإنتاج أيضا ". كلا المظهران صحيحان لكنّ الرئيسي هو طبيعته الإستغلالية و الإضطهادية . و قد أشار بوب أفاكيان إلى أنّ " لكافة المقاربة الإنتقائيّة نفس الطابع و التأثير الأساسيين : إنّها تخدم خلط الأمور و إنكار المظهر الرئيسي و جوهر الأشياء و تقوّضه " (" **الأزمة " فى الفيزياء و " الأزمة " فى الفلسفة و السياسة** " ، جريد " **الثورة** " عدد 161 ، متوفّرة على رابط الأنترنت التالي :

http://demarcations-journal.org/issue01/crisis_in_physics.html

14- " **التحدّيات أمام الماويين** " ، مجلّة **نكسلباري** عدد 4 ، جويلية 2013 ، ص 4 .

15- كارل ماركس – " **رأس المال** " ، المجلّد 1 ، الفصل 31 : " نشأة رأس المال الصناعي " ، دار التقدّم ، موسكو ص 527 بالأنجليزية .

16- " إنتحار 17.368 مزارعا فى 2009 " ، **الهندي** ، 27 ديسمبر 2010 ،

http://www.thehindu.com/opinion/columns/sainath/article995824.ece?homepage=true

17- أنظروا ريموند لوتا ، " **حول " القوّة المحرّكة للفوضى" و ديناميكيّة التغيير** "، جريدة " **الثورة** " عدد 323 بموقع :

revcom.us

و كذلك على الرابط :

http://demarcations-journal.org/issue03/driving_force_of_anarchy_and_dynamics_of_change_polemic.pdf

18- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان الأمضطهَدة " ، ص 30 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 27 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

19- التناقض الأساسي للرأسمالية هو التناقض بين الإنتاج ذى الطباع الإجتماعي و التملّك الخاص الرأسمالي.

20- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان المضطهَدة " ، ص 40 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 27 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

21- ماو تسى تونغ ، " **حول الديمقراطية الجديدة** " ، الجزء الرابع من " الثورة الصينية جزء من الثورة العالمية "، **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الثاني ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1965، ص 343 بالأنجليزية و بالعربية ، ص 479 .

22- " **ضّد الأفاكيانيّة** " ، قسم " الصراع صلب الحركة الأممية الثوريّة " ، ص 92 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 72-73 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

23- روبار بوربا ، " **الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية** " ، مجلّة " **تمايزات** " ، أفريل 2014 ، متوفّر على الأنترنت على الرابط التالي :

http://demarcationsjournal.
org/issue03/the_new_communist_party_of_nepal_maoist_and_the_crossroads.htm

24- ج. ستالين ، " **أسس اللينينية** " ، القسم الثالث " النظرية " ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكن 1976 ، ص 26 بالأنجليزية ؛ وبالعربية ص 39 (طبعة الشركة اللبنانية للكتاب) .

25- الرأسمالية البيروقراطية فى البلدان المضطَهَدة رأسمالية تابعة للإمبريالية و عادة مرتبطة بالإقطاعية و شبه الإقطاعية و علاقات أخرى ما قبل رأسمالية . إنّها رأسماليةمشوّههةإلى درجة كبيرةو تابعة لمراكز المراكمة فى البلدان الإمبريالية . مثلا ، ينتج العمّال التقنيّون فى الهند برامج كمبيوتر بخسة الثمن للبلدان الإمبريالية فى حين أنّ الفلاّحين ينتحرون يأسا لأنّهملميقدروا على إعالة أسرهم ؛ و الشركات المتعدّدة الجنسيّات مثل باير تصنّع منتوجات صيدليّة فى معامل عالية الأتمتة فى المكسيك ، أهمّ مصدّر للمواد الصيدليّة فى أمريكا اللاتينية ، فى حين يقدّر أنّ 13 مليون طفل مكسيكي قد ماتوا جراء أمراض يمكن علاجها و جراء سوء التغذية ، و ذلك فى العقود الثلاثة الأخيرة . المصدر هو :
“En 5 sexenios murieron un millón 300 mil niños de enfermedades curables: Fonan”

" **لا خرنادا** " 12 جون 2012 . و من أجل تحليل مفصّل لوضع المكسيك ، أنظروا " كيف تتحكّم الإمبريالية فى الإقتصاد المكسيكي وماذا يعنيه ذلك لحياتنا ؟ " ، " **أورورا روخا** " ، عدد 9 ، متوفّر بالإسبانيّة على الرابط :

http://aurora-roja.blogspot.mx/2002/10/aurora-roja-9.html

26- " **ضد الأفاكيانية** " ، الهامش 68 ، ص25 بالأنجليزية .

27- كارل ماركس و فريديريك إنجلز ، " **بيان الحزب الشيوعي** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1970 .

28- " **ضد الأفاكيانية** " قسم " المسألة الوطنيّة فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

29- ماو تسى تونغ ،" **الثورة الصينيّة والحزب الشيوعي الصيني** "، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الثاني ، ص 310 بالأنجليزية ؛ وبالعربية ص 427 .

30- من أجل تحليل أشمل لهذه التغيّرات فى المكسيك ، أنظروا إسديريو سيرانو ، " **الثورة الزراعيّة وشبه الإقطاعية** " ، لاشسبا ، المكسيك 1991 – أجزاء من الكتاب نشرت فى مجلّة " **عالم نربحه** " عدد 20 .

و المنظّمة الشيوعية الثوريّة ، المكسيك ، " **200 سنة من الإضطهاد و المقاومة : نحتاج إلى ثورة تحريريّة جديدة !** " ، إفتتاحيّة فلوردى لا سيرا ، 2010 . متوفّر بالإسبانيّة على موقع :

aurora-roja.blogspot.com

31- الأمم المتحدة ، " أسهم الهجرة العالمية الشاملة " :

http://esa.un.org/unmigration/TIMSA2013/migrantstocks2013.htm?mtotals

و على الأرجح أنّ هذا الرقم مقلّص نظرا للموجة الكبرى من " الهجرة غير القانونيّة "

32- ماوتسى تونغ ، " **فى التناقض** " ، القسم 1 " نظرتان إلى العالم " ، **مؤلفات ماوتسى تونغ المختارة** ، المجلّد 1 ، ص 314 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 458 .

33- نفس المصدر ، ص 314 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 458 .

34- بوب أفاكيان ، " **حول الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية** " :

http://www.revcom.us/bob_avakian/philbasisintlism.htm

35- نفس المصدر السابق .

36- تحيل التجريبيّة على الفكرة أو المنهجيّة التى تعتبر أنّ التجربة الحسّية المباشرة بذاتها و فى حدّ ذاتها تفسّر لنا واقع شيء دون الحاجة إلى أن نأخذ بعين الإعتبار الممارسة الإجتماعيّة الأعمّ أو الإرتقاء بها إلى مستوى النظريّة . و يضرب ماو مثلا على ذلك ضفدعة فى قعر بئر مقتنعة أنّ السماء دائرة صغيرة .

37- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأمميّة " ص 23 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 22 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

38- أفاكيان ، " **حول الأساس الفلسفي للأممية البروليتارية** " :

http://www.revcom.us/bob_avakian/philbasisintlism.htm

39- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 23 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 23 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

40- ج. ستالين ، " **أسس اللينينية** " ، قسم 1 ، " الجذور التاريخيّة للينينيّة " ، ص 6 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 11 (طبعة الشركة اللبنانيّة للكتاب ، بيروت) .

41- عندما كان ينقد التحليل " الإحادي الجانب " لأفاكيان لهذه الأخطاء ، حاجج آجيث أنّ تحليله " يخفق فى معالجة وجهات نظر روزا على ضوء التقدّم الحاصل بفضل الماوية " و أنّه " سيكون أكثر فائدة العودة إلى نقد روزا لكسمبورغ للبلاشفة لقمعهم المعارضة . " ، " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " الديمقراطية الإشتراكية " ، ص 61 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 51.

42- ماو تسى تونغ ، " **حول الديمقراطية الجديدة** " ، مصدر سابق (الهامش 21) ، ص 343 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ، ص 479 .

43- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

44- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

45- أنظروا مثلا بوب أفاكيان ، " **التناقض الأساسي و التناقض الرئيسي على الصعيد العالمي** " ، جريدة " **العامل الثوري** " عدد 172 .

46- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 23 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

47- أنظروا ، ريموند لوتا ، " **حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكيّة التغيير** ..."

بموقع جريدة " **الثورة** "

revcom.us

و على الرابط التالى :

http://demarcations-journal.org/issue03/driving_force_of_anarchy_and_dynamics_of_change_polemic.pdf

48- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأمميّة " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

49- أنظروا ، ضمن كتابات أخرى ، بوب أفاكيان ، " **الوضع الجديد و التحدّيات الكبرى** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 36 ، 26 فيفري 2006 .

50- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " الوضع العالمي " ، ص 51 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص43 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

51- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأمميّة " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

52- الإقتصادويّة هي التذيّل لأي شيء يمكن أن يفكّر فيه الناس أو يفعلوه عفويّا ، دون العلم ، عوض الإعتماد على ما يمكن أن يتحدّد علميّا (ما يشمل لكنّه لا يحدّد فى التعلّم منالناس) و النضال من أجل تغيير وعي الناس و أفعالهم على ذلك الأساس .

53- مثلا ، إنّهم يثنون على النضال المسلّح المخاض فى قسم كبير منه من قبل القوى الأصوليّة الإسلامية فى أفغانستان و العراق ل" توجيه صفعة قوية لمخطّطات الإمبريالية الأمريكية ، مشجّعة المشاعر المناهضة للإمبريالية " ، " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان المضطهدَة " ، ص 28 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 26 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

54- من أجل دروس هامّة بهذا المضمار ، أنظروا ساموبل ألبار ، " **مصر ، تونس و الربيع العربي : كيف وصلت إلى طريق مسدود و كيف الخروج منه** " :

http://demarcations-journal.org/issue03/egypt-tunisia-and-arb-revolts-impasse.pdf

55- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

56- أنظروا مثلا بداية الجزء الثاني من " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانية** " ، وهو متوفّر على :

www.revcom.us/avakian/makingrevolution

57- ماو تسى تونغ ، " **قضايا الإستراتيجيا فى حرب العصابات المناهضة لليابان** " ، الفصل الرابع ، **مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الثاني ، ص 85 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 114.

58- هذه النقطة طوّرها بوب أفاكيان فى خطاب " **المقاربة الإستراتيجية للثورة و علاقتها بالمسائل الأساسية للأبستيمولوجيا و المنهج** "، الجزء الثاني، نشر فى أفريل - ماي 2014 ، و هو متوفّر على :

revcom.us/avakian/makingrevolution2/

59- " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ، 3:28 ، ص 93-94 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 62 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان اعلاه (" **الأساسي** ...") وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

60- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 24 بالأنجليزية .

61- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

62- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

63- هذه المسألة عالجناها ببعض التفصيل فى مقال ضد النزعة ذاتها التى يشترك فيها آجيث مع آخرين: " **الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي** " ، و المقال متوفّر بالإسبانيّة و الأنجليزية على موقع :

aurora-roja.blogspot.com

64- ف. لينين ، " **الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي** " ، قسم " ما هي الأمميّة ؟ "، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1972 ، ص 80 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 69 (طبعة دار التقدّم ، موسكو 1977) .

65- " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ، 5:8 ، ص 156 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 91 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان اعلاه (" **الأساسي** ...") وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

66- متوفّر على رابط الأنترنت التالي :

www.revcom.us/a/274/rimipublish-final.pdf

67- " **ضد الأفاكيانية** " ، الهامش 77 ، ص 28-29 بالأنجليزية .

68- ف . لينين ، " **الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي** " ، قسم " ما هي الأممية ؟ ".

69- لينين ، " **مهام البروليتاريا فى ثورتنا** " ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 24 .

70- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المهمّة الوطنيّة فى البلدان المضطهَدَة " ، ص 28-29 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 26 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

71- التشديد فى النصّ الأصلي . لا يضمّن آجيث ذلك حينما يستشهد بلينين . ف. إ. لينين ، " **مهمّات البروليتاريا فى ثورتنا** " ، النقطة المعنونة " الحالة فى الأممية الإشتراكية " ، الأعمال الكاملة ، دار التقدّم ، موسكو 1964 ، المجلّد 24 بالأنجليزية .

72- الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية ، " **رسالة إلى الأحزاب و المنظّمات المنتمية إلى الحركة الأممية الثورية** " ، متوفّرة على الرابط التالي :

www.revcom.us/a/274/rimipublish-final.pdf

و هذه الوثيقة محوريّة ينبغى الإطلاع عليها لفهم الصراع الراهن صلب الحركة الشيوعية العالمية وهي تستند إلى تحليل المسائل الجوهرية للخطّ المعلومة لدى الجميع ، عوض منهج آجيث الذى دبّج الصفحات و الصفحات من التشويهات و القيل و القال فى جزء كبير منها حول ما يفترض أن يكون قد حصل فى هذا الإجتماع غير العلني أو ذاك .

73- ف. إ. لينين ، " **بصدد كرامة الروس القومية** " ، 1914 ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 21 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص89 من كتاب لينين " **فى الإيديولوجيا و الثقافة الإشتراكية** " ، دار التقدّم ، موسكو 1974 .

74- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المسألة الوطنيّة فى البلدان الإمبريالية " ، ص 35 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 31 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

75- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان المضطهَدَة " ، ص 26 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 25 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

76- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان المضطهَدَة " ، ص 28 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص26 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

77- " **الأساسي فى خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ،5:7 ، ص 156 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 91 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان أعلاه (" **الأساسي** ...") وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

78- لأجل تجنّب الخلط ، نوضّح أنّ هذا لا يعنى أنّ كلّ الناس الوطنيين أو القوميين أناس رجعيّون ، بالضبط مثلهم ، على مستوى آخر ، مثل أنّ الإشارة إلى أنّ الأحزاب البرجوازية رجعيّة لا تعنى أنّ كلّ الناس الذين يصوّتون لها رجعيّون .

79- سياسي معارض يمثّل جناحا من البرجوازية الكبيرة فى المكسيك .

80- ماو تسى تونغ ، " **دور الحزب الشيوعي الصيني فى الحرب الوطنية** " ، مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة ، المجلّد 2 ، ص 196 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 273.

81- فى النقطة التاسعة من " **إقتراح حول الخطّ العام للحركة الشيوعية العالمية** " ، بيكين ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، سنة 1963.

82- أنظروا نقاش أشمل لهذا لبوب أفاكيان فى " **التقدّم بالحركة الثوريّة العالميةّ : مسائل توجّه إستراتيجي** " ، مقال نُشر أوّل ما نشر فى مجلّة " **الثورة** " فى ربيع 1984 ، و رابطه الآن على الأنترنت هو :

revcom.us/.../advancingworldrevolution/advancingworldrevolution.htm

83- " **ضد الأفاكيانية** " ، الهامش 71 ، ص 27 : عادة فى الهوامش يعرض آجيث المزيد من الأفكار عن ما يريد حقّا قوله .

84- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " تشويه الأممية " ، ص 25 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 24 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

85- " **الأساسي من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته** " ، 2:12 ، ص 43-44 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 41 من كتاب شادي الشماوي بذات العنوان اعلاه (" **الأساسي** ...") وهو متوفّر بمكتبة الحوار المتمدّن .

86- كارل ماركس ، " **صراع الطبقات فى فرنسا 1848-1850** " ، القسم الثالث ، " نتائج 13 جوان 1849" ، ماركس و إنجلز ، **المؤلّفات المختارة** ، المجلّد الثاني ، ص 282 بالأنجليزية .

87- بوب أفاكيان ، " **كسب العالم : واجب البروليتاريا العالمية و رغبتها** " 1981 ، قسم ، " المزيد عن الثورة البروليتارية كسيرورة عالمية " ، على الرابط التالي :

revcom.us/bob_avakian/conquerworld/

88- " **ضد الأفاكيانية** " ، قسم " المهمّة الوطنية فى البلدان المضطهَدَة " ، ص 32-33 بالأنجليزية ؛ و بالعربيّة ص 29 من كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه** " بمكتبة الحوار المتمدّن .

89 – نفس المصدر السابق ، ص 38- 39 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 34.

90- الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات التحدة الأمريكية ، **" دستور الجمهوريّة الإشتراكية الجديدة فى شمال أمريكا (مشرورع مقترح) "**؛ منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 2010 ، ص ii و التشديد مضاف ، الرابط على الأنترنت هو :

www.revcom.us/a/216/preamble-en.html

91- نفس المصدر السابق ، ص 57 بالأنجليزية ؛ وبالعربية ص 99 من كتاب شادي الشماوي **" الثورة البروليتارية فى المستعمرات و أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة و فى البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية."** المتوفّر بمكتية الحوار المتمدّن **.**
92- **" ضد الأفاكيانية "** ، قسم " المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية " ، ص 39 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 34 من كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه "** بمكتبة الحوار المتمدّن .

93- ف. إ. لينين ،**" ملاحظات إنتقاديّة حول المسألة القوميّة "**، الجزء 3 " فزّاعة "التمثيلية" القوميّة "، الأعمال الكاملة ، الطبعة الرابعة باللغة الأنجليزية ، دار التقدّم ، موسكو 1964 ، المجلّد 20 ، ص 32 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ، ص 74 من المجلّد 5 ، **" المختارات فى 10 مجلّدات "** ، دار التقدّم ، موسكو 1976 .

94- **" ضد الأفاكيانية "**، قسم " نقد صبياني لتكتيك الجبهة المتحدة "، ص 44 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ، ص38 من كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفاكيانية " و الرود عليه "** بمكتبة الحوار المتمدّن .

95- نتحدّث هنا عن الأمم بالمعنى المعاصر و المتميّزة مثلما لخّص ستالين على نحو صائب بأنّها " جماعة ثابتة من الناس تألفت تاريخياً على أساس جامعة اللغة والأرض والحياة الاقتصادية والتكوين النفسي المشترك الذي يجد تعبيراً عنه في الثقافة المشتركة " (ج. ف. ستالين ، **" الماركسية و المسألة القومية "** القسم **!** " الأمّة " ، **مؤلّفات ستالين** ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، موسكو 1954 ، ص 307 بالأنجليزية) .

و هناك تشكيلات سابقة أخرى أطلق عليها أحيانا نعت " أمم " على غرار إمبراطوريّة الأزتاك أو الإمبراطورية الرومانية ، لكن رغم بعض التجارة و الأداءات إلخ كانت تفتقد إلى الحياة الإقتصاديّة المشتركة التى أوجدتها الرأسمالية بخلق سوق قوميّة ، علاوة على إفتقارها فى عديد الحالات لعديد العناصر المذكورة الأخرى .

==

===

4

===

آجيث – صورة لبقايا الماضى

إيشاك باران و ك. ج. أ ، ديسمبر 2014 (+)

مجلّة " تمايزات " عدد 4

إلى ذكرى كلايد يونغ (2) الذى خاض فى عديد المسائل التى واجهها المؤلّفان فى كتابة هذا المقال .

" كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية ".

بوب أفاكيان (1)

فهرس المقال

- " مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي

- دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا

- مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي

- البروليتاريا وكنس التاريخ

- القومية أم الأممية ؟

- التبعات السلبيّة للتجسيد فى الثورات الإشتراكية السابقة

IV - هل للحقيقة طابع طبقي ؟

- " الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية

- آجيث و التحزّب الطبقي

V - إستهانة آجيث بالنظريّة :

- نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي

- " الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية

- يجب على التحزّب أن يقوم على العلم

- الدروس المكلفة ل" الحقيقة السياسيّة "

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

- مكانة الفلسفة فى الماركسية

- آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم

- مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية

- الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبيّة و تقدّم المعرفة

- إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

- ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني

- الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية

- الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة

- فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورة

- قفزة لكن ليس إلى حرّية **مطلقة**

- لا جبريّة فى الثورة

- كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

- تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير

- هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان

- عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند

- معارضة آجيث ل " الوعي العلمي "

- العلم و المعرفة التقليدية

- آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة

- تعويض الحقيقة ب " رواية شخصية "

- نقد غير علمي للرأسمالية

- معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت

- آجيث و التقليد الكانطي

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

- وضع حجاب على إضطهاد النساء

- التذيّل للقومية و تجميل الأصولية

- أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين

- الإختيار بين الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

X - الخاتمة

(+) إيشاك باران مناصر للخلاصة الجديدة لبوب أفاكيان و مساهم منذ زمن بعيد فى الحركة الماوية فى تركيا . و ك. ج. أ مساهم منتظم فى **" تمايزات " – مجلّة النظريّة و الجدال الشيوعيين .**

==

محور هذا الجدال هو الفلسفة – خاصة الأبستيمولوجيا ، الفرع الفلسفي الذى يُعنى بقضايا المعرفة و الحقيقة و كيف نحصل على المعرفة و نقيّمها .

قد يبدو هذا الموضوع لمن ينظر إليه نظرة حجولة مجرّدا ، بعيدا ومنفصلا عن عالم الحروب الإمبريالية التى لا تنتهى و أوبئة الإيبولا و التغيّر المناخي على كوكبنا و تعنيف النساء و إخضاعهنّ المستشريين . بيد أنّه للقضايا الفلسفية التى نتناولها بالبحث فى هذا الجدال و للصراع الإيديولوجي الأوسع نطاقا الذى نخوض أهمّية كبرى و ملحّة . إنّها وثيقة الصلة بوضع نهاية لجنون زمننا و فظاعاته . فمع تمكّن الإنسانية المضطهَدَة و كلّ الذين يتطلّعون إلى عالم تستحقّه إنسانيّتنا من **فهم** العالم (نعم ، تلك المسألة الأبستيمولوجية) – تحديدا لأجل تغييره ... تأتى قضيّة الثورة .

لقد حدثت ثورات فى القرن العشرين . و بالفعل ، شهدت الموجة الأولى من الثورة الشيوعية مئات الملايين على كوكبنا ينهضون فى ظلّ قيادة طليعية ذات رؤية ثاقبة و يطيحوا بالنظامالقديم – أوّلا فى روسيا فى 1917 و ثمّ فى الصين فى 1949 . فكان ثلث الإنسانية جزءا من سيرورة بناء مجتمعات تحرّرية حقّا . و مثّل ذلك أوّل قطيعة مع ظلام المجتمع الطبقي . (3)

لكن المرحلة الأولى من الثورة إنتهت عندما حصل إنقلاب رجعي فى الصين فى 1976 بُعيد وفاة ماو تسى تونغ . و جاءت هذه الهزيمة بعد فقط حوالي عشرين سنة من إستيلاء القوى الرأسمالية الجديدة على السلطة فى الإتحاد السوفياتي .

و اليوم لا توجد أية دولة إشتراكية . وقد جدّت تغيّرات كبرى فى الإقتصاد الرأسمالى العالمي و مدن جنوب كوكبنا قد إنتشرت بفعل نزوح الناس القسري عن الأراضي و غدت الأزمة البيئيّة كارثيّة. و يتعذّب بلايين الناس بلا موجب . و غالبية الإنسانية المضطهَدة أسيرة ديناميكية قاتلة حيث الخيارات الوحيدة أمامها تبدو الأصولية الدينية الرجعية أو الديمقراطية من النمط الأمريكي ، و كلّ هذا فى إطار النظام الرأسمالي –الإمبريالي العالمي . و فى نفس الوقت وقع التشنيع على الشيوعية وتشويهها ، و إعتبرتها القوى السائدة رسميّا " فشلت " ، و يقصف الناس بقنابل رسالتها و مفادها أنّه لا وجود لأي بديل .

و يطرح السؤال موضوعيّا : هل من مخرج من هذا الجنون ؟

ضد هذا التراجع كان بوب أفاكيان يشتغل طوال العقود الثلاث الأخيرة على المشكل الكبير : تلخيص دروس الموجة الأولى من الثورة الشيوعية ، و مكاسبها الإيجابية الطاغية و كذلك مشاكلها و نقائصها و لصياغة طريق للمضيّ قدما . و من هذه الدراسة و مستفيدا من تيّارات واسعة من الفكر و الجهود الفكريّة و الفنّية ، تقدّم أفاكيان بخلاصة جديدة للشيوعية . و هي تشمل الفلسفة و الأممية و دكتاتورية البروليتاريا و ممارسة السلطة فى المجتمع الإشتراكي و الإستراتيجيا .

و الخلاصة الجديدة بديل تحرّري و نظرة و إستراتيجيا فعّالتين من أجل عالم مختلف و أفضل راديكاليّا – و من أجل إطلاق العنان لمرحلة جديدة من الثورة الشيوعية يمكن و يجب أن تبلغ جيلا جديدا من النشطاء الشبّان و المثقفين و الفنّانين و الجماهير القاعدية .

I- تمهيد : طليعة المستقبل أم بقايا الماضى :

لقد كانت الخلاصة الجديدة للشيوعية موضوع صراع حاد فى صفوف الشيوعيين . ففى ماي 2012 ، أصدر الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية رسالة إلى الأحزاب و المنظّمات المنخرطة فى الحركة الأممية الثورية (4) شارحا فهمه لمضمون صراع الخطّين الذى كان يتطوّر داخل الحركة الشيوعية العالمية و جذوره و تاريخه . و قد أشارت تلك الرسالة إلى أنّ : " الفهم الذى قامت عليه الحركة - ما كنّا نسميه الماركسية – اللينينية - الماوية - " ينقسم إلى إثنين" : جوهره الثوري الصحيح و العلمي ثبتت صحته وهو يتقدّم إلى مستويات جديدة ، بينما الأخطاء الثانوية و إن كانت حقيقية و ضارة فى السياسة و النظرية وقع تحديدها و يمكن و من الضروري الصراع ضدّها كجزء من إنجاز القفزة اللازمة. هذه هي المقاربة التى إعتمدها بوب آفاكيان و حزبنا يدعو الآخرين للإلتحاق بها لتلبية هذه الحاجة الملحة. "(5)

و سنتان بعد رواج تلك الرسالة ، إشتدّ أكثر الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية . فمن جهة ، هناك الكثيرون الذين ، على أساس الخوض فى الخلاصة الجديدة للشيوعية و تبنّيها ، أخذوا يكسبون فهما أعمق لهدف الشيوعية و ثقة جديدة فى فعالية الثورة البروليتارية لبلوغه ، و تقييما أدقّ لما يجب القيام به – و هم بالتالى أقدر على النهوض بالنشاط الثوري الشامل . و من الجهة الأخرى ، مع ذلك ، هناك من يصرخون فزعا من الخطوات المتقدّمة التى خطاها أفاكيان و يحاولون توجيه الحركة فى الإتجاه المعاكس ، بعيدا عن أساسها العلمي .

فى جويلية 2013 ، نُشر مقال يعدّ حوالي 80 صفحة فى المجلّة الهندية **" نكسلباري "** و كان يحمل عنوان **" ضد الأفاكيانية "** .

كاتبه ، آجيث ، يختم مقاله بقول : " الأفاكيانية لا هي جديدة و لا هي بأي شكل من الأشكال تلخيصا . إنّها ذات التحريفية و التصفوية القديمة . و علينا أن ننبذ إدعاءاتها و نقف بصلابة على أساس الماوية ." (7) . و بالفعل ، ما يقوم به آجيث هو هجوم شامل على الشيوعية الثورية ، ليس كما تقدّمت بها الخلاصة الجديدة لأفاكيان و حسب و إنما أيضا ضد أعمدة البناء الجوهرية للماركسية عينها . مقاله هو الجهد الأخير و إلى الآن الأكثر طموحا لتقديم عرض منسجم للمواقف الأساسية و النظرة العالمية و المنهج لدى قطاع من الحركة الماوية التى ترفض مزيد التقدّم بالنظريّة الشيوعية وعوض ذلك تعيد بعث وتزيل الغبار عن الكثير من الفهم الخاطئ الذى عرقل الحركة الماوية منذ بداياتها الأولى .

وفى هجومه المسعور ضد أفاكيان ، يرمى آجيث بكلّ عنصر بحوزته إلى الحلبة : إنّه يقدّم عرضا لاعلميّا للإقتصاد السياسي الماركسي (8) ، و يبذل وسعه ليلصق زورا و بهتانا قوميّته الخاصة الفالتة من عقالها بماو تسى تونغ ، و يصوغ رواية خيالية عن تاريخ الحركة الأممية الثورية مليئا بأحداث مصطنعة يعلم أنّه ليس بوسع غالبيّة قرّائه أن يتأكّدوا من صحّتها ، ويقترف الخطأ تلو الخطإ فى مجالات لا تحصى و لا تعدّ . و قد عالج بعض الرفاق شيئا من أهمّ تلك الأخطاء (9) و لا شكّ فى أنّ الكثير يمكن كتابته لتوضيح أيّ عدد من النقاط التى تكلّم عنها آجيث على طريقة الأساقفة .

مقال آجيث يكثف بصفة واضحة تجميع الأخطاء الثانوية لكن مع ذلك الحقيقية والمدمّرة لدى الحركة الماوية ، و منهجتها و رفعها إلى مستوى خطّ سياسي و إيديولوجي عام .(10)

و المهمة التى حدّدناها لأنفسنا فى هذا المقال هي محاولة كشف ما الذى يكمن وراء هجوم آجيث المسعور على الخلاصة الجديدة لأنّه كما قال شكسبير ، هناك منهج فى جنونه . إن إستطعنا أن نكشف مضمون ما يكمن وراء منهجه و مقاربته ، يمكن أن نستفيد شيئا من مقال يزخر بالتشويه و التعتيم و الإفتراء ، بما يساهم حينئذ فى فهم أفضل لصراع الخطّين الدائر رحاه فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية .

و لنبدأ بالإشارة إلى عدد من المواقف الأكثر محوريّة التى يتقدم بها آجيث فى هجومه على المقاربة و المنهج الذين ما إنفكّ أفاكيان يقاتل من أجلهما :

- كفلسفة أو إيديولوجيا ، حسب آجيث ، لا يجب على الماركسية و **لا يمكن** أن ترتقي... إلى المعايير العلمية (ما يشوّهه على أنّه " علماوية ") . و فى إرتباط بذلك ، يعارض آجيث المقاربة المختلفة تماما فى أعمال أفاكيان و القائمة على إختراقات فى النظرة الشيوعية للعالم و للأبستيمولوجيا .

- فى نظر آجيث ، أفاكيان مخطئ فى قوله إنّ الماركسية لا تخفق أمام معيار" قابلية الخطإ " ؛ و بكلمات أخرى ، يخطئ أفاكيان خطأ جدّيا عند تأكيده على أنّ المواقف النظريّة للماركسية تسمح بشروط تأكيد إن كانت صحيحة أم خاطئة .

- و يعتقد آجيث أنّ "" الحقيقة الماركسية " يمكن أن تكون الأقرب للواقع الموضوعي بسبب التحزّب الطبقي " [التسطير من آجيث] . و يرفق آجيث هذا بالدفاع عن مفهوم " الحقيقة الطبقية " ، عن أنّ الحقيقة يمكن أن تحدّد ليس بتناسبها مع الواقع بل بالموقف الطبقي للذين يتقدّمون بموقف معطى .

- بنظر آجيث يجب أو تعطى مكانة خاصة فى الحركة الشيوعية إلى البروليتاريين كأفراد و غيرهم من الفئات المضطهَدَة من الجماهير بموجب موقعهم الطبقي . و يزعم آجيث أنّ الحزب الشيوعي الثوري يلغى دور المشاعر الطبقية . و يرفض آجيث أن يعترف بالمشاكل المتّصلة بتجسيد البروليتاريا .

- ويرى آجيث أنّ أفاكيان يتبنّى بلا نقد نظرة تنوير القرن الثامن عشر و مبادئه . و حسب رأيه ، أفاكيان غارق فى الوضعية و التجريبية و الإختزالية الميكانيكيّة و يخفق فى التعلّم من مساهمات الآخرين كأصحاب ما بعد المعاصرة و مدرسة فرانكفورت .

- و يتّهم آجيث أفاكيان بالتنظير ل " بروليتاريا مثاليّة " على حساب البروليتاريا الملموسة فى الإطار القومي الخاص .

- و يتّهم آجيث أفاكيان بإنكار الدور الجوهري للممارسة فى تطوير النظريّة الثوريّة .

- دون مفهوم " الحتمية " (على غرار ما يوجد فى " حتمية إنتصار الشيوعية ") الذى نقده أفاكيان ، فى نظر آجيث ، " لا يبقى شيء للتأريخ الماركسي ".

- ويحاجج آجيث أنّ أفاكيان مخطئ فى تشحيص و نقد العناصر الثانوية التى تنزع نحو التيولوجيا (فكرة أنّه ثمّة هدف أو نتيجة مرسومة مسبّقا فى الطبيعة) فى كتابات ماركس و إنجلز وكذلك فى كتابات مؤلّفين و قادة شيوعيين آخرين .

- أفاكيان مخطئ فى تركيز الإنتباه على نقد (" دقّ ") الدين . " بالعلماوية [هكذا] كميزة بارزة ، لا نستغرب رؤية الأفاكيانية تغرق فى عقلانية غليظة عند تعاطيها مع الدين "

و من القائمة الجزئية أعلاه لهجمات آجيث على أفاكيان يبرز جليّا أنّ الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية لا يحدث فى غرفة مغلقة . فالعديد من هذه المسائل نفسها توجد (أحيانا بأشكال مغايرة نوعا ما) ضمن صفوف آخرين من المنخرطين فى النضال ضد المجتمع المعاصر و فى نقده . و أيضا يتداخل هذا مع صراع إيديولوجي أوسع نطاقا – مثلا ، الفكرة المنتشرة القائلة بأنّه لا وجود لحقيقة واقعية ، حقيقة موضوعية ، و بدلا من ذلك هناك فقط روايات متنافسة تمثّل مجموعات مصالح إجتماعية مختلفة .

يمثّل آجيث نوعا من " الحزمة " إن شئتم . إنّه مزيج من مقاربة شبه دينية للشيوعية ، نظرة أنّ التاريخ " سيسير " لصالحنا ، مع براغماتيّة ، مفهوم أنّ ما ينجح و يخدم أهدافا معيّنة صحيح . إنّ آجيث يدافع عن نوع من التفكير متجذّر عميقا فى الحركة الشيوعية ، يمكن أن يخدم أحيانا التحفيز المؤقّت لشجاعة المرء لكن فحسب بغضّ النظر عن جزء الواقع الذى يزعجه .

و نظرا لهذا التفكير شبه الديني ، بصعوبة قد يفاجئنا أن يشعر آجيث و آخرون أمثاله بأكثر من مجرّد تهديد بالخطوات المتقدّمة التى قطعها أفاكيان . وفى حين أنّ أي علم حقيقي ، بما فيه نهائيّا الماركسية ، يضع نفسه موضع المساءلة و هوعرضة للتصحيح و مزيد التطوير ، فإنّ الدين يسير وفق ديناميكية معاكسة : مجالات بأكملها يُعلن مسبّقا أنّها محميّات خاصة حيث الإيمان وحده يمكن أن يهيمن كأعلى سلطة وعلى القساوسة أن يحافظوا بغيرة على نقاط ضعف نظام الإعتقاد حتّى لا تؤدّى ثقبة فى هذا النظام المائي المضغوط إلى نزيف كبير .

فى آخر المطاف ، الرهان فى هذا النقاش حول كيفيّة فهم العالم هو نوع المجتمع الذى نحاول أن نوجده. هل يمكن أن نتخطّى نقطة ستتحدّد فيها الحقيقة أو تُفرض بالقوّة (الإقتصادية و السياسية و العسكريّة) ، أم أنّ العالم لن ينجو من منطق أنّ " القوّة تصنع الصواب " .

فى مفترق الطرق هذا داخل الحركة الشيوعية العالمية ، تطرح مسألة : هل سيكون الشيوعيّون طليعة للمستقبل أم بقايا الماضي ؟

II- الثورة الشيوعية و الشيوعية كعلم و مهمّة البروليتاريا و لماذا الحقيقة حقيقة :

ما هي الشيوعية ؟ كيف هي مختلفة عن مفاهيم و برامج التغيير الأخرى ؟ لماذا هي أكثر الثورات راديكاليّة . لنستمع إلى ماركس :

" هذه الإشتراكية إعلان للثورة المستمرّة ، الدكتاتورية الطبقية للبروليتاريا كنقطة ضرورية للقضاء على كلّ الإختلافات الطبقية ، و للقضاء على كلّ علاقات الإنتاج التى تقوم عليها و للقضاء على كلّ العلاقات الإجتماعية التى تتناسب مع علاقات الإنتاج هذه ، و للقضاء على كلّ الأفكار الناجمة عن علاقات الإنتاج هذه ". (11)

تحيل هذه الفقرة المعروفة شعبيّا خلال الثورة الثقافيّة الصينية بين 1966 و 1976 على أنّها " **الكلّ الأربعة** " على أنّ الثورة الشيوعية ثورة شاملة . إنّها تهدف إلى إجتثاث ليس بعض الإضطهاد و بعض اللامساواة بل **كلّ** الإقتصاد والسياسة و العلاقات الإجتماعية الإضطهاديّة - من إهانة النساء و إخضاعهنّ و اللامساواة و الإضطهاد العنيفين الذين تعانى منهما الأقلّيات القومية ، إلى تخطّى حقبة مديدة من التاريخ الإنساني فيها تشتغل مجموعة صغيرة جدّا بمجال الأفكار و تسيير المجتمع . و الثورة الشيوعية لا تشمل فقط إجتثاث كلّ أنماط الإنتاج التى تقوم على الإستغلال والمؤسسات السياسية و الإجتماعية و العلاقات التى تناسبها و تسندهاو حسب بل إنّها كذلك و حيويّا تشمل تغيير كلّ القيم و الأفكار و طرق التفكير التى تعكس الإستغلال و الإضطهاد و اللامساواة و تعزّزهم .

و مجدّدا ، إنّها ثورة شاملة : سيرورة ثوريّة تقود إلى تجاوز تقسيم المجتمع ذاته إلى طبقات و إيجاد مجتمع إنساني عالمي دون إستغلال وإضطهاد أين يغيّر الناس العالم و أنفسهم بوعي أكبر أبدا .

لقد شدّد شانغ تشن- شياو و قادة آخرون للثورة الثقافية تحت إشراف ماو تسى تونغ بصفة متكرّرة على مركزيّة هذا الفهم لكافة سيرورة الثورة الشيوعية . (12) وهذا مختلف جدّا عن مفاهيم الإشتراكية كمجرّد نوع من دولة الرفاه المعتمدة على ملكيّة الدولة التى" تعتنى " بالناس .لا ، ملكية الدولة لوحدها لا تقود إلى إلغاء الطبقات والتناقضات الطبقية العدائية دون الصراع و السيرورة الواسعين لتجاوز " الكلّ الأربعة " .

لقد أعاد ماو إكتشاف هدف الشيوعية و عمّقه ، وهو هدف غاب بصورة متصاعدة عن أنظار الحركة الشيوعية . وكان توجّه ماو نحو الهدف الشيوعي محوريّا فى كيفيّة رأيته للثورة الثقافية و قيادتها فى الصين ، ما مضى بسيرورة الثورة البروليتارية برمّتها إلى قمم جديدة – ليس فقط بإلحاق الهزمة طوال عشر سنوات بالقادة فى الحزب و الدولة الذين أرادوا العودة إلى " الطريق الرأسمالي " (13) ، و إنّما أيضا بإيجاد تغيير غير مسبوق فى تفكير الناس و فى العلاقات بين الناس و فى تنظيم الإقتصاد و التعليم الإشتراكيين و فى غيرهما من المجالات .

و كانت هذه المعركة الهائلة فى مجال السياسة مرتبطة عميق الإرتباط بتطوير ماو لكامل علم الشيوعية تطويرا شمل نقدا و قطيعة من جانب ماو مع عناصر هامّة فى تفكير الحركة الشيوعية الماضية المنسوبة بصورة خاصة إلى قيادة جوزيف ستالين الذى كان عموما قائدا ثوريا حقيقيّا .

و إرتبط مزيد تطوير ماو للشيوعية ، لا سيما نظريته و ممارسته لمواصلة الثورة فى ظلّ الإشتراكية ، كذلك وثيق الإرتباط بصراعه العظيم ضد ما بات يسمّى ب " التحريفية المعاصرة ". و التحريفية برنامج

ونظرة تستعمل المفردات الماركسية (" الصراع الطبقي " و " الطبقة الحاكمة " و " حكم البروليتاريا " إلخ) لتغطّي و تعقلن سياسات و إقتصاد و ذهنيّة رأسماليين – برجوازيين . ففى أواسط خمسينات القرن الماضي فى الإتحاد السوفياتي ، صعدت إلى الحكم طبقة برجوازية تحريفية جديدة إثر وفاة ستالين و عزّزت صنفا جديدا من نظام الدولة الرأسمالية فيه ما يسمّى بالحزب الشيوعي يمسك بالسلطة لكن النظام الإقتصادي – الإجتماعي الفعلي يقوم على الإستغلال الرأسمالي . و حصل الشيئ نفسه فى الصين عقب وفاة ماو تسى تونغ فى 1976 حيث صارت تحكم طبقة رأسمالية جديدة غير أنّها تطلق على نفسها نعت " شيوعية " .

و طوال الأربعين سنة الماضية ، قام أفاكيان بعمل عميق فى تفحّص تجربة الثورات البروليتارية للقرن العشرين و إستخلاص الدروس و العبر . و قد إنتهى ليس إلى البناء على وجهات نظر ماو الثاقبة و **المضي قدما** بقطيعة ماو مع الفهم و المقاربات الخاطئين وسط الحركة الشيوعية **و حسب** بل أيضا ، فى بعض الحقول الهامة، إلى القطيعة مع ماو نفسه و القيادات الشيوعية السابقة. وعلى وجه الخصوص، حاجج أفاكيان أنّه لن يكون ممكنا بلوغ التغييرات الثوريّة إلاّ بدعم هذه السيرورة ، بإيجاد منهج ومقاربة أكثر علمية تماما حتّى لفهم العالم و تغييره ، و بتشخيص أعمق و نبذ أعمق لتلك العناصر من التفكير التى تذهب عمليّا ضد إلغاء " الكلّ الأربعة " .

لقد وجدت نزعات قويّة خاطئة ضمن الشيوعيين بإتجاه رؤية الثورة الشيوعية جوهريّا كمسألة " قلب الطاولات " – العمّال سيحكمون بدلا من الرأسماليين – مع عدم فهم أنّ هذه تعنى ثورة شاملة لإجتثاث كلّ ما هو إضطهادي وبلوغ عالم مختلف و أفضل راديكاليّا . و هذا الفهم الخاطئ غالبا ما ينظر إلى الأشياء بمعنى الثأر (يمكن للمضطهَدين أن " يحاسبوا ") و برؤية بسيطة للثورة على أنّها " طبقة ضد طبقة " (14)- مجرّد العمّال ضد الرأسماليين ، فى تعارض مع تحرير الإنسانيّة جمعاء .

و ترافقت هذه النظرات الخاطئة ل**مضمون** الثورة الشيوعية بمفهوم ميتافيزيقي (شبه ديني) ل**سيرورة** الثورة الشيوعية . و هذه هي الفكرة الغالطة لكون للبروليتاريا مهمّة نجاحها حتميّ تاريخيّا ، حتى نابع من ذات قوانين الطبيعة والتاريخ .

و قد تعايش هذان الفهمان لمضمون الثورة الشيوعية و سيرورتها داخل الحركة الشيوعية منذ نشأتها . و كذلك وجدت صدامات إيديولوجية متكرّرة حول هذه النقاط بالذات منذ زمن ماركس وإنجلز فصاعدا .

وآجيث مثال لأولئك الذين من الحركة الماوية لم يكونوا أبدا قادرين على أن يستوعبوا بصلابة الإختراقات التى كان يقوم بها و أقلّ منها لم يكونوا يقبلوا بأنّ الرؤى الثاقبة لماو قد فتحت طرقا جديدة للبحث و تستدعى المزيد من تطوير الشيوعية . يدخر آجيث و آخرون ماو مختلف ، فهو يبحث عن عناصر أقلّ علمية و أقلّ ماديّة فى تفكير ماو و فى النهاية يقلّص ماو إلى ديمقراطي راديكالي و قومي ثوري (15). لقد جنّ جنون آجيث أمام تقدّم أفاكيان أكثر بالماركسية . وهو الآن يريد أن يستخدم ماو الذى قام بتشويهه لمهاجمة أفاكيان و كامل علم الشيوعية الذى وضعته اليوم الخلاصة الجديدة لأفاكيان على أسس أكثر علمية و تحرّريّة من أي زمن مضى .

و مثلما وضعه أفاكيان على مستوى جديد تماما ، النضال من أجل الشيوعية مرتبط وثيق الإرتباط بالبحث عن الحقيقة وتجاوز عراقيل بلوغ الحقيقة فى هيكلة المجتمع و فى تفكير الناس . لقد طوّر

أفاكيان أكثر وشدّد على فهم ماركس الأصلي لكون البروليتاريين و غيرهم يجب أن يتقدّموا ويطوّروا أنفسهم ليصبحوا **محرّري الإنسانيّة** .(16)

و يعتقد آخرون ، أمثال آجيث ، أنّ البروليتاريا و فئات أخرى من المضطهَدين يتمتّعون بميزة خاصة نابعة من موقعهم الطبقي و أنّهم على نوع من الأهبة الآليّة للقيام بالثورة . و هذان الفهمان المتعارضان للسيرورة الثوريّة مرتبطان جدّا بالنظرتين و المنهجين المتعارضين : كان أفاكيان و لا يزال يقاتل من أجل فهم الماركسية كعلم للثورة الشيوعية بينما يراها آجيث بشكل مغاير : فهمه للثورة محفوف بنظرة مبتورة و نفعيّة للعلم .

لن يكون المجتمع الإشتراكية نوعا تحرّريّا و مرحلة إنتقالية حيويّة إلى الشيوعية كما يجب أن يكون – يعجّ بالمعارضة و الصراعات ومتميّزا بسيرورة غنيّة من التغيير و الإكتشاف والتجريب – إلاّ إذا كان الحزب الطليعي يقود بمنهج ومقاربة صحيحين ، مستندا إلى أبستيمولوجيا ماديّة تماما ، و ناشرا شعبيّا ذلك و مناضلا من أجله عبر المجتمع .

يمثّل آجيث بقايا ماضي الحركة الشيوعية . فهمه فهم خاطئ يتعامى عن التحدّيات و التعقيدات و السبل الحقيقية للثورة الشيوعية فى القرن 21 . لا يمكن أن يلهم و ينظّم قوى لإنجاز مرحلة تامة جديدة من الثورة البروليتارية العالمية . ما يمثله آجيث لا يمكن أن يقود إلى تجاوز " الكلّ الأربعة " .

رفض آجيث للشيوعية كعلم :

فى " **ضد الأفاكيانيّة** " ، يطلق آجيث سلسلة كاملة من التهم و التشويهات التاريخية المتهوّرة و يعرض عددا كبيرا من المواقف السياسيّة الخاطئة بحيث أنّ الردّ عليها جميعها يتجاوز إطار هذا المقال . و هنا نركّز بالأساس على تلك النقاط التى تعالج بصفة مباشرة أكثر الفلسفة و بالأخصّ الأبستيمولوجيا ، أي ، كيف يبلغ البشر فهما حقيقة و كيف يتمّ تقييم دقّة تلك المعرفة .

بشكل عام ، يمكن قول إنّه حيثما يشير أفاكيان إلى طريق إلى الأمام ، باحثا عن تخليص الأساس و الجوهر العلميين للماركسية من العوائق الخارجية و الخاطئة وتعميق ذلك الأساس ، يصرخ آجيث بقف و يدفع بكلّ ما أوتي من جهد فى الإتجاه المعاكس لكي يعرض و يشفّر عددا كبيرا من المفاهيم الخاطئة و الضارة و غير العلمية التى عاشت إلى جانب الماركسية . و بقيامه بذلك ، يعارض آجيث أكثر فأكثر بصوت عالى التوضيحات و التطويرات ذاتها ، و الخلاصة الجديدة التى تقدّم بها أفاكيان والتى تضع الماركسية على أساس أكثر علمية و تحريرا .

و فى مركز هجمات آجيث على الخلاصة الجديدة نجد نبذه للتشديد الكبير الذى يضعه أفاكيان على الشيوعية **كعلم** و كذلك **كحركة و هدف** سياسيين . و يحاجج آجيث أنّ " يخلط أفاكيان بين المنهج العلمي لعلوم الطبيعة و يفرغ الفرق بين الفلسفة والإيديولوجيا. و هذا تمظهر للعلماوية ، وهو لون من ألوان التجريبية . " (17) .

ولننطلق مع أساسيّات . ما هو العلم ؟

" العلم ... يهدف إلى معرفة أسباب الظواهر ، **لماذا** تحدث الأشياء و **كيف** تتطوّر – ويبحث عن هذه الأسباب فى العالم المادي الذى يشمل المجتمع الإنساني . و المقاربة العلمية لا تبحث فى " التفسيرات "

الماورائيّة و لا تقبل أيّة تفسيرات لا يمكن التدليل عليها و التثبّت من صحّتها من عدمها ، فى العالم المادي الواقعي ، وإنّما بدلا من ذلك تطوّر نظريّة أوّليّة تنهض على الدليل من العالم ، وتتثبّت من صحّة النظريّة فى الممارسة العمليّة و ضد النتائج المتحصّل عليها ، و من خلال هذه السيرورة تتوصّل إلى فهم معمّق لما هو حقيقة . وعندها يجب تطبيق ذلك الفهم أكثر على الواقع ." (18)

الشيوعية قطيعة راديكالية مع كلّ النظرات الدينية و الأشكال الأخرى من المثالية و الميتافيزيقا .

فى موقع المحور ذاته من الصراع المحتدم حول الخلاصة الجديدة توجد مسألة جوهريّة للتوجّه فى ما يتّصل بما إذا كنّا قادرين و ننوى مواجهة و معالجة **التناقضات العالمية الواقعية** فى النضال من أجل الشيوعية . إنّ القدرة على تغيير الواقع و الحرّية فى القيام بذلك و فى القيام بالثورة مرتبط وثيق الإرتباط بإستيعاب الظروف المادية و الإجتماعية و الضرورة التى تنبع من ذلك و التى **تتناسب عمليّا مع الواقع إلى أعلى درجة ممكنة** . يجب على الطليعة الشيوعية أن تقود الجماهير الواسعة من الشعب فى سيرورة رسم طريق للمستقبل على **أساس** الإمكانيات و العوائق الواقعيّة ، و ليس على أساس الأوهام و التفكير الحالم أو التعويل على " الإنتصار الحتمي للشيوعية " .

و الحجّة الأساسيّة لآجيث هي أنّ النقد السابق لأعماله من طرف الحزب الشيوعي الثوري ، قام كاتب النقد ب " تسويته الميكانيكية بين مجالات العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية " (19) " و تعود جذور هذا إلى إخفاقه فى أن يستوعب كما يجب الفرق النوعي بين العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية "(20). و هذه الحجّة الأساسيّة تعادل قول إنّ الماركسية ليست علما ، أو على الأقلّ ليس بشكل يمكن التعرّف عليه ، و إنّما إيديولوجيا خاصة و فلسفة للتاريخ .

و مرّة أخرى ، نحتاج إلى توضيح مصطلح و فى هذه الحال ، " إيديولوجيا " . ففى الإستعمال الشائع و حتّى فى صفوف العديد من الذين يعتبرون أنفسهم ماركسيين ، تحدّد الإيديولوجيا كفكر " زائف " أو " وعي زائف " كيف يتمّ التدريب والقيادة إلى **عدم** فهم العالم إعتمادا على مصالح الطبقة الحاكمة و مجموعة خاصة . لكنّ هذا ليس تحديدا صحيحا للإيديولوجيا . نعم ، الإيديولوجيا هي نمط فهم للعالم و العمل على أساس ذلك الفهم ، و نمط لكيف ننظر لأنفسنا فى علاقة بالعالم . لكن ليست كلّ الإيديولوجيّات خاطئة . فالإيديولوجيا الشيوعية تحيل على نظرة شاملة ومنهج علمي و جسم نظري يمكن و يجب أن يطبّق فى كافة مجالات الحياة و الواقع و فى السيرورة يمكن و يجب أن يتمّ مزيد تطويره .

لنعد إلى تهمة آجيث ب " العلماوية " المقتطفة أعلاه بأكثر تفاصيل .

أوّلا ، يدّعى آجيث أنّ " معادلة واحد لواحد بين علوم الطبيعة و العلوم الإجتماعية كما يراها الحزب الشيوعي الثوري تنبع بالضبط من مثل هذه الأخطاء فى التفكير و بدورها تدعمه " (21) . لا يفقه آجيث شيئا من العلم و منهجيّته . إنّه يزعم أنّه يعارض **التجريبية** (النظرة القائلة بأنّ التجربة المباشرة ، خاصة ، للأحاسيس ، هي المصدر الوحيد للمعرفة) و الوضعيّة (22) (التى تستبعد من العلم أيّ شيئ لا يمكن ملاحظه مباشرة و تنكر المستويات الأعمق من السببيّة) . لكن فى الواقع مفهوم آجيث عن العلم **يتشكّل** على أساس التجريبية و الوضعيّة .

بكلمات أخرى ، يبدو أنّ آجيث يعتقد أنّ التجريبيّة صحيحة فى العلوم الطبيعيّة ، أو على الأقلّ ليست ذات بال . ثمّ يلصق فهمه الخاص الخاطئ للعلم و للمنهج العلمي بأفاكيان الذى يقع إتّهامه بتطبيق الوضعيّة فى مجالات أبعد من مدى العلم . و يمحى العلاقة بين العلم و الفلسفة . أو كما ورد بكلمات الإنجيل المسيحي : " أعطى لقيصر ما لقيصر ، و أعطى للإلاه ما للإلاه " (23) .

فى الواقع ، يرتكب آجيث خطأ مزدوجا . إنّه على خطئ أوّلا حين يمنح العلوم الطبيعية والمناهج و النظرات الخاطئة مثل الوضعية و التجريبيّة و البراغماتية (أنّ معنى أو حقيقة فكرة أو إقتراح تنبع من تطبيقها المباشر و الملاحظ و التبعات العملية) . و هو على خطإ مرّة أخرى حين يتّصل الأمر بالمجتمع والتاريخ اللذين يعتقد أنّه لا يمكن مقاربتهما وإستيعابهما بفهم مادي ومنهج علمي. و مثلما سنرى لاحقا ، هذه **الثنائية** (24) لدى آجيث (العلم من جهة و الفلسفة و الإيديولوجيا المطلّقة عن العلم من الجهة الأخرى) لا تأثّر لا محالة فى معالجة آجيث للمواضيع الهامة جدّا مثل دور الدين فى المجتمع (الذى يجمّله آجيث) و العلاقة بين الأفكار و الوعي ، و الواقع المادي .

بينما يرمى آجيث أفاكيان بنعوت مثل الوضعيّة و التجريبيّة كجزء من إتهامه بالعلماوية ، ما سنعود إليه بعد قليل ، لا فى مقاله المتطرّق إليه هنا و لا فى أي من كتاباته الأخرى التى نتابعها يبرز آجيث أي إهتمام بالمناهج الضارة و الخاطئة للتجريبية و الوضعيّة (فى العلم أو الفلسفة) . فى الواقع ، لا يخفق آجيث فى نقد مدارس التجريبية و الوضعيّة و البراغماتية المؤثّرة و حسب بل إنّه كذلك يدمج الكثير من تفكيرها و إستنتاجاتها و منهجها الذين يقوّضون معرفة وجود الحقيقة الموضوعية و قدرة الناس على بلوغها . و فى أثناء هذا المقال سنناقش تبنّى آجيث نفسه لأبستيمولوجيا التجريبيّة و البراغماتية .

يلتحق آجيث بمجموعة من المنظّرين الإجتماعيين و فلاسفة العلم مثل كارل بوبر الذى يبحث عن رسم خطّ تمايز ، فى الواقع جدار صيني، بواسطة إنكار شمولية العقلانيّة العلمية والمنهج العلمي؛ وبالأخصّ، أنّ **العقلانية الصارمة و المناهج القائمة على الدليل فى العلوم الطبيعية لا تنطبق عندما يتعلّق الأمر بدراسة المجتمع و التاريخ .**

المادية التاريخية : نقطة محورية فى الماركسية :

لئن قبل المرء بإنكار آجيث (و آخرين) لمدى إمكانية تطبيق العلم ، سيتبخّر إختراق ماركس فى وضع دراسة المجتمع الإنساني على أساس علمي . و ما هو ذلك الإختراق ؟

تبيّن المادية التاريخية أنّ الواقع الجوهري ، الكامن للوجود الإنساني هو التالى : لأجل البقاء على قيد الحياة و التواصل من جيل إلى آخر، يجب على البشر أن ينتجوا و يعيدوا إنتاج المتطلّبات الماديّة للحياة. و لكي يحصل هذا ، ينبغى على الناس أن يجتمعوا و يدخلوا فى علاقات إجتماعية معيّنة ، خاصة علاقات إنجاز الإنتاج ؛ و ليس مجرّد علاقات إنتاج فى المطلق أو علاقات إنتاج يختارها الناس عبثيّا – بل علاقات إنتاج خاصّة تتحدّد بمستوى قوى الإنتاج المتوفّرة و طابعها فى زمن معيّن فى المجتمع الإنساني . (و قوى الإنتاج هي أدوات و وسائل و أرض و مواد أوليّة إلخ تستخدم فى الإنتاج ، إلى جانب الناس أنفسهم بمعارفهم و قدراتهم على إستعمال وسائل الإنتاج هذه). و على أساس هذه القاعدة الإقتصادية تنهض مؤسسات سياسيّة معيّنة و قوانين و عادات و ما شابه و كذلك بعض طرق التفكير و الثقافة و ما إلى ذلك .

فى المجتمع الطبقي ، الطبقة التى تهيمن على سيرورة الإنتاج قد أجبرت بقيّة المجتمع على العمل تحت إمرتها و لمصلحتها . و الطبقة التى تهيمن فى أي وقت معطى على الحياة الإقتصادية على هذا النحو قد هيمنت كذلك على بقيّة المجتمع . إنّها تسيطر على أجهزة السلطة السياسيّة ، و بأكثر تحديد القوى العسكريّة ، و على هذا الأساس تستطيع أن تحافظ على الظروف العامة التى فى ظلّها تستغلّ العمل و تتحكّم فى فائض الإنتاج المنتج – و بالقوّة تبقى جماهير الشعب الكادح فى وضع إضطهاد . و يستمرّ هذا إلى أن يدخل مزيد تطوير قوى الإنتاج فى المجتمع فى نزاع جوهري مع علاقات الإنتاج . ثمّ ينبغى أن تحدث ثورة فى البنية الفوقيّة للمجتمع لأجل تركيز و تعزيز علاقات إنتاج جديدو تتناسب مع قوى الإنتاج الجديدة – و تأتى إلى الحكم طبقة جديدة مهيمنة إقتصاديّا يمكنها أن تنظّم المجتمع ليتمّ إستعمال قوى الإنتاج الإستعمال الأكثر عقلانية .

و بيّن ماركس ، و سنعود إلى هذا ، أساس و عبّد الطريق لنوع جديد تماما من الثورة : الثورة الشيوعية المعتمدة على طبقة ، البروليتاريا ، التى يتطلّب تحرّرها كنس ليس مجرّد شكل خاص من الإستغلال بل كلّ العلاقات الإستغلالية و الإضطهادية و التقسيم الإجتماعي للعمل نفسه إلى طبقات .

و بناءا على إختراق ماركس ، يمكن فهم تغيّر المجتمع الإنساني و تطوّر فهما علميّا . و بالفعل ، لا يمكن إستبعاد أي جانب من الحياة من البحث العلمي بما فى ذلك ، بكلمات أرديا سكابراك " حتّى الدور الذى تنهض به المعتقدات و التقاليد و الممارسات الدينيّة و الأهداف التى تخدمها " و تسترسل لتقول : " أليس للعلم ما يقوله بهذا الشأن ؟ ألا تستطيع المناهج العلمية أن تطبّق لتكشف من أين تأتى مثل هذه الأفكار ... وكيف أعطاها البشر تعبيرا ماديّا ... و ماذا عن **تاريخ** كيف أنّ المعتقدات الدينية قد **تغيّرت** عبر الزمن (ما الذى حصل أبدا ، مثلا ، لآلهة مصر القديمة و اليونان القديمة أو روما التى إعتاد الناس على الإيمان بها على نحو صارم كما يؤمن الناس المعاصرون الآن بإلاه الكتب اليهودية و المسيحية و الإسلامية ؟ " (25) .

و بالنسبة لآجيث التأكيد على الدور الشامل للعلم و المنهج العلمي فى البحث عن المعرفة يعنى السقوط فى العلماويّة . و فعلا ، العلم سيرورة فهم للواقع كما هو موضوعيّا معتمدة على الدليل ، عبر إكتشاف هيكلة الواقع و ديناميكيّته (تطوّره و حركته) التى توجد فى إستقلال عن الفكر أو الملاحظ (الذات العارفة) . و هذا المستلزم صالح كذلك فى كافة مجالات البحث الإنساني ، فى كلّ من العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية . إنّه مبدأ وقاعدة صلبة بالنسبة للشيوعيين ، مثلما شدّد عليه إنجلز فى ذات عنوان و أيضا فى نصّ مقدّمته للنظريّة الشيوعية للثورة " **الإشتراكية الطوباوية و الإشتراكية العلمية** " (26).

ليست الماركسية نوعا من الخلاص اللائكي ، مثالية ماكرة ، أو نصيحة أخلاقيّة . مثلها مثل أيّ علم حقيقي آخر ، هي تنقد نفسها و هي حيوية و متطوّرة . من خلال تطويرها و التغييرات الإجتماعية المتخذة على أساسها ، عرفت الشيوعية ، أو الماركسية ، مراحلا و قفزات لبلوغ مستوى أرقى حتّى من التناسب مع الواقع الإجتماعي الذى تبحث عن تغييره .

المنهج العلمي فى كلّ من العلوم الطبيعية و الإجتماعية :

فى حين أنّ المظاهر الأساسية للمنهج و المقاربة العلميين مشتركة بين العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية ، فإنّ وسائل بلوغ الهدف العلمي لمزيد من الفهم أبدا الحقيقي (أي الصحيح) للواقع متوفّرة عبر مناهج و إطارات و مستويات تجريد متنوّعة . و هذه المناهج و أطر العمل تختلف بعديد الطرق

الهامة من موضع قيد البحث إلى آخر . و الموضوع قيد البحث نفسه يتطلّب و يستدعى إجراءات و مناهجا مناسبة .

مثلا ، لنأخذ مجالين أساسيين للعلوم الطبيعية : البيولوجيا والفيزياء . إنّ الفيزياء ، خاصة على المستوى العام يشار إليها أحيانا على أنّها فيزياء نيوتنيّة أو كلاسيكيّة ، تهتمّ بدرجة عالية بوصف الحركة و التوجّه و السرعة و الحجم إلخ الفيزيائيين ، من خلال لغة رياضيّة . مثلا ، معادلة القوّة : أف = (أم) (أ) تصف الطلقات و الكواكب و الصواريخ إلخ ومن الممكن أن نقوم بتوقّعات عالية الدقّة و نتثبّت منها .

و البيولوجيا ، التى ليست أقّل علما من الفيزياء ، تختلف بطرق هامة. مثلا ، فى إختراق داروين ، نظريّته للتطوّر ، التى دونها لا معنى لأيّ شيء فى البيولوجيا ، لم يقع التعبير عن الإطار المفاهيمي لسيرورة الإنتقاء الطبيعي بمنطق رياضي شكلي . و يستعمل البيولوجيون الرياضيّات لأنواع من تشكيل و تصوير سيرورات بيولوجية معيّنة لكن ، عموما ، لم تكن الرياضيّات حيوية للبيولوجيا مثلما كانت لبعض فروع العلوم الأخرى كالفيزياء . (27)

ألا يحقّ لنا قول إنّه بمعنى ما هناك إختلاف بين البيولوجيا و الفيزياء نوعي فى إطارهما المفهومي و مقدّماتهما و و سائلهما و إجراءات تدليلهما إلخ ، ؟ نعم ، هذه الإختلافات هامة وتحتاج أن نقرّ بها و نحترمها . لكن سيكون من الحماقة أن نحاجج بأنّ البيولوجيا أقلّ علميّة من الفيزياء . يتناسب منهجهما و منهج العلوم الأخرى مع الموضوع قيد البحث ذاته . ليس غريبا عنه أي لا يأتى من خارج الموضوع قيد البحث .

هناك مستويات إختلاف فى الواقع المادي و هذه الإختلافات يتمّ التعبير عنها بين مختلف العلوم و حتى صلب العلم نفسه . ما يتمّ الحصول عليه على مستوى على أنّه مظاهره أو ديناميكية المادة لا يمكن أن يشرح ببساطة بهذه المظاهر و الديناميكية التى توجد على مستوى أدنى ، حتى و إن كان المستوى مبني على المستويات الكامنة تحته . (28) بكلمات أخرى ، علينا أن نحترم خصوصيّة مستوى معيّن من البحث و لا نبحث عن تقليص كلّ الشرح فى أصغر عنصر مكوّن فى أدنى المستويات . تظهر أشكال جديدة من الحركة و الديناميكية و السلوك و قوانين جديدة ، على مستوى أعلى لا يمكن تفسيرها بإختزال الظاهرة فى الحركات على مستوى أدنى أو بالتعويل على القوانين التى تحكم أصغر عناصر النظام – مقاربة تسمّى **الإختزالية** .

ومع ذلك ، بالرغم من الإختلافات الهامة فى شتّى فروع العلم ، ثمّة طلبات أساسيّة شاملة فى كلّ مجال للوقائع و الأدلّة و البراهين ؛ و للصرامة و العقلانية ؛ و للموضوعية – كلّ هذا **كجزء من بلوغ التناسب الأقرب مع الواقع .** و فى المجتمع الإنساني كما فى الطبيعة ، توجد هياكل و مستويات للواقع يمكن ملاحظتها و تشخيصها ودراستها موضوعيّا . إنّ عدم فهم آجيث للعلوم يغذّى عموما إتهامه غير المبرّر بلاعلماويّة للصرامة العلمية للمحاسبة وفق الواقع الإجتماعي التى شدّدت عليها الخلاصة الجديدة.

و عندما يتّصل الأمر بالعلوم الإجتماعية ، كالتاريخ ، وتطوّر المجتمع و الإقتصاد إلخ ، هناك بداهة إختلافات هامة مع العلوم الطبيعية ككلّ ومع علوم طبيعية خاصة على وجه الخصوص . الموضوع قيد البحث هو دراسة الإنسان ومختلف مظاهر النشاط الإنساني و الملاحظون القائمون بهذا البحث هم أيضا بشر . فى المجتمع الطبقي ، المجتمع الإنساني منقسم إلى طبقات ذات مصالح متناقضة عدائيّا و يخلق

هذا الواقع المزيد من التعقيدات و الصعوبات فى الحصول على معرفة صحيحة و حقيقية للمجتمع الإنساني .

آجيث يرفض إستخدام المنهج العلمي فى العلوم الإجتماعية :

جميع هذه الخصوصيّات قادت آجيث إلى رفض إمكانية تطبيق المنهج العلمي فى ما يسمّى عادة بالعلوم الإجتماعية .

عبر التاريخ بما فى ذلك الحقبة المعاصرة ، حاجج الكثيرون بأنّ معرفة المجتمع لا يمكن أن تكون علمية حقّا أو، على الأقلّ، لا يمكن أن يكون لنا نفس مستوى الصرامة العلمية والموضوعيّة كالعلوم الطبيعية ، و من هنا الإختلاف المثار دائما بين العلوم الصلبة و العلوم الليّنة . و آجيث يوجد ضمن هذا التقليد حتى و إن قدّم فى مناسبات تملّق و ولاء كلامي كاذب لكلمة " العلم " .

تتناقض جهود آجيث فى إقامة حاجز بين العلوم الطبيعيّة و العلوم الإجتماعية بإستخدامه تهمة العلماوية مع واقع أنّ كلاّ من الطبيعة و المجتمع متكوّنان من مادة فى حركة – و الجدلية تمسك بديناميكية ذلك . (29) و حقيقة هذا تكمن فى ملاحظة ماو المصقلة بأنّ " الماركسية تشمل و لا تعوّض العلوم الطبيعيّة "، نقطة لطالما شدّد عليها أفاكيان و عمّقها . (30)

و زيادة على ذلك ، مجمل جهود آجيث فى الفصل بين العلوم الطبيعية و العلوم الإجتماعية (العلم و المجتمع) تكتم نزعة إبقاء الماركسية خارج نطاق العلوم (الطبيعية) و التعاطى مع هذين المجالين على أنّهما مجالان مستقلاّن لا تداخل بينهما . و عندما يرفض المرء أن يعترف بأنّ الواقع برمّته (الإجتماعي والتاريخي و الطبيعي) يمكن أن يفهم على أساس مادي بإستعمال المنهج و المقاربة العلميين ، يفتح الباب واسعا لكافة أنواع التفسيرات الخاطئة للواقع القائم ، مثل الدين و الأشكال الأخرى من المثالية ، إلخ .

و ليست قوانين التطوّر المدروسة فى العلوم الإنسانية نهائيّا مماثلة لقوانين العلوم الطبيعية . إنّ رؤية آجيث للعلم متوقّفة عند مفاهيم القرن التاسع عشر التى تميّزت إلى درجة كبيرة ب**المادية الميكانيكية** (التى ترى الطبيعة تسير كالآلة ، بإنتظام يمكن توقّعه و دون تناقضات) ، و ب**الحتمية** (الظروف المعنية بحصول شيء على نحو يجعل أنّ لا شيء آخر كان يمكن أن يحصل) ، وب**التجريبية** . و بالفعل فى تطوّر العلوم الإجتماعية وجدت نزعات إلى التشجيع على مقاربات ومناهج **خاطئة** كانت تعمّ العلوم الطبيعية .

فمثلا ، وضعيّو القرن التاسع عشر مثل أميل دركهايم و مدرسة التجريبيين المرتبطة به مثل جون ستوارد ميل حاججوا بأنّ الظواهر الإجتماعية يمكن أن تعتبر أشياءا و تدرس كمواضيع على نفس النحو الذى تدرس به الأشياء في العلوم الطبيعية . فوجهة النظر الوضعيّة ترى العلم على أنّه متكوّن من و محدّد فى الملاحظة و التصنيف و تشخيص الأنماط و توقّع الحوادث المستقبليّة و تحاجج بأنّ نفس هذه المقاربة و نفس هذا المنهج يجب أن يتّبع أيضا فى العلوم الإجتماعية .

وتعتمد هذه المقاربة الوضعيّة على الظواهر القابلة للملاحظة فحسب و تنكر الهياكل الأعمق الكامنة و ديناميكيّات الواقع . لا يقبل الوضعيّون إلاّ بالقوانين الكامنة و العلاقات المتبادلة كوسيلة شرح (" مساعدة على الكشف ")، " رواية مفيدة " ملائمة للبحث . و يدّعى الوضعيّون أنّ فى القيام بذلك

كانوا يبعدون الميتافيزيقا و الدين من العلم ، و لا يقبلون كأشياء قابلة للتبرير تلك التى يمكن أن تدرك تجريبيّا .

لفهم الديناميكية الداخلية الأساسية للنجوم على سبيل المثال ، وسائل و تقنيات كالتلسكوب اللاسلكي و التحليل الطيفي والتصوير بالأمواج الطويلة ضرورية لكنّها ليست كافية . على المرء أن يطوّر المفاهيم و التجريدات العلمية التى تضع مفاهيما لهيكلتها الأعمق وعلاقاتها الأعمق التى يتحصّل عليها بفضل هذه الآلات . و هذه التجريدات ، إلى درجة كونها بالفعل صحيحة وعلمية ، عمليّا **تتناسب مع الواقع والهياكل الموضوعية و العلاقات الكامنة** للواقع المادي .

يخوّل لنا العلم أن نعرف بصفة مؤكّدة وجود عديد الظواهر ، أو جوهر الظواهر التى لا يمكن أن تلاحظ عند أيّة نقطة معيّنة ، او التى هي عمليّا بديهية التضاد مع الأحاسيس الخمسة ، مثلا ، الحركة الحقيقيّة للأرض حول الشمس مقارنة بالحركة **الظاهرية** للشمس مثلما تلاحظ من الأرض .

و لنضرب مثالا آخر ، طوال زهاء المائة سنة الماضية عرف فهم الذرّة عددا من التصورات بما فيها إعادة تصوّر ثورية و إعادة الصياغة أو نبذ أنماط مختلفة . لكن كما يقول عديد العلماء إن لم يكن أغلبهم فى معارضة الحجّة الوضعيّة ، هذا ليس عبثيّا أو لا شيء أكثر من نمط مفيد لتوقّع وجعل النتائج الممكنة الملاحظة متماسكة . عبر هذه السيرورة صار فهمنا أقرب إلى التناسب مع الواقع .

و بطبيعة الحال ، هذه ليست سيرورة تسير فى خطّ مستقيم : بوسع العلم و غالبا ما تراجع عن مواقف صحيحة ، و غالبا بعد صراع معتبر و مزيد من مراكمة المعرفة غدت بعض الحقائق مقبولة عموما أو، فى بعض الحالات ، أعيد إكتشافها . و حال مناسبة هي كيف أنّ الرؤى الثاقبة لبعض المفكرين فى اليونان القديم حول طبيعة مركزية الشمس فى النظام الشمسي ضاعت و بالفعل وقع محوها لأكثر من ألف سنة فى جزء كبير بسبب الدور الرجعي وقوّة الكنيسة الكاثوليكية . لقد وقع حرق جيوردانو برونو على عامود فى روما من قبل محاكم التفتيش فى 1600 لدفاعه عن النظام الكوبرنيكي و إقتراحه أنّ الشمس لم تكن سوى نجم و أنّ نجوما أخرى تدور حولها كواكب كذلك .

والوضعية التى هي بعدُ خاطئة فى العلوم الطبيعية ، هي بالتأكيد ضارة و كارثيّة عندما تطبّق على العلوم الإجتماعية . و إلى درجة أنّ أي نقد للعلماوية صالح أو مفيد ، فإنّه يصحّ على نقد تطبيق هذه المناهج ذاتها ، **الخاطئة** على الدراسات الإجتماعية . و مثال لما يمكن أن ينقد نقدا صحيحا على أنّه علماوية هو محاولة تفسير الجريمة بالمكوّنات الجينيّة للأشخاص ، أو تفسير الموقع الدوني للنساء بالنظريّات المدّعاة علمية للبيولوجيا الإجتماعية أو الإختلافات (أو الإختلافات المدعاة) فى هيكلة المخّ بين الرجل و المرأة .

و إن سعى العلم إلى أن يتجاوز مداه ، إلى أن يمتدّ إلى مجالات مثل الجماليّات و الأخلاق يمكن أن يُنقد ذلك بحقّ على أنّه علماوية . و بالطبع ، الجماليّات و الأخلاق متجذّرة فى النهاية فى الواقع المادي و خاصة ، فى عصرنا ، فى واقع المجتمع الطبقي ؛ و مع ذلك ، لا يمكن تقليص هذه المجالات أو التعاطى معها كإنعكاس ميكانيكي للواقع الكامن . و مثال للعلماوية هو البحث عن تفسير المجتمع الإنساني بللإستقراء الخطّي من السلوك الحيواني ، كما حاجج بعض علماء الإجتماع . ومثال معاصر آخر للعلماوية ، أو ببساطة العلم السيء ، يمكن أن يلاحظ فى عمل بعض البيولوجيين التطوّريين الذين يقومون بإدعاء مشكوك فى أمره بأنّ التطوّر أوجد حاجة للدين لدى الإنسان (31) .

و ما قد يبدو مفاجئا للبعض هو أنّ آجيث ، الذى يقدّم نفسه على أنّه مناهض العلماوية ، يذكر هو نفسه هذا الفهم العلمي الزائف بالذات فى مديحه للدين ما سنحلّله فى حدّ ذاته لاحقا : " و الفهم العلمي للدور الذى لعبه الدين قد تعمّق مذّاك بفضل البحوث فى المجالات المتنوّعة . و دوره التاريخي فى إيجاد و تطوير الأخلاق و العلاقات الإجتماعية و **أثرها فى العقل الإنساني** هي الآن معروفة بشكل أفضل . " (32) .(التشديد مضاف).

آجيث و كارل بوبر

فى هجومه على الماركسية كعلم ، يجد آجيث نفسه فى صحبة غريبة مع كارل بوبر فيلسوف العلم ذو التأثير الكبير و المعارض الفلسفي السياسي للماركسية .

حاجج بوبر أنّ أيّة نظريّة تدّعى أنّها علمية يجب أن تكون موضعا ل " قابلية الخطإ " ، أي ، يمكن أن يتمّ تبيان أنّها خاطئة و أنّ الماركسية لا يمكن أن تتجاوز هذا الإمتحان و من ثمّة إدّعاؤه بأن يكون المرء علميّا يعنى أنّه كاذب .

و أعمل أفاكيان الفكر فى هذا مثبتا أنّ الماركسية ليست موضوعا لمعيار قائم على التدليل على الخطإ فحسب بل كذلك أنّ المفاهيم الأساسية للماركسية (مثل كون الطبيعة كلّها متشكّلة من مادة فى حركة ، أو فهم أنّ نظام الإنتاج و علاقاته هي قاعدة المجتمع) لم يقع إثبات أنّها خاطئة ، لم يدلّل على أنّها خاطئة. (33)

و فى حين ينقد آجيث أفاكيان لإثباته أنّ الماركسية يمكن أن تخضع لمعيار قابليّة الخطإ ، يتجنّب المشكل الجوهري المطروح فى نظرة بوبر للنظرية العلمية التى لا تبحث عن أو تدعى التناسب بين نظرية معيّنة و العالم المادي . فبوبر يحاجج بأنّه غير ممكن حقّا أن تحدّد الحقيقة ؛ المسألة فقط مسألة نظرية يمكن أن تقف أمام النقد و تعوّض أخرى . و يرفض بوبر رفضا باتا مفهوم الحقيقة بإعتبارها التناسب مع الواقع الموضوعي .

الشغل الشاغل الحقيقي لآجيث هو رفع الفلسفة و الإيديولوجيا و الموقف الطبقيين **فوق** البحث و المعرفة الماديين و العلميين . و هنا يتّفق مع عديد التيّارات الفكريّة التى تهتمّ بمعارضة و تشويه إعتبار الماركسية علما . و بينما ينقد آجيث أفاكيان لدفاعه عن الماركسية ضد تهمة بوبر بأنّ الماركسية علم زائف لا يقبل المعايير و الدقّة العلمية ، و فى نهاية المطاف ، إجابة آجيث على تهمة بوبر تساوى إعترافه بأنّه مذنب ، أي ، القبول بتهمة بوبر بأنّ الماركسية لا يمكن أن تدّعي أنّها علم .

III - الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي :

يندفع آجيث إلى التنديد ب " كيف أنّ الأفاكيانية تسعى إلى إلغاء الطبقة من سيرورة فهم الواقع الإجتماعي وتخلط بين المجالات الطبيعية و الإجتماعية ." (34).

لنكون منصفين ، آجيث يتعثّر ،على طريقته الإنتقائية النموذجية ، أمام الحقيقة (الجزئيّة) القائلة بأنّ " الطبقة التى تمثّلها [الماركسية] البروليتاريا هي الوحيدة [من ضمن الطبقات الموجودة]التى لها مصلحة أساسية فى فهم الواقع إلى أتمّ و أبعد مدى ممكن " (35). و ليس إكتشافا كبيرا أنّه إذا كانت البروليتاريا لتلعب دورا محرّكا فى تحرير الإنسانيّة قاطبة من كلّ الإنقسامات الطبقيّة و كلّ العلاقات الإجتماعية العدائية العالمية المرتبطة بتلك الإنقسامات ، فإنّه بالتأكيد لديها مصلحة أساسيّة – فى الواقع أكثر من مجرّد أساسيّة – فى فهم الواقع على أتمّ درجة ممكنة .

هذه هي النقطة بالذات : **تحتاج** البروليتاريا مثل هذا الفهم لأنّها **لا تملك** هذا الفهم جينيّا و لا بشكل وراثي . ليس متوفّرا للبروليتاريا ببساطة بفضل كونها بروليتاريا . و هذا الفهم للواقع لا تفرزه ليس نوعا ما الظروف المادية . ليست البروليتاريا نوعا من الموضوع التاريخي المتمتّع بفطرة و موهبة تاريخية خاصة تمكّنانها من إستيعاب الحقيقة لمجرّد موقعها الطبقي .

و لهذا صلة وثقى بلماذا تحتاج السيرورة الثورية الشاملة حاجة أكيدة لحزب شيوعي طليعي . ليس ببساطة أنّه من البديهي فى الواقع أن نضالا ثوريّا ضد عدوّ قويّ و جيّد التنظيم يملك جهاز دولة و جيش إلخ ، يقتضى درجة عالية من التنظيم لتكون هناك فرصة للنجاح . فعلى مستوى أعمق حزب طليعي ضروري بالضبط لأنّ التجربة العفويّة للبروليتاريا لا و لا يمكن أنتؤدّى إلى الوعي الشيوعي ، مثلما أكّد على ذلك لينين أيّما تأكيد (سنعود إلى التطرّق للمسألة من عدّة زوايا) . (36)

و يشير آجيث إلى عمليّا " مصلحة فى فهم الواقع " لكنّه يعنى أنّ المصلحة أو الحاجة لوحدها ستضمن بالضرورة الحصول على الفهم كما لو أنّ البروليتاريا بطريق الحتم ستحصل على الفهم لمجرّد موقعها الطبقي . و من هنا المسألة التاريخية بأكملها ، مسألة تطوير النظرية الثورية و الحصول عليها و الوعي الشيوعي الثوري الذى لا يظهر أنّه يطرح مشكلا كبيرا بالنسبة لآجيث . إنّ الهيكلة الإجتماعية و السياسيّة ، مجرّد موقع طبقي فى المجتمع ، بنظره ، ستمضى بعيدا – إن لم تمضى إلى النهاية – فى معالجة التحدّيات التاريخية .

لقد كانت كامل تجربة الحركة الشيوعية برهنة طويلة لواقع أنّ المعرفة النظرية و الوعي الإيديولوجي و السياسي اللازمين لحركة تهدف إلى بلوغ الإنتقال العالمي – التاريخي إلى الشيوعية ليسا متوفّرين بعدُ و بالتأكيد لن يتوفّرا دون جهود فكريّة رائدة و مجدّدة ذات دلالة عظيمة . و حتى ذات مفهوم " المصلحة الطبقية للبروليتاريا " لم يأتى إلى مجال البروليتاريا بنفسه دون النشاطات النظرية للمثقّفين مثل ماركس.

" مجرّد المشاعر الطبقية " و الوعي الشيوعي :

يقول آجيث إنّ " بالتقليل من دور " مجرّد المشاعر الطبقية " ، يعرض الحزب الشيوعي الثوري موقفا غضّ النظر عن الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي ، الموقع المادي للطبقة . " (37) و جاءت ملاحظة آجيث ردّا على نقد الحزب الشيوعي الثوري لسنة 2006 لتشديده على " الموقع الطبقي ". ذكر مقال الحزب الشيوعي الثوري ملاحظة لشانغ تشن – تشياو أن " النظريّة هي العامل الأكثر حيويّة فى

الإيديولوجيا " (38) . و بإنتقائيّته المتحذلقة ، لا ينقد آجيث مباشرة شانغ بل بدلا من ذلك يريد أن يشوّش النقطة بالمحاججة بأنّ " لقد حوّل منطق الحزب الشيوعي الثوري تحديد تشانغ تشن – تشياو الصحيح للنظرية على أنّها العامل **الأكثر** ديناميكية فى الإيديولوجيا ، إلى موقف وحيد الجانب يجعلها العامل الديناميكي **الوحيد** . " (39) و فى الواقع ، لا شيء من هذا القبيل صحيح – لا وجود لمثل هذا الموقف الإحادي الجانب . فقد تحدّث أفاكيان عادة عن العلاقة الجدلية بين المشاعر العفويّة للجماهير و الوعي الشيوعي .

ما يخفق آجيث فى فهمه هو الإختلاف النوعي بين المشاعر الطبقية العفويّة ، من جهة ، و الإدراك العلمي للمجتمع و الثورة البروليتارية من الجهة الأخرى . و هذا ليس مجرّد مسألة مشاعر عفويّة يقع تكثيفها و جعلها أكثر تماسكا . هناك أيضا إختلاف نوعي فى المضمون الفعلي . البروليتاريون و غيرهم الذين يمكن كسبهم إلى جانب الثورة الشيوعية يجب أن يحصلوا على العلم و يغيّروا أنفسهم من خلال سيرورة التحويل الإيديولوجي **ليصبحوا محرّري الإنسانية** .

و لنعالج هذا عن كثب أكثر .

تفرز التجربة اليومية ، إستغلال و إهانة المجتمع الطبقي ، بإستمرار كرها للإستغلال و الإضطهاد ، و رغبة فى القضاء على ذلك و مشاعر عامة مشابهة . و قد شدّد أفاكيان على الدوام على هذا الواقع و ناقش كيفيّة إدماجه فى إستراتيجيا و تكتيك ثوريين صحيحين .

فى مقال سابق ، ناقش أفكار الثوري الأمريكي الأسود و المعلن أنّه شيوعي ، جورج جاكسن ، الذى كتب " بالنسبة للعبيد الثورة أمر واجب ، عمل يائس يلهمه الحبّ و الوعي . إنّه عدائي . ليس " منعشا " أو حذرا . إنّه عمل جريئ و شجاع و عنيف و تعبير عن كراهية متكبّرة جليدية **!** " و يردّ أفاكيان بقول :

" نعم و لا . نهائيّا يجب أن تتضمّن – و كلّ ثورة حقيقيّة ستتضمّن – عنصرا من الكراهية المتكبّرة الجليدية ، لكن لا يمكن أن تكون رئيسيّا كذلك . يجب أيضا أن تكون أكثر من ذلك – وهو نفسه يقول ذلك عند الحديث عن كيف أنّها " ملهمة للحب " . لكن زيادة على ذلك ، ينبغى أن تسترشد و جوهريّا أن تتشرّب بأهداف أرقى من مجرّد الثأر . لا يمكن للثورة أن تكون ، فى مضمونها الإيديولوجي الأساسي ، " كراهية متكبّرة جليدية " حتّى و هي لا تستطيع أن تحدث دون كراهية متكبّرة جليدية . و إذن هذه وحدة أضداد أخرى . " (40)

لقد أكّد أفاكيان على العلاقة بين الفهم النظري و ما سمّاه ما ينبع من الأحشاء . لقد أكّد على أهمّية أن يعبّر الشيوعيون عن الكراهية النابعة من الأحشاء تجاه النظام الرجعي و كلّ إعتداءاته . (فى المقال الذى شرح فيه أوّلا أفاكيان العلاقة بين ما ينبع من الأحشاء و ما هو نظري ، يشدّد بوجه خاص على الحاجة إلى ردّ نابع من الأحشاء على إضطهاد النساء).

" لكن"الطاقة الديناميكية بين ما ينبع من الأحشاء و ما هو نظري و الفهم والمعالجة الصحيحين لهذه العلاقة الجدليّة ، غاية فى الأهمّية فى ما يتصل بإضطهاد النساء و تحريرهنّ ، مثلما هم عامة فى تطوّر النضال الثوري بإتجاه عالم جديد بأكمله . بالضبط كما فى أبعاد أخرى لهذا ، من **غير الممكن أن نرتئي فهما صحيحا و نخوض النضال الضروري دون عنصر الكره النابع من الأحشاء للإضطهاد** و دون

المقاربة الصحيحة له – الإستيعاب و الخلاصة العلميين الصحيحين – لما تقدّم عبر التعبير النابع من الأحشاء للغضب تجاه هذا الإضطهاد . " (41) [التشديد مضاف]

وحده إستيعاب و خلاصة صحيحين علميين للكراهية النابعة من الأحشاء للإضطهاد و المشاعر الطبقية و التوق ، أو بكلمات أعمّ ، للفهم الحسّي للواقع يمكن أن يعبّر بعمق أكبر عن جوهر الواقع الإجتماعي و يسمح لنا بالنضال و بتغييره . و بالفعل ، يمكن لتحليل علمي صحيح و يجب عليه أن يجعل ما ينبع من الأحشاء أحدّ لأنّه يبيّن أنّ الإستغلال و الإضطهاد ما من ضرورة لهما كلّيا فى هذه المرحلة من تاريخ الإنسانية .

لكن دون النظريّة الشيوعية التى يمكن أن تستوعب إستيعابا صحيحا الكراهية النابعة من الأحشاء للإضطهاد ، لن يمكن إيجاد حركة قادرة على إجتثاث الظروف الإجتماعية الموجودة و عاجلا أم آجلا ستصبح الكراهية النابعة من الأحشاء للإضطهاد مشوّشة التوجّه و يمكن حتّى أن تتحوّل إلى نقيضها (القبول بالنظام القائم إلخ).

لهذا نقطة شانغ تشن – تشياو أنّ النظرية هي العامل الأكثر ديناميكية فى غاية الأهميّة .

و بقدر ما نفهم فهما علميّا و عميقا المصنع المادي للمجتمع الطبقي ، بقدر ما سنستطيع و نكون واثقين من نداء البروليتاريا و الجماهير و قيادتهما لتخليص الإنسانية من الطبقات . و تحت البساطة الظاهرة لشعارات أفاكيان عن أن نكون " محرّري الإنسانية " يكمن فهم معقّد و شامل و علمي و عميق للمجتمع الإنساني المعاصر و تطوّره التاريخي و لوجود التناقضات الطبقية العدائية و قاعدتها المادية و الإنعكاسات الإيديولوجية و السياسية و الإمكانية و الحاجة إلى تخطّى الإنقسامات الطبقية بواسطة الثورة الشيوعية . (قارنوا البساطة الصحيحة و العلمية فى " أن نكون محرّري الإنسانية " بفكرة جورج جاكسون غير العلمية عن مجرّد الكراهية الطبقيّة لدى البروليتاريين فى عبارته" كراهية متكبّرة جليدية " المشار إليها أعلاه) . هذا ما لا يستطيع آجيث فهمه و يقلّصه إلى تحقير " غضّ النظر عن الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي " (42)

و إضافة إلى ذلك ، المشاعر العفوية و أفكار الجماهير متناقضة على الدوام . إفتراض أنّ هذه الأفكار و المشاعر (الناشئة من ، بكلمات آجيث ، " الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي ، الموقع المادي ") تنزع إلى جعل المرء ميّلا للوعي الشيوعي خاطئ و خطير . فكلّ هذا يؤكّد أهمّية النقاط الأساسية التى ناقشها لينين فى كتابه المَعلم **" ما العمل ؟ "** حول حدود الوعي الذى يتطوّر عفويّا فى صفوف العمّال .

توفّر الطبيعة المتناقضة للمجتمع البرجوازي قاعدة مادّية للعمّال (و غيرهم) للحصول على الوعي الشيوعي لكن كذلك للحصول على أشكال متنوّعة من النظرات البرجوازية و الرجعية الأخرى – مثلا ، النظرات البطرياركية و الشوفينية القومية و الوعي النقابي إلخ . لقد شدّد أفاكيان على الحاجة إلى " أن نفهم فهما أتمّ و أعمق ... صياغة لينين عند الحديث عن نضالات الجماهير حينما يحيل على " النزوع العفوى إلى كنف البرجوازيّة " (43). ليس فقط **تيّار** بل **نزوع.** و يبرز هذا لماذا يذهب قدر كبير من الغضب و المعارضة فى المجتمع ، فى معظم الوقت ، فى إتجاه و إطار إصلاحيين .

للفهم الخاطئ للعلاقة بين الموقع الطبقي و الوعي الشيوعي ، للفهم الذى يدافع عنه آجيث جذور عميقة فى الحركة الشيوعية العالمية ، تعود إلى فترة ماركس نفسه . و قد إستخدم الكثيرون بعض النصوص

الأولى التى كتبها ماركس لمّا كان يشتغل بعدُ على فهمه المادي الجدلي للتاريخ . عند تلك النقطة ، كان ماركس ينزع إلى نظرة أنّ النضال العفوي للطبقة العاملة ذاتها يفرز " وعيا شيوعيّا على نطاق جماهيري " (44) فمثلا ، كتب ماركس أنّه " لا حاجة هنا إلى تفسير أن قسما كبيرا من البروليتاريا الأنجليزية و الفرنسية بعدُ واعيا بمهمّته التاريخية و يعمل بإستمرار لتطوير ذلك الوعي إلى الوضوح التام " (45).

و توظّف مثل هذه المواقف لدعم نظرات خاطئة وغير علمية حول كيفيّة تطوّر الوعي الشيوعي و كذلك لإستعمال ماركس ، لا سيما فى بداياته ، ضد لينين و مزيد تطويره للماركسية ، خاصة كما وقع التعبير عن ذلك فى " **ما العمل ؟** " . و تمثّل روزا لكسمبورغ منبعا خاصا لا يقدّر بثمن لدى الذين يصوغون مثل هذه الحجج ضد اللينينية . و آجيث غارق جدّا فى نفس هذا التقليد .

دفاع آجيث عن تجسيد البروليتاريا :

كتب آجيث :

" كافة أعضاء حزب ماوي ، بغض النظر عن جذورهم الطبقية ، ينبغى عليهم أن يصارعوا للحصول على نظرة بروليتارية عالمية . لكن هناك إختلاف نوعي فى المسألة بين المنحدرين من الطبقة العاملة و الآخرين. فى حال الآخرين ، لا سيما الذين ينحدرون من الطبقات الحاكمة أو الطبقات الوسطى ،إنتقال الموقع الطبقي حيوي . و دروس البلدان الإشتراكية السابقة تدلّل جيّدا على أنّ هذا ليس مجرّد مسألة تعلّم النظرية الماركسية . يحاول الخطّ الطبقي لحزب ماوي المبني أوليّا ضمن الطبقات القاعدية أن يشيّد على نقاط القوّة التى يوفّرها الموقع الطبقي . " (46)

لنفكّك هذه الحزمة . يقول المقتطف إنّ مهمّة كافة عناصر الحزب أن تكسب نظرة بروليتارية للعالم . و هذا صحيح إن كان المقصود حقيقة ب" نظرة بروليتارية للعالم " نظرة **شيوعية** . لكنّه يطرح أنّ هناك " إختلاف نوعي " فى وضع عناصر / منتدبي الحزب من البروليتاريا و الذين ينحدرون من الطبقات أو الفئات الأخرى فى " هذا الموضوع " المتصل بكسب نظرة بروليتارية للعالم (وعي شيوعي). هنا يسقط آجيث فى الخطإ . هناك إختلاف نوعي فى الموقع الطبقي الموضوعي للناس المنحدرين من البروليتاريا و الناس المنحدرين من الطبقات الأخرى . بمعنى أنّهم يقفون فى علاقة مختلفة إزاء وسائل الإنتاج وسيرورة الإنتاج . و الأفراد من طبقات و فئات مختلفة سيختلفون فى سيرورة تطوير الوعي الشيوعي . لكن لا وجود لإختلاف نوعي فى **الحاجة** إلى التحوّل ، إلى تطوير الوعي الشيوعي و إلى الإستيعاب المتنامى أبدا لعلم الشيوعية .

تسود الإيديولوجيا البرجوازية المجتمع الطبقي الرأسمالي بأكمله و تشكّل تفكير كافة الفئات الإجتماعية بمن فيها المضطهَدين و المستغَلين وتأثّر عليه . قد يحصل مثلا أنّ شخصا من خلفيّة طبقية ذات إمتيازات يمكن أن يحمل مفاهيما فئوية و ينظر بإزدراء إلى العمل اليدوي و الذين يشتغلون بالأعمال اليدوية . لكن الذين من قاع المجتمع و يلتحقون بالنضال الثوري يمكن أن تكون لديهم مشاعر نبذ و ثأر تجاه الأخصّائيين و ذوى التعليم العالي أو بالتناوب مشاعر دونيّة و خضوع لسلطة ذوى الخلفية التعليمية العالية . و هل تخلّص البروليتاريون الذكور من الشوفينية الذكوريّة و التمييز الجنسي ؟

المسألة هي أنّ كلّ فرد ، و الجماهير القاعديّة ليس أقلّ من المنحدرين من الطبقات الوسطى و الفئات ذات الإمتيازات ، يجب أن ينجزوا قفزات وتغييرات إيديولوجية تجاه الوعي الشيوعي . (47) لكن آجيث يقترح أنّ للبروليتاريين شراء خاص فى علاقة بالوعي الشيوعي إعتبارا لموقعهم الإجتماعي – المادي ؛ إنّه " يتأتى لهم " على نحو لا يتأتّى للأخرين الذين عليهم أوّلا أن " يخرجوا من طبقتهم " .

و فى نفس الوقت ، يشدّد آجيث ، كما رأينا ، على أنّ الماركسية ليست علما . لكن دون علم لا يمكن للناس أن يتعلّموا السير الكامن للمجتمع و الهيكلة الإجتماعية للمجتمع ، و قاعدة الثورة الشيوعية و إمكانيتها و سبُلها – و كذلك ليس يمكن لهم أن ينجزوا القفزات و التغييرات الإيديولوجية الضرورية مبتعدين عن الإيديولوجيا البرجوازية ، و فكر" الثأر "، و ذهنيّة " أنا أوّلا " و أنماط التفكير الدينية إلخ .

لذا ، إجمالا ، نظرة آجيث أنّ للعمّال قدرة خاصة على كسب الوعي الشيوعي **و** إنكاره للماركسية كعلم لا يمكن إلاّ أن تعني أنّ الوعي الطبقي ينبع آليا من الظروف و التجربة المباشرتين. و بطبيعة الحال قد ينكر آجيث هذا . لكن هذه هي عصارة موقفه . العلم أمر زائد إن كانت الظروف الماديّة تجعل البروليتاريين ميّالين إلى الوعي الطبقي . و مثلما سيصبح جليّا أثناء هذا الجدال ، الوعي الذى يراه آجيث على أنّه وعي شيوعي هو فى الحقيقة شيئا آخر غير الشيوعية المعتمدة على تجاوز " الكلّ الأربعة " .

ويؤدّى هذا الإطار من التفكير بآجيث إلى معانقة نوع **تجسيد** البروليتاريا الذى كان يمثّل مشكلا منذ زمن طويل فى صفوف الحركة الشيوعية و الذى فكّكه أفاكيان و نقده .

مصطلح " تجسيد البروليتاريا " يحيل على تيّار تفكير أنّ النظرة العامة المناسبة للثورة البروليتارية العالمية ضروريّة للإنتقال إلى الشيوعية تتجسّم و تتجسّد فى الأفراد الخاصين الذين يشكّلون البروليتاريا – عند نقطة زمنيّة و فى بلاد معيّنين . و يمكن أن تعني جعل البروليتاريين ، أو لنقل " الناس الملوّنون " فى مجتمع تفوّق البيض كالولايات المتحدة الأمريكية ، كأفراد ملموسين ، التجسيد المثالي للثورة الشيوعية . و بالطريقة نفسها ، النساء كنساء يمكن أن يجسّدوا الأهداف أو المبادئ التحرّريّة .

يحتجّ آجيث قائلا : " إنّهم [أتباع أفاكيان] يتصوّرون بروليتاريا عالمية " مثالية " ثم يجعلون من ذلك أساسا لتحاليلهم "(48) لكن ما يصوّره آجيث كاريكاتوريّا ك" بروليتاريا مثالية " هو فعليّا **تجريد علمي** صحيح للدلالة التاريخية للبروليتاريا و لمهمّتها التاريخية . نعم ، توجد البروليتاريا كطبقة مادية حقيقية و كقاعدة إجتماعية للثورة و تجريدها العلمي ، بكلمات لينين " ليعكس الطبيعة بصورة أعمق و أصدق و **أكمل** . " (49)

و يعيدنا هذا إلى نقاشنا السابق لإختراق ماركس العلمي الذى يضع فهم المجتمع الإنساني على أساس علمي – بما يشبه ما فعله داروين فى مجال العلوم الطبيعيّة .

مساهمة لينين الحيوية فى الوعي الشيوعي :

إنّ التعويل على الظروف الماديّة للطبقة لن يسمح لأي كان بما فى ذلك البروليتاريين أنفسهم ببلوغ فهم صحيح لمجمل الديناميكية الإجتماعية ، و لا لفهم دورهم التاريخي الخاص كمحرّري الإنسانية . و خلافا لما يدّعيه آجيث ، ليس للبروليتاريا شراء خاص حول الحقيقة إعتبارا لظروفها المادية . و يوصلنا هذا إلى مساهمة من المساهمات الحيويّة للينين فى [تطوير] الماركسية .

لقد حاجج لينين بأنّ الوعي الطبقي البروليتاري لم يستطع أن يتطوّر عفويّا أو ببساطة من التناقضات بين البروليتاريا و الطبقة الرأسمالية . و شدّد على أنّ الوعي البروليتاري أو الشيوعي يتطلّب تعلّم كيف و لماذا كلّ طبقة و فئة تتفاعل مع الأحداث الكبرى و القضايا الإجتماعية الكبرى .

و نقد لينين المقاربة التجريبيّة التى تعتبر الفهم العفوي و الحسّى أهمّ مصدر للوعي :

" عادة ما يقال : تنجذب الطبقة العاملة عفويّا نحو الإشتراكية . هذا صحيح تماما بمعنى أنّ النظرية الإشتراكية تحدّد أسباب بؤس الطبقة العاملة بصورة أعمق و أصحّ من أيّة نظريّة أخرى . و لهذا السبب العمّال قادرون على إستيعابها بسهولة كبيرة ، شرط أن لا تدافع هذه النظريّة ذاتها عن العفويّة ، شرط أن تجعل العفويّة تابعة لها ... الطبقة العاملة تنجذب عفويّا نحو الإشتراكية لكن بقدر ما هي متنشرة (و يعاد إحياؤها بإستمرار بتأكثر الأشكال تنوّعا) الإيديولوجيا البرجوازية مع ذلك ، عفويّا تفرض نفسها على الطبقة العاملة حتّى أكثر ." [التشديد مضاف] (50)

دور البروليتاريا فى الإنتاج و الظروف الموضوعيّة لحياة المضطهَدين هي أساس إنجذاب هذه الجماهير إلى المبادئ الشيوعية ، إلاّ أنّه كما أوضح لينين فى الإستشهاد أعلاه ، تفرض الإيديولودجيا البرجوازية نفسها حتّى أكثر ، و من ثمّة تشديده على الحاجة إلى جلب الفهم الشيوعي **من خارج** التجربة المباشرة للعمّال . و كان على لينين أن يخوض صراعا هائلا كي يجلي مسؤوليّات الشيوعيين فى نقاشه الرائد حول دور النظريّة و إكتساب الوعي الشيوعي ، الذى صاغ فيه نقدا مدمّرا ل " تقديس العفوية " و الحاجة إلى الصراع من أجل **تحويل وجهة** المسار العفوي لنضال العمّال .

البروليتاريا و كنس التاريخ :

ونتيجة لتطوّر قوى الإنتاج و تطوّر المجتمع الإنساني ، ظهرت طبقة ، البروليتاريا ، تتناسب مع وهي القوّة المحوريّة فى نوع جديد تماما من الثورة فى تاريخ الإنسانية : الثورة البروليتارية – الشيوعية .

لا تملك هذه الطبقة شيئا عدا قدرتها على العمل . و تستخدم معا فى شبكات الإنتاج ، أكثر وسائل الإنتاج إتساعا وتقدّما و عولمة متنامية التى أوجدتها الرأسمالية . إنّها طبقة عالميّة إنتُزعت منها كلّ ملكيّة لوسائل الإنتاج .

و البروليتاريا و هذا الإنتاج **ذى الطبيعة الإجتماعية** فى نزاع جوهري مع **التملّك الخاص** الرأسمالي للثروة المنتجة إجتماعيّا – فى شكل رأسمال خاص طبيعته الداخلية هي الإستغلال و التنافس الشرس على نطاق متّسع ، بتبعات مدمّرة على الإنسانية و الطبيعة .

البروليتاريا هي الطبقة الأوسع و المتمركزة إستراتيجيّا فى المجتمع المعاصر . لكن أهمّ من ذلك ، تمثّل هذه الطبقة إمكانية علاقات إجتماعيّة جديدة : طريقة ممشركة جديدة لإستعمال قوى الإنتاج إستعمالا جماعيّا ، كملكية مشتركة للإنسانية – دون إستغلال . إنّها طبقة عالميّة بمعنى أنّه ليس لديها أيّة مصلحة خاصة ضيّقة تدافع عنها . و ليس بوسعها كطبقة أن تحرّر نفسها دون تحرير الإنسانية بأكملها و تجاوز التقسيم الإجتماعي للطبقات ذاته .

قد بلغ المجتمع الإنساني ، فى تطوير القوى المنتجة عالميّا ، بما فى ذلك التقنية والمعرفة العلمية التى راكمتها الإنسانية ، قد بلغ **عتبة تاريخية** . و الآن من الممكن للإنسانية أن تنجز قفزة غير مسبوقة : تتخطّى الفاقة المادية ، تتخطّى الإستغلال ، و تتخطّى الإنقسام الإجتماعي إلى طبقات . تجسّد

البروليتاريا إمكانيّة الذهاب بالإنسانية إلى مكان خاص ، إلى عالم مغاير تماما . هذا ما أشار إليه أفاكيان بسخرية على أنّه " موقع البروليتاريا الشبيه بموقع الإلاه " (51) .

و من هم الشيوعيّون ؟ بالمعنى الأساسي ، يمثّل الشيوعيون المعالجة التاريخية – العالمية للتناقض بين الإنتاج الإجتماعي الطابع و التملّك الخاص . إنّهم ، مستعملين كلمات لماركس ، " الممثّلون السياسيّون و الأدبيّون " للطبقة الفريدة من نوعها فى التاريخ ، البروليتاريا : أوّل طبقة فى التاريخ تتطلّب ثورة للتخلّص ليس من بعض بل من كلّ العلاقات الإستغلاليّة و الإضطهادية و الهياكل السياسية و طُرق التفكير التى تنجم عن هذه العلاقات و تعزّزها . الشيوعيون هم الممثّلون السياسيّون و الأدبيّون لهذه الثورة وهذا النضال الثوري الذى يجسّد المصالح الجوهريّة و العليا لهذه الطبقة فى هذه المرحلة من التاريخ الإنساني .

القومية أم الأممية ؟

يلحّ آجيث على رؤية البروليتاريا كبروليتاريين فى " أطر قومية متباينة " كما " و يتأتى هذا من خصوصية وجودها الطبقي " (52) .

و صحيح أنّ هذه الخصوصيّات فى الظروف الإقتصادية – الإجتماعية للعمّال فى بلدان مختلفة ، و كذلك العوامل الثقافية – التاريخية الخاصة ، تمارس تأثيرا حقيقيّا على الصراع و الوعي . لكن هناك واقع أهمّ و أكثر تحديدا . و هذا الواقع هو مثلما أوضحنا فى النقاش السابق بصدد الإنتاج المتداخل و المعولم و ذى الطبيعة الإجتماعية ، **البروليتاريا طبقة عالمية** و مصالحها الأساسية تكمن فى ثورة عالمية هدفها إيجاد مجتمع عالمي للإنسانية دون طبقات و دون تناقضات إجتماعية عدائية .

هناك هذه القاعدة الماديّة للأممية – و وجهة نظر البروليتاريا ليست وجهة نظر " القومية " . و لوضع آجيث لسطر تحت " الإطار القومي المتباين " صلة بقوميّته و هو يفتح المجال للتذيّل الخاطئ و الخطير للقوى الرجعية فى بلدان معيّنة . ومقاربة آجيث للبروليتاريا مثال للتجريبيّة فهو يظلّ عالقا فى المظهر الخارجي للظواهر و يخفق فى التوصّل إلى طبيعتها و هيكلتها الأساسية الحقيقيّة .

و نفس هذا النوع من الغمامات التجريبية و البراغماتية متّصل بما يسمّى ب " الإقتصادوية " ، وهو مفهوم أنّ الشيوعيين يجب أن يعتمدوا على النضالات " المباشرة " التى يخوضها العمّال اليوم . مثلا ، لقد قاد ذلك غالبا جدّا الشيوعيين فى البلدان الرأسمالية – الإمبريالية المتقدّمة (وغيرها من البلدان أيضا**!**) إلى تبنّى الشوفينية لأنّهم إنطلقوا من مشاعر العمّال و مصالحهم المباشرة فى تلك البلدان عوض أن يقودوهم سياسيّا و إيديولوجيّا . و مثل هذه الأنواع من مشاكل التذيّل قد وُجدت فى كافة أنواع البلدان .

يجب على الشيوعيين بمن فيهم أولئك ضمن البروليتاريا والفئات المضطَهَدة الأخرى أن يقوموا بقفزة فى وعيهم ، " قطيعة راديكالية " فى مجال الأفكار ، و أن يتوصّلوا إلى فهم دورهم ، ليس كمقاتلين من أجل مصلحة " ملموسة " (و قومية) لمجموعة ما و إنّما بالأحرى ك " محرّري الإنسانية " من الإنقسامات و التناقضات الطبقية العدائية .

التبعات السلبية للتجسيد فى التجارب الإشتراكية السابقة :

لقد حلّل أفاكيان كيف أنّ تجسيد البروليتاريا مثّل مشكلا فى الموجة الأولى من الثورة الشيوعية .

ففى الإتحاد السوفياتي طوال المدّة التى كان فيها بلدا إشتراكيّا حقّا ، وُجد إعتقاد بأنّ الطابع البروليتاري للدولة و الحزب سيكون مضمونا ، مثلما يضع ذلك آجيث ، بالتشييد " على نقاط القوّة التى يوفّرها الموقع الطبقي " . بمعنى أنّه إن تمّ إختيار التقنيين و الإداريين و المتدرّبين من صفوف العمّال و الفلاّحين ، ستجرى معالجة مشكل تجاوزالإنقسام التاريخي – العالمي بين العمل الفكري و العمل اليدوى المرتبط بظهور المجتمع الطبقي – و سيتقلّص بصفة كبيرة خطرالثورة المضادة . (53) و قد أثبت التاريخ أنّ الحال ليس كذلك .

و إلى جانب هذا الفهم الخاطئ – بأنّ الخلفية الطبقية البروليتارية ستكون متراسا ضد التحريفية – وُجد أثناء فترة ستالين مفهوم أنّه حالما يتم تركيز حكم البروليتاريا وإستقراره ، فإنّ التفكير العفوي للجماهير سيكون بالضرورة لفائدة مواصلة الثورة . و يعكس هذا نقاط ضعف فى فهم أنّ المجتمع الإشتراكي يمثّل مرحلة إنتقاليّة تتميّز بتناقضات حادة و معقّدة – و أنّ العمّال و الفلاّحين هم أنفسهم متأثّرين فى تفكيرهم و نظرتهم ببقايا الرأسمالية فى المجتمع الإشتراكي . و فضلا عن ذلك ، فإنّ إنتصار الإشراكية ذاته و إنشاء نظام إشتراكي جديد يوفّر منافعا ماديّة للذين كانوا سابقا مستغَلين و مضطهَدين يمكن و قد كانت له فى تاريخ الثورة الإشتراكية تأثيرا محافظا على قطاعات من العمّال . وهناك نوع من " حطّ الرحال " و" لا نرمى قارب المجتمع الجديد بالحجارة " وهو مرتبط بواقع أنّ المجتمعات الإشتراكية فى الماضي و على الأرجح فى المستقبل تعيّن و سيتعيّن عليها أن تسير ضد هيمنة الإمبريالية على العالم .

كان ماو تسى تونغ يخوض فى المشكل عينه فى المراحل الأولى من الثورة الثقافية . لم تكن طبقة رأسمالية جديدة بصدد الظهور فى صفوف الهياكل القيادية للحزب الشيوعي و حسب بل أضحت قطاعات واسعة من الجماهير راضية عن نفسها و " مغتبطة جدّا " إن شئتم ، بالمنافع المادية للإشتراكية. و كان ذلك من دواعي بحثه عن الشباب الراديكالي لإعطاء دفع لهذه " الثورة الثانية " .

و مع ذلك ، فى الصين خلال الحقبة الإشتراكية ، وُجدت مشاكل تجسيد للبروليتاريا تمظهرت بطرق شتّى . ففى المراحل الأولى من الثورة الثقافية وُضع عن غير حقّ تشديد على الجذور الطبقية لكوادر الدولة و المنظّمات الجماهيرية و الحزب . و رفضت بعض منظّمات الحرس الأحمر الكبرى عضويّة شباب ينحدرون من " جذور طبقية سيّئة " .

و فى علاقة بهذا تمّ دفع شعار فى تلك الفترة مفادة أنّ " التيّار السائد لحركة الجماهير صحيح دائما " فى حين أنّه فى الواقع ، يزخر التاريخ عبر العالم و فى الصين الإشتراكية عينها بأمثلة حيث كان الحال عكس ذلك . و لنضرب مثلا يدمى له القلب : " التيّار السائد لحركة الجماهير " الذى أطاح قبلا بمبارك فى مصر إنتهى إلى مساندة الإنقلاب العسكري الدموي ضد الإخوان المسلمين فى 2013 . توجّه أنّ " التيّار السائد لحركة الجماهير صحيح دائما " غير صحيح .

وسيؤدّى التفكير المشابه لتفكير آجيث عمليّا إلى الإبتعاد عن التقييم التام للمفاهيم الرائدة و التغييرات الثورية التى جلبتها الثورة الثقافيّة . إنّ " الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي ، الموقع المادي للطبقة " التى يدعو إليها لن يقود عفويّا إلى فهم صحيح للتناقضات و الديناميكيّات الأساسية للمرحلة الإنتقالية التاريخية - العالمية إلى الشيوعية - مثلا ، التناقضات بين المدن و الأرياف أو بين العمل الفكري و العمل اليدوي .

ومن المهمّ أن نلاحظ كيف أنّ التحرفيين الصينيين إستعملوا " الفكر العمّالي " و التفكير المشابه لتفكير آجيث كجزء من تقديم صورة تضليليّة عن الإنقلاب الرجعي الذى نفّذوه بعيد وفاة ماو تسى تونغ . فقد إّتهم منظّمو الإنقلاب الثوريين الحقيين الذين أطلقوا عليهم نعت " مجموعة الأربعة " [أو" عصابة الأربعة "]، بأنّهم " ليّنون ، منحلّون و كسالى ". و أراد القادة التحريفيون هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ حرف أنظار الناس عن المسائل المركزية للخطّ الإيديولوجي و السياسي ، و واقع صراع الحياة أو الموت بين الطريق الرأسمالي (الذى كانوا يمثّلونه) و الطريق الإشتراكي فأطلقوا دعوات إقتصادوية و عمّالية للجماهير .

و الواقع هو أنّه ضمن فئات معتبرة من الجماهير الصينيّة ، وُجد الكثير من السخط العفوي تجاه صعوبات القيام بالثورة الإشتراكية ما يسّر الإنقلاب التحريفي . لم تجعل مصلحة " العمّال " المرتآة عفويّا ، بديهيّا لماذا كان البرنامج التحرفي ل " التعصيرات الأربعة " فى الحقيقة برنامج إعادة تركيز الرأسمالية .

إنتهت معظم القوى الماوية سابقا فى العالم إلى مساندة الإنقلاب التحريفي لهواو أو أصابها اليأس و شلّ حركتها . و سبب من الأسباب هو أنّه كان يبدو أنّ قطاعات هامة من الجماهير فى الصين كانت بالفعل تقبل بالإنقلاب إن لم تكن تسانده بصورة واضحة . لا يمكن لملايين الصينيين أن يكونوا على خطإ ، إعتقد العديد من الشيوعيين . لكن نعم يمكن أن يكونوا مخطئين و فى هذه الحال كانوا مخطئين و صار هذا جزءا من الصعوبة التى تواجه الملايين الذين **أرادوا فعلا** مواصلة المضي بالثورة إلى الأمام .

IV – هل للحقيقة طابع طبقي ؟

لا يخدم نقد جيث لأفاكيان على أنّه " ألغى الطبقة " فقط كتعلّة للترويج للتذيّل و السياسات الإقتصادويّة و التنصّل من دور الشيوعيين فى أن يجلبوا للجماهير فهما علميّا شاملا لطبيعة الثورة الشيوعية و أهدافها بل تتجاوز أخطاء آجيث هذا لتبلغ عميقا مسألة كيف نفهم العالم ، أبستمولوجيته .

الكثير من الإختلاف بين تقدّم أفاكيان بالماركسية ودفاع آجيث الناظر إلى الوراء و تعميقه لتيّارات خاطئة فى تاريخ الحركة الشيوعية ، يتركّز فى مسألة إن كان أم لا للحقيقة طابع طبقي .

و بما أنّ هذه نقطة جدال حيويّة و نقطة حيوية فى النقاش التالى ، لنوضّح ما الذى نقصده بالمفهوم الخاطئ القائل إنّ للحقيقة طابع طبقي . و مظهر من هذا هو فكرة أنّه إذا كان شيئا صحيحا أم لا يرتهن أو هو مشروط بعمق بالطبقة أو الخلفية الإجتماعية أو الموقف السياسي للشخص (أو المجموعة الإجتماعية) الذين يدافعون عن وجهات نظر أو يتقدّمون بها أو يحاججون من أجلها . و على سبيل المثال ، واقع أن تكون لتقني خلفيّة ذات إمتيازات ، وفق نظرية للحقيقة طابع طبقي ، يضع حدودا لفهمه؛ أو إن كان عالِم يدافع عن أفكار سياسية رجعية ، فإنّ هذا بالضرورة يضع موضع سؤال حقيقة عمله أو إكتشافاته العلمية . ومظهر آخر من هذا المفهوم " للحقيقة طابع طبقي " هو أنّ الحقيقة مشروطة بالإستعمالات الإجتماعية – السياسية التى توضع من أجلها الأفكار . مثلا ، فى الإتحاد السوفياتي فى ظلّ ستالين ، كانت بارزة نظرة فى الفلاحة و علم الجينات تقدّم بها ليزنكو ، عالم ذو خلفية بروليتارية ، كانت خاطئة تماما عمليّا لكن وقع الدفاع عنها على أنّها حقيقة فى جزء لخلفية هذا العالم و لأنّه كان مناصرا كبيرا للثورة يستخدم عمله العلمي للمساعدة على معالجة المشاكل الحقيقيّة للفلاحة الإشتراكية.(54)

و يحاجج آجيث من أجل ما يشار إليه عادة ب " أبستمولوجيا الموقع " أو " البرسبكتفيزم " التى حسبها كلّ موقع أو مجموعة مصلحة لها نظرتها الخاصّة أو معرفتها الخاصة للأشياء ، و هكذا الحقيقة الموضوعية" إشكالية " (كما يضع ذلك العديد من الدافعين عن وجهة النظر هذه) و مرفوضة.

لقد تفحّص أفاكيان بصورة متكرّرة و نقد هذه الصيغة ل " الحقيقة الطبقية " و مقدّماتها الكامنة . و يدّعى آجيث أنّ " يعكس النقد الذى صدرعن أفاكيان ل " الحقيقة الطبقية " خللا عميقا فى فهمه للواقع المادي و سيرورة إستيعابه ... الأفاكيانية تسعى إلى إلغاء الطبقة من سيرورة فهم الواقع الإجتماعي وتخلط بين المجالات الطبيعية و الإجتماعية . " (55)

ومرّة أخرى ، يتفادى آجيث جوهر الموضوع و الذى هو الإعتراف من عدمه بأنّ حقيقة إقتراح لا ترتهن بأية شكل من الأشكال بالشخص أو بالطبقة التى تتقدّم بها . و يدّعى آجيث أنّ " " الحقيقة الماركسية " يمكن أن تكون الأقرب للواقع الموضوعي **بسبب التحزّب الطبقي** . ميزتها العلمية الصريحة للإنطلاق من الواقع الموضوعي وجعل هذا الواقع محكّا لفهمه ، مرتبطة وثيق الإرتباط بتحزّبها . " (التشديد مضاف) (56) . و يضغط آجيث بثقله ليبني تبعيّة لا تنفصم للحقيقة و المعرفة العلمية للتحزّب الطبقي .

فى جداله ، يوهم آجيث بالإعتراف بهذا المشكل فى الحركة الشيوعية العالمية . لكنّه يرى ذلك كشيء تمّ تجاوزه فى الأساس . و بينما يقرّ بأنّ " نزعة رؤية الواقع أو تفسيره على نحو ينسجم مع رؤية المرء أو

الحاجيات السياسية و التنظيمية ..." صارت " بارزة بصورة خاصة خلال فترة الكومنترن " فإنّ هذا قد أعيد تنظيمه ، حسب آجيث ، منذ أن " قطع ماو مع ذلك " . (57)

و فى حين أنّ ستالين تتركّز فيه أحيانا تيّارات خاطئة داخل الحركة الشيوعية ، من الخطإ فصله عن هذه الحركة كما لو كان إنحرافا . و يستعمل آجيث ستالين فى آن معا ككبش فداء و صمّام أمان لتجنّب تشريح علمي لمشاكل الحركة الشيوعية . فبشأن هذه المسألة من الحقيقة الطبقية ، كانت قطيعة ماو تسى تونغ مع ستالين بعيدة عن أن تكون تامّة و رغم ذلك يريد آجيث أن يختفي وراء ماو ليتفادى الخوض فى أخطاء الحركة بهذا المضمار .

" الحقيقة الطبقية " كنزعة ثانوية فى الثورة الثقافية :

يركّز آجيث حجّته من أجل الحقيقة الطبقية فى الدفاع عن إخطار ال16 من ماي الذى أطلق العنان للثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى فى الصين . وقد نقد أفاكيان صياغة فى ذلك الإخطار . و آجيث يذكر موقفا فى ذلك الإخطار و يدافع عنه :

" عندما بدأنا بالردّ على الهجوم المسعور الذى شنته البرجوازية رفع واضعو التقرير الموجز شعار " كلّ الناس سواسية أمام الحقّ ". إنّ هذا الشعار شعار برجوازي . لقد إستخدموا هذا الشعارلحماية البرجوازية و مكافحة البروليتاريا و مكافحة الماركسية – اللينينية و مكافحة أفكار ماو تسي تونغ ، منكرين **طبقية الحقّ** إنكارا تاما. و فى النضال بين البروليتاريا و البرجوازية و كذلك بين حقيقة الماركسية و أباطيل البرجوازية و سائر الطبقات المستغلة ، فإما أن تتغلّب الرياح الشرقية على الرياح الغربية و أمّا أن تتغلّب الرياح الغربية على الرياح الشرقية ، و لا يوجد هناك أية مساواة على الإطلاق." (التشديد فى النصّ الأصلي) (58)

المسألة التى نريد تناولها هنا ليست عرض تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و مختلف الطرق التى رفعت بها القوى البرجوازية شعارات من مثل " الجميع متساوون أمام الحقيقة " و كذلك لا يغيّر هذا من تقييمنا للثورة الثقافية على أنّها تمثّل إلى اليوم تجربة الثورة البروليتارية الأكثر تقدّما و التى يجب رفع رايتها و الترويج لها بحماس و التعلّم منها . لكن الواقع هو أنّ الدفاع عن " الطبيعة الطبقيّة للحقيقة " كان خاطئا . لا يمكن للمرء أن يقرّر إن كانت أيّة حجّة أو نظريّة أو فرضيّة خاصة صحيحة أم خاطئة إلاّ بتناسبها مع الواقع الموضوعي ، و ليس بالموقع الطبقي أو نظرة عارضها للعالم . (59)

و فى إضطرابه ، يريد آجيث أن يتجنّب الموضوع بتأويل إستعمال كلمة " الحقيقة " فى إخطار ال16 من ماي على أنّها لا تحيل على الواقع الموضوعي بل على " الإيديولوجيات ، التفكير " .(60) و مع ذلك الحقيقة كمفهوم هي دائما متصلة بالتفكير و ما إذا كان التفكير أم لا مناسبا للواقع الموضوعي ، لا مهرب من الموضوع . حينما يتناسب التفكير مع الواقع ، نسمّى ذلك حقيقة . هناك واقع مادي موضوعي مستقلّ عن الذهن . و تعتبر الماديّة الجدلية أنّ هذا الواقع قابل للمعرفة .

منذ أن تطوّر الإنسان المفكّر العاقل / الواعي ، بقدراته المعرفيّة المتباينة ، وُجد نقاش مستمرّ حول صلوحيّة التفكير الإنساني حول الواقع و دقّته و التعويل عليه . و هذا خطّ فاصل فى الأبستيمولوجيا و فلسفة العلم ، يشار إليه على أنّه **النظريّة التناسبيّة للحقيقة** ، وهو ما سنعود إليه بعد قليل .

و يتواصل خوض النقاش حول معايير الحقيقة و تحديدها : تأكّد الوضعية و البراغماتية و التجريبية و مدارس أخرى معارضة للمادية الجدلية على مفاهيم أخرى للحقيقة أو أحيانا ، تحاجج أنّه لا غرض نخدمه بمحاولة حتّى تحديد ما إذا علينا أو يمكننا أن نبلغ الحقيقة (و مثال ذلك ، البراغماتيّون الجدد يقدّمون هكذا حجج) .

و لننظر فى ما يعتبر **النظرية التوافقيّة للحقيقة** . وفق هذه النظرة الخاطئة ، كلّ ما يقبل بالتوافق يعامل كحقيقة ، و كلّ محاولة لتحديد الحقيقة بطريقة صارمة أكثر غير ممكن و غير ذى جدوى و له نتائج عكسيّة . ما يدافع عنه آجيث كحقيقة طبقيّة هو نسخة من النظريّة التوافقيّة للحقيقة مشابهة تماما لما يعرضه البراغماتيّون و غيرهم . (61) .

آجيث و التحزّب الطبقي :

يضع آجيث المسألة على النحو التالي :

" ليست فقط " أباطيل البرجوازية " ، " حقيقة الماركسية " أيضا ليست واقعا موضوعيا فى حدّ ذاتها . عبر السيرورة القائمة ل " البحث عن الحقيقة إنطلاقا من الوقائع " بإمكان الماركسية أن تستوعب هذا الواقع بطريقة أعمق و أشمل نوعيّا مقارنة بالبرجوازية والطبقات الأخرى . " الحقيقة الماركسية " يمكن أن تكون الأقرب للواقع الموضوعي بسبب التحزّب الطبقي . ميزتها العلمية الصريحة للإنطلاق من الواقع الموضوعي وجعل هذا الواقع محكّا لفهمه ، مرتبطة وثيق الإرتباط بتحزّبها . و ذلك كذلك لأنّ الطبقة التى تمثّلها البروليتاريا هي الوحيدة التى لها مصلحة أساسية فى فهم الواقع إلى أتمّ و أبعد مدى ممكن . و يتأتى هذا من كونها الطبقة الوحيدة التى يمكن أن تأخذ الثورة إلى النهاية ، إلى تحرير الإنسانية جمعاء لبلوغ تحرّرها الخاص . " (62)

تتكوّن هذه الفقرة من عدّة مواقف صحيحة جزئيا ممزوجة مع بعض الأخطاء الأبستمولوجية و الفلسفية الأساسية تجعل البنية برمّتها خاطئة . ومجدّدا ، لنوضّح الأمور ، و فى هذه الحال ، " التحزّب " . يحيل المصطلح على الموقف السياسي و الإيديولوجي للشخص : مع من تقف ، مع المضطهَدين و المستغَلين أم مع القوى التى تأبّد الوضع الإضطهادي السائد ؛ هل تقف مع الثورة أم ضدّها . الماركسية فى آن معا صحيحة – تتناسب مع الواقع – و متحزّبة ، تخدم قضيّة الثورة ، الثورة الشيوعية (أو البروليتارية) للتخلّص من كلّ الإستغلال و الإضطهاد .

لكن آجيث يقلب العلاقة بين الحقيقة العلمية للماركسية و تحزّبها الطبقي ؛ و يشدّد على الدفاع على الموقف الخاطئ القائل بأنّ " الماركسية صحيحة لأنّها متحزّبة " . و يسترسل آجيث :

" يسلّط الأفاكيانيون الضوء على تطبيق ماركس و إنجلز للمبادئ العلمية و المنهج العلمي بعيدا عن التحزّب الطبقي الذى يقودهما . ثمّ يخلطون المسألة بالغوص فى مسألة " بناء الحقيقة " فى تعارض مع " إكتشافها ". بالتأكيد يجب أن نكتشف الحقيقة لا أن نبنيها . و مع ذلك ، نقطة النقاش هنا هي دور المصالح الطبقية و التحزّب فى تمكين المرء من إنجاز مهمّته . و الماركسية تصرّح بهذه العلاقة و تشدّد عليها والأفاكيانيون ينكرونها . " (63)

تدين الماركسية بقدرتها على إستيعاب الواقع على نحو نوعيّا أعمق وأشمل **ليس** لتحزّبها و إنّما **لمنهجها العلمي** بما فيه مواجهة الواقع كما هو عمليّا . و على خلاف ما يدعيه آجيث ، توفّر الماركسية **القاعدة**

العلمية للتحزّب بكشف الطبيعة الموضوعية للإستغلال و الإضطهاد الطبقيين ، و خصوصيّتهما و تطوّرهما التاريخيين و " عدم ضرورتهما " . و يساعف هذا الطابع كذلك على شرح لماذا يمكن كسب المثقّفين و غيرهم من الطبقات غير البروليتارية إلى فهم الحاجة للثورة البروليتارية و تبنّى القضيّة .

7 - إستهانة آجيث بالنظريّة :

الرؤية و التجربة وحدهما لا يكشفان الديناميكية و القوانين الداخلية (الضرورة الداخلية) التى تحكم الأسباب الكامنة للتطوّر الإجتماعي و تيّاراته . و كما وضع ذلك ماوتسى تونغ ، " المظاهر الخارجية يمكن رؤيتها . إنّها تجذب الحواس . و الجوهر لا يمكن رؤيته و لا لمسه ؛ إنّه مختفى وراء المظهر الخارجي . لا يمكن إكتشاف الجوهر إلاّ عبر البحث و الدراسة . إن كنّا نلمس و نرى الجوهر فلن توجد حاجة إلى العلوم . " (64)

لكن منهج آجيث لا يسمح له بأن يمضي أبعد من مستوى الظاهر. وكان ماركس أيضا واضحا جدّا بشأن هذه النقطة : " يتبيّن ما يستند إليه **طابع تصوّرات** التافه الضيق الأفق و الإقتصادي النبتذل و نعنى بذلك أنّه لا يتعكس دائما فى دماغنا إلاّ **الشكل** المباشر **لتجلّى** العلاقات ، و ليس **صلتها الداخليّة** . و لكن ، لو حدثت الحالة الأخيرة فما الحاجة آنذاك على العموم إلى **العلم** ؟ " (65)

ثمّة وحدة جدليّة بين الظاهر و الباطن غير أنّهما ليسا الشيء نفسه . يوبّخ آجيث أفاكيان لتنازلات للوضعيّة لكن آجيث هو الذى يخفق فى إستيعاب القفزة من المعرفة الحسّية إلى المعرفة العقلية و يترافق هذا بتقديس تجريبي للمعرفة المتوفّرة (المتوفّرة عبر الموقع الطقي) . و بالقيام بذلك ، يجد آجيث نفسه برفقة الوضعيين الذين جعلوا علامة تجارية لهم رفض التمييز بين الظاهر و الباطن .

ثمّة قفزة و قطيعة يجب أن تحدث من أجل ايجاد المفاهيم النظريّة بعد مراكمة التجربة والمعرفة الحسّية. و هذه السيرورة تستدعى و تقتضى معا مساهمات من مجالات أوسع من الممارسة الإنسانية و الفكر الإنساني . و لا يوجد بأيّ شكل من الأشكال تناسب آلي واحد لواحد و فى الواقع ، هناك **بلا إستثناء تصوّرات مختلفة و متعارضة** تشمل نفس ، أو الكثير من نفس ، المعلومات و الملاحظات التجريبية إلخ.

و أيضا يقلّص آجيث السيرورة المعقّدة للبحث و الإكتشاف العلميين برمّتها إلى مجرّد " البحث عن الحقيقة فى الوقائع " ، فى إحالة إلى مقولة لماو ختم بها آجيث مقاله . و مرّة أخرى يمسك آجيث **بنزعة ثانوية** لدى ماو و يخرجها من الإطار العام للتوجّه الصحيح و هكذا يحجب تجريبيته هو الخاصة . و مثلما رأينا صاغ ماو مواقفا أخرى أصحّ على غرار هذا الموقف : " إنّ السبب فبإختلاف المعرفة المنطقيّة عن المعرفة الحسّية يعود إلى أنّ المعرفة الحسّية تتعلّق بجزئيّات الأشياء وظواهرها و روابطها الخارجيّة ، فى حين أنّ المعرفة المنطقيّة تتقدّم بالمعرفة الحسّية خطوة كبيرة إلى الأمام فتتوصّل إلى إدراك كلّيات الأشياء و جوهرها و روابطها الداخلية و تكتشف التناقضات الكامنة فى العالم الخارجي فى مجموعه و فى الروابط الداخلية بين جميع جوانبه ." (66)

و يحبّ الوضعيون و التجريبيون الحديث عن الوقائع الخام لكن كلّ الوقائع يجب أن تمرّ من خلال النظريّة حتّى لتركيز ما هي هذه الوقائع و الأهمّ لتفسير ترابطها و كشف ديناميكيتها الكامنة . و علاوة على ذلك ، سيرورة إكتشاف الحقيقة و التحقّق منها وتركيزها ليست سيرورة خطّية . ليس الحال ببساطة إستخلاص الإستنتاجات من مجموعة خاصة من الوقائع ، و بلوغ الحقيقة يشمل كذلك تأييد و تلاقح من المجالات الأخرى من النشاط و البحث الإنسانيين . و حتى التحقّق نفسه سيرورة معقّدة و لا يجب أن يبتذل بطريقة إحادية الجانب ليقال إنّ معنى نظريّة ومضمونها يمكن تقليصه إلى منهج التحقّق كما تتقدّم بذلك مدارس التجريبية و الوضعية . أحيانا ما يحدث هو التدليل على ليس نظرية مباشرة بل على

نظريّة تابعة أو فرعيّة أبعدها جيل أو جيلان عن النظريّة الأصليّة . و آجيث لا يفهم من هذه السيرورة إلاّ النزر القليل .

يفتخر التجريبيون والبراغماتيون بأنّهم قريبون من الواقع نظرا لكونهم يحاججون بأنّ الملاحظة التجريبية للحواس الخمس وحدها هي مصدر المعرفة . بالنسبة لهم ، الممارسة المباشرة وحدها فى ميدان معيّن يمكن أن تبيّن النجاح أو الفشل الضروريين لتأكيد صحّة أم خطإ أي إدعاء معرفة خاصة.

نظرة ضيّقة للممارسة و الواقع الإجتماعي :

و طبعا تفرز هذه النظرة للواقع والمنهج الأبستيمولوجي بالضرورة رؤية و توجّها يضيّق الآفاق و الإنتظارات . و كجزء من هذا ، تؤدى إلى منطق يرتئى و يحدّد بشكل ضيّق ما يشار إليه على أنّه " ممارسة " . أي شيء ، بكلمات البراغماتيين ، " ينهى البحث " (فى الزمن المعطى) و ينتج نوعا من الإتفاق على هذه النهاية ، إعتمادا على نجاح محسوس فى النتائج المباشرة المعيّنة فى إطار خاص ، يحدّد هكذا ك**حقيقة** (أو كما سيعبّر عن ذلك البراغماتيّون ، س**يحلّ محلّ** الحقيقة).

هذا النوع من الفهم التجريبي و البراغماتي لل" ممارسة " ليس الإنخراط المادي الصريح فى معرفة العالم المادي و تغييره . كيف يتعيّن علينا أن نفهم بطريقة صحيحة الممارسة بالمعنى الأكثر عالميّة للكلمة ؟ إنّها تعنى **كلّ** النشاط الإنساني ، كلّ من التفاعلات مع الطبيعة الخارجية و تفاعلات المجتمع الإنساني العالمي الذين صارا بصفة متنامية متداخلين مع تطوّر الرأسمالية و بصفة خاصّة الإمبريالية . و حتى و إن كان هذه المجتمع العالمي يعتصره الإنقسام و التناقضات الطبقية العدائية و الإنقسام بين الأمم خاصة إلى أمم مضطهَدَة و أمم مضطهِدة ، وإضطهاد نصف الإنسانية ، النساء ، تظلّ هناك " كلّ" للإنسانية .

لكن آجيث يدير ظهره و يبتر الواقع الإجتماعي عالميّا بإسم " التعقيد الملموس لظهور البروليتاريا و وجودها فى بلدان مختلفة . تظهر بروليتاريا أي بلد و تتشكّل فى سيرورة تاريخية ، سيرورة خاصة بذلك البلد " و بهذه الطريقة يتجاهل (مثل الكثيرين قبله ، و فى كافة البلدان **!**) ويستهين بالمدى الحقيقي للنشاط الإنساني و الممارسة الإجتماعية الذين يمثّلان أساس النظرية الصحيحة .

هنا نرى المرساة الفلسفية لقومية آجيث و هجومه على فهم أفاكيان للإمبريالية والثورة البروليتارية العالمية على أنّها " سيرورة عالمية واحدة " (67). ولا يقف الأمر عند هذا الحدّ . غمامات آجيث الأبستمولوجية تحول بينه و حصوله على إستيعاب شامل لكلّ من السيرورة العالمية ككلّ أو السيرورات المعقّدة التى تحدّد أي مجتمع . إنّ الإقتصادوية و الفكرالعمّالي و التذيّل للعفويّة ، ومقاربة الثورة على أنها قطعة – وجبة و إفتكاك السلطة هي تمظهرات لهذا الصنف من التفكير .

لقد شدّد أفاكيان على أهمّية النظر إلى طبيعة الواقع الإجتماعي المتعدّد المستويات ، لا سيما عند القتال ضد كلّ ألوان الإختزالية التى ستتجاهل أو تنكر التمظهرات الهامة السياسية منها والفنّية و الثقافية و الإيديولوجية للواقع الإجتماعي . (68) و فقط بفهم الواقع على هذا النحو يمكن للممارسة ، كلّ من الممارسة الثورية المباشرة و الممارسة الإجتماعية الأوسع فى العالم و فى كلّ بلد خاص ، أن تكسب معناها و مكانتها التامين و تخدم كقاعدة سليمة لتطوير نظرية ثوريّة صحيحة . عمليّا ، نوع تجريبية

آجيث و براغماتيّته ، بكلماته هو " فى العالم الحقيقي و لأجل مهام حقيقية للثورة ، له تبعات مدمّرة " (69).

" الممارسة المباشرة " لماركس و إنجلز لم تكن مصدر تطوّر الماركسية :

يشوّه آجيث الطريقة التى ظهرت بها الماركسية و تطوّرت ." الأفاكيانية مغرمة تماما بتقديم مثال مؤسّسي الماركسية . إنّها تدّعى أنّ ماركسو إنجلز توصّلا إلى خلاصة الماركسية إنطلاقا من النظرية الموجودة و ليس من الممارسة المباشرة . و مثلما لاحظنا سابقا هذا غير صحيح . إنخرط ماركس و إنجلز فى الصراعات الطبقيّة فى تلك الأيّام ،و أحيانا مباشرة " (70).

يساوى قول إنّ " الممارسة المباشرة " كانت محورية فى العمل النظري لماركس و إنجلز ، إعادة كتابة التاريخ (تذكّروا السنوات التى قضّاها ماركس على نفس المكتب فى المتحف البريطاني ؟) ؟ و الأهمّ من ذلك هو أنّ ماركس و إنجلز طوّرا نظريّتهما فى سياق خوض **صراع نظري** مع ممثّلين قياديين خاصة فى الميادين الحاسمة للفلسفة و الإقتصاد السياسي و الإشتراكية العلمية . هناك دائما **تجريدات نظرية** مختلفة (نظريّات) تظهر من نفس التجربة و الظروف الإجتماعية (سواء كانت " تجربة مباشرة " أم تجربة واسعة غير مباشرة ، بالمناسبة) و هناك **صراع** لتحديد أيّة تجريد صحيح أي أي تجريد يتناسب بصورة أقرب إلى الواقع . ما ينقصفى رواية آجيث هو واقع هذا الصراع حول الأفكار .

لقد بلغ ماركس **خلاصة** و أعاد صياغة فهم و وجهات نظر ثاقبة امفكّرين مثل ريكاردو و داروين و هيغل إلخ ، و تحليله و ملاحظته الثاقبة للتطوّرات السياسيّة و للصراع الطبقي إلى جانب ، بشكل ثانوي للغاية " تجربته المباشرة الخاصة فى بناء الأممية الأولى (أوّل محاولة لتجيمع منظّمات مختلف البلدان التى كانت تقاتلمنأجل العمّال و المضطهَدين و من أجل الإشتراكية) وما إلى ذلك . لا ينبغى على آجيث أن يستهدف أفاكيان بل لينين الذى فى مقاله الشهير **" مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة "** ، لم يكتب كلمة واحدة عن التجربة المباشرة لبماركس بل شدّد على الترابط بين ماركس ومدارس القرن التاسع عشر فى الفلسفة و فى الإقتصاد السياسي و فى الإشتراكية (71). وصف آجيث المقلوب رأسا على عقب لعمل ماركس ليس سوى إعتراف محتشم بتجريبيته و براغماتيته الخاصين .

يقول آجيث :

" دون أدنى إستنقاص من العمل الفكري الباهر لماركس و إنجلز ، يجب التشديد على أنّهما حثّا على التحزّب و ليس على شيء من النزعة البطولية الخارقة ليكونا علماء. لقد بلغا هذا من خلال سيرورة وعي عدم قدرة النظريات الموجودة على الإستيعاب الصحيح للواقع و التعلّم من الصراع الطبقي الدائر." (72)

عمليّا ، هذا الوصف لاتاريخي ويجعل من " التحزّب " صنفا ميتافيزيقيّا . لقد طوّر ماركس و إنجلز تحزّبهما بالأساس من خلال إكتشاف أنّ القاعدة العلمية لإلغاء التناقضات الطبقية العدائيّة والإستغلال و الإضطهاد تمرّ عبر الثورة البروليتارية . وُجد الكثير من أصحاب الأمانى المثاليّة ، بعضهم فهم ظروف الجماهير و تعاطف معها تعاطف لا يقلّ عن تعاطف ماركس وإنجلز . و قاتل البعض قتالا

بطوليّا و قدّموا حياتهم فى القتال من أجل كمونة باريس فى 1871 لكنّهم لم يطوّروا نظريّة علميّة للتحرّر و لهذا **لم يكن** فهمهم (أي خطّهم و نظريّتهم) متحزّبا للبروليتاريا (و من هنا وصف مثل هذه القوى فى **" بيان الحزب الشيوعي "** على أنّها تدافع عن " الإشتراكية الإقطاعية " و " الإشتراكية البرجوازية الصغيرة " إلخ) . (73)

نعم ، آجيث على صواب أنّه ثمّة علاقة بين التحزّب و الحقيقة ، لكن هذه العلاقة هي عكس ما يحاجج من أجله . إنّه **علم الماركسية ، تناسبها مع الواقع هو الذى يؤسّس فى النهاية إلى تحزّبها** .

و زيادة على ذلك ، إلصاق آجيث دور التحزّب بالبروليتاريا لا يعالج المشكل – ففى الواقع ، هذا لغو أو حجّة دائريّة تفترض ما يفترض أن تشرحه . يتعيّن علينا أن نسأل آجيث ، متحزب **من أجل ماذا ؟** هل كان ماركس متحزّبا للبروليتاريا أم هل كان برودون الإصلاحي ؟ أم سان سيمون المثالي ؟ التحزّب للبروليتاريا ليس شيئا بديهيّا بذاته . يفترض آجيث أنّ الإعتراف بهذا التحزّب لا يتطلّب " النزعة البطولية الخارقة ليكونا علماء " (مثلما يشوّه جهود ماركس و إنجلز الفكريّة) .

و مرّة أخرى ، نرى لماذا شدّد ماو على " صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي هي المحدّدة فى كلّ شيء " . (74) حتى الذين يلتزمون بالتحزّب و الولاء لطبقة و حتى الذين يعتقدون صراحة فى ذلك و يقدّمون عادة تضحيات ، سيواجهون مسألة ما إذا كان فهمهم يشرح علميا (بدقّة) الواقع و ما الذى يتطلّبه تغييره بإتجاه الشيوعية . هذا فى النهاية ما سيحدّد أيّة طبقة يمثّله عمليّا أي قائد أو خطّ سياسي .

لقد تحدّث ماو فى هذا الشأن على طريقته الخاصة التى لا يمكن محاكاتها :

" كان ماركس أيضا واحد منقسم إلى إثنين . تعلّم ماركس فلسفته من هيجل و فيورباخ و إقتصاده من ريكاردو الأنجليزي و آخرين و درس الإشتراكية الفرنسية . كلّ هذا كان برجوازيّا . و منه إنقسم الواحد إلى إثنين و أفرز الماركسية . دعونى أسألكم ، عندما كان شابا هل قرأ أبدا كتابات ماركس " (75)

لقد إضطلع ماركس بدور قيادي فى تطوير هلم الشيوعية عبر التفاعل بين إنجازاته النظريّة الخاصّة و أحداث وضع طبقي معقّد و صراعات سياسية و إجتماعية و إيديولوجية جدّت بأوروبا أواسط القرن التاسع عشر فى خضمّ نموّوتعزيز نمط إنتاج جديد ، الرأسمالية ، و بنيتها الفوقيّة . (76) و بالفعل ، عندما شرع ماركس و إنجلز فى نشاطاتهما السياسية ، إيديولوجيتهما يمكن وصفها بما نسمّيه الآن ب " الديمقراطية البرجوازية " ، ممثلين قوّة كانت وقتها فى التاريخ ، أواسط القرن 19 لا تزال فى مقدّمة النضال الثوري . و إلتزام ماركس و إنجلز بالتغيير الشامل للمجتمع شجّعهما بالتأكيد على الصرامة النظريّة ونقد النظريّات الموجودة ؛ و مع ذلك ، لكي يصبحا ماركسيين كان عليهما أن ينجزا قطيعة راديكاليّة ، بكلماتهم ، ل " تصفية الحسابات مع وعينا الفلسفي السابق " . (77)

يجب أن يقوم التحزّب على العلم :

لا ينكر أنصار الخلاصة الجديد لبوب أفاكيان العلاقة بين التحزّب الماركسي و قدرته على إكتشاف الحقيقة حول المجتمع . لكن مجدّدا ، يمضى آجيث بهذه العلاقة إلى الوراء . التحزّب للثورة البروليتارية يجب أن يقوم على فهم حقيقي (أي علمي) لواقع المجتمع الطبقي . دافع القيام بالثورة يمكن و يتعيّن أن يشجّع و يحثّ الأفراد على الحصول و المثابرة على الحصول على هذه المعرفة الضروريّة . و فى نفس

الوقت ، بقدر ما يكون عدد الناس الذين يفهمون نظريّا أن العالم لا يحتاج أن يبقى كما هو أكبر ، بقدر ما يمكن أن يندفعوا نحو النضال من أجل إيجاد عالم مختلف .

ينبغى أن يساعد على تمكين و تشجيع الممارسين لهذا العلم ، الشيوعيين ، على مواجهة الواقع بما فى ذلك كما وضع ذلك أفاكيان " الحقائق المزعجة " (78). يمكن أن نرى أنّ التحزّب ليس كافيا . لا يجب أن يرغب حقّا أي شيوعي فى المحاججة بأنّ ستالين لم يكن متحزّبا لقضيّة البروليتاريا . و بالرغم من ذلك فإنّه سقط فى الكثير من التفكير الخاطئ . و تحتاج أخطاؤه أننتظر فيها فى مجالات المنهج و المقاربة و التصوّر العلمي ، فى ما أسماه ماو " ميتافيزيقا ستالين " (79)أي فلسفته و مقاربته نو ليس فى إخفاق مدّعى فى التحزّب .

و فعلا ، بقدر ما تكثر معارفنا الخاصة بالعالم فى كلّ مظاهره ، بقدر ما تكون أفضل و أعمق قدرتنا على تغييره . و كما يضع ذلك أفاكيان :

" بطبيعة الحال ، لم يحصل أنّ عمل الشيوعيون وفقا لهذه الحقيقة الجوهريّة إذ وجدت تيّارات بارزة فى تاريخ الحركة الشيوعية نحو السقوط فى تبنّى أشكال مختلفة من " الحقائق السياسية " – بعبارات أخرى إعتبار حقيقّة أشياء **ليست** فى الواقع حقيقية لكن كانت تبدو حينها مناسبة لهم (وهي مقاربة شخّصها لينين فلسفيّا و نقدها على أنّها " الحقيقة كمبدأ منظّم " أو " تجربة منظّمة ") لكن الواقع يبقى أنّه كمسألة مبدأ أساسي ، الشيوعية كنظرة للعالم و منهج ترفض هذه المقاربات الأداتية و تعترف بالمبدأ الأبستيمولوجي الجوهري القائل بأنّ ، مثلما وضعت ذلك فى نقاش آخر ، " كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية ". (80)

و من جديد : كلّ ما هو حقيقة فعلا جيّد بالنسبة للبروليتاريا ، كلّ الحقائق يمكن أن تساعد على بلوغ الشيوعية. و الآن قارنوا هذا الذى يبدو مشابها بيد أنّه مختلف بعمق معه و خاطئ بعمق أيضا : كلّ ما هو جيّد للبروليتاريا صحيح . هذه " حقيقة سياسيّة " .

الدروس المكلفة ل " الحقيقة السياسية " :

لسوء الحظّ ، يمكن لما يسمّى بالتحزّب غير العلمي وغالبا جدا قد تداخل مع تفحّص الواقع تفحّصا صحيحا . و ينطبق هذا على حال تعمّد عديد الشيوعيين أن لا يواجهوا مواجهة مباشرة واقع ما حدث فى البيرو فى 1991 أين كانت تخاض حرب الشعب بقيادة ماوية . و حقّقت مكاسبا كبرى ثمّ واجهت تحدّيا غير مسبوق مع إيقاف لبّ قيادتها بمن فيها غنزالو ، رئيس الحزب الشيوعي البيروفي . و بينما كانوا فى السجن ، صدرت مواقف نُسبت إلى غنزالو تدعو إلى" إتفاقية سلام " و إيقاف النضال المسلّح .

و صرّح الحزب الشيوعي البيروفي و عديد مسانديه أنّ ذلك " خدعة " . و قَبِل عديد الشيوعيين بمن فيهم آجيث " نظرية الخدعة " دون أدلّة – و فى الواقع ضد أدلّة قويّة تثبت العكس . (81) ما كان يعتبر مفيدا سياسيّا أو ما كان يدافع عن هذه المدعاة " حقيقة سياسية " كان مفترضا أن يعرقل البحث فى الوقائع – ما أطلق عليه بعض المتحالفين الآن مع جيث " حقيقة الجرائد ". و لنستعمل صيغة لنا من الفقرة السابقة : إعتبر الإبقاء على آمال البروليتاريا العالمية فى إنتصار للثورة البيروفية جيّدا ، كما إعتبر جيّدا تزوير الحقيقة الفعلية لما كان يكشف عنه البحث و تكشف عنه الأدلّة بصدد موقف غنزالو .

و التبعات المأساويّة فى البيرو لهذا النوع من التفكير – تسبّب فى إضطراب و يأس حقيقي عندما لم يستطع أن يصمد أكثر أمام أدلّة أنّ غنزالو كان يدافع عن إتفاقيّة سلام و إيقاف حرب الشعب – تأكّد أنّ الثورة كان يمكن أن تكون فى وضع أفضل لو قادت الحقيقة التحزّب عوض العكس . و يبيّن هذا كذلك ، مفارقة ، أنّ التجريبيين و البراغماتيين مثل آجيث الذين يرفعون راية " البحث عن الحقيقة من الوقائع " فى تعارض مع البحث عن الصلات الباطنية و القفزة العقلية فى المعرفة بسهولة ينتهون إلى غضّ النظر عن الأحداث التى لا يجدونها مناسبة لهم .

تستهين مقاربة آجيث بالتحدّيات التى تنبع من السيرورة الصعبة و المعقّدة للثورة الشيوعية و التى تستدعى نظرية شيوعية متقدّمة . و بدلا من ذلك ، تفترض أنّ النظريّة و الوعي الثوريّين سيصبحان فى المتناول من خلال الرابط الذى لا ينفصم بالطبقة . قناعة آجيث العميقة الجذور بحتمية و "الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي ، الموقع المادي للطبقة " تمضى مباشرة **ضد** إستيعاب الحاجة إلى بلوغ فهم شامل و علمي لسيرورة الثورة البروليتارية . و الحاجة الحيوية للنضال و الوضوح فى مجال الأفكار و النظرية و الفلسفة و الفنّ و العلم و فى النهاية للنضال فى البنية الفوقيّة ، لا تبدو متمتّعة بمكانة كبيرة فى تصوّر آجيث للإعداد للثورة البروليتارية و القيام بها ، أي ، لبلوغ التقدّم التاريخي – العالمي نحو الشيوعية .

تمقت الماركسية صناعة المجموعة الخاصة من الحقائق و المبادئ . فعلى الشيوعيين أن يبذلوا قصاري الجهود لبلوغ حقيقة الأشياء ، و ليس **حقيقتهم هم** عن الأشياء . الأفكار الخاطئة هي خاطئة ببساطة لأنّها لا تتناسب مع الأشياء التى تدّعى تصويرها أوعكسها فى التفكير ، و ليس فقط لأنّه وقع تشكيلها لأجل غايات غير بروليتارية / غير شيوعية .

و نفس الشيء ، ينبغى أن نواجه مواجهة مباشرة تلك " الحقائق المزعجة " من تاريخ الحركة الشيوعية، أي ، تلك الممارسات و المقاربات فى التجربة الشيوعية التى تذهب ضد الدفع الشامل الإيجابي و التحرّري لتاريخ الثورة البروليتارية إلى يومنا . فحالما يقبل الناس بمفهوم الحقيقة الطبقية ، يغدو الخوض عمليّا فى التجارب السلبيّة للثورة البروليتارية أصعب بكثير ، و أقلّ ضرورة ظاهريّا و أقلّ إحتمالا . لما لا نتجاهل ببساطة الأخطاء ، حتى المزعجة منها ؟ أو نبرّرها بالعودة إلى نوايا أو إلى نتائج على المدى القريب ؟ بالفعل ، التفكير المشابه لتفكير آجيث سيعزّز على وجه الضبط هذه الأصناف من التيّارات التى وجدت بلا شكّ و تسبّبت فى الكثير من الضرر فى الماضي و إلى يومنا هذا .

تمكّننا مواجهة الواقع وإستيعابه كما هو من خلال المعرفة و المنهج العلميين من فهم كيفيّة تغيير الظروف العبودية المادية و الإيديولوجية للإنسانية كي نضع حدّا للإنقسام الطبقي و التناقضات الطبقية العدائية و كافة أشكال الإضطهاد و الإستغلال و اللامساواة و نتجاوزها . و تنبع الحاجة إلى الثورة الشيوعية من هذا الواقع . و يعتمد التحزّب للثورة البروليتارية العالمية على و ينهض على فهم علمي للظروف المادية و التاريخية القائمة . و ليس مخطّطا مثاليّا أو وصيّة أخلاقية فائقة ، و لا هو خطّة للبروليتاريا و المضطهَدين ليثأروا و يغتنموا فرصة تغيير ليصبحوا فى الأعلى .

VI - بعض النقاط عن الفلسفة و العلم :

و ينقد آجيث أفاكيان على أنّه فقّر الفلسفة لأنّ أفاكيان يؤكّد على المرساة العلمية للمادية الجدلية . و كما سنرى ، يبحث آجيث عن فلسفة تقف " أعلى " من العلم ، لا تحاسب فى علاقة بالواقع و ليست موضوع صرامة و عقلانيّة .

يحاجج آجيث :

" الفلسفة بلا شكّ لا تنفصل عن الواقع المادي و العلوم التى تحلّله لكن العلوم التجريبية ليست سوى مصدر من مصادر الفلسفة . فهي تنبع من كافة مجالات الوجود الإنساني بما فى ذلك الفنّ و الثقافة ، و تستقى منها قوام حياتها . جذورها تمتدّ ليس فى تفاعل الإنسان مع الطبيعة و حسب بل كذلك فى ذات المرء مع وجوده الخاص المادي والروحي . إنّ عظمة الفلسفة الماركسية تكمن فى قدرتها اللامتناهية على شمول و معالجة هذه الكلّية فى كافة خصوصياتها الباهرة . "(82)

و نشجّع القرّاء على التفكير مليّا فى الفقرة أعلاه بكلّ " خصوصيّاتها الباهرة " . أوّلا ، يقدّم آجيث فصلا غير جدلي و غير مادي بين مختلف مجالات النشاطات الإنسانية . وهو من جديد يضيّق بلا مبرّر مدى العلم إلى فقط " العلوم التجريبية " ثمّ يعلن كافة المظاهر الأخرى للوجود الإنساني فوق إختصاص البحث العلمي . ونزعة جوهرية فى حجّة آجيث هي تقليص العلم إلى فقط كشف الواقع المادي فى " التفاعل بين الإنسان و الطبيعة " . لا يمكن لآجيث أن يرى أنّه بينما " مجالات أخرى من الوجود الإنساني ، و منها الفنّ و الثقافة " هي فعلا مصادر للفلسفة ، هي أيضا متجذّرة فى و جزء من الواقع المادي المفهوم فهما جيّدا و لا يجب إستبعادها إلى مجال يطرد منه العلم.

آجيث يعلى الفلسفة فوق العلم ، و يحاجج بالفعل أنّ للفلسفة قوّة تفسيرية أعلى و أشمل . (83) نظرة آجيث فى تناقض حاد مع العلاقة الصحيحة التى عبّر عنها ماو (والتى شدّد عليها تكرارا أفاكيان) ألا وهي " الماركسية تشمل و لا تعوّض " العلوم الطبيعية و المجلات الفكرية و الثقافية المختلفة الأخرى . (84) ولننظر إلى كيف يعرض أفاكيان هذا :

"" يقول ماو (على ما أعتقد فى " فى الممارسة العملية ") إنّ المادية الجدلية شمولية لأنّه من غير الممكن لأي شخص أن يعرب من مجالها فى الممارسة العملية . و الآن يخطرلى أن أفكرّ بأنذ هذا موقف صحيح وموقف هام لكن أي شخص سيقول " إنتهى النقاش " عوض بمعنى ما الشروع فى المزيد من النقاش و المزيد من العمل ، يخفق فى فهم المسألة ، برأيى ... مجرّد أن تكون ماديّا جدليّا لا يجعلك تعرف نظرية إنشتاين حول الجاذبية أو ميكانيكا الكانتوم أو أي شيء كان . لا يزال عليك أن تلج هذه المجالات و تفهمها و سيظلّ هناك الكثير للتعلّم دائما . أعتقد أنّه بقدر ما تكون قادرا على تطبيق المادية الجدلية بقدر ما تكون قادرل تماما على فهم الأشياء. لنقل إنّى أحاول أن أطبّق المادية الجدليّة لكنّى لا أعرف شيءا عن الفيزياء و الفيزيائيين الذين لا يتبنّون الماديةالجدلية و ربّما هم معارضون لها بشدة ... من المهمّ عدم الخلط بين الأمرين . هذه هي نقطة " تشمل لكن لا تعوّض " كما أفهمها . و أيضا إنّها تعنى لى أنّه ، فى أيّ مجال ، بما فى ذلك مجال الفلسفة ، الناس الذين لا يطبّقون المادية الجدلية و كثيرا ما يعارضونها ، يمكن أن يضعوا أصابعهم على مظاهر هامة من الواقع ... الشيوعيون مناّ لم يفهموها فى زمن معيّن . " (85)

إلى الدرجة التى يقبل فيها آجيث بالعلاقة بين الماركسية و العلوم الأخرى ، يراها **علاقة تراتبية** تمثّل فيها الماركسية " مستوى أرقى من التجريد ". و مع ذلك ، " تشمل و لا تعوّض " تعنى الإنطلاق من المعرفة المتحصّل عليها من كافة مجالات العالم الواقعي **بكلّ** من مكوّناته الطبيعية و الإجتماعيّة و تلخيصها . الماركسية لا تستطيع أن تملى أشياء على العلوم الأخرى مثلما يريد ذلك آجيث من خلال تشديده على ما يسمّى بالمبادئ الجوهرية التى لا تقبل مساسا بها (وسنعود إلى النقطة) . و إنّما يمكن للماركسية و يجب عليها أن تستوعب ما يقع إكتشافه فى المجالات الأخرى و بالقيام بذلك يجب عليها أن تتطوّر .

مكانة الفلسفة فى الماركسيّة :

لنخطو خطوة إلى الوراء و نرسم تطوّر الفهم الماركسي لمكانة الفلسفة و دورها فى تطوّر المعرفة الإنسانية مع العلم الذى أصبح أكثر تقدّما بكثير .

فى سيرورة تصفية الحسابات مع فهمه السابق الذى كان لا يزال يركب جذوره الهيغليّة ، كتب ماركس :

" عندما يلتقط الواقع [أي يشرح موضوعيّا و علميّا] تفقد الفلسفة كفرع مستقلّ من المعرفة وسيلة وجودها . و فى أحسن الأحوال يمكن لمكانتها أن توجد بتلخيص النتائج و التجريدات الأعمّ التى تبرز من ملاحظات التطوّر التاريخي للبشر ".(86)

و كتب إنجلز فى **" ضد دوهرينغ "** التالى فى السياق عينه :

" تعتبر الماديةالمعاصرة ديالكتيكية فى الجوهر و لا تحتاج مذ ذاك إلى أي فلسفة تقف فوق العلوم الأخرى . و ما أن يضع كلّ علم على حدة أمامه مهمّة إيضاح مكانه فى الترابط العام للأشياء و المعلومات عن الأشياء ، تزول الحاجة إلى وجود علم خاص حول ذلك الترابط العام . و حينئذ يتبقّى من مجموع الفلسفة السابقة الوجود المستقل للتعاليم الخاصة بالتفكير و قوانينه أي المنطق الشكلي و الديالكتيك . و يدخل الباقي كلّه فى العلم الإيجابي عن الطبيعة و التاريخ ". (87)

يشير ماركس و إنجلز إلى واقع أنّ المشاكل الجدّية التى كانت فى السابق تعتبر مسائلا فلسفية و لاهوتية (مثلا أصل الكون ، أصل الحياة ، تطوّر الوعي الإنساني إلخ) باتت تبحث فيها أكثر فأكثر العلوم الطبيعية .

و مع ذلك ، فى الإستشهادات أعلاه ، كان ماركس و إنجلز إحاديي الجانب فى معالجتهم للفلسفة . فمن الخاطئ الإيحاء بأنّه لن يظلّ هناك دور للفلسفة فى البحث العام عن المعرفة . إذ للفلسفة دور لا بدّ منه فى صياغة الأفكار والمفاهيم و توضيحها وتنظيمها . و على سبيل المثال ، هناك دور وحاجة شرعيين لفلسفة الرياضيّات و اللغة و الأخلاق . و تلاحظ المادية التاريخية و تصف و تحلّل الظواهر و الأحداث و العصور الإجتماعية التاريخية . إنّها تشمل كلّ من الملاحظة التجريبية للمعطيات و التصوّر المناسب لإطارها والتنظير إليها وهي تستند إلى الفلسفة المادية الجدلية .

وقدلاحظ أفاكيان أنّ له " بعض الإختلافات الهامة مع حجّة إنجلز تلك " (88):

" أودّ أن أقسم ذلك إلى إثنين . فمن جهة ، أعتقد أنّ جوهر ما يرمى إليه إنجلز أنّه من الآن فصاعدا ، حالما تكون لدينا نظرة و منهج ماديين جدليين ، هو مسألة البحث عن الروابط بين الأشياء فى العالم

الواقعي و ليس فى خيالات أذهان الناس . بهذا المعنى ، لا أتّفق معه و حسب ، بل أعتبر ذلك هاما . ومن الجهة الأخرى ، إن كان ب " نهاية الفلسفة " يعنى مظهرا يمكن أن يؤوّل على أنّه لم تعد ثمّة حاجة للتفكير فى الفلسفة ، عندئذ لن أوافق على ذلك " (89)

ومع ذلك ، مهما كانت الأخطاء التى إقترفها ماركس و إنجلز فى تقييمهما للدور المستقبلي للفلسفة ، فإنّ خطأ آجيث أكثر جوهريّة و أكثر ضررا . فبالنسبة له " عظمة الفلسفة الماركسية " (90) التى يرغب فى بعثها من جديد هي تحديدا الدور **الخاطئ** للفلسفة الذى ندّد به و بشدّة ماركس وإنجلز ذلك أنّ آجيث يرغب فى أن تتحكّم الفلسفة فى بقايا " مجموع العلوم "، مثلما وضع ذلك إنجلز ، بينما الفلسفة نفسها تحجب بإنتباه عن الصرامة و العقلانية . إنّ آجيث يعيد تركيز الفلسفة فى دور " الوقوف فوق العلوم الأخرى " الذى سخر منه إنجلز فى الإستشهاد أعلاه .(91)

وينقد آجيث موقف أفاكيان القائل إنّ:

" يمكن أن نقول **ببساطة** إنّ الشيوعية علم ، **بمعنى أنها تشتمل على عناصر أخرى** بما فى ذلك الأخلاق التى هي ، متحدّثين بدقّة ، **خارج دائرة العلم . لكن كلّ هذا لا يمكن فصله عن العلم** ؛ وهو فى النهاية و جوهريّا يقوم عليه ، شأنه فى ذلك شأن إعادة ترسيخه بإستمرار على ما هو صحيح كما تحدّده مقاربة و منهج علميين و لا شيء آخر" (92)

و بالنسبة لآجيث :

" مدهش كفاية ، يقال هذا بينما يدعى أنّه يقدّم فهما صحيحا للعلاقة بين العلم و الفلسفة . إلى جانب " الأخلاق" و " عناصر أخرى " أشار إليها أفاكيان على أنّها تشكّل الفلسفة الشيوعية هي " النظرة و المنهج " . و ضمنها ليس بوسع " المنهج " " أن يظلّ بدقّة خارج دائرة العلم . ما هو فلسفي بجلاء يقلّص بالتالي إلى " الأخلاق و النظرة " . و هكذا ما يقدّم على أنّه دفاع عن المنهج العلمي فى الفلسفة ينتهى إلى إفقار الفلسفة . " (93)

آجيث يفصل بين الفلسفة و العلم :

ما يزعم آجيث أنّه " تفقير للفلسفة " هو تشديد على أنّ الفلسفة فى نهاية المطاف **" ليست منفصلة عن العلم "** . إنّ أفاكيان يؤكّد على أنّ فهمنا يجب أن يعتمد جوهريّا على إستيعاب دقيق للعالم المادي . لا شيء يمكنه أن ينفصل عن هذا أو يستخدم كورقة رابحة .

كلّ البحث و النقاشات الفلسفية تتطرّق بطريقة صحيحة أو غير صحيحة إلى نفس الواقع المادي . و بالتأكيد يمكن للنقاش و الجدال الفلسفيين أن يساهما و هما يساهمان فى البحث الفكري الشامل و البحث الإنساني و فى السيرورة العامة للتلخيص و التنظير . و الفلسفة شكل شرعي و ضروري من الوعي و البحث . ليست هي العلم ذاته . و مع ذلك ، فى النهاية صلوحية أي إقتراح أو نظريّة ، بما فى ذلك الفلسفة نفسها ، ستتحدّد بمدى حسن خوضها فى الواقع المادي و تناسبها معه . و بالفعل ، عموما الدين و المثاليّة هما اللذان يشدّدان بصوت عالي على أن لا تكون النظرة للعالم موضع إختبار التناسب مع الواقع المادي . و من المؤسف أن نجد من يعتبرون أنفسهم ماويين مثل آجيث ويشعرون بضرورة المطالبة بالإستثناء ذاته .

مثلا ، هل أنّ عدم وجود إلاه مسألة فلسفيّة فحسب مثلما سيحاجج منطق آجيث و مثلما يقرّ بذلك حتى عديد اللاأدريين و التشكيكيين؟ لا. كان الفلاسفة يحاججون بشأن وجود إلاه لآلاف السنين ، لكن فى النهاية هذه مسألة علمية : يمكن للعلم أن يرسي وهو يرسي عدم وجود إلاه . و المشكل هو أنّ آجيث يسمح بوجود مجال آخر وبالفعل أعلى من المعرفة يتجاوز العلم و يتخطّاه . هذا هو اللبّ الحقيقي لتهمته بالعلماوية – **يرغب آجيث فى الحصول على إيديولوجيا لا تحتاج لأن تكون موضع إختبار التناسب مع الواقع .** و على ضوء هذا علينا أن نلاحظ أنّ آجيث هو الذى يفقّر الفلسفة الماركسية المادية الجدلية بفصلها عن العلم و أساس تواصل إغنائها بالتغذّى من الحقائق التى تكتشف بإستمرار فى كلّ العلوم الإجتماعية والطبيعية ، و الصراع الطبقي والرؤى الثاقبة الأخرى من الحقول الأخرى للنشاط الإنساني .

أمّا بالنسبة لما يدّعى أنّه إستهانة أفاكيان بالفلسفة ، يمكن لآجيث أن يأمل فحسب أنّ قرّاءه ليسوا متعوّدين على الكتابات المطوّلة لأفاكيان بصدد الفلسفة الماركسية والمواضيع الفلسفيّة . و من ذلك مثلا :

" والآن ما أتحدّث عنه هنا يشمل مسألة الدين و " الروحانيّات" (أو " الروح " كما يشار إليها أحيانا) و علاقتها بالماديّة الجدلية ، ما يمثّل مقاربة شاملة و منهجيّة للواقع والقوى المحرّكة للواقع ... الإنسان (أو الناس) " ليس بوسعهم الحياة بالخبز فقط " . الشيوعية تعترف بهذا و تعانقه ... لا تتركنا الشيوعية و نظرتها و منهجها الماديين الجدليين بلا شيء عدا " القوانين المادية الباردة " ... عندما نتحدّث عن البحث عن " الروحانيّات " أوّل ما يجب أن نقوله هو إنّ هذا لا يمكن أن ُيفهم أو يُقارب بتجرّد من أو بتجاهل العلاقات الإجتماعية التى فيها يقع هذا عمليّا ... الشيوعية لن تضع حدّا – و لا أحد يعنى إلغاء – الرهبة و العجب و الخيال و " الحاجة إلى الإنبهار " ... كجزء من – نظرة ومنهج علميين منهجيين وشاملين لفهم الواقع و تغييره. ينبغى علينا أن نفهم أنّه ثمّة هنا وحدة . نعم ، هي وحدة أضداد ." (94)

قارنوا ما ورد أعلاه بالموقف السابق عليه لآجيث بأنّ الفلسفة " جذورها تمتدّ ليس فى تفاعل الإنسان مع الطبيعة و حسب بل كذلك فى ذات المرء مع وجوده الخاص المادي والروحي " . بديهيّ أنّ أفاكيان ليس ينكر أهمّية أو دور الأخلاق و القيم أو حصرا دورها فى الفلسفة و بالعكس هو يعيد الحيوية لنقاش هذه المواضيع . و مع ذلك ، آجيث يطالب بأن توجد العناصر الروحية للوجود الإنساني فى مجال مختلف تماما خارج الهيكلة الماديّة للمجتمع . و هذا تعبير واضح آخر من قبل آجيث عن الثنائيّة ،" نقاش" المادتين " فى الفلسفة الروح والمادة الذى هو فى آن معا نتاج للدين والمثالية ومظهر لهما.

و على سبيل المثال ، فى نقاش التمييز بين التفسيرات غير المادية لمصادر المعنى ، يقول أفاكيان : " أجد نفسي مرّة أخرى مضطرّا لقول كلمة من أجل العلم والماديّة . ليس **لإستبعاد** مسألة المعنى ، لكن ل**معالجة** هذه المسألة " (95). ولاحقا فى العمل ذاته يشير أفاكيان إلى :

" ما أعنيه هو الناس يواجهون الطبيعة و يخوضون فيها و يتعلّمون بشأنها و يغيّرونها ويغيّرون أنفسهم و علاقاتهم و تفاعلاتهم و تفكيرهم ، بأنفسهم و بمبادرتهم الخاصّة ، دون تدخّل وسائل وهميّة وخياليّة لمحاولة القيام بذلك ... و يتضمّن هذا إعطاء الناس بأنفسهم معنى و هدفا للوجود الإنساني إنطلاقا من الظروف الإجتماعية المنغمسين فيها و التى يغيّرونها فى أي زمن معطى... " (96)

و يرى آجيث المادية كتهديد لإيلاء مكانة ل" مظاهر أخرى من الوجود الإنساني ". فى أفضل الأحوال، يريد أن يترك " العلوم التجريبية " تعالج الظروف المادية للحياة و الطبيعة بينما يخصّ الفلسفة ب

" المجالات الأخرى للوجود الإنساني " . و من هنا تنبع خشيته بالعلماوية المدعاة لأفاكيان و تنديده بها ، العلماوية التى يعنى بها حقّا أنّ المسائل الجوهرية للإيديولوجيا يجب أن يقع إبعادها عن العلم و المادية .

و يبرز جيّدا النقاش دلالة العمل النظري لأفاكيان وتأكيده للموقف الفلسفي لماو حول العلاقة الجدلية بين المادة و الوعي و تداخلهما و تحوّل الواحد إلى الآخر ، ودفاعه عنه و مزيد تطويره . فالمادية لا تعرقل دور الجانب الروحي للناس و لا تجعله غير ذى جدوى ، بل بالأحرى توفّر الأساس الحقيقي للفهم الصحيح لهذه المظاهر من الإنسانية و تعترف بالدور القويّ الذى يمكن و يجب أن ينهض به الوعي الإنساني فى تغيير الظروف المادية والإجتماعية ، بما فيها الناس أنفسهم .

مقاربة آجيث شبه الدينيّة للمبادئ الأساسية للماركسية :

فى هذا الجزء من نقاشنا سنردّ على إدعاء آجيث بأنّ " الأفاكيانيين " يتعاطون مع " الممارسة على أنّها عرضيّة فى تطوّر الإيديولوجيا " (97). و يرتبط هذا بفهم غالط للتحقّق من الحقيقة و كيف أنّ النظرية يمكن و يجب أن **تسبق الممارسة** لأجل قيادة العمل الثوري و بأي معنى من الصحيح الحديث عن المبادئ العالمية و الجوهرية لعلم ، بما فى ذلك الماركسية .

نعم ، يتمّ بالفعل إختبار النظرية و فى النهاية التثبّت منها فى الممارسة العملية و سنضيف بصفة متكرّرة. غير أنّ آجيث مرّة أخرى يشوّه هذه السيرورة – و هنا سننظر فى مظهر من مظاهر هذا التشويه . فحسب آجيث فى الحركة الشيوعية ستظهر " أفكار و ممارسات جديدة " لكنّ " رفعها إلى مستوى إيديولوجي يحتاج إلى إختبارها لفترة طويلة " (98)

و مثلما رأينا آنفا ، يقصد آجيث ب" الإيديولوجيا " صنفا خاصا من الحقائق ، من " التجريدات الأخرى" التى هي أعلى من العلم . و هنا نراه يشرح أنّه حالما يتمّ تركيز هذه الفرضيّات تصبح نوعا من مواد الإيمان لا تجب بعدئذ مساءلتها .

هنا نودّ أن نعود إلى نقد الحزب الشيوعي الثوري سنة 2007 المذكور قبلا ، نقد مقال خطّه آجيث و جاء فيه : " رغم أنّ مثل هذا التقدّم الجديد فى الماركسية يتأتّى من التطبيق العملي و التثبّت من الصحّة عبر الممارسة فى بلد معيّن ، فإنّه يتضمّن بُعدَ العالمية بالتحديد لأنّ الأسس تقوده . " و فى الردّ على ذلك ، أشار الحزب الشيوعي الثوري إلى أنّ آجيث : " لا يحاجج بأنّها عالمية لأنّها صحيحة عالميّا ، بل بالأحرى لأنّها تتناسب مع أو لأنّها تقوم على ،" مبادئ " الماركسية . لقد غيّب المعيار الموضوعي للحقيقة ، أنّها تعكس الواقع المادي ، و يترتب عنها معيار آخر مناقض حيث حقيقة بعض الأفكار أو النظرية (" عالميتها ") يحدّدها إنسجامها مع الأسس التى أقيمت عليها ." (99)

و يضع آجيث المسألة على النحو التالى :

" خطّ حزب ماوي فى بلد ما يتطوّر بالتطبيق الخلاّق لشمولية الماركسية – اللينينية – الماوية على الظروف الملموسة الموجودة هناك . و هذه الشمولية تتناسب بعدُ ، بالمعنى العام ، مع الواقع المادي هناك. و ذلك كذلك لأنّ تجارب التطبيقات الخاصّة التى منها نبعت (إلى درجة كبيرة) قد قدمنا وقع إختبارها فى الواقع الموضوعي . .. بعدُ يتضمّن التطبيق الخلاّق للماركسية – اللينينية –الماوية شمولية على وجه الضبط لأنّها مرشد و إختبارها عبر الممارسة فى واقع مادي معيّن ، ظروف البلاد الملموسة، يثرى بالعكس شمولية الماركسية . " (100)

هناك خطأ عميق فى كيف أنّ آجيث يرى العلاقة بين " المعرفة الحسّية " و النظرية و خاصة العلاقة بين تقدّم الماركسية العام و تجربة تطبيقها فى بلد معيّن . و تعبير من تعبيرات ضيق نظرة آجيث التجريبية و القومية لهذا هو إخفاقه فى إيلاء أية عناية ملموسة لدروس الثورات فى الإتحاد السوفياتي و الصين . إعتمادا على تلك التجربة غدت " المعرفة الحسّية " و كذلك غدت الخلاصات النظرية المطوّرة لثورات القرن العشرين أوسع و أغنى و أعمق أضعافا مقارنة بتجربة الشيوعيين فى القيام بالثورة فى فترة ما بعد وفاة ماو المهمّة لكن للأسف المحدودة للغاية . وفق آجيث ، تقريبا بعد أربعين سنة منذ وفاة ماو ، يجب على الحركة الشيوعية أن تفهم أنّها فى سيرورة " لا يمكن للتطوّر الكمّي فى إطار التطوّر الإيديولوجي إلاّ أن يفهم كمراكمة ل " المعرفة الحسّية " فى مسار الثورة . " (101)

ببساطة من غير الصحيح ما ذهب إليه بعض الرفاق من أنّه أوّلا ينبغى أن توجد المزيد من إفتكاكات السلطة السياسية الناجحة من قبل البروليتاريا ، متبوعة بفترة مديدة من البناء الإشتراكي والثورة الإشتراكية و فقط **حينها** ، بعد (بكلمات آجيث) " إختبارها لفترة طويلة " يمكن أن تحصل قفزة أخرى فى النظريّة الشيوعية .

بالعكس ، تجربة الثورة البروليتارية فى القرن العشرين فى منتهى العمق والثراء وهي المصدر الرئيسي الذى منه إستطاع أفاكيان أن يطوّر المزيد من النظرية الصحيحة (على أنّها لم تكن الوحيدة – فقد إستفاد أفاكيان من تجارب صراعات ثوريّة أخرى و التطوّرات فى المجتمع و الفنون و العلوم) حول طبيعة المرحلة الإشتراكية الإنتقالية إلى الشيوعية و الصراع الثوري بصفة أعمّ .

و فى حين أنّ كلّ القوانين العلمية موضوع تحقّق فى الممارسة العملية ، فإنّ مثل هذا التحقّق ليس بالضرورة تحقّق " واحد لواحد " و مباشرة . فالفهم العلمي يتقدّم كذلك عندما يقع إيجاد تفسير للظواهر الملاحظة بعدُ و ليس فقط الظواهر التى ليست بعدُ ملاحظة ، و بالفعل ينهض الصراع حول أفضل نظرية تشرح مجموعة من الظواهر الملاحظة بعدُ بدور مهمّ عموما سابقا التحقّق الأخير منه فى الممارسة العمليّة . وهنا مجدّدا تكمن أهمّية تفحّص المفاهيم المختلفة للثورة الشيوعية على ضوء تاريخ الثورات التى جدّت عمليّا و ما نعرفه عن المجتمعات الإشتراكية التى وجدت فى السابق.

و علاوة على ذلك ، عندما يحدث تقدّم فى الفهم ، حقيقته لا تتأكّد بالضرورة بالتحقّق المباشر ، أو خلال ايّة فترة زمنية معيّنة . فالخطوات المتقدّمة التى خطاها لينين فى فهم دكتاتورية البروليتاريا كما يتكثّف ذلك فى عمله الحيوي **" الدولة و الثورة "** تطوّرت قبل ثورة أكتوبر ؛ و بالفعل ، كان سقالة نظريّة هامة دونها لم تكن ثورة أكتوبر لتقع .

لحسن الحظّ ، جرى التجريب السريع لنظريّة لينين و التحقّق منها غير أنّ نظريّته لم تكن لتكون **أقلّ صحّة** لو أنّ ثورة أكتوبر أخفقت ، وهو أمر كان محتملا ، لأسباب ليست ناجمة عن أخطاء فى نظريّته . و العكس صحيح أيضا : مكاسب ستالين فى بناء الإشتراكية تداخلت مع سلسلة من الأخطاء النظريّة و كذلك أخطاء سياسية هامة . و بإستعمال نوع منطق آجيث ، كان غالبية شيوعيي تلك الحقبة يقبلون عامة بأنّ نظريّات ستالين قد " وقع إختبارها لفترة طويلة " و بالنسبة لمعظم الحركة الشيوعية العالمية، هكذا " رفعت إلى إيديولوجيا " .

إنّ " الإختبار " التجريبي الضيّق لآجيث فى النهاية يعنى أنّ " كلّ ما يعمل صحيح " و فى الواقع سيقود إلى مفهوم الحقيقة " القوّة تخلق الحقّ ".

فى مقال " **ضد الأفاكيانية** " يقرّ آجيث بحدود كيف كان يقارب ما أسماه التمييز بين " الأساسيات و النماذج " . لكنه يريد أن يتمسّك بنموذج خاص من الحقائق الأعلى :

" حاولت تحديد هذه المبادئ بإقتراح أنّ مثل هذه المبادئ يجب أن تتميّز عن النماذج التى وقعت الإطاحة بها عند تطبيقها . و هذه المقاربة مفيدة فى بعض الظروف . لنأخذ مسألة هامة موضوع حديث دائر حاليّا ، دكتاتورية البروليتاريا . ضرورتها الحيوية طوال المرحلة الإنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية مبدأ ماركسي أساسي لا يقبل المساس به . و الآن الطريقة الخاصة التى جرى بها تطبيقه فى الإتحاد السوفياتي كانت تعتبر فى نقطة معينة على **التطبيق** وجرى تقديسها على أنّها جوهرية . و مع ذلك ، لاحقا وقع نقد أخطائها و طوّر ماو تطبيقا مختلفا نوعيّا . التمييز بين " الأساسيات / النماذج " يمكن أن يساعدنا على فهم هذا . بيد أنّه حتى حينها ، كانت له قيمة محدودة . و أمثلة المبادئ التى عرضها الحزب الشيوعي الثوري التى إعتبرت أساسية فى لحظة ما و لاحقا وقع التخلّى عنها بإعتبارها خاطئة أو عفا عليها الزمن تبيّنان بالتأكيد هذا . و بالرغم من ذلك ، يظلّ أمرا واقعا أنّ حلاّ مرضيا لما يمثّل أهمّ المبادئ الأساسية للماركسية لم يُدرك بعدُ. موقفها ، وجهة نظرها و منهجها لا شكّ أنهم يكمنون فى اللبّ. لكن هذا ليس كلّ شيء . المواقف الإيديولوجية كذلك جزء منها . " (102)

و يستخدم آجيث تارة مصطلح مبدأ و طورا الحقيقة العالمية ، لكن من الواضح من الإطار أنّها بالنسبة إليه تعنى الشيء نفسه . و المشكل الخاص الذى حدّده لنفسه هو البحث عن صيغة تخوّل له أن يحدّد جملة من المبادئ و الحقائق العالمية التى لا يجب أن تنتهك حرمتها والتى لن تعود موضع الإنقسام إلى إثنين ، كما شدّد على ذلك ماو .

الحقيقة المطلقة و الحقيقة النسبية وتقدّم المعرفة :

من المبادئ الأساسية فى المادية الجدلية مبدأ كيف نفهم العلاقة بين الحقيقة المطلقة (التى تدلّ على مجمل المعرفة الممكنة للواقع المادي) و الحقيقة النسبيّة و الطبيعة التقريبية لمعرفتنا الفعلية الموجودة للواقع . و هذه النقطة طوّرها مطوّلا إنجلز فى " **ضد دوهرينغ** " و لينين فى " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " (103). و يضع أفاكيان المسألة على النحو التالي : " لقد أنجزت الشيوعية إختراقا فى فهم العالم – إختراقا مع المادية الجدلية . بيد أنّ هذا لا يعنى أنّنا نفهم كلّ شيء عن المادية الجدلية فى كلّ وقت معطى – أو أنّنا سنفعل أبدا – و كتفكير أعمق ، لا يعنى أنّنا نفهم كلّ شيء عن الواقع و الكون ، أو سنفهم كلّ شيء عنهما "(104).

ولنعد إلى مثال آجيث حول دكتاتورية البروليتاريا . إنّه مبدأ من مبادئ الماركسية صالح وقع إرساؤه علميّا و عالميّا . إلاّ أنّ فهمنا الراهن لدكتاتورية البروليتاريا **ليس** نفسه حقيقة مطلقة تتحدّى التغيير و لا يمكن الإختلاف إلاّ فى تطبيقها ، كما يحاجج آجيث فى المقتبس أعلاه .

نظرية دكتاتورية البروليتاريا ليست مفهوما أفلاطونيّا و مثاليّا و خالصا كان ينتظر أن يقع إكتشافه – إنّها **تجريد علمي** أنجزه أوّلا ماركس و إنجلز على أساس تلخيص قدر كبير من التطوّر التاريخي و السيرورة الثوريّة و ما إلى ذلك . و وُجد الكثير ممّا لم يكن كاملا كما وُجدت حتّى عناصر كانت خاطئة فى الصياغة الأولى لنظرية دكتاتورية البروليتاريا من قبل ماركس .

و كذلك ، رأينا أنّ فهم لينين و ماو و أفاكيان لدكتاتورية البروليتاريا قد تطوّر عبر مراحل و مظاهر هامة من الفهم السابق جرى النظر إليها على أنّها غير تامة أو خاطئة جزئيّا ، بينما أضحى تصوّر دكتاتورية البروليتاريا أغنى . و كلمتي دكتاتورية البروليتاريا يمكن أن تستعملا و إستعملتا لتعكسا برامجا سياسية ونظرات للعالم مختلفة ومتعارضة تماما .

مثلا ، تمّ الإنقلاب المعادي للثورة فى الصين فى 1976 إثر وفاة ماو تسى تونغ تحت يافطة حماية دكتاتورية البروليتاريا من أتباع ماو . لذا بوضوح من غير الكافى القبول بالمبدأ العالمي لدكتاتورية البروليتاريا ك" موقف إيديولوجي " ، مثلما يحاجج آجيث ، و مجرّد نقاش تطبيقه ؛ كان لا بدّ من مزيد تعميق **الأسباب** التاريخية و المادية لدكتاتورية البروليتاريا و **مضمونها** . وبالفعل ، نقاش من هذا القبيل كان إلى درجة كبيرة فى موقع القلب من صراع الخطّين فى الصين الذى خيض فى السنوات التى سبقت الإنقلاب (105). و مجرّد معرفة الموقف الإيديولوجي حول دكتاتورية البروليتاريا لم يكن كافيا لتمكين العديدين فى الصين أو فى الحركة الماوية عالميّا من التمييز بين الماركسية و التحريفية ، بالضبط مثلما أنّ معرفة مبدأ دكتاتورية البروليتاريا لم يتكشّف أنه قد ساعد فى أي شيء آجيث على فهم التخلّى التحريفي عن الثورة فى النيبال ، التخلّى الذى كان هو من مدّاحيه (106).

فى أيّ مجال علمي توجد جملة من الأعمال المركّزة التى بيّنت تناسبها مع الواقع الموضوعي و تخدم كأساس لمزيد التقدّم . غير أنّ هذه السيرورة ستتشمل بالضرورة إعادة تفحّص المبادئ و المقدّمات و المفاهيم ، لا سيما عند نقاط تطوّر علم معيّن حيث يستدعى الأمر قفزة فى الفهم لشرح أصحّ لظواهر متباينة .

و يذكر آجيث أفاكيان فى هامش من هوامش مقاله يشرح فيه هذا الأخير طريقة هامة وفقها يتقدّم العلم الأصيل : " طبعا من الممكن أنّ نظرية علمية صحيحة – تعكس الواقع بطريقة صحيحة – فى مظاهرها الأساسية لكن يتبيّن أنّها خاطئة فى بعض مظاهرها الثانوية – و فى إنسجام مع ذلك ، يتبيّن أنّ بعض توقعاتها الخاّصة ليست صحيحة . و حين يكون الأمر كذلك ، يؤدّى تطبيق المنهج العلمي إلى مزيد تطوير النظريّة – عبر إستبعاد أو تحوير بعض المظاهر و إضافة عناصر جديدة إلى النظرية " (107). ثمّ يمضى آجيث إلى إضافة : " يقوم هذا على فرضيّة أنّ مفهوم بوبر لقابلية الخطإ ينطبق تماما على الماركسية " . و علاوة على تشويه آجيث الواضح لما قاله أفاكيان بإضافة عبارة " **تماما** " بعد " قابلية الخطإ " ، فإنّ هذا الدحض المفترض لأفاكيان هو فى الواقع فضح آخر لآجيث نفسه .

أفاكيان على صواب حينما يشدّد على أنّ الماركسية ، شأنها شأن أي علم ، يمكن ويجب أن تستبعد وتحوّر مظاهرا من فهمها السابق و تضيف عناصرا جديدة عندما يتبيّن أنّ مظاهرا ثانوية ليست صحيحة. أين الخطأ فى هذا ؟ تؤدّى حجّة آجيث يصورة لا مفرّ منها إلى إستنتاج أنّ هذه النظرة للماركسية **لا تحتاج** أن تستبعد المظاهر التى تبيّن أنّها غير صحيحة .

لقد راينا قبلا إستبعاد آجيث للمنهج العلمي فى رفضه القبول بأنّ الماركسية يمكن أن تكون موضع معيار قابليّة الخطإ . كتب آجيث :

" لنتذكّر ملاحظة ماو بأنّه بالرغم من إمتلاك [قوى] افكارا صحيحة تمثّل الطبقة المتقدّمة فإنّه من الممكن أن تمنى بهزيمة نظرا لضعفها النسبي . بمنطقه ذاته ، معيار إمكانية الخطإ لا تستطيع أبدا أن

تشمل هذا التناقض الظاهري . بالنسبة له ، الإخفاق مجرّد إخفاق و دليل قاطع على عدم العلمية . و هكذا دفاع أفاكيان عن الماركسية بائس بشكل مميت ." (108)

عمليّا مثال آجيث لا يفعل أيّ شيء ليدلّل على نقطته و يبيّن حقّا فقط مدى خطإ فهمه للماركسية .

لا يدحض " الفشل " فى أي نشاط ماركسي خاص ، مثل محاولات الثورة فى أي بلد معطى فى أي زمن معطى المبادئ الجوهرية للماركسية ، من مثل الحاجة إلى الثورة و دكتاتورية البروليتاريا . هذه المبادئ الجوهرية ، كما ناقشنا آنفا حول دحض أفاكيان لبوبر ، هي موضع قابليّة الخطإ ... لكنّه لم يقع إثبات خطئها .

يتقاسم آجيث نفس الفهم الخاطئ للعلم مع الوضعيين و بوبر ، فهم أنّ جوهر النشاط العلمي هو القيام بتوقّعات دقيقة يمكن تاليا إختبارها . و مرّة أخرى ، هذه نظرة خاطئة للعلم عامة بما فيه علم الماركسية . و مع ذلك ، الماركسية تنظّر للقوانين و النزعات و الديناميكيات فى التاريخ و المجتمع التى يمكن إختبارها و ليست نظريّات ميتافيزيقية و بالعكس يجب أن تكون و هي بإستمرار " تختبرها " التطوّرات العملية .

ما من شيء فى الماركسية يستبعد الفشل أو يتوقّع أن ثورة معيّنة **يجب** أن تنجح . لكن الأسباب الموضوعية للهزيمة (قوّة القوى المتصارعة بالتأكيد و لكن أيضا تأثير الصدفة و الحواد غير المتوقّعة و الطوارئ) و كذلك الأسباب الذاتيّة (أخطاء أو حدود فى تفكير الشيوعيين أنفسهم) يمكن أن تكون ساهمت فى الهزيمة تحتاج و **يمكن** أن تفهمها وتشرحها معالجة علمية . عندما تكشف هزيمة (أو بالمناسبة إنتصار **!**) عن أخطاء فى تفكير الماركسيين ، يجب تصحيح تلك الأخطاء .

و يدافع آجيث عن نفسه قائلا :

" أسس الماركسية لا تعرض على أنّها شيء فوق الفحص النقدي . يجرى الإقرار بضرورة تطويرها بالقطع مع النظرات التى تتناسب مع الواقع الإجتماعي المعاصر ." (109)

هنا يتراجع آجيث عن خلقه صنفا خاصا من " المبادئ الأساسية " فوق التفحّص ما نقده سابقا الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية . لكن تفسير آجيث صحيح جزئيّا و حسب . ليس الأمر أنّ نظريّة يمكن **ألاّ تعود** متناسبة مع " الواقع الإجتماعي المعاصر " . يحدث أحيانا أيضا أن الناس يمكن أن يكتشفوا **أخطاءا** فى نظرية ما يعنى أنّ مثل هذه النظرية لم تتناسب أو لم تتناسب تماما مع الواقع الإجتماعي التاريخي السابق ، فضلا عن ذلك قوانين العلم الطبيعية هي الأخرى تتطوّر مع إكتشاف أشياء جديدة و تطوّر نظريّات جديدة . و يواصل آجيث : " لكن إن لم يتمّ ذلك بالوقوف بصلابة على الحقيقة العالمية للماركسية فإنّ إنحرافا سيحصل " (110) . مجدّدا ، الحشو - يمكن للمرء أن يتفحّص المبادئ الأساسية طالما لا ينحرف عن " الحقيقة العالمية للماركسية " .

يعلن آجيث أنّه لم يحصل بعدُ تحديد مرضي ل" ما يمثّل " المبادئ الأساسية " ويسترسل : **" و بالتالي تطوّر الماركسية ليس ببساطة مسألة وضع المبادئ الأساسية لإعادة التفحّص بالمعنى العام ."** وهو شيء بالطبع لا أفاكيان و لا نقد الحزب الشيوعي الثوري لآجيث قد حاججا به أبدا – فى كلّ علم هناك مبادئ جوهرية بينما هي موضع إعادة التفحّص ، تستخدم كركائز بناء لمزيد التطوّر . و فى النهاية ،

يختم آجيث هذا المقطع بإعلان رنّان و باعث على التضليل بأنّ **إنّه يتطلّب تطبيق الحقيقة العالمية للماركسية على الأوضاع الملموسة التى تشكل مجال الممارسة النظرية أيضا** " (111).

سنترك لغيرنا محاولة فكّ ما يعنيه آجيث بالدعوة إلى" مجال الممارسة النظرية " و" الوضع الملموس ". فما يعنينا هنا هو أنّه لا يزال يدافع عن إدعائه السابق الخاطئ بأنّ هناك صنف خاص من " المواقف الإيديولوجية " أو " الحقيقة العالمية للماركسية " يمكن عندها أن تحكم على الحجج الأخرى .

إلى أي مدى يمكن أن نكون متأكّدين من معرفتنا ؟

لقد شرح أفاكيان بوضوح و بشكل صحيح العلاقة بين المعرفة الموجودة و مزيد التقدّم بها ، و بيّن قدرتنا على **التأكّد** من بعض الأشياء حتى و نحن واعون بالطبيعة النسبية غير المطلقة لمعرفتنا . و هنا سنشجّع مرّة أخرى القارئ على دراسة كتاب أفاكيان **" لنتخلّص من كافة الآلهة ! "** أين توجد معالجة مطوّلة لهذه المسألة التى تبنى على مقاربة إنجلز و لينين . و هنا سنقتبس فقرة واحدة من ذلك المقتطف الغني . (و سنرى أيضا أنّ هذا المقتطف ، من جديد ، يكذّب تهمة آجيث بأنّ أفاكيان يجهل المظهر الفلسفي الحصري للماركسية) :

" ويقودنى هذا إلى المسألة الأعمّ ، مسألة التأكّد ، التأكد الأخلاقي و العلمي – فى الذى يتشابهون فيه و فى الذى يختلفون فيه... لنستحضر ما يبدو ربّما مثل الإرداف الخلفي ، يمكن أن نصل إلى تأكّد ، نسبيّا ... إنّه لمن الممكن أن نكون **متأكّدين** على أساس صحيح من أشياء معيّنة ... يمكن أن نقول ب**التأكيد** أنّ التطوّر أمر راسخ علميّا . أو بكلمات بسيطة و أساسية : إنه صحيح ..." (112)

و قد شرحت هذا أكثر أرديا سكايبراك فى كتابها **" علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق : معرفة ما هو واقعي و لماذا يهمّنا "** :

" لن نحصل أبدا على حقيقة **مطلقة** – بمعنى أنّنا لن نعرف أبدا كلّ شيء قابل للمعرفة حول كلّ شيء – لكن لدينا بعض الوسائل و المناهج لبلوغ نقطة حيث يمكن لنا أن نقول ، بدرجة كبيرة من الثقة ، أنّ شيئا صحيحا – يعنى أنّه **عمليا يتناسب مع بعض مظهر الواقع المادي كما هو حقّا** .

المسألة هي أنّه من الجيّد و الهام مساءلة كلّ شيء ، لكن من الجيّد و الهام **أيضا** أن نعترف بأنّ كلّ شيء إلى ما لا نهاية له يحتاج أن نمسك به - أحيانا يمكن أن نعرف ما يكفى عن شيء للقبول به كحقيقة . " (113)

تتطلّب المقاربة العلمية أن نعتمد فيها على ما نعرف أنّه صحيح فى زمن معطى و يتفاعل مع العالم المادي و الإجتماعي – و نتعلّم ونكتشف أشياء جديدة . لكن ، مجدّدا ، مثلما تشدّد على ذلك سكايبراك ، لا يعنى هذا أنّه لا يمكننا أبدا التوصّل إلى إستنتاج وقول إنّ شيئا صحيحا .

لا صلوحية لإدعاء آجيث بأنّ أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري "يضعان المبادئالأساسية للشيوعية لإعادة التفحّص بالمعنى العام " إلاّ أن **" تأكّد "** أفاكيان قائم على العلم و ليس " قائما على الإيمان ".

ما نحتاج إلى فهمه هو أنّه حالما ينحرف آجيث إنحرافا جوهريّا عن المنهج و المقاربة العلميين ، و بقدر ما يكون ذلك بما أنّ آجيث مصمّم على الإستمرار فى عناده و الدفاع عن أخطائه الأبستيمولوجية ، يسقط فى أخطاء مختلفة و غالبا على ما يبدو متعارضة .

فمن جهة يستبعد تشديد أفاكيان على الأساس العلمي للماركسية على أنّه " علماوية " و ينتقد أفاكيان لتأكيده على المقاربة و المنهجية العلميتين . و من الجهة الأخرى ، يعتمد آجيث أسوأ المناهج التى يعانى منها العلم والتى ترفعها بعض المدارس إلى مرتبة مبدأ ، مثل الوضعية و التجريبية ، ليصف كيف يعتقد أنّ الماركسية تتطوّر (هذا أساس نقده أنّ أفاكيان ينكر دور " الممارسة فى تطوير النظرية ") .

من جهة ، لا يرى آجيث الماركسية كعلم . إذ تغدو الماركسية نوعا من الأداة التقنية لحلّ المشاكل – يجب أن تعالج حاجيات خاصة جدّا – و بهذا الصدد مقاربة تجريبية و براغماتية ل" ما يعمل " كافية تماما لتحديد الحقيقة . و من الجهة الأخرى ، ماركسية آجيث ، إن كان ليكون لها مدى نظريا ، يجب أن ينظر إليها كنوع من نظام إيماني هو بطبيعته منفصل عن العلم و فوق مداه . يؤيّد آجيث وجهتي نظر خاطئتين ما يوحّدهما هو رفض العلم فى تفسير حركة المجتمع الإنساني و تطوّره .

فى عدّة نقاط فى مقال **" ضد الأفاكيانية "** ، يهاجم آجيث أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري قائلا إنّ " المبادئ الأساسية " للماركسية يقع تقليصها إلى " منهج و مقاربة " . إنّ فصل آجيث الكثير التكرّر بين المبادئ و المنهج محوري فى تأكيد آجيث على أنّ الماركسية يجب أن تنهض على مبادئ بديهيّة كأساس لمزيد الحكم (حتى و إن كان مضطرّا للإعتراف بأنّه لم يقدر بعدُ على تصنيفها).

VII - الثورة الشيوعية ضرورية و ممكنة لكنّها ليست حتميّة ... ويجب إنجازها بوعي :

لقد نقد آجيث النزعات فى الماركسية نحو **الفكر اللاهوتي** ، أي ، النظرة إلى الطبيعة و التاريخ على أنّهما وُهبا هدفا و أنّ غاية أو هدفا مستبقين يقودانهما - والنزعة المتصلة بذلك ، النزعة نحو " الحتمية " أي الإعتقاد بأنّ مخرجا معطى فى الطبيعة أو المجتمع ، و فى الإنتصار الخاص النهائي للشيوعية ، حتمي . و الفهم الذى قاتل من أجله أفاكيان هو المنهج المادي و العلمي للخلاصة الجديدة .

يتفاعل آجيث مع نقد أفاكيان تفاعلا عنيفا و يفرد عددا من الصفحات لمحاولة دحض ما قاله أفاكيان بهذا المضمار . لكن آجيث يتردّد بين الدفاع عن مفهوم الحتمية و إنكار أنّ الماركسية قد عرفت أبدا مثل هذه النزعات – يريد أن " يحصل على كعكته و أن يأكلها أيضا " بإعادة تحديد مصطلحات راسخة جيّدا و تجاهل أو محاولة إخفاء أدلّة بارزة من تاريخ الحركة الشيوعية .

إنّه يدّعى أن ماركس عارض الفكر اللاهوتي من البداية ، بينما يحاجج بأنّ الحتمية لا تعنى ما يفهم بشكل شائع من هذا المصطلح: يفترض أنّ " لا وجود لحدود ضيّقة تأكّد بأنّ الإنسانية ستبلغ الشيوعية. " ثمّ يأخذه إلى الوراء فورا بإضافة " لكن هل أنّ هذه الإمكانيات ستلغى الحتمية جميعها من التطوّر التاريخي ؟ (245) لا. لن تفعل." (114).

إنّ مساعى آجيث للتمييز بين " التاكّد " و " الحتمية " هي حقّا مجرّد محاولة بائسة للتلاعب بالكلمات و تجنّب مواجهة الواقع . و لنأخذ على سبيل المثال ، كيف أنّ شانغ تشن – تشياو ، ممثّل بارز للقيادات الثوريّة فى الحزب الشيوعي الصيني ، وضع :" إضمحلال البرجوازية و كلّ الطبقات المستغِلّة و إنتصار الشيوعية أمر حتمي و أكيد و مستقلّ عن إرادة الإنسان " (115). لا يستعمل شانغ " حتمي " و " أكيد " كمترادفين فقط ، لكن بإضافة " مستقلّة عن إرادة الإنسان " ينحو هو الآخر نحو تفسير تيولوجي للسيرورة التاريخية كذلك .

يعارض آجيث مساعى أفاكيان لنقد تيّارات الفكر اللاهوتي فى الماركسية بقول : " بالنسبة لمسألة فهم التقدّم التاريخي بمعنى علم أصول الدين ، فإنّ مؤسسي الماركسية نبذوا هذا منذ البدايات الأولى لكتاباتهم . " (116) . أوّلا ، لم يحاجج أفاكيان بتاتا بأنّ مفهوم ماركس للتاريخ كان **فى جوهره** تيولوجيّا . بالعكس ، فتح ماركس أفقا علميّا جديدا فى دراسة التاريخ لا يعتمد على البحث الميتافيزيقي و المضاربة فى التاريخ ، و أحيانا نقد ماركس و إنجلز نقدا حادا الفكر التيولوجي . (117) كان ماركس ماديّا و كان قادرا على فهم التناقضات الماديّة الحقيقيّة ، خاصة التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج ، الذى يشكّل المجتمع الإنساني و تطوّره .

و قد شدّد أفاكيان تشديدا كبيرا على إختراقه العلمي وجوهر مفهوم ماركس فى ما يتصل ب " الترابط المنطقي" فى التاريخ الإنساني . بكلمات أخرى ، ليس التاريخ مجرّد أحداث و وقائع غير مترابطة ، و لا هو نتاج جوهريّا لأفكار رجال ونساء أو أبطال عظام . و ليس التاريخ كذلك نتاج تطوّر و تحقّق ذاتي لفكرة مطلقة ، كما تتمثّل خاصة فى المثالية من الصنف الهيغلي . و مع ذلك ، ضمن مجمل أعمال الماركسية ، بما فيها أعمال أعظم معلّميها ، وُجدت نزعات غير متناغمة مع المنهج و المقاربة العلميين العامين للماركسية ، و من ذلك نزعات تيولوجية .

أنظروا إلى مفهوم " نفي النفي " [أو " إنكار الإنكار "] الذى أخذه ماركس و إنجلز عن هيغل الذى صاغه ك" قانون " [من قوانين الجدلية] . نهائيّا كانت لهذا تبعات تيولوجية . فالمقاربة العلمية لماركس و إنجلز تداخلت مع نقائص فى مادية العلوم الطبيعية لزمنهم . (118) لكن ثمّة حتّى أمثلة معاصرة من الفهم التيولوجي أبرز و أكثر ضررا و آجيث يتجاهلها .

و نسخة متطرّفة من هذا من التجربة الأكثر معاصرة هي موقف غنزالو رئيس الحزب الشيوعي البيروفي ، الذى صرّح : " لنتذكّر ما صغناه فى 1979 : خمس عشر بليون سنة من المادة فى حركة – الجزء الذى نعرفه من السيرورة – أفرزت مسيرة لا تقاوم نحو الشيوعية " (119) . و هذا الموقف ، أقلّ ما يقال فيه ، تعبير حاد عن فهم تيولوجي – أنّ هناك هدف للطبيعة و التاريخ . و فى حين أنّه بديهي بصفة خاصة فى كتابات غنزالو ، فهو بصعوبة يقف عنده هو .

ليس التاريخ الطبيعي للكون نهائيّا " يسير" إلى أي مكان بطريقة مسبّقة التحديد بما فى ذلك إنتصار الثورة الشيوعية فى هذه النقطة من المادية فى هذا الجزء من الكون . (120) و لا يستطيع هذا الفهم التيولوجي أن يشرح تطوّر كوننا أو التطوّر و التغيّر فى أشكال الحياة على الأرض ، بما فيها ظهور **الهومو سابينس** و المجتمع الإنساني ، و لا تطوّر الطبقات و ظهور كلّ من القاعدة المادية و الحاجة إلى ثورة شيوعية .

و يشترك هذا النوع من التفكير فى الكثير مع لون معيّن من النظرة التيولوجية للعالم – يُنكر وجود قوّة إلاهيّة فائقة تتدخّل فى شؤون الأرض لكن لا يزال هناك إلاه " ملازم " يشارك الطبيعة نفسها و موهوب بهدف و غاية ومحكوم ، لنستعير كلمات آجيث ، على نحو لا يمكن إنكاره ، من قبل إطار آخر لكن مرتبط به ، فى " الترابط المنطقي و المنظّم و الصريح " (121) ومثل هذه النظرة للعالم ستعرقل فى النهاية قدرتنا على فهم العالم فهما صحيحا و على تغييره .

لقد أتى أفاكيان بفهم صحيح أكثر علمية لهذا الموضوع :

" لا ظهور النوع الإنساني و لا تطوّر المجتمع الإنساني إلى الوقت الحاضر كانا محدّدين مسبّقا أو إتبعا مسارات محدّدة مسبّقا . لا وجود لإرادة أو عامل فائقين قد صوّرا و شكّلا كلّ مثل هذا التطوّر ، و الطبيعة و التاريخ لا يجب أن يعاملا على هذا النحو – كطبيعة و تاريخ . بالأحرى يحدث مثل هذا التطوّر من خلال التفاعل الجدلي بين الضرورة و الصدفة و فى حال التاريخ الإنساني بين القوى المادية الكامنة و النشاط و صراع الناس الواعيين ."(122)

إنّ أفاكيان يستخلص دروسا من العلم تعزّز الفلسفة المادية . لقد وُجدت نزعات بإتجاه رؤية سيرورات " غائيّة " و باحثة عن هدف فى الطبيعة و ذلك فى العلوم و الفلسفة و قد أثّرت كذلك على الحركة الشيوعية . (123)

ماركس و أفاكيان بصدد " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني :

فى بحث نظري كبير ، **" من أجل حصاد التنانين "** كتاب ألّفه فى 1983 بمناسبة مائوية وفاة ماركس ، يناقش أفاكيان " لماذا تنطبق مبادئ المادية الجدلية على المجتمع الإنساني و تطوّره التاريخي " (124) و يستشهد برؤية ثاقبة لدى ماركس :

" إعتبارا لمجرّد واقع أنّ كلّ جيل تالى يجد بحوزته قوى إنتاج حصّلها الجيل السابق و أنّها تخدمه كمادة خام للإنتاج الجديد ، يظهر ترابط منطقي فى التاريخ الإنساني ، يتشكّل تاريخ الإنسانية الذى يصبح أكثر تاريخ الإنسانية بقدر ما تتطوّر قوى إنتاج الناس و بالتالى علاقاتهم الإجتماعية . " (125)

فى عمل أحدث ، يواصل أفاكيان هذا القتال من أجل المادية التاريخيّة :

مثلما شدّد ماركس كذلك بشكل مهمّ جدّا ، علاقات الإنتاج هذه قد تركّزت وهي بالفعل مستقلّة على نحو واسع عن إرادة الأفراد . بكلمات أخرى ، علاقات الإنتاج ليست محدّدة تعسّفيّا بإرادة الأفراد ، بمن فيهم الأفراد الذين ينتمون إلى الطبقة الحاكمة للمجتمع و الذين يسيطرون على ملكيّة وسائل الإنتاج ... هنا مرّة أخرى ، توجد مقارنة بين التغيّرات فى المجتمع الإنساني و التغيّرات – التطوّرات – فى العالم الطبيعي على نطاق أوسع .

كانت هذه رؤية ماركس عندما شدّد على أنّ هناك نوعا من " الترابط المنطقي " فى تاريخ الإنسانية . لقد شدّدنا على أنّه ليست هناك حتميّة بشأن الشيوعية ، و لا توجّها حتميّا للمجتمع الإنساني . و إنّما هناك نوعا من الترابط المنطقي . لذا كلّ شخص ، بمن فيهم أعضاء الطبقة الحاكمة لأيّ مجتمع ، عليه أن يتعاطى مع ما يحصل عليه من قوى إنتاج – و علاقات إنتاج – من الأجيال السابقة ، رغم أنّه فى ظروف حيوية معيّنة تحدث قفزات فى تغيير علاقات الإنتاج عبر ثورة فى البناء الفوقي ...(126)".

و ينقد آجيث تأويل أفاكيان لجمل ماركس التى مرّ بنا الإستشهاد بها سابقا . عوض إستيعاب المادية الكامنة ، يرى آجيث الدليل على الحتمية . لنقرأ كامل مقطعه :

" يشمل الفهم المادي للتاريخ تحديدات الضرورة و الحتمية و عدّة مستويات من الوجود و التطوّر الإنسانيين . حينما يتحدّث ماركس عن إنسجام فى تطوّر التاريخ فهو يشير إلى الترابط المنطقي و المنظّم و الصريح و المتسق مع مظاهر متنوّعة من الحياة الإجتماعية . و لا حاجة إلى قول إنّ هذا الترابط يشمل بلا إستثناء الضرورة . و هو ينطوي على عنصر حتمية . (247) . هذا ما يولّد إتجاها فى حركة التاريخ ، إمكانية التقدّم التاريخي . أن تتحقّق أم لا ، أن تعرقل عوامل أخرى أم لا تعرقل فعل هذه التناقضات مسألة مغايرة . إستعمال ماركس لمصطلح " إنسجام " متسق مع فهم دور " الحتمية " فى التاريخ . و تأويل أفاكيان يلغى القاعدة المادية لدراسة التاريخ ماركسيّا . "(127).

و لننظر فى ما يقوم به آجيث . يمسك بالرؤية الثاقبة الصحيحة و الحيوية لماركس حول " الترابط المنطقي " فى التاريخ الإنساني – و يد الساحر أسرع من العين – و يسرّب إليها " عنصر " أو " دور " الحتمية " " . يمسك بحقيقة أنّه هناك بعض الترابطات الضرورية فى المجتمع الإنساني مثلا ، بين القاعدة الإقتصادية للمجتمع و الهياكل السياسية و الأفكار المهيمنة فى المجتمع ، و يحوّلها إلى عقيدة حتمية .

و الحتمية تعنى " لا يمكن تفادى شيء " . و تشير إلى مسار قار للتطوّر مع عدم وجود أي مخرج آخر . و **الضرورة** شيء آخر ، تحدّد الضرورة و تهيكل و تعيّن الإمكانيات و المسارات لكنّها لا تفرز دائما نتيجة وحيدة . و يشمل مفهوم الضرورة القوانين السببيّة ، أنّ هناك علاقات " سبب و نتيجة " لكنها ليست خطّية و لا محدّدة مسبّقا – إنّها سيرورة ديناميكية .

لنوضّح هذا أكثر ، نضرب مثالا . الرأسمالية كنظام إقتصادي يحرّكه الربح ، ليس بوسعها العمل إن كانت القوانين و الثقافة و القيم الإجتماعية السائدة ترفع راية و تفرض و تعيد فرض أوامر بعدم إمكانية تسريح المؤسسات للعمّال ... وأنّ لكلّ شخص الحقّ فى الأكل ... و أنّ المجتمع يضمن إزدهار الفرد إزدهارا غنيّا و شاملا . و إن وُجد هذا النوع من البنية الفوقيّة القانونية - السياسية - الأخلاقية ، ببساطة سيتداعى الإقتصاد الرأسمالي (أو ستقلب الطبقة الرأسمالية تلك البنية الفوقيّة). و هذه طريقة أخرى لقول إنّ هناك **ضرورة** فى مظاهر المجتمع الرأسمالي و علاقاته – يجب أن يوجد تناسب معيّن (ضروري) بين القاعدة الإقتصادية و الهياكل السياسيّة و الأفكار و القيم المهيمنة . لكن لم يكن من الحتمي أن تظهر الرأسمالية فى التاريخ الإنساني أو أن تتّخذ أشكالا محدّدة إتخذتها .

لا يقوم آجيث فقط بتهوين المعنى الفعلي للحتمية بل هو يحاول أيضا تحويل " الترابط المنطقي " لماركس إلى رسم حتمي للتطوّر " المنطقي و المنظّم و الصريح ".

و بالقيام بذلك ، ينكر دور الأحداث غير المتوقّعة و الصدفة فى التاريخ . و يدفع هذا بإتجاه قول إنّ كلّ ما حدث كان ينبغى أن يحدث ، و بخطوة مقفلة حتمية . سيكون من الأفضل لآجيث " الماوي " أن يتعلّم الرؤية الثورية الديناميكية للواقع المتناقض و المتموّج بإستمرار لدى ماو تسى تونغ (مثلا ، " الكوارث ظواهر إجتماعية ، ظواهر طبيعية . و التغيّرات الفجئيّة هي القانون الأكثر جوهريّة للكون " (128).

قبول آجيث ب " الحتمية " ليس بالأمر الهيّن . ذلك أنّه إضافة إلى إنكار دور الأحداث غير المتوقّعة ، و الديناميكية الفعليّة للتطوّر ، هناك مشكل أكبر حتّى . آجيث غير قادر على فهم ، على سبر غور **الدور الديناميكي لوعي** البشر ، المتجذّر فى العلاقة بين الحرّية و الضرورية (نقطة سنعود إليها بعد قليل). نظرته للحتميّة تشبه كثيرا جدّا نظرته للبروليتاريا و ظروفها الماديّة : السير الحتمي للنظام سيجعل البروليتاريين يتحوّلون إلى عوامل واعية للثورة الشيوعية .

الديناميكية الحقيقية للتاريخ و النظرات الخاطئة صلب الحركة الشيوعية :

و بالرغم من أنّ آجيث يعارض بشدّة حجّة أنّ التيولوجيا قد أثّرت فى حجج ماركس و قادة آخرون ، يدّعى أنّه دون حتميّة " ماذا يبقى من المادية التاريخية ؟ "

لقد ساهم التفكير الحتمي و الميكانيكي بأشكال مختلفة ، وهو يبحث عن " حركة نموذجية " ، فى أخطاء ذات دلالة فى الحركة الشيوعية عند تحليل الأحداث و تيّارات التطوّر . (129)

فى الصين ، كانت هذه النزعات ممثّلة خاصة بحجّة لين بياو أنّ " فكر ماو تسى تونغ هو ماركسية – لينينية العصر الذى تتجه فيه الإمبريالية إلى إنهيارها التام و تتقدّم فيه الإشتراكية نحو الإنتصار عبر العالم " (130). كانت هذه نظرة مشوّهة للديناميكية التى يعمل وفقها النظام الإمبريالي العالمي . و صارت التيّارات الجزئيّة لتلك الفترة مطلقة و تحوّلت إلى السير الحتمي لتاريخ العالم .

و كانت لهذه النظريّات تبعات ضارة على الحركة الماويّة عالميّا . و لم يكن ماو ذاته بمنأى تماما من هذه النزعات ، لكنه بصورة متصاعدة قد واجه التناقضات المعنيّة فى التقدّم بالثورة فى ظلّ الإشتراكية ، و كان توجّهه هو التعويل **أكثر** على الماديّة و مساءلة بعض " الأحكام الموروثة " عن الحركة الشيوعية .

أمّا آجيث فمضى فى الإتجاه المعاكس حيث لا يعيد إحياء الكثير من المضمون الخاص للتفكير القومي و الخادم للذات و الآمل للين بياو فحسب و إنّما يشدّد أيضا على " الحتمية " المرتبطة بنظرة لين بياو .

لقد أنجزأفاكيان حفريّات و بناء على الإختراق العلمي لماركس بتشخيص التيّارات الثانوية التى يمكن أن توجد كذلك فى كتابات ماركس و لينين و ماو و النضال ضدّها . وفى حين أنّ هذه الأخطاء ثانوية فى تفكير القادة العظام للبروليتاريا العالمية و كتاباتهم ، فإنّ هذه النزعات الثانوية فى صفوف الحركة الشيوعية تاريخيّا تضخّمت أهمّيتها و تضخّم مداها بما يهدّد بتعويض الأساس المادي العلمي للماركسية ذاتها .

وحده القدّيس يرفض تفحّص " المبادئ الأساسيّة " لعقيدته و لا يفاجأ و لا يصدم أو يشعر بإهانة مطبّق لعلم حقيقي و حيوي لمّا يتمّ لاحقا إستبعاد خطإ (حتّى خطإ هام). عمليّا ، بمفاهيم مثل " ملايين السنوات من حركة المادة " تقود إلى الشيوعية و الميل اليائس لآجيث نحو الحتمية ، " لن يبقى الكثير من المادية التاريخية ".

لا يعير آجيث إنتباها للأمثلة البارزة من التيولوجية فى الحركة الشيوعية المعاصرة لأنّه ، فى الواقع ، يشاطرها قدرا كبيرا من تصوّره هو. مشكلته الحقيقيّة ليست أنّ أفاكيان قد نسب خطأ بعض" التيولوجيا " إلى ماركس و إنجلز ، بل أنّ نظرته الخاصة للعالم تعتمد بقوّة على الإيمان ب " الحتمية " .

فى التاريخ ، ثمّة قوانين **نزعات** كامنة . و من أعظم المكاسب التى حقّقها ماركس تشخيص التناقض بين قوى الإنتاج و علاقات الإنتاج بإعتباره المحرّك للتطوّر الإجتماعي . و يفعل هذا التناقض فعله بواسطة مظاهر و تناقضات مختلفة فى المجتمع و صراعات طبقيّة و قضايا إيديولوجية و أزمات و حروب إلخ ، ما يتداخل و يمكن أن يسرّع أو يعرقل السير العام للتناقض الجوهري للعصر البرجوازي : بين الإنتاج الإجتماعي و التملّك الخاص .

عوض النظر فى السيرورات و الهياكل الماديّة التى تعطى للتاريخ الترابط المنطقي الذى تحدّث عنه ماركس ، يبحث " عنصر الحتمية " لدى آجيث عن فرض هدف و معنى للسيرورة التاريخية (التعريف نفسه للتيولوجيا الذى ينكره آجيث) و يرى البروليتاريا كنتاج و عامل حتمي له .

بالإمكان تشخيص إمكانية الثورة تشخيصا علميّا و يجب التعرّف على التيّارات و على هذا الأساس يحتاج النضال الثوري لأن يتطوّر و يقاد . و مع ذلك ، لا يمكن لأحد أن يقول بشكل مؤكّد كيف و حتى إذا ما ستكون أية إمكانية خاصة محيّنة فى مجتمع معيّن أو حتّى على النطاق العالمي . و لاحظوا أنّ ماركس وإنجلز نفسهما كتبا عن كيف أنّ الصراع الطبقي قد أفرز أحيانا التدمير المتبادل للطبقات المتنازعة . (131)

الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة :

و قد طوّر أفاكيان أكثر الفهم الماركسي للعلاقة بين الحرّية و الضرورة . فالحرّية تمكن ليس فى غياب الضرورة بل فى الإعتراف بالضرورة و فهمها و تغييرها من خلال النشاط الإنساني الواعي ، عبر النضال .

و تحيل **الضرورة** على الظروف و القيود الكامنة فى كلّ من الطبيعة و المجتمع ، و التى تضع حدودا فى زمن معطى لما يقدر الناس على فعله و كيف . و الناس مضطرّون للردّ على الضرورة . فى المجتمع الرأسمالي ، مثلا ، بالنسبة للغالبيّة الغالبة من الناس ، لأجل الحياة عليهم أن يعملوا – و عليهم أن يعملوا و يجدوا العمل فى إقتصاد يسير على أساس الملكيّة الخاصة و وفق ما يمليه الربح . و الإلتزامات التى توجد بين الناس تجاه بعضهم البعض و تجاه أطفالهم و المجتمع هي شكل آخر من الضرورة . و الأنظمة البيئيّة (و الأزمات البيئيّة) للكوكب تملى حدودا معيّنة على كيف يمكن أن يحيا الناس و يعيلوا أنفسهم .

و تحيل **الحرّية** رئيسيّا على قدرة الناس ومداهم ، كأفراد و أيضا و أكثر حيويّة إجتماعيا و جماعيّا ، على الفعل و إدخال تغيير على المجتمع و الطبيعة . هذه هي الحرّية الإيجابية . و هناك أيضا الحرّية السلبيّة للقدرة على إتباع الميولات الفرديّة دون التداخل مع المؤسسات الإجتماعية ، شرط أن لا يضرّ إتباع هذه الميولات بأشخاص آخرين أو بالمجتمع بصفة أعمّ .

لقد شدّد أفاكيان على أنّه بفهم الواقع المادي الكامن و تشخيص قنوات و مسارات التغيير الممكنة ، يمكن **تحويل** الضرورة إلى حرّية . القيود و الإمكانيات يشكّلان تناقضا ، وحدة أضداد ، و يوفّران أساسا لواقع يجب تغييره . و علاوة على ذلك ، أكّد أفاكيان على أنّ هذه السيرورة سيرورة مستمرّة فى حركة تشبه اللولب حيث تخلق ضرورة جديدة يجب أيضا ، بدورها ، أن يتمّ تحويلها عبر النضال إلى حرّية . وهناك شيء آخر ذى أهمّية حيويّة يبيّنه أفاكيان فى عمله " **الشيوعية و ديمقراطية جيفرسون** " :

" فى الوقت الحاضر لا زلنا فى عصر تاريخ إنساني أين أيّ فرد أو أيّة مجموعة يحاولان الردّ على الضرورة عليهما ليس مواجهة الضرورة بالمعنى العام ، لكن فى محاولتهم القيام بذلك ، أن يواجهوا عراقيلا **تفرضها الإنقسامات الإجتماعية و الطبقية و الأفكار و النظرات المتناسبة معها** .

الإختلاف الأساسي مقارنة بالمجتمع الشيوعي ليس أنّه لن يكون علينا مواجهة الضرورة ، أو أنّه لن يحدّد أي إطار – ليس من قبل الطبيعة فقط بل أيضا من قبل المجتمع – و إنّما سيقدر البشر أفرادا و خاصة جماعيّا ، على مواجهة و مقاربة تغيير هذه الضرورة دون عراقيل الإنقسامات الطبقية و العلاقات الإجتماعية الإضطهادية الأخرى و الأفكار المناسبة لها ، بما فيها الطرق التى يشوّه بها فهم الواقع من خلال موشور هذه العلاقات الإجتماعية و الطبقية العدائية ، و الأفكار و النظرات التى تتناسب معها ...

الشيوعية ترتئى و ستجسّد بُعدا جديدا تماما من الحرّية **الإيجابية** : مساعى الناس و فعلهم فرديّا و لكن فوق كلّ شيء بصفة مشتركة و عبر تفاعلهم المتبادل – بما فى ذلك من خلال الصراع غير العدائي – فى التغيير الجاري للمجتمع و الطبيعة (و العلاقة بينهما) لمتابعة الحياة المادية و الفكريّة و الثقافيّة للمجتمع ككلّ و كذلك للأفراد الذين يشكّلون المجتمع ." (132) [التشديد فى النصّ الأصلي]

فهم آجيث الخاطئ للحرّية و الضرورية :

آجيث غير قادر على فهم الحرّية و الضرورة بهذا النوع من الطريقة الديناميكية والجدلية و الثورية . ففهمه المختلف و الخاطئ للعلاقة بين الحرّية و الضرورة ينبع من تعليقاته على موقف شهير لإنجلز أين يشير إلى " قفزة الإنسانية من مجال الضرورة إلى مجال الحرّية " . و بينما سنرى أنّ آجيث يسجّل إتهام ماركس وإنجلز بكونهما غارقين فى تقاليد التنوير ، فإنه يعتبر أنّ أي نقد للموقف الإحادي الجانب لإنجلز

حول علاقة الحرّية والضرورة ، حاملا تأثير هيغل ، بمثابة دعوة لرفع السلاح : " التهمة المنسوبة إلى ماركس و إنجلز هي أنّهما كانا ينزعان إلى تجاهل دور الضرورة فى ظلّ الشيوعية أو الإستخفاف به . و يبدو أنّ هذا المنشود وقع البتّ فيه بتفاهات عن كيف أنّ الضرورة ستتواصل فى ظلّ الشيوعية. " (133)

و يشرح آجيث قائلا :

" لمفهوم " مجال الضرورة " معنى خاص فى الماركسية . ليست الضرورة **عامة** ، بل هي مجال الحاجيات المادية للوجود الإنساني . عندما كتب ماركس عن المرور من مجال الضرورة إلى مجال الحرّية ، كان صريحا بشأن أنّ هذا لن يعني نهاية مجال الضرورة . المسألة هي أنّ الإنسانية لن تتحكّم فيها الضرورة بل ستتمكّن من السيطرة عليها . و بالتالي حاجيات وجودها المادية سيجرى بلوغها بأقلّ بذل للطاقة و فى ظروف مناسبة أكثر و لازمة أكثر لطبيعتها الإنسانية . و هذا بدوره سيسمح لها بتطوير قدراتها الإنسانية إلى أقصى مدى ممكن فى الظروف المعيّنة . بديهيّا ، لا وجود هنا لشيء حتى إيحاء بعيد **للتحرّر من الضرورة** . "

و لدعم حجّته ، يذكر آجيث المجلّد الثالث من **" رأس المال "** الذى كتب فيه ماركس :

" بالضبط مثلما على المتوحّش أن يصارع الطبيعة لتلبية حاجياته و للحفاظ على الحياة و التوالد ، على الإنسان المتحضذر أن يفعل الشيء نفسه ، ويجب عليه فعل ذلك فى كافة التشكيلات الإجتماعية و فى ظلّ كافة أنماط الإنتاج الممكنة . ومع التطوّر يتّسع مجال الحاجة الجسدية نتيجة لرغباته ، لكن فى نفس الوقت تنمو كذلك قوى الإنتاج التى تلبّى تلك الرغبات . الحرّية فى هذا المجال يمكن أن تتمثّل فقط فى الإنسان الإجتماعي و المنتجين المتعاونين و التعديل العقلاني للتعاطى مع الطبيعة ، جاعلين تحت سيطرتهم المشتركة عوض الوقوع تحت حكمها كما القوى العمياء للطبيعة ؛ و بالغين هذا بأقلّ التكاليف الطاقة البشرية و فى ظلّ الظروف الأكثر مواتاة و التى تستحقّها طبيعتهم الإنسانية . لكن مع ذلك سيظلّ هناك مجال للضرورة . و أبعد منه يبدأ تطوّر الطاقة الإنسانية كغاية فى حدّ ذاتها ، مجال الحرّية الحقيقيّة ، الذى **لا يمكن له مع ذلك أن يزدهر إلاّ و مجال الضرورة أساس له ."** (134) [التشديد مضاف من آجيث] .

هنا يعكس ماركس فهمه المادي التاريخي العلمي للحرّية و الضرورة الذين تواجههما الإنسانية . و مع ذلك ، لا يزال هناك تداخل ، كما يشاهد فى جملة " مجال الحرّية الحقيقية " و " جعلها [الطبيعة] تحت السيطرة المشتركة [للإنسانية] ". و هذا المشكل هو ما يمثّل ربّما لا أكثر من ظلّ خطإ تفكير ماركس صار أخطر و تعزّز بفهم خاطئ ضمن الشيوعيين . و يبيّن آجيث أنّه هو نفسه ليس حرّا من هذا التفكير و ، بالفعل ، يريد أن يحتفظ بخطإ .

إنّه يعيد بلا مبالاة جملة ماركس حول الحاجة إلى " جعل الطبيعة تحت السيطرة " على ما يبدو دون أن يلاحظ التبعات الخاطئة و الضارة للتفكير و العمل كما لو أنّ الإنسانية تستطيع أبدا أن تجعل الطبيعة تحت سيطرتها . قبل كلّ شيء ، **الإنسانية جزء من الطبيعة** (بالفعل ، فى مواضع أخرى يبيّن ماركس توقّعا بارزا فى نقاش العلاقة بين الإنسانية و الطبيعة ، وعرض حتّى رؤية ثاقبة بارزة لبعض المشاكل البيئيّة التى غدت بديهيّة فقط بعد عدّة أجيال). لكن آجيث ، رغم التجربة المعاصرة و رغم نقاش واسع

النطاق لتدهورالبيئة والأنظمة البيئيّة ، سعيد لتكرار الفهم الماركسي الذى كان ينزع نحو رؤية الإنسانية تتحرّك من وضع تبعيّة للطبيعة إلى وضع سيطرة عليها وإستعمالها .

الفهم الأصحّ هو أنّ الإنسانية يجب دائما أن تعدّل بأكثر وعي أبدا الترابط بين المجتمع الإنساني و الطبيعة ، و أن تستوعب بشكل أعمق قوانين العالم الطبيعي و حركته – ليس أقلّه أزمة الأنظمة البيئيّة للكوكب . و قد شدّد أفاكيان على الحاجة لأن يكون محرّرو الإنسانية أيضا محافظين على الكوكب .

و هذه الرؤية الخاطئة نفسها نراها كذلك عندما يقول آجيث إنّ " لمجال الضرورة معنى خاص لدى الماركسيين " ، ما يحيل فقط على " مجال الحاجيات المادية للوجود الإنساني ". و هذا فلسفيّا غير ثابت فالحاجيات المادية هي فقط مجموعة فرعيّة ضمن النطاق الكامل للضرورة فى الطبيعة و المجتمع . و إضافة إلى ذلك ، يغذّى هذا التعريف الغالط للضرورة النظرات البراغماتية و الإقتصادوية التى عانت منها الحركة الشيوعية . و فى الواقع ، دراسة تجربة المجتمعات الإشتراكية الأولى تكشف أهمّية الحاجة إلى توسيع آفاق الجماهير (و قيادتها) لأبعد من مجرّد تلبية الحاجيات المادية للإنسانية ، على أنّ ذلك يبقى مهمّا .

و نظرة عن كثب لمختلف فقرات ماركس وإنجلز و خاصة الفقرة المقتبسة من " **ضد دوهرينغ** " التى لطالما إعتبرت عرضا له نفوذه بالنسبة للنظرة الماركسية بشأن الحرّية و الضرورة ، يبيّن أنّ آجيث يخطئ فى عرضه لتفكير ماركس و إنجلز .

كتب إنجلز فى " **ضد دوهرينغ** " :

" إنّ ظروف الحياة المحيطة بالناس و المسيطرة عليهم حتى الآن تقع حاليّا تحت سلطة و رقابة الناس الذين يصبحون لأول مرّة **سادة فعليين ، و واعين ، للطبيعة** لأنهم يصبحون أسيادا لتوحيدهم الذاتى فى المجتمع . إنّ قوانين أفعال الناس الإجتماعية التى كانت تواجههم حتى الآن بوصفها قوانين للطبيعة غريبة و مسيطرة عليهم سوف تطبق من قبلهم **بمعرفة كاملة** بالأمور ، و بالتالى فهي ستخضع لسيطرتهم . " (135) (التشديد مضاف)

ليس إنجلز بصدد حديث عن " الحاجيات المادية للوجود الإنساني " المباشرة ، مثلما يؤكّد على ذلك آجيث ، و إنّما هو صاغ موقفا أوسع و أعمّ حول الضرورة . و هذا جلي ، مثلا ، فى إحالة إنجلز على " قوانين أفعال الناس الإجتماعية " و يحاجج إنجلز :

" إنّ توحيد الناس فى المجتمع والذى كان حتّى الآن يواجههم بوصفه توحيدا مفروضا من الأعلى ، من قبل الطبيعة و التاريخ ، يغدو الآن قضيّة حرّة خاصة بهم . **وتخضع لرقابة الناس أنفسهم القوى الموضوعية الغريبة التى كانت تسيطر على التاريخ من قبل .** و منذ هذه اللحظة فقط يبدأ الناس بخلق تاريخهم بأنفسهم **و بوعي تام** ، و آنذاك فقط فإنّ الأسباب الإجتماعية التى يحركونها ستسفر بالقدرالغالب و المتزايد دوما عن النتائج التى ينشدونها . و تلك هي **طفرة البشريّة من ملكوت الضرورة إلى ملكوت الحرية** " . (136) (التشديد مضاف)

قفزة لكن ليس إلى حرّية مطلقة :

هذه الفقرة لإنجلز لطالما كانت مستحسنة لوصفها الشامل للتغيير الهائل الذى ستبلغه الإنسانية بإلغاء الإنقسامات الطبقيّة و التناقضات العدائية و التنظيم الواعي للذات عن وعي لتغيير الظروف الخاصة للوجود و علاقتها ببقيّة الطبيعة . و سيعنى هذا ، كما أكّد إنجلز ، **قفزة** للإنسانية إلى حرّية أكبر نوعيّا ممّا هو الحال فى ظلّ المجتمع المنقسم طبقيّا .

و مع ذلك ، ليست هذه القفزة قفزة **مطلقة** إلى الحرّية كما يمكن أن يعني المقتطف الشهير لإنجلز . و لا يمكن أن يكون هناك تصالح و حلّ لكافة تناقضات التاريخ . سيتواصل وجود الضرورة – الضرورة نفسها ستتغيّر بإستمرار ، و بالنسبة للإنسانية ستوجد على الدوام تحدّيات و قيود جديدة ، و كذلك إمكانيّات و مسارات جديدة .

و لن تكون الإنسانية أبدا قادرة على أن تصنع تاريخها الخاص " بوعي تام " . ستتخلف المعرفة دائما وراء الواقع . ستأتى التناقضات بين الضرورة و الصدفة بتدخّل عناصر غير متوقّعة جديدة .ستوجد على الدوام عناصر اللاحتميّة فى هيكلة الواقع إلى جانب عناصر حتمية تعمل من خلال القوانين السببيّة . إن لم يقع فهم القفزة إلى الشيوعية على هذا النحو ، هناك تيّار قويّ لرؤية الشيوعية على أنّها " نهاية التاريخ " .

وكتب إنجلز كذلك أنّ ماركس " لم يركّز مطالبه الشيوعية أبدا على [هذا المبدأ الأخلاقي] **بل على التداعي الحتمي لنمط الإنتاج الرأسمالي** ، الذى يحدث يوميّا امام أعيننا إلى درجة أكبر فأكبر " (137). و آجيث يتعامى عن ضعف نقاش إنجلز للحرّية و الضرورة لأنّه يوفّر رفاها لمفهوم ثابت للحتمية التى يعشقها آجيث لأنّه يبحث على " سيطرة تامة " على الطبيعة هي فى الواقع غير ممكنة أبدا ، و لأنّه لا يفهم دور **التغيير** فى ولادة الحرّية من الضرورة ما يؤدّى على الدوام ، فى ما يشبه اللولب ، إلى ضرورة جديدة . يقول آجيث إنّ نقاش أفاكيان لهذه النقاط لا يمثّل شيئا سوى " تفاهات عن تواصل وجود الضرورة فى الشيوعية " لكن عدم الإقرار بما يسخر منه آجيث على أنّه " تفاهات " تواصلة وجود التناقضات فى ظلّ الشيوعية ، كان بالفعل مشكلا كبيرا وسط الحركة الشيوعية . لقد وُجدت لمدّة زمنيّة طويلة نظرة شبه دينيّة للشيوعية على أنّها جنّة بلا تناقضات ، التوافق النهائي فى تناقضات التاريخ الإنساني (أو حتّى ، كما رأينا فى الإستشهاد السابق بغنزالو ، نهاية " 15 بليون سنة من المادة فى حركة ").

آجيث " الماوي " (أحيانا) يجهل واقع أنّ ماو نفسه هو الذى شرع فى نقد صيغة إنجلز حول الحرّية و الضرورة (و قد أشار ماو إلى أنّها " تعبّر فقط عن النصف و تصمت عن الباقى " ، مشدّدا على أنّ الحرّية تكمن ليس فحسب فى " فهم " الضرورة بل أيضا فى " تغييرها " .(138) و أدرك أفاكيان أهمّية ملاحظة ماو النقدية التى إختار الكثيرون تجاهلها (بمن فيهم كما نلمس حتّى آجيث إلى اليوم) و قد طوّر هذا الفهم المادي الجدلي للعلاقة بين الحرّية و الضرورة و تغيير الضرورة . (139)

و فعلا هذا الفهم للحرّية و الضرورة متّصل بتشديد الخلاصة الجديدة لأفاكيان على **الأساس العلمي للدور الديناميكي للناس** . و هذا الدور الثوري الواعي للناس لا يصدر عن الإرادوية ، إنحراف مع السلطة أو عن موهبة ربّانية من الموقع الطبقي ، أو " الحتميّة التاريخية " ، بل عن الإقرار التام بأنّ

المسار الممكن و المواتى للتطوّر (بلوغ الشيوعية) متجذّر فى الظروف الماديّة ، لكن لا وجود لمسار وحيد حتمي : لنستعمل كلمات أفاكيان مجدّدا : " يجب إختراقه " (140)

لا جبريّة فى الثورة :

كتب آجيث :

" يتضمّن حلّ التناقضات الإجتماعية حتمية . مثلا ، ثورة إشتراكية (أو ديمقراطية جديدة) حتمية **لحلّ** التناقض بين البروليتاريا والبرجوازية . و إذا تواصل وجود الإنسانية ، فإنّ التناقضات الأساسية للإمبريالية سيتواصل حتما إحتدادها و تولد تمرّدات و أحزاب شيوعية و ثورات تقودها . " (141)

هنا يقوم آجيث بكلّ من إعادة تعريف المفهوم الواضح بالأحرى ل " حتمية " و مرّة أخرى يخلط بين الضرورة و الحتمية . الثورة الشيوعية **ضروريّة** لمعالجة تناقضات الرأسمالية لكنّها **ليست حتمية** . هناك تناقضات موضوعيّة و ماديّة و علاقات يوفّر حلّها بشكل خاص و بالضرورة أساسا و يستدعى ثورة شيوعية . لكن لا وجود لقوّة فلسفيّة حتمية أو سيرورة تعنى أنّ الثورة ستحدث حتما . لا وجود ل" جبريّة " فى الثورة .

تدفهع تناقضات الواقع المادي الموضوعي العوامل و الطبقات الإجتماعية إلى الحركة . وسيواصل الرأسماليّون الإستغلال على نطاق أوسع أبدا ، و ستضطرّ البروليتاريا إلى بيع قوّة عملها و إلى أن يتمّ إستغلالها ، و ستخلق هذه السيرورة و تعزّز جملة من الأمراض الإجتماعية الأخرى ، وكلّ هذا سيؤدى إلى صعوبات كبرى و مقاومة و صراع و تمرّد . ومع ذلك النقطة هي أنّ هذه الظروف تشكّل قاعدة للثورة الشيوعية كمسار ممكن لمعالجة التناقضات الإجتماعية المعقّدة . هذا بالتأكيد المخرج الأقصى المرغوب فيه و الذى تحتاجه جدّا الإنسانية ، لكن هناك مسارات أخرى مرغوبة أقلّ مثل ما حدث فى جنوب أفريقيا أين إنتهى نظام الأبرتايد [الميز العنصريّ] لكن مجتمعا تحرّريّا لم يحلّ محلّه ؛ أو حتّى مسارات فظيعة على غرار ما حدث إثر ثورة 1979 فى إيران التى أطاحت بالشاه المقيت و عزّزت نظاما إسلاميّا شبيه بالقرون الوسطى . يعزّز هذا الفهم المادي قدرتنا على القتال للتقدّم بالثورة الشيوعية كمخرج ضروري و مرغوب فيه و ممكن .

و على أساس نفس الظروف الموضوعيّة ، أي ، الضرورة ، ستتصادم الطبقات و ستتطوّر عوامل متنوّعة و فهوم متنافسة و برامج وتنظيمات و حلول سياسيّة . و مع ذلك ، للردّ على المثال المضطرب لآجيث ، ليس قطعا من الحتمي أن يتشكّل حزب شيوعي ، و ليس قطعا من الحتمي أن تساهم ثورة معيّنة عمليّا فى معالجة هذه الظروف (أنظروا إيران سنة 1979) و نهائيّا ليس من الحتمي أن تبلغ الإنسانية ككلّ الشيوعية و بالتأكيد أكثر ليس فى إستقلال عن الوعي والنشاط الثوريين الذين يقودهما حزب طليعي يستند إلى فهم علمي لكيف هو العالم و كيف يمكن أن يكون .

كيف نفهم القوانين التاريخية ؟

كشف آخر لنقص فهم آجيث للمادية التاريخية التى لا يراها كعلم بل كنظام بديهي مغلق يتمثّل فى معالجته لقوانين التاريخ . ينقد أفاكيان بسبب " إلغائه لمقدّمات المادية التاريخية قد تركّز بعد فى حديثه عن " نزعة " عوض عن " قوانين " التشكيلات الإجتماعية و غيّرها التاريخي ." بالنسبة لآجيث ،

تتطلّب المادية التاريخية الحتمية ، و قوانينا مصفّحة ، دونها بالفعل " لا يبقى شيء " من المادية التاريخية . " القوانين " حسب آجيث حتمية تماما و خطّية .

ومع ذلك ، لا تقيم الماركسية جدارا بين " النزعة " و " القانون " فمثلا ، كان ماركس واضحا تماما فى تصويره لسقوط نسبة الربح على أنّها " قانون نزعة " ، بكلمات أخرى ، موضع تعديلات و تيّارات معارضة . و يتوقّع آجيث هذا الإعتراض ويحاول أن يستبق النقد بهامش : " يمكن أن يحاجج بأنّه [أفاكيان] له مبّرراته فى إستعمال هذا المصطلح بما أنّه القوانين نزعة . لكن هذا صحيح بشأن كافة القوانين ، وهو صحيح حتى أكثر فى حال القوانين الإجتماعية " .

المشكل ليس إذا كان أفاكيان يستعمل كلمة " نزعة " أو " قانون " ، المشكل هو كيف يفهم آجيث مفهوم القانون ذاته ، فى كلّ من العلوم الطبيعية و كذلك فى العلوم الإجتماعية و خاصة الماركسية . لقد عانت طويلا الفلسفة و العلوم من مفهوم ميتافيزيقي للقانون يشمل علاقات سببيّة صارمة ، ما يشبه فهم آجيث " النظامي و الصريح و المنطقي " للعالم .

و تاريخيّا، هذا الفهم للقانون عادة ما إرتبط بالفهم الديني لكمال الإلاه كمصدر للمعرفة والغاية و الهدف . هذا إفتراض كامن فى التفكير المثالي . حتّى حين رفض العلماء ميتافيزيقا التيولوجيا ، ظلّ الكثيرون أسرى نظام يرتأى على أنّه كامل فى الطبيعة و أسرى فكرة أنّ كلّ شيء محدّد بعلاقات سببيّة صارمة . لقد إعتقد الماديّون الميكانيكيّون أنّه إن كانت لديك معرفة مناسبة و دقيقة للظروف الأوّلية ، سيكون من الممكن توقّع الأحداث المستقبليّة بمنتهى الدقّة . طبعا ، كانوا على علم بأنّ ذلك سيكون مستحيلا فى الممارسة العمليّة جراء حدود المعرفة الإنسانية – لكن فى هذه الرؤية الصدفة و العشوائية و اللاحتمية والأحداث غير المتوقّعة إلخ تعزى فقط إلى عدم كفاية فى المعرفة و ليست جزءا من طبيعة الواقع نفسه. (142) و كانت الحركة الشيوعية إلى درجة هامة متأثّرة تأثّرا كبيرا بهذا الفهم .

و علاوة على ذلك ، عند النظر لكيفيّة وضع آجيث " القانون " إلى جانب " النزعة " ، نحتاج إلى أن نلاحظ أنّ القوانين تعنى تناقضات . فحتّى القوانين الأكثر تحديدا تعنى (و يمكن حتّى أن تفرز) عدم القدرة على التوقّع . و العكس صحيح أيضا : " عدم التأكّد " يمكن أن يستخدم لوصف سلوك " قانوني " جدّا . فمثلا ، مبدا عدم التأكّد لدى أيزنبارغ فى الفيزياء يمكن أن يقود إلى توقّعات وحسابات دقيقة . و نظرة آجيث للقانون تفترض أنّه يسير فى سلسلة محكمة من علاقات السبب - النتيجة ما تنتج عنه حركة و حتمية . بهذا التفكير ، سيخطأ المرء إن بحث عن تفسير لظاهرة معقّدة بسلسلة لا تنفصل من الأسباب على أساس المستوى الأكثر أساسية و / أو مكوّنات الواقع . إنّ حتمية آجيث لا يمكن أن تخفي واقع أنّه لا يفعل سوى تكرار تأكيد غنزالو الأكثر مباشرة بأنّ " 15 بليون سنة من المادة فى حركة ... قد أفرزت المسيرة التى لا تقاوم نحو الشيوعية " .

فى الواقع ، فى الفروع الكبرى من العلم الأحداث غير المتوقّعة والصدفة معا مع القانون المحدّد لها دور تام - مبدأ عدم التأكّد فى الفيزياء ، الإحتمالات و الموجات الحتمية و الخلاصة المعاصرة لنظريّة التطوّر الداروينية يعترفون بدور المسارات و القيود الممكنة و دور الطوارئ . إنّ الإعتراف ب " الطوارئ و الأحداث غير المتوقّعة " لا ينكر تماسك هذه الفروع من العلم و صرامتها و قدرتها التفسيرية .

لنأخذ حدثا ضخما مثل الحرب العالمية الأولى . فقد نجمت عن تناقضات عميقة فى النظام الإمبريالي . لكن كيف و متى إندلعت – و الحدث الخاص القادح ، إغتيال الأرشيدوق فرديناند سربيا فى أوت 1914 – كان مرتبطا بعدّة عوامل طارئة و حوادث غير متوقّعة .

إنّ وجود **إمكانية** مسارات سيرورة تاريخية و النتيجة **الفعلية** لهذه السيرورة كنتاج مسار **خاص** هو حصيلة تفاعل بين الصدفة و الضرورة – و الدور الديناميكي لعامل الوعي الإنساني و التفاعل بين مختلف القوى الطبقية .

ما لا يمكن أن يراه آجيث هو أنّ المادية **الجدلية** و التاريخية " تظلّ " فى حين أنّ التيولوجيا و الحتمية تستبعد عن حقّ من الماركسية . يريد آجيث تعزية الحتمية . يريد من الماركسية أن تكون دينا .

VIII - آجيث يجد نفسه بصحبة ما بعد الحداثة و الدين :

لقد ناقشنا ما هو العلم و ماذا تعنى المقاربة العلمية : التعلّم من أسباب ظاهرة ، **لماذا** تحدث الأشياء و **كيف** تتطوّر ، و البحث عن هذه الأسباب فى العالم المادي – و تقديم شروح ترتهن صلوحيتها بالإختبار ، و التحقّق و الدليل / و الدحض .

و مهاجمة آجيث لأفاكيان بسبب العلماويّة والعقلانية مرتبط بتقييم آجيث السلبي الإحادي الجانب للتنوير . و بالفعل ، مجمل جهود آجيث لتشييد "ماوية " منفصلة عن أسسها العلمية تؤدّى به إلى إستهداف التنوير.

تقييم أفاكيان الجدلي للتنوير :

لقد شخّص أفاكيان أهمّية تقييم تنوير القرن الثان عشر و الجدال الدائر حوله . و يمثّل التنوير ظهور و تعزيز الإيديولوجيا و التفكير المتناسبين مع الحقبة المعاصرة و نمط الإنتاج الرأسمالي كما ظهر فى أوروربا خاصة فى القرن الثامن عشر . فى العقود الأخيرة وُجد نقاش شديد حول طبيعة التنوير و نقائصه . و بوجه خاص ، وُجدت تحدّيات شديدة ل" إيديولوجيا التنوير " صادرة عن كلّ من هجمات نامية متنوّعة و رجعية دينية على العقل و العلم ، و عن تيّار متنوّع و واسع عموما يشار إليه ب " ما بعد الحداثة " – و سنجد أنّ آجيث مرتاح بصحبتهما معا .

فى بحث هام ،**" الماركسية و التنوير "** ، كتب أفاكيان :

" هناك تيّارات متنوّعة من التفكير الإمبريالي و الرجعي المتّصل بالتنوير . هناك نوعا ما من الهجوم الشامل على التنوير ، من الأصوليين الدينيين و الظلاميين ، بمن فيهم " اليمين الديني " فى الولايات المتحدة ، الذين يعتبرون التنوير – و بوجه خاص مفهوم التعويل على العلم و العقل بدلا من المفاهيم الدينية الظلامية ، كأساس للإيديولوجيا والسياسة – على أنّه بزوغ عصر الشيطان ، إن أمكن القول . هذا من جهة ... و من الجهة الأخرى ، هناك تيّار محدّد فى التفكير البرجوازي الليبرالي لرؤية التنوير (و ما تعدّ نتائجا له) كأداة " إيجابية " للإستعمار و للهيمنة الإمبريالية تبحث عن إعادة صياغة العالم بأسره على صورة الديمقراطية البرجوازية ...

توافق الماركسية على أنّ مظهر التنوير الذى يقول إنّ العالم قابل للمعرفة و إنّ الناس ينبغى أن يبحثوا عن فهم العالم (أو الواقع عامة) فى كلّ تعقيداته ، وعلى أنّه يتعيّن عليهم أن يفعلوا ذلك بواسطة مناهج علمية ... إنّه عقيدة و مقدّمة من المقدّمات الأساسية للتنوير أنّه يتعيّن على الناس أن يبحثوا عن فهم العالم بواسطة مناهج علمية و هذا سبب رئيسي للهجوم الذى كان يتعرّض له التنوير – و اليوم أيضا يتعرّض للهجوم – من قبل الظلاميين و التيّارات الرجعيّة الأخرى . هذا مظهر التنوير الذى تتّفق معه الماركسية بالمعنى العام .

و ما لا تتّفق معه قبل كلّ شيء هو مفهوم (للتذكير بنوع من السخرية بالإستشهاد بالإنجيل) " يجب أن تعلم الحقيقة و الحقيقة ستجعلك حرّا ". هذا غير صحيح ، فى آخر التحليل . بادئ ذى بدء ، ما يوجد فى الإنجيل ليس صحيحا . ولكن حتّى إن كان صحيحا ، فإنّ مجرّد **معرفة** ما هو صحيح و التفكير فى أنّه بحدّ ذاته " سيجعلك حرّا " هو شكل من العقلانية (من المثالية) ؛ إنّه يمضى مع فكرة أنّ العلم سيعيد تشكيل العالم بمجرّد قوّة " حقائقه " ...

لذا هذه طريقة هامة ، فلسفيّا ، تختلف بها الماركسيّة عن لبّ تفكير التنوير . و فى نفس الوقت ، طبعا ، سياسيّا ، تعارض البروليتاريا الثوريّة و تمثّل قطيعة راديكاليّة مع نظام الحكم السياسي البرجوازي الذى يتناسب أساسا مع التنوير. و بصفة أخصّ ، نعارض إستعمال التنوير و التقدّم العلمي و التكنولوجي المرتبط به ، كوسيلة لتبرير الإستعمار و الهيمنة الإمبريالية ، بإسم " عبء الرجل الأبيض " أو المدّعى " المهمّة التحضيريّة " للنظام الإمبريالي " الأكثر تنويرا و تقدّما " و ما إلى ذلك . هذه طريقة أخرى نختلف فيها ، بعمق ، فى على الأقلّ أهمّ مظاهر كيف وقع تطبيق التنوير(و الأشياء المرتبطة به). (143)

مقاربة أفاكيان للتنوير و هذا المقال الأساسي بوجه خاص ، يجعل آجيث يجنّ فينكر ما يحاجج أفاكيان من أجله فعلا و يشوّهه و ، الأهمّ ، يكشف نظرته هو و موقفه هو فى النقاش حول التنوير فهو يجد نفسه بصحبة باعثة على الإضطراب ، صحبة المتزمّتين الدينيين الرجعيين و تيّارات ما بعد الحداثة .

هجوم آجيث على التنوير و تشويهه لوجهات نظر أفاكيان :

لننظر فى تلخيص آجيث الأكثر إقتضابا لوجهات نظره التى يردّ فيها مباشرة على مقتطف من فقرات أفاكيان التى مر بنا للتوّ ذكرها :

" اليوم ، مقارنة حتى بزمن ماو ، بتنا أغنى بوعي جديد للجوهر المتناقض للتنوير و وعيه العلمي . و قدّمت التيارات ما بعد – المعاصرة مساهمات هامة فى هذا الصدد . و لو أنّ نسبيتها قادتها إلى نبذ غير تاريخي للتنوير و العصرنة ، فإنّ الأفكار الثاقبة النقدية التى تتقدّم بها يجب على الماركسية أن تلخصها . و مساهمات منظّري مدرسة فرانكفورت هي كذلك يجب أن يعترف بها . و ضرورة تمييز المظهر التحرّري للتنوير عن إنحنائه البرجوازي ، و طبيعة الدفعة الشديدة الإستعمارية درس هام علينا إستخلاصه . و فضلا عن هذا فإنّ الوعي العلمي ذاته يجب أن ينقد لأجل فصل مضمونه العقلاني عن تأثير قيم التنوير التى نراها فيه ...

بعيدا عن معالجة التفكير الجديد الذى يوجه الإنتباه إلى المشاكل **الكامنة** فى التنوير و الوعي العلمي المعاصر ، كلّ ما يتحدّث عنه هو كيفية " إعتبارها " و " إستعمالها " من قبل الإمبريالية . و ينمّ هذا عن أنّ المشكل مع عدم الفهم و سوء الإستعمال . و مثل هذا التفكير خطوة إلى الوراء نسبة للتقدّم النظري الحاصل فى هذا الموضوع . (144)

مراعاة لتقييم آجيث المصرّح به أعلاه بصدد ما بعد الحداثة ، لنحاول أن " نفكّك " قليلا تفكيره المتشابك.

إنّه لواضح تماما عندما نقرأ كامل مقطع أفاكيان أعلاه (الذى يحاول آجيث تشويهه) أنّ أفاكيان يلفت النظر عمليّا إلى التناقضات الحادة فى إرث التنوير . و يشير بوجه خاص إلى بعض الطرق التى بها " تختلف الماركسية عن لبّ تفكير التنوير " . و فى نقده للعقلانيّة أعلاه ، يجلب أفاكيان النظر إلى واقع أنّ الصراع ليس منحصرا فى مجال ما هو صحيح و ما هو خاطئ فى جملة أفكار معيّنة . لا يمكن للتناقضات الطبقية و الحكم الطبقي أن يتمّ إخفاؤهما بإسم الحقيقة العلمية و التقدّم العلمي ، مثلما يحاجج مدّاحو الإمبريالية و الرأسمالية و الديمقراطية البرجوازية .

خطر أخطاء آجيث فى علاقة بالتنوير يزن بثقله على الصراع السياسي والطبقي ، مثلما صار بديهيّا فى الصراع اليوم فى عديد أنحاء العالم ضد فكر الخلق و هجوم الأصوليّة الدينية على العلم – و يتداخل مع صراعات أخرى ن خاصة ضد إستعباد النساء .

فى أعمال أخرى عالج أفاكيان هذه المواضيع بالتفصيل ، بما فيها كتابه المجدّد المنشور سنة 1984) " **الديمقراطية : أليس بوسعنا أن ننجز أفضل من ذلك ؟** " الذى عالج مطوّلا الحجج و المقدّمات الفلسفيّة و السياسيّة لأهمّ مفكّري التنوير مثل لوك و روسو و ميل . و بعيدا عن أن يبرّر " قيم التنوير " كما يتّهمه آجيث ، يبيّن أفاكيان كيف أنّ الكثير من المقدّمات الأكثر تقديسا اليوم ، بما فيها " الديمقراطية " ذاتها ، غير منفصلة عن المجتمع المنقسم طبقيّا بأشكاله المعاصرة من الإضطهاد والإستغلال فى أوروربا و عبر العالم .

فى كتابه و فى مؤلّفاته عموما ، يجلب أفاكيان الإنتباه إلى و يتقدّم على أساس القطيعة الجوهرية و القفزة التى أنجزها ماركس مع الآفاق المحدودة للتنوير ، التى كانت وثيقة الإرتباط بظهور نمط الإنتاج الرأسمالي . (145)

و يتجرّأ آجيث على إتّهام أفاكيان بالإخفاق فى " التمييز بين المظهر التحرّري للتنوير و طبيعته البارزة البرجوازية الإستعمارية " فى الواقع ، عبر كتاباته لعدّة عقود ، أكّد أفاكيان على إمكانية معرفة العالم (وهو وثيق الإرتباط بإمكانية تغيير العالم بواسطة الثورة) من خلال تطبيق المقاربة العلمية التى كسبت الغلبة مع صعود نمط الإنتاج الرأسمالي و تعزيزه . لكن المسألة لم تكن أبدا القبول بهيمنة البلدان الرأسمالية – الإمبريالية التى نشأ فيها نمط الإنتاج هذا . فمثلا فى مقال فى 2000 ، كتب أفاكيان :

" و يؤكّد هذا مرّة أخرى حاجتنا إلى إمتلاك مقاربة صحيحة للتنوير – أن نقسم بشكل صحيح إلى إثنين التنوير و القيم و التقاليد المرتبطة به – للإتحاد مع ذلك المظهر من التنوير الذى يقول إنّ العالم قابل المعرفة ، و إنّ الناس يجب أن يبحثوا عن فهم العالم (و الواقع عامة) فى كلّ تعقيداته و إنّه يجب أن يقوموا بذلك بمناهج علمية ، بينما يعارضوا المفهوم المثالي بأنّ مجرّد إتخاذ مقاربة عقلية (أو عقلانية) للعالم سيؤدّى هو نفسه إلى مجتمع عادل ، و يعارضوا بصرامة إعلان تفوّق المجتمع البرجوازي الليبرالي لتبرير الهيمنة و النهب الإمبرياليين عبر العالم ، و عبر العالم الثالث على وجه الخصوص .

يحاجج هذا " الخطّ العالمي " ل" الليبرالية " الإمبريالية هذه الأيّام (و الذى يمكن شرعيّا و على نحو عادل وصفه بأنّه تحديث ل " عبء الرجل الأبيض ") من أجل " حقوق الإنسان " فوق حتّى " الحقوق القومية " – إنّه يعلن " حقوق الإنسان " على انّها ذات صلوحيّة " عالمية تتجاوز و " تتخطى" (كما يرغبون فى القول) حتى السيادة القومية والمبادئ المرتبطة بها . إنّه نوع من " كونيّة الإمبريالية " ... (146).

عن موقف ماركس تجاه الحكم البريطاني فى الهند :

كان من الضروري دحض تشويهات آجيث السخيفة لأفاكيان على أنّه مدّاح من مدّاحي الإمبريالية . لكنّ آجيث يضغط كذلك فى هجومه على التنوير وعلى الماركسية كعلم بتحويل نقده فى مقال" **ضد الأفاكيانية**" إلى ماركس و معالجته للإستعمار البريطاني و الهند:

" بعض كتابات ماركس و إنجلز قد عرضت تأثير تنوير المركزية الأوروبية[هكذا] . و هذا لا يمكن أن يعزى بالتمام إلى قلّة المعلومات التى كانت لديهم عن هذه المجتمعات . يمكن مثلا تلمّس ذلك فى كتاباتهم عن الهند . "(147)

يحاجج آجيث بأنّ هناك نظرة مركزية أوروبيّة فى كتابات ماركس وإنجلز قادتهم إلى الإستهانة ، إن لم يكن إنكار ، التأثيرات القاسية و التدميريّة للحكم البريطاني فى الهند ؛ أي ، إلى رؤية التحرّر الوطني كشيء يقف فى طريق تطوير قوى الإنتاج ، مثل بناء سكك الحديد ، التى سيدفع إليها توسّع الأسواق ، و كسر الأنظمة التقليدية للفلاحة إلخ ، مترافقا مع الحكم البريطاني و التوغّل الإقتصادي فى المجتمع الهندي . هذا تأويل منتشر لماركس ، و بعض مفكّري ما بعد الحداثة وما بعد الإستعمار مضوا بعيدا إلى حدّ وصف ماركس بمدّاح النظرة المركزيّة الأوروبية للإستعمار البريطاني .

فى كتاب " **الماركسية و نداء المستقبل** " ، يبدى أفاكيان بعض الملاحظات اللامعة توفّر إطارا منهجيّا هاما لفهم مقاربة ماركس وتطوّر فكره و تطوّر أي علم بما فيه المادية التاريخية .

النقطة الأولى هي أنّ ماركس كان يحلّل التطوّرات الجارية فى الهند زمنها . وكان يسعى إلى رؤية ما يدفع الإستعمار البريطاني إلى غزو الأسواق و تداعيات ذلك و نتائجه الممكنة من وجهة نظر التقدّم بالثورة البروليتارية عبر العالم . و يحيل أفاكيان إلى بعض كتابات ماو حول تأثيرات الإمبريالية على الصين حيث يشير إلى كافة الأشياء التى قامت بها ، لكن ماو يبيّن أيضا ، من الجهة الأخرى ، أنّها أوجدت أو سرّعت فى تطوير البروليتاريا ما جعل من الممكن قيام نوع مختلف من الثورة فى الصين .

و يخطو أفاكيان خطوة إلى الوراء ليضع المسألة على النحو التالي : قول إنّ شيئا " قد حصل " (التوغّل العنيف و المدمّر فى الهند) ليس قول" هذه هي الطريقة الوحيدة التى يمكن بها للشيء أن يحصل ، و بالتالى هذا جيّد ". المسألة هي " هذا حدث و إنقسم إلى إثنين : من ناحية قام بكلّ هذا – أوجد كلّ هذا النهب و العذاب – و من الناحية الأخرى ، أوجد بعض الظروف و الآن يمكن أن نفعل شيئا بما أوجده " (148).

و النقطة الثانية هي أنّ تفكير ماركس عمليّا تطوّر :

" ما قاله [ماركس] حول القضيّة الإرلندية ، ينطبق فى رأيى على الهند – أنّه إعتقد لعدّة سنوات أنّ القضيّة الإرلندية ستحلّها الثورة البروليتارية فى أنجلترا ، ثمّ توصّل إلى الإعتراف بأنّه لن توجد أبدا ثورة بروليتارية فى أنجلترا دون تولّى القضيّة الإرلندية أي قضية تحرير إرلندا من أنجلترا ...

أعتقد أنّه بإمكانكم عقد مقارنة مع داروين ، مثلا . لقد أنجز داروين إختراقا تاريخيّا – عالميّا ... إلاّ أنّه وُجدت أشياء عن التطوّر لم يفهمها و وُجدت أشياء كانت تحتاج إلى أن " يتمّ الإشغال عليها " ... لكنّنا نحن الذين ندافع عن هذا و نريد مواصلة التعلّم نعمل ، بالمعنى العام ، ضمن التقليد و الإطار الذين أرساهما داروين ، حتى و إن كنّا لا نتّفق معه فى كلّ شيء ... و أنظر إلى ماركس النظرة ذاتها . لقد رأى ماركس الثورة خارجة من أوروبا – رآها قادمة بالمعنى الآني أكثر ممّا كانت عليه ، لسوء الحظّ ... تتوقّعون حصولها بسرعة فى أوروبا ، و نظرتكم أنّ هذا سيعتنى بالأشياء بمعنى أنّ هذه هي البلدان المتقدّمة حيث ستنجح اوّلا الثورة البروليتارية ، و حالما تصبح هذه البلدان إشتراكية ، ستتغيّر بقيّة العالم و مشاكل التاريخ ستتوضّح ..."

[لكن] حالما تشرع فى تطوير نظرة للأشياء على مدى بعيد ، يواجهك شيئان إثنان .أوّلا ، الثورة البروليتارية ليست قادمة ، فى هذه المرحلة على الأقلّ ، أساسا فى أوروربا ... و ثانيا ، طوّرنا نظرة أشمل للتاريخ و نفهم اكثر تعقّد التاريخ و طبيعته و تنوّعه فى الماضي ، لكنّنا نرى أيضا انّ هذه الحقبة التى نعيشها أطول بكثير ممّا توقّعه ماركس ".(149)

و النقطة الثالثة هي أنّه من العبثيّ أن نقترح أنّ ماركس كان غافلا أو قاسي القلب أو بأي شكل من الأشكال يبرّر الإستعمار . كان ماركس وإنجلز شديدي الوضوح حول الطبيعة العنيفة و النهّابة للنظام الرأسمالي الصاعد عبر العالم . و درس إنجلز الظروف القاسية للبروليتاريين فى أنجلترا ، و وصف ماركس على نحو نابض بالحياة السيرورة العالمية التى من خلالها يشرب هذا النظام الدم عبر العالم قاطبة :

" ان اكتشاف مناجم الذهب والفضة في أمريكا، واقتلاع سكانها الأصليين من مواطنهم واستعبادهم ودفنهم أحياء في المناجم، وبدايات غزو ونهب الهند الشرقية، وتحويل إفريقيا إلى ساحة محمية لصيد ذوي البشرة السوداء، ان ذلك كله يميز فجر عهد الإنتاج الرأسمالي. ان هذه العمليات الرغيدة هي العناصر الرئيسية للتراكم الأولي. ثم جاءت في أعقابها، الحرب التجارية التي خاضتها الأمم الأوروبية جاعلة الكرة الأرضية ساحتها. فقد اندلعت بانفصال هولندا عن أسبانيا، واتخذت أبعاداً هائلة في حرب إنكلترا ضد اليعاقبة، وما تزال مستعرة في حروب "الأفيون" ضد الصين، وهلم جراً.
...ان رأس المال يولد وهو ينزف دماً وقذارة، من جميع مسامه، من رأسه وحتى أخمص قدميه." (150)

معارضة آجيث ل" الوعي العلمي" :

قال آجيث :

" و فضلا عن هذا فإنّ الوعي العلمي ذاته يجب أن ينقد لأجل فصل مضمونه العقلاني عن تأثير قيم التنوير التى نراها فيه . و قد تمظهرت هذه بصورة خاصة فى إدعاء بشأن العلم المعاصر على أنّه الكلمة الفصل المهيمنة على الفكر و الممارسات ما قبل – المعاصرة على ذلك الأساس و مقاربة نفعية فى علاقة الإنسان بالطبيعة . فى البلدان المضطهَدة ، لا زالت الإستهانة بالمعرفة التقليدية مظهرا سائدا للعصرنة ، والدروس الثرية للمحاولات التى جرت فى الصين الثورية لتلخيص المعرفة التقليدية إلى جانب العلوم المعاصرة و ممارستها الجماهيرية خلال الثورة الثقافية توفّر منطلقا متينا لخلاصة ماركسية. " (151)

نلقى بنظرة على خليط آجيث . إنّه يقذف بعبارة " الوعي العلمي " لكنّه لا يعرّفها بأيّة طريقة أخرى سوى قول إنّها تقاسم " قيم " التنوير . ما الذى يعنيه ؟ يكشف آجيث نظرة للعلم و الفهم العلمي باعثة على الإضطراب . أليست الماركسية نفسها " وعيا علميّا " ؟ ربّما ما يقصده آجيث ب " الوعي العلمي " هو المقاربة و الفهم المستعملين فى العلوم الطبيعية كما وقع تعميمها خلال التنوير و كما تمارس فى يومنا الحاضر فى العالم الذى تهيمن عليه الإمبريالية . لكن حتّى و إن كان يقصد ذلك فإنّ آجيث يظلّ مخطأ .

من الصحيح أنّ ممارسة العلم نشاط إجتماعي : إكتشاف الحقائق حول الواقع و نقاشها يقعان ضمن إطار مجتمع منقسم إلى طبقات و يطبعان بعمق بالنظام الإجتماعي والإيديولوجيا المهيمنين. فعلى سبيل المثال،

كان العلم يُمارَس بطريقة مختلفة جدا فى الإتحاد السوفياتي عندما كان إشتراكيّا و فى الصين الماويّة ، و حتّى أكثر كذلك مع تعمّق الثورة أثناء الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . لكن **المعرفة** العلمية **ذاتها** ليست مساوية لممارسة أو " صناعة " العلم فى أي نظام إجتماعي خاص .

ولنترك جانبا " الوعي العلمي " لآجيث للحظة و لننظر فى ما حدث عمليّا فى العلوم خلال تقريبا فترة التنوير . كانت مقاربة جديدة لمعرفة الواقع تتعزّز فى تعارض مع تحديد الأشياء أو معرفتها بالتعريفات النوعية (الأرض و الماء و الهواء و النار لدى أرسطو) . و كانت المقاربة العلمية الصاعدة تعوّل على إستشارة الواقع و الحسابات الكمّية و التجارب المتكرّرة و تركّز المنهج التجريبي .

ودور التفكير العقلي (الإستنتاج المنطقي و المنطق الشكلي و اللغات العلمية مثل حساب التفاضل و التكامل و تطوّر أرقى للرياضيّات بصورة أعمّ) تطوّر على قدم و ساق . و جرى تحدّى التعويل على البحث العلمي الماقبلي (الحقائق معطات مسبّقا كبنيان ذهني أو من قبل الإلاه) و تعويضه بتقّدم جديد فى مختلف العلوم . و فى الواقع ، لأوّل مرّة ، كان العلم يشهد سيرورة التحرّر أي تمييز نفسه عن الفلسفة (لقد وقعت تسمية العلم قبلا " فلسفة الطبيعة ") . و مثّل تركيز المنهج العلمي و تعميمه و تأثيره على المجالات الأخرى من التفكير ثورة فى التفكير الإنساني .

و طبعا وُجدت حدود جدّية و أخطاء فى كيف أنّ العلم كان يمارس فى ظلّ الرأسمالية قبلا و كيف تتواصل ممارسته اليوم . بعض هذه الأخطاء ناجم عن نقص فى المعرفة ، عن حدود فى الوسائل المتوفّرة للملاحظة و الإختبار و هلمجرّا . و مع ذلك ، النظام الإجتماعي و البنية الإيديولوجية و السياسيّة يلعبان كذلك دورا فى ممارسة العلم و يمكن سواء أن يدفعوا إلى الأمام أو يضلّلوا و يعرقلوا البحث و الإكتشاف العلميين أو القيام بالإثنين إلى مدى ما .

فمثلا ، كان على داروين و أتباعه أن يقاتلوا بشراسة لإرساء حقيقة نظريّة الإنتقاء الطبيعي تحديدا لأنّ تلك النظريّة كانت تمضي مباشرة ليس ضد تعاليم الكنيسة (التى ظلّت قويّة حتّى فى عصر الثورة الرأسمالية (بل كذلك ضد النظرة للعالم المهيمنة لزمنها بأنّ التغيير لم يكن ممكنا دون مصمّم . فى نظريّة داروين ، مكانة البشر فى الكون خفّضت راديكاليّا من تمثيل " صورة الإلاه " إلى بوجه خاص أحد الثدييّات الناجحة أو المذهلة .

ما لا يستطيع آجيث فهمه هو أنّ حدود العلماء و أخطاءه و بصفة أعمّ المقاربة الإجتماعية برمّتها للعلم لا يمكن أن تنسب إلى " الوعي العلمي " عامة . بالعكس ، حيث وُجدت هنات و حدود فى مقاربة العلم ، فإنّها تمثّل تحديدا تلك المناهج و الإستنتاجات و الحجج التى هي بالفعل تخذل أو تذهب ضد المنهج العلمي الفعلي .

العلم و المعرفة التقليدية :

يحاجج آجيث ضد رؤية " العلم المعاصر على أنّه الكلمة الفصل المهيمنة على الفكر و الممارسات ما قبل – المعاصرة على ذلك الأساس و مقاربة نفعية فى علاقة الإنسان بالطبيعة . فى البلدان المضطهَدة ، لا زالت الإستهانة بالمعرفة التقليدية مظهرا سائدا للعصرنة " و سنضيف ، ليس فقط الفكر " ماقبل الحداثة " فى المجتمعات التقليدية بل حتّى أشكال معرفة " غير علمية " مثل الفنون و البحث غير العلمي و المضاربة يجب كذلك ألاّ تكون مستهانة "

و المسألة هي أنّ النظرة الشيوعية الصحيحة للعالم التى تشدّد على التطبيق الصارم للمقاربة و المنهج العلميين ، رغم تهمة آجيث ، لا تستخفّ بمصادر أخرى من المعرفة و حقول البحث . بهذا المعنى، الأطر " غير العلمية " ل " الفكر ماقبل الحداثي " هي ما يمكن و يجب بصفة أكثر نهائيّة أن تضعها موضع تساؤل معايير المعرفة العلمية الأكثر تقدّما . و هذه المساءلة لا تعنى كذلك أن الماركسية تعتبر المدارس الأخرى للتفكير و البحث دون قيمة أو ببساطة إرث من الماضي .

ومثلما علّقنا على ذلك آنفا ، أوضح أفاكيان مسألة أنّه ستوجد على الدوام " رهبة و عجب " إزاء حجم الكون و تعقّده المذهل . و سيكون الفنّ و الخيال دائما جزءا من كيف قارب البشر هذا (مثلا ، تساءل أفاكيان " هل يمكن أن نحيا دون أسطورة ؟ " و طفق يبيّن كيف أنّه علينا أن نحيا دون أسطورة بالمعنى الديني لكنّ الأسطورة ستشكّل دائما جزءا من الوعي الإنساني). (152)

لا تبحث المقاربة العلمية الحقيقية ، المادية الجدلية ، عن مسح أو إستبعاد كافة النظرات الأخرى للعالم ، بل بالأحرى توفّر أرضيّة لنقد ما يجب نقده و تقدير مساهماتها بشكل أفضل ، و لإدماج نظراتها الثاقبة . لكن المسألة ليست تبنّى **بديل** عن العلم ، بالأحرى علينا أن نستعمل كلّ العناصر المساهمة و أن نفهم السيرورات الجارية فى إطار علمي شامل كي نعالج الحاجيات الآنية و أيضا لإدماج هذه الأجزاء من المعرفة فى القفص العام لثروة الفهم الإنساني للعالم . كلّ هذا يصحّ على كلّ من البلدان الرأسمالية الأكثر تطوّرا و كذلك على البلدان الأكثر " تقليديّة " . و كذلك من الصحيح أنّه حين يتعلّق الأمر بالمجتمع التقليدي ، نحتاج أن نولي عناية خاصة لإرث الإضطهاد و الإدماج القسري و الإنحطاط الثقافي و الكثير منه أنجز بإسم " التعصير " أو حتّى " العلم ".

إنّه لتشويه أن يدّعى ، مثلما يفعل آجيث ، أنّ أفاكيان غافل عن هذه المواضيع المعقّدة و الصعبة . بالعكس ، لاحظوا بأيّة عناية و أيّة جدلية يتناول أفاكيان هذه المشاكل الشائكة :

" كيف تحتضنون تاريخ الإنسانية ؟ ماذا عن السكّان الأصليين و دينهم الذى هو حيويّ للغاية فى معنى هويّتهم ؟ أمر صعب – لكن لن نتوصّل إلى شيء دون هذا النوع من النظرة و المنهج اللذين أحاجج من أجلهما . دون هذا ستتذيّلون بلا نقد إلى هذا أو تقمعونه بعنف عندما يقف فى طريقكم ." (153)

آجيث يسقط فى أحضان ما بعد الحداثة :

فهم آجيث و خلطه بشأن العلم و منهجه و مقاربته تضعه بالضرورة بصحبة التيّارات الفكريّة التى تتقاسم مشاغلا مشابهة حول توفّر الحقيقة الموضوعيّة ، و قابلية تطبيق العلم على المجتمع الإنساني و إعتبار الماركسية علما .

يصرّح آجيث بأنّ " قدّمت التيارات ما بعد – المعاصرة مساهمات هامة فى هذا الصدد " (فى رأينا ، " الصدد " الذى يحيل عليه هو" صدد " معارضة الماديّة) . و يسترسل ، " و لو أنّ نسبيتها قادتها إلى نبذ غير تاريخي للتنوير و العصرنة ، فإنّ الأفكار الثاقبة النقدية التى تتقدّم بها يجب على الماركسية أن تلخصها . و مساهمات منظّري مدرسة فرانكفورت هي كذلك يجب أن يعترف بها . " (154) على وجه التحديد موقف من شخص كان يحاجج أنّه لم يوجد أي تقدّم نوعي فى النظريّة الشيوعية منذ وفاة ماو !

خلافنا مع آجيث ليس أنّه يتفحّص المدارس غير الماركسية من أجل رؤى ثاقبة ممكنة ، و إنّما أنّه يتقاسم معها أجزاء هامة من مقدّماتها و مفاهيمها و هكذا هو غير قادر على تمييز ما هو صحيح عن ما هوغير صحيح فى تفكير هذه المدارس و إعادة صياغة أية رؤى ثاقبة فى إطار المادية الجدلية .

لا يمكن تجاهل إحالات آجيث القصيرة لكن المعبّرة على " الخطى النظرية المتقدّمة " لما بعد الحداثيين و لمدرسة فرانكفورت ، و المرور عليها مرور الكرام أو تبريرها على أنّها خطأ هيّن . إنّها تعكس الولاء العميق الجذور و الواعي لدى آجيث لبعض التيّارات الفكريّة المفاتيح سواء منها المعادية للماركسية و المعادية للشيوعية صراحة أم بتستّر ، كما تقدّم نفسها اليوم و كذلك كما تطوّرت تاريخيّا .

المشكل هو أنّ ما يراه آجيث " خطوات نظرية متقدّمة " ليس كذلك . إذ هي جزء من تيّار ضمن عديد المثقّفين **يبتعد عن** نقد النظام الرأسمالي كنظام و عوض ذلك يهاجم العلم و العقل اللذان أعلنا سلطة فى التنوير ضد الأنظمة الإيديولوجية التيولوجية السابقة التى إستخدمتها القوى الإجتماعية الرجعية (خاصة تلك القوى المرتبطة بالنظام الإقطاعي و الكنيسة) ، التى تعرّضت للهجوم أثناء الثورة البرجوازية .

سبق و أن رأينا إنشغال آجيث برسم خطّ تمايز رفيع بين المنهج العلمي المستعمل لدراسة العالم الطبيعي و دراسة المجتمع الإنساني . و رأينا أنّه يقبل ب " الحقيقة الطبقية " وهو شيء يذهب ضد نظرية التناسب للمعرفة التى تقع موقع القلب من الأبستيمولوجيا المادية . هتان الدعامتان فى رؤية آجيث للعالم تضعان موضع السؤال القدرة على معرفة العالم . وهنا نلمس اللقاء الكبير بين آجيث و أحد التيّارات الرئيسيّة فى يومنا الحاضر المعارضة للماركسية ، فى المجال الأكاديمي و الفنون و حتّى الحركات السياسيّة التقدّمية ، ما بعد الحداثة .

و بالرغم من أنّ ما بعد الحداثة كتلة غير متبلورة من تيّارات الفكرية المترابطة و العديد من مطبقيها يرفضون نعت ما بعد الحداثة ، فإنّه من الممكن أن نشير إلى بعض المواضيع المشتركة . و إحدى العقائد هي أنّ الحقيقة الموضوعية لا يمكن الحصول عليها . و زيادة على ذلك ، يحاجج بعض الما بعد الحداثيون أنّ " المبالغات " أو" مبالغات العقل " مسؤولة عن ما يصفونه ب " التراجيديا المزدوجة " للقرن العشرين : ألمانيا النازية بمحرقتها و الإتحاد السوفياتي لستالين و الغولاك (أحيانا يوضع كهتلر و ستالين). و أية محاولة لتأكيد القول بالحقيقة الموضوعية هو فى تفكير الما بعد حداثيين ، لعب بالنار و يؤدّى إلى الشموليّة .(155)

إنزعاج آجيث من المنهج العلمي و توسيعه ليشمل المجتمع الإنساني يتقاسم رفض الما بعد حداثيين لوجود إمكانية الحقيقة الموضوعية .

تعويض الحقيقة ب " رواية شخصيّة " :

و فضلا عن هذا ، يشترك دفاع آجيث عن" الحقيقة الطبقية " فى الكثير جدّا مع الفهم الما بعد حداثي ل " الرواية الشخصيّة " . و يعنى الما بعد حداثيّون ب " الرويات الشخصيّة " أنّ هناك عديد التأويلات للواقع ، و أنّ الحقيقة نسبيّة لكلّ رواية (" لديك روايتك و لديّ روايتى ") ، و أنّه لا يمكن لأية رواية منها أن تدّعي شرعيّا أنّها تمثّل الواقع الموضوعي . ونظرا لكونه لا وجود لمعيار موضوعي ، ما هي إذن قاعدة تحديد أي من الرويات الشخصية أو التأكيدات المتنافسة ستعتبر حقيقة ؟ وفقا لكثير من التفكير

ما بعد الحداثي ، إنّها " السلطة " ، أي ، القوى الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية المهيمنة فى مجتمع معطى هي التى تحدّد صلوحيّة تأكيد معيّن أو حقيقته .

و بالفعل ، أمر واقع أنّ الطبقات الحاكمة فى المجتمع المنقسم طبقيّا تفرض مصالحها و أخلاقها و قيمها و نظرتها للعالم و عديد الأفكار و التأويلات الخاصة على المجتمع برمّته . فمثلما وضع ذلك ماركس و إنجلز : " الأفكار و الآراء السائدة فى عهد من العهود لم تكن سوى أفكار الطبقة السائدة و آرائها " (156) و واقعية تصريح ماركس الدقيق يشرح سببا من أسباب لماذا الكثير من الناس التقدّميين ينجذبون إلى مثقّفي هذا التيّار ، مثل ميشال فوكو ، الذين تبيّن أنّهم إحتفظوا بفرضيّات و مراسيم المجتمع البرجوازي المعاصر .

أخطاء ما بعد الحداثيين هي أنّهم يردّون على الهيمنة الفكريّة للطبقات الحاكمة بإستنتاج أنّه ليست هناك أيّة حقيقة موضوعية مهما كانت . " المعرفة " حسب فوكو " تتأثّر بالسلطة " (157) و الصراع هكذا يمسى ليس ما إذا كانت مجموعة من الأفكار تتناسب أم لا مع العالم المادي بل بالأحرى " حقيقة من " ستتركّز فى المجتمع . و بالعكس ، مهما كانت مجموعة الأفكار التى تساعد المضطهَدين على بلوغ غاياتهم (مثلا ، الوصول إلى السلطة) هكذا تغدو مساوية للحقيقة ، حقيقة بديلة .

و فعلا ، فى الحركة الشيوعية كذلك وجد إنجذاب نحو هذه الطريقة من التفكير فى شكل إستعمال المعيار الإجتماعي و السياسي لتحديد ما هي الحقيقة و من ثمّة " الحقيقة السياسية " و" الحقيقة الطبقية " التى ، مثلما تطرّقنا إلى ذلك آنفا ، يدافع عنها آجيث بعناد . و فى النهاية من يمسك بالسلطة يحدّد ما هي الحقيقة و سينسحب هذا المنطق بشكل متساوي على كلّ من الطبقة المستغِلّة و البروليتاريا الثوريّة . و إليكم ما كتبه أفاكيان بشأن مثل هذه " الأبستيمولوجيا المثالية " :

" هذه أبستيمولوجيا مثالية ذاتية صريحة (مفهوم أن يكون أو لا يكون الشيء حقيقة مسألة تتحدّد بالذاتي، بالفرد المعيّن ، دون النظر فى ما إذا كان الشيء يتناسب مع الواقع الموضوعي الأوسع أم لا). لكن هذه المثالية الذاتية فى خدمة المثالية **الموضوعية** – أي الدين و الإيمان فى ما وراء الطبيعة على أنّه حقيقة (أو وظيفيّا نفس الحقيقة الموضوعية). و نعلم إلى أين وجهة النظر القائلة بأنّه لا يهمّ إن كان الشيء واقعيّا صحيحا أم لا – يمكن أن يكون وهما فى علاقة بالواقع ، لكن إن كان يؤدّى وظيفة كما حدّدها أحدهم فى مكان ما ، **مسبّقا** ، عندئذ يكون ذلك جيّدا مثلما هي جيّدة الحقيقة ، إن لم يكن تماما الحقيقة – نعلم إلى أين يمكن لنوع وجهة النظر هذه أن تقود ، إلى أين قادت و إلى أين ستقود . لن تقود فقط إلى كافة ألوان الأخطاء ، بل أيضا إلى كافة ألوان الفظائع . إن كان كلّ شخص حرّا فى إختيار ما هوالصالح و ما هو الحقيقي حسب ما يناسبه ، نعود إلى الوراء إلى كلّ المشاكل مع النسبيّة – بما فيها فى نهاية المطاف ، و خاصة عندما تتنازع الأساطير مع بعضها البعض ، إختزال الأشياء فى نزاع علاقات سلطة لرؤية أية أسطورة يمكن أن تفرض على الأساطير الأخرى . بإختصار ، " القوّة تخلق الحقّ " – إلى هذا يمكن أن تمضي الأشياء ، و عادة ما مضت ، عندما لا يوجد معيار موضوعي لتحديد إن كان شيء ما صحيحا و صالحا أم لا ." (158)

لقد رأينا بعدُ أنّ آجيث بتهمته " العلماوية " يبحث عن إقصاء أفاكيان (و فى الواقع الماركسية بأسرها). هنا كذلك ، يروّج آجيث لمحور مركزي لدى ما بعد الحداثة . مثلا ، بعض أهمّ ما بعد الحداثيين قد حاججوا بأنّ العلم ليس سوى رواية نفعية صناعة- تقنية أو " بناء إجتماعي " .(159)

و عقيدة أخرى لدى ما بعد الحداثة هي معارضة " تسلّط " العلم ، بمعنى ، رفع راية المنهج العلمي كمبدأ فى المجتمع الذى يعيدونه خلفا إلى ، بكلمات آجيث ، " تأثير قيم التنوير " . و المناهج العلمية مثل الإختبار و التحقّق و الدحض إلخ ، تعتبر علامات مميّزة للوضعية و ما بعد الحداثة تعارضها . و بالنسبة لآجيث أيضا ، إستعمال المناهج العلمية فى دراسة المجتمع (تذكّروا دعوته إلى وضع المقولات النظرية الماركسية أمام إختبار " قابلية الخطإ ") دليل على " العلماوية " .

و هذه التيّارات القارة فى تفكير آجيث تعدّ رجع صدى قريب للإلتزامات الفكريّة للتنظير ما بعد الحداثي فى الغرب حول آفاق التغيير الإجتماعي و قواه . مناصرو هذه المدارس ، و العديد منهم " يساريّون" ، يشكّوا وينقدوا (و أحيانا يستعملوا كلمة " الميل للشكّ ") فى " الروايات الكبرى " ، بما فيها الماركسية ما يعالجونه كمواصلة للتقليد التنويري .

نقد غير علمي للرأسمالية :

تحاجج ما بعد الحداثة بأنّ التفكير العقلي المرتبط بالتنوير و البحث عن الحقيقة الموضوعية بطبيعته إضطهادي و مضلّل و لا يمتلك الصلوحية العالمية التى يدّعيها . سطوة العالم الغربي قد أتت بسطوة الفلسفة الغربية وتناولها للعلم. و كما لاحظنا قبلا ، ينبّه أفاكيان إلى كيف أنّ العلم وقيم التنوير" تستعمل " فى خدمة الرأسمالية و الإمبريالية . إلاّ أنّ مشكل آجيث هو إخفاق أفاكيان فى ملاحظة أنّ " الوعي العلمي " " بطبيعته " له قيم و طابع طبقي مطبوعة بالتنوير . جوهريّا ، يعالج آجيث " الوعي العلمي " للتنوير كما لو أنّه " حقيقة طبقية " للبرجوازية . هكذا مزيد تطوير الماركسية وتشديد أفاكيان على التعاطى مع الماركسية كما هي يعدّ بالنسبة لآجيث لعنة .

نموّ الرأسمالية و العذاب والإستغلال اللذان تسبّبت فيهما للجماهير و تقليص كلّ العلاقات الإنسانية والقيم السابقة و روح الشعب إلى ما سمّاه ماركس " علاقة نقدية " (160) ، قادا إلى موجات من التخلّص من الأوهام و النقد الموجّهين ضد ظهور " العالم الحديث " (أي ، النظام الرأسمالي العالمي). قاتل النقّاد الذين أصابتهم خيبة أمل ، من الفنّانين و المثقّفين و الوجوه السياسيّة " روح الشعب " و دعاوى التنوير بأن العالم يمكن أن يفهم و يغيّر من أجل تحسين الإنسانية بإستعمال العلم و التفكير العقلي .

وكانت هذه الموضة النقديّة و تظلّ فى منتهى التناتقض . إنّها تشمل بوضوح البرامج السياسيّة والإيديولوجيات الرجعية ، مثلا ، تلك التى دافعت عن النظام الملكي أو الدوغما الديني . لكن وُجد أيضا نقد ذى رؤية ثاقبة للإستعمال غير الملجّم للتكنولوجيا ، مثل القصّة الشهيرة لغول فرانكشتاين الذى خلقه العلم و قد صار جامحا ، على أيدى ماري شالي التى كانت هي نفسها مشاركة فى التقليد الرومنطيقي الذى ظهر ردّا على الرأسمالية . و فى الفلسفة ، شارك فريدريك نيتشة هو الآخر فى هذا التيّار الرافض للأخلاق و القيم الحديثة التى يدافع عنها المجتمع البرجوازي . لكنّ نظراته " المناهضة للسائد " لم تكن علميّة ، و قد " تجاهل عمليّا " الماركسية التى كانت تصبح مؤثّرة فى ألمانيا و غيرها من البلدان حينها .

وفى القرن العشرين ، هذا النوع من النقد غير العلمي للرأسمالية نفسه عاود الظهور و إشتدّ بشكل كبير جراء فظائع الحربين العالميتين . وبخث مارتن هايدغر الذى كانت أعماله الأساسية قبل الحرب العالمية الثانية و أثناءها و بعدها تمثّل تيّارا فلسفيّا مؤثّرا إنعكس على الما بعد حداثيين ، بحث عن " الأصالة "

فى عالم خاب أمله يهيمن عليه منطق الإنتاج الصناعي و التكنولوجيا . و كان هايدغر " يحنّ " إلى كلّ ما خُسر بفعل المجتمع المعاصر . (161)

لقد وضع ما بعد الحداثيّين أنفسهم تماما ضمن تقليد هذا النقد غير الماركسي و فى النهاية غير المادي للرأسمالية (و الذى عرف إندفاعا كبير بعد هزيمة الإشتراكية فى الصين سنة 1976 وإنهيار كتلة السوفيات الإشتراكي – الإمبريالي فى 1989-1991 ، إلى جانب التشويهات البرجوازية المتصاعدة ضد الشيوعية) . و يجد آجيث دعما فى هذا الصنف من النقد لأجل ما يسمّيه " ماوية " بها يقاتل المركزيّة الأوروبية المدّعاة للماركسية المنعوتة ب " العلماوية " .

ما بعد الحداثيين مصدر لبعض الرؤى الثاقبة ، نظرا ل" تساؤلهم" ، مثلما يضعون ذلك ، لفرضيّات كامنة فى شرائع الثقافة الغربية . مثلا ، فى ما يتّصل ب " تشكيل الذات " ، ناقش فوكو وآخرون كيف أنّ عواملا متنوعة مثل السلطة والمعرفة و الخطاب قد ساعدت على إنتاج (" بناء ") " الذات " . و مثال ذلك يمكن أن يكون كيف أنّ نظام العبودية فى الولايات المتحدة قد بنى ذات الأبيض و مفاهيم الحقوق و الحرّيات التى صيغت فى ذلك المجتمع . (162) و قد بيّن ما بعد الحداثيين بعض الطرق التى من خلالها تداخلت المعرفة و سيطرة القوى الإستعمارية الغربية . (163) و قد عرّف الإستعماريّون واقع العالم الإستعماري إلى درجة أنّ الناس المستعمَرين قبلوا بهذه التعريفات .

إنّ مساءلة هذه الأنواع من الفرضيّات قد ساعد على توسيع و تعميق مسارات معرفة العالم . لكن هذه الرؤى الثاقبة يجب أن لا يتمّ تفحّصها بصفة إنتقائيّة فى إطار ماركسي مزعوم كما يسعى آجيث إلى القيام بذلك . بالعكس ، مثلما شدّد على ذلك أفاكيان ، تحتاج هذه الرؤى الثاقبة أن تتمّ غربلتها و تحتاج الحجج الخاطئة أن تنبذ ، وحتى الكثير ممّا هو رؤية ثاقبة و صحيحة جزئيّا يحتاج إلى إعادة الصياغة فى إطار علمي .

معانقة آجيث لمدرسة فرانكفورت :

ليس من المفاجئ أنّ يقرّ آجيث أيضا بوضوح بصلة القرابة التى تربطه بمدرسة فرانكفورت و دينه تجاهها . لقد سبقت مدرسة فرانكفورت ما بعد الحداثيين فى بعض فرضيّاتهم ، و خاصة منها جهودهم لنكران الأساس العلمي للماركسية و المادية التاريخية و هجومهم على التنوير .

ظهرت مدرسة فرانكفورت التى يودّ آجيث أن يعترف ب " مساهماتها " فى ألمانيا جمهورية وايمار التى كانت تهزّها الأزمة و فى أجواء ناجمة عن هزائم الثورة الألمانية فى 1919 و 1921. لقد دافع فلاسفة هذه المدرسة عن " ماركسية غير دغمائيّة " و كانوا يعنون بذلك ، خاصة ، معارضة نموذج الثورة البلشفيّة ومثال الإتحاد السوفياتي فى ظلّ قيادة لينين و ستالين . و أهمّ موقف نظريّ لهذه المدرسة هو " **جدلية التنوير** " لماكس هوركهايمر و تيودور آدورنو . (164) . و فى هذا الكتاب يندّدون بالتقليد التنويري ل " عقله الأداتي " الذى يعتبرونه ، نظرة للعالم و مشروع جافين ، ماديين و " إنتاجويين " . و المجتمع الغربي كما خرج من التنوير كان صقل فى نموذج التحكّم فى الطبيعة و الهيمنة عليها ، و بدوره ، جلب كافة مظاهر الحياة الإجتماعية التى تهيمن عليها و " يسيّرها كلّيا " هذا المنطق .

تحاجج مدرسة فرانكفورت بأنّ التنوير قد فتح الباب لكافة الفظائع التى شاهدناها فى ظلّ الرأسمالية . (165) . و إعتقد فلاسفة مدرسة فرانكفورت انّ الماركسية و المادية التاريخية لن يقدروا على إنجاز ما يقولونه من تحرير الإنسانية لأنّها تشكو من نقائص المادية و المنهج العلمي . نرى صلة القرابة مع تنديد آجيث ب " الوعي العلمي " للتنوير . و إلى جانب صلات قرابة أخرى بين خطّ آجيث للتفكير و العناصر الكبرى لنظريّة نقد مدرسة فراتكفورت ، و على وجه الخصوص مواقف جورجان هبرماس ، يتقاسمون نقدا مشتركا بشكل مخيف ل " العلماوية " وموقف متردّد إزاء دور الدين فى مجتمع اليوم . (166)

بيّنت الماركسية ، بنظر مدرسة فرانكفورت ، قصورا فى شمول التفكير الفلسفي : لقد فقدت نفسها فى مكان ما بين العلم و الفلسفة . و بهذا يقصدون أنّ الماركسية قيّدت نفسها بإدّعاءاتها العلمية و أنّ هذا " النقص " يحتاج أن يعوّض بإعطاء المكانة اللازمة للفلسفة لا سيما المثاليّة الألمانية و إيمانويل كانط . (167)

ما المشترك بين آجيث و ما بعد الحداثيين و مدرسة فرانكفورت ؟ لجميعهم ، أو على الأقلّ ينطلق جميعهم من ، نقد أمراض الرأسمالية و المجتمع الحديث و مع ذلك يرفضون أو هم غير قادرين على تحليل مادي و علمي تماما للطبيعة الجوهرية للمجتمع الرأسمالي . فى النقاش الفلسفي و السياسي إمّا يتهرّبون من أو يعارضون بوضوح وجود الحقيقة الموضوعية و نظريّة التناسب للحقيقة و المنهج و المقاربة العلميين لفهم الواقع و العالم .

آجيث قادر على مزج التقوى – مفاهيم مثل الإنتصار الحتمي للثورة البروليتارية – و عناصر مفاتيح من ما بعد الحداثة .

آجيث و التقليد الكانطي :

كما شاهدنا قبلا ، يؤكّد آجيث على " الدلالة الجوهرية للموقع الطبقي ، الموقع المادي للطبقة . جميع المكوّنات الثلاثة للنظرة البروليتارية للعالم – الموقف و وجهة النظر و المنهج – تنبع من هذا الواقع المادي و تتحدّد فى النهاية به . " وقد أخضعنا ذلك إلى قدر هام من النقد . و ما هو مفيد مباشرة فى نقاشنا هنا هو أنّ لنظرة أنّ البروليتاريا ، بسبب موقفها ، شراء خاص على الحقيقة – هذه النظرة تؤدّى بنا إلى إتجاه أنّ الآخرين الذين لا يحتلّون هذا الموقع الطبقي (غير البروليتاريين) ليس بوسعهم بلوغ ، أو نفس مستوى بلوغ ، هذه المعرفة . و بالتالى ، المعرفة فى نهاية المطاف " مرتهنة بالمُلاحظ " .

و فى الأخير ، وفق منطق آجيث ، لا يمكن أن توجد معرفة موضوعية للواقع و خاصة للمجتمع الإنساني **كما هو** يمكن التعويل عليها و ما يتوفّر كمعرفة هو كيف **يظهر** العالم لملاحظين خاصين ، و فى هذه الحال البروليتاريا . هذا نقاش إمتدّ طويلا فى الفلسفة و العلم : هل يمكن معرفة العالم بإستقلال عن الذهن ؟

كانط معشوق مدرسة فرانكفورت ، مشهور بثنائيته ، محاولته أن يصلح و يوفّق بين المثاليّة و المادية . لقد حاجج أنّه يوجد عنصر ذاتي فى بناء المعرفة و أنّ المرء لا يمكن أن يعرف " الشيء فى حدّ ذاته " (168). بالأحرى ، زعم كانط ، لا يمكننا معرفة الظواهر إلاّ كما تبدو " لنا " . و فى حال آجيث " لنا " تصبح " للطبقة " . و بكلمات أخرى ، يقع تخصيص الحقيقة و هيكلتها و تحديدها وفق خطوط طبقيّة .

على أساس هذا النوع من الأبستمولوجيا يدافع آجيث على موقف أنّ " للحقيقة طبيعة طبقيّة " و أنّ " الماركسية صحيحة لأنّها متحزّبة " .

التشابه المذهل بين تفكير آجيث و مظاهر النظرة الكانطيّة لا تنتهى هنا . فخلال نفس الفترة عندما كانت العلوم المعاصرة تتطوّر و تنفصل عن الفلسفة و الميتافيزيقا ، وُجدت مقاومة لتوسّع مدى العلم ليشمل المجال الإجتماعي . و قد رأينا آجيث يحاجج على نفس الأرضية مع كانط فى الأيّام الخوالي و مع الكانطيين الجدد للقرن العشرين (بما فى ذلك بعض الحجج التى تناولها لينين بالبحث فى كتابه " **المادية و مذهب النقد التجريبي** ").

هذه مسيرة بإتجاه النسبيّة و اللاأدريّة و " عدم قابلية المعرفة " للعالم الموضوعي و فى نهاية المطاف ما يسمّيه ما بعد الحداثيين " الميل للشكّ " إزاء دعاوى العلم .

IX – آجيث يدافع دفاعا بشعا و معذّبا عن الدين و سلاسل التقاليد :

قلق آجيث بشأن" الوعي العلمي" و وقوفه مع إستثناء قابلية تطبيق العلم عالميّا على المجتمع و التاريخ ، و إنشغاله ب " الفكر التنويري " و " بعدم الإستهانة بفكر و ممارسات ما قبل الحداثة " – كلّ هذا يتكثّف فى كيفيّة معالجته لمسألة الدين و الأخلاق التقليدية فى المجتمع الإنساني .

و هذه كذلك نقطة إلتقاء أخرى بين آجيث و ما بعد الحداثة . (169) لننظر فى موقف آجيث بشأن كيفيّة مقاربة دور الدين و تقييمه بطريقة صحيحة : " الفهم العلمي للدور الذى لعبه الدين قد تعمّق مذّاك بفضل البحوث فى المجالات المتنوّعة . و دوره التاريخي فى إيجاد و تطوير الأخلاق و العلاقات الإجتماعية و أثرها فى العقل الإنساني هي الآن معروفة بشكل أفضل . " (170).

لقد رأينا أنّ آجيث غير قادر على الفهم الصحيح للعلاقة بين الأفكار و الوعي و الظروف المادية و الإجتماعية التى تشكّل قاعدة هذه الأفكار . و يضع رفض آجيث للمنهج العلمي لفهم الواقع الإجتماعي بما فيه الأفكار و الإيديولوجيّات ، و قوميته ، يضعانه فى إضطراب جدّي و فى أوهام قاتلة بصدد طبيعة الأصولية الدينية و دورها – و فى توافق تام معها .

يعتبر آجيث من الخطإ تسمية مجموعات مثل طالبان والقوى الأصولية الإسلامية الرجعية " أعداء " . وفق نظرته هذه ، " إقتصادوية إمبريالية " . " ما نحتاج إليه هو الدفاع الصارم و اللامشروط عن حقّ الناس المضطهَدين أو قطاع مضطهَد من المجتمع فى المقاومة المسلّحة . و معارضة الإيديولوجيا أو البرنامج الإجتماعي الذى يكرّسونه لا يمكن أن نسمح لها بأن تعوّم ذلك " (171).

و يواصل عقلنته المعذّبة :

" المشكل الأساسي مع المقاومة الأساسيّة فى العراق أو أفغنستان ليس مونها إسلامية أو ، لنضع ذلك بصيغة أعمّ ، كون إيديولوجيا دينية تقودها . لقد نهضت الإيديولوجيات الدينية بدورتقدّمي فى الماضي ... و لا يزال بوسعها أن تكون وسيلة للتعبير عن المضمون الوطني و الديمقراطي لأنّ فى ظروف البلدان المضطهَدة شبه المستعمرة شبه الإقطاعية ليس الدين مسألة روحية و حسب بل كذلك نمط حياة مترابط وثيق الترابط مع الثقافة القومية . و فى موضوع الحال الذى نناقش ، يكمن المشكل الأساسي فى التحليل الخصوصي لهذه الإيديولوجيا ، و البرمج الإجتماعية الرجعية التى تقدّمها المقاومة الإسلامية الأكثر تصميما – أصوليتها . " (172)

وهذا مذهل بقدر ما هو أمر مزرى . هنا من يصف نفسه بالماوي ، ومن يفترض أنّه شيوعي ، ينظر خارج العالم حيث يتمّ تطبيق كلّ أشكال الفظائع القروسطية و كلّ أشكال الظلامية يعزّزها الأصوليون الإسلاميون و غيرهم من الأصوليين . إنّه عالم تعرّضت فيه الماركسية بلا هوادة إلى الهجوم ... فيه توجد العلمانية و العلم و التفكير العلمي تحت الحصار الشديد فى أجزءا واسعة من الكوكب ...و فيه يتمّ إنكار إنسانيّة المرأة و إهانتها و تدميرها بالنظام الأبوي [البطرياركية] و التقاليد الدينية .

لكن آجيث يلتمس منّا أن لا ننشغل كثيرا بالدورالقيادي للإيديولوجيا الدينية كما هي – ببساطة المسألة هي أنّه لا وجود كافى لإيديولوجيا دينية تقدّمية فى مقعد قيادة المقاومة الوطنية . و يقدّم آجيث دفاعا بشعا عن الدين و توفيقا غير ممكن مع الأصولية .

هذا هو آجيث فى أوج عظمته يبيّن لنا أين يقود إحتفاؤه بالمشاعر الطبقية العفويّة و رفضه للماركسية كعلم و تشديده على تقييم الخصوصية القومية و الإطار القومي . و هذا مجافى للثورة الشيوعية التى كثّفها ماركس فى أنّها تنجز " القطيعتين الأكثر راديكالية : مع " علاقات الملكية التقليدية " و مع " الأفكار التقليدية " .

وضع حجاب على إضطهاد النساء :

فكّروا فى الأمر . آجيث يقفز على التخلّف ليضفي مصداقية على الدين ل " تمفصله و إنتشاره و إستيعابه كخطاب **وطني** " و دوره فى المقاومة الوطنية . و فى حين أنّه يغفل تمام الإغفال إهانة نصف الإنسانية و إخضاعها ، فإنّ آجيث يمدمديحا فاحشا الدين و يجمّل الوزن العملاق للدين فى المجتمع ، إيديولوجيّا و كذلك سياسيّا ، و خاصة ، كتبرير لإضطهاد النساء و تعزيزه. و هذا ليس مجرّد نسيان عابر يشوب حكمه . بالأحرى صمته المدوّى (173) بصدد مثل هذه المسألة الجوهرية ، هذ العمى اللامع ، هو من المؤكّد جدّا نتاج لنظرة آجيث للعالم و منسجم معها .

هذا التشديد على البروليتاريا المجسّدة و " القومية " ، و الإيمان بأنّ الوعي الشيوعي الثوري ينبع من الظروف الماديّة و مشاعر البروليتاريا ، و رفض الإعتراف بالدوراللازم للصراع الإيديولوجي الضروري و مداه الحقيقي لتغيير نظرة الناس للعالم لإعداد أنفسهم و الأرضيّة للثورة – يؤدّى بآجيث إلى فكرة " تحرير " ضيّقة و مقيّدة و باهتة وفاترة منها بعد وقع إقصاء نصف الإنسانيّة .

و مرّة أخرى ، التضارب فى البرنامج و التعارض فى النظرة إلى العالم بين بقايا الماضي و الخلاصة الجديدة لا يمكن أن يكون أصفى . كتب أفاكيان :

" لذا فى هذا الإطار، وكذلك فى إطار أوسع ، إطار التاريخي – العالمي للحركة الشيوعية ، هناك حاجة عميقة وملحّة للذين يمثّلون الأهداف التحرّريّة للثورة الشيوعية ، بهدفها النهائي إلغاء كل الإنقسامات الطبقية و كلّ علاقات الإستغلال و الإضطهاد وإنجاز مزيد القفزات والقطائع فهمنا و مقاربتنا لقضيّة المرأة ، نظريّا وعمليّا – فى مجال الخطّ الإيديولوجي و السياسي و تعبئة الجماهير فى الصراع القائم على ذلك الخطّ – فى إنسجام مع الدور المحوري و الحيوي الذى تحتلّه موضوعيّا هذه المسألة ، وليس بمعنى إنهاء ملايين السنوات من إخضاع نصف البشريّة و إهانتها وحسب ، و لكن أيضا الطريقة التى يرتبط بها هذا تماما و ضرورة بتحرير الإنسانية ككلّ و التقدّم إلى عصر جديد كلّيا فى تاريخ الإنسان مع بلوغ الشيوعية عبر العالم . " (174)

التذيّل للقومية و تجميل الأصولية :

و لنعد إلى نظرة آجيث إلى الدين . كما يرى المسألة ، تنطوى البنية الفوقيّة الإيديولوجية للبلدان المضطَهَدة ، مثل العراق ، على مظهر مقاومة وطنية ، و تعبّر عن " الأصالة المدرَكة ". فى نقاشه ، يقدم آجيث عزّة خاصة لموقع الدين ، الذى يعدّه " ليس مسألة روحية و حسب بل كذلك نمط حياة مترابط وثيق الترابط مع الثقافة القومية ." وهو أمر صحيح طبعا لكن من الصعب أن يكون سببا يبرّر الدين أو التذيّل للدين .

بالنسبة لآجيث ، يخفّف التناقض مع الإمبريالية كلّ التناقضات صلب الأمّة و فى تفكير الناس . الدين و التخلّف والتقاليد و الفكر الرجعيين يقع عموما تبريرهم لأنّ هذه الإيديولوجيا ، فى رأي آجيث ، مشبعة بمضمون وطنى حقيقي (وأحيانا حتّى " ديمقراطي" !) نلفيه فى مقاومة الإمبريالية والإضطهاد القومي. لكن هناك مشاكل فى طريقة التفكير هذه فمثل هذه الأفكار لا تعكس مباشرة أو بطريقة غير ذات واسطة التناقضات الإجتماعية العدائيّة الكامنة أو الواقع الإجتماعي لأيّة طبقة أو فئة خاصة ، فما بالك أمّة بأسرها ، المتضمّنة لتناقضات طبقية عدائية .

فى أيّة ثقافة قومية هناك غالبا العديد من العناصر الحادة التناقض . و بعض هذه العناصر تعكس ، إلى درجات مختلفة ، تاريخيّا ، المشاعر والطموحات التقدّميّة . و عديد هذه العناصر صدى لمظاهر مشابهة ثوريّة أو تقدّمية موجودة فى ثقافات أخرى أيضا . هذا من جهة و من الجهة الأخرى ، جوهريّا و بصورة عامة الدين قيد و عائق أمام فهم العالم و تغييره راديكاليّا .

و غالبا ما تستعمل الجماهير الشعبية الدين للتعبير عن آمالها فى إيجاد العزاء و " الخلاص " من ما تعانى منه . و مع ذلك ، لا يغيّر هذا واقع أنّ الدين يساعد على الحفاظ على علاقات عبودية فى المجتمع و ، عامة ، يبرّر إخضاع الجماهير للسلط الحاكمة. صحيح أنّ تاريخيّا كانت التيّارات أو الحركات التقدّمية و الثوريّة ، خاصة قبل ظهور النظرة العلمية و المادية ، تتغلّف عادة بغلاف ديني .

و اليوم ، النظرة و التحليل العلميين و بالأخصّ الشيوعية الثورية ، متوفّران و ضروريّان لفهم العالم وتغييره للمضيّ به فى الإتجاه اللازم . و الثقافة القومية و الدين ، مثل أيّ شيء ، يجب أن لا نستثنيهما من التحليل العلمي الصارم فيما يريد آجيث أن يطلق العنان للثقافة القومية المتوفّرة عفويّا و لدور الدين فيها .

و بالفعل ، ما يحاجج آجيث من أجله حقّا يساوى قول إنّه على الشيوعيين أن يصبحوا التعبير الأفضل عن كلّ العناصر فى الثقافة القومية ، بما فيها الدين . ما الذى يعنيه غير ذلك عندما يقول :

" تخفق حجج أفاكيان فى تحديد و تشخيص الدور الكبير الذى تنهض به المشاعر و الثقافة الوطنيين فى نموّ أصولية العالم الثالث... تمفصلها و إنتشارها و إستيعابها كخطاب **وطني** لا يُعترف بهم فى أي مكان ... فهم إدعاء الأصوليين " الوطنية " يساعدنا على تحديد مكمن إخفاق الماويين فى رفع راية الوطنية فى البلدان المضطهَدة " (175)

و ينبغى أن نعرّج بسرعة على أنّه إن أخفق الماويّون فى " رفع راية القومية " ، بما يرضى آجيث ، ومن ذلك بعض المظاهر الخاصة البشعة ، فإنّ ذلك لا يعود إلى أي نقص فى المحاولة : لسوء الحظّ ، شكّل التذيّل للقومية و الدين والتفكير البطرياركي ، مشكلا تاريخيّا .

إلى أي مدى أخذ هذا المنهج فى التحليل آجيث بعيدا عن الواقع يمكن رؤيته فى مقارناته بين " القوى الإسلامية " اليوم و النضال البطولي الذى خاضه الشعب الفتنامي .

" لا يمكن مقارنة العراق و أفغانستان مقارنة صارمة بالفتنام . فهناك كانت قوّة ثوريّة تقود حرب التحرير الوطني . و هنا الحرب الوطنية تنظّمها وتقودها أساسا قوى إسلامية . لكن بمعنى الوضع الذى تجد فيه الولايات المتحدة نفسها ، أوجه الشبه تستوقف الأنظار. و تعزى جذورهذا إلى مصدرها النهائي،

سير التناقض بين الإمبريالية و الأمم و الشعوب المضطهَدَة الذى يفرض الإطار ويحدّد الديناميكية " . (176)

ويبلغ آجيث هذا الإستنتاج باللجوء إلى بعض ذات نوع التفكير الميتافيزيقي الذى لاحظناه سابقا فى نقاشه ل " المبادئ الأساسية "مقابل " التطبيق " . فقد بدأ المقتطف أعلاه بالتصريح بأنّ " التناقض الرئيسي بين الإمبريالية و الشعوب و الأمم المضطهَدَة " (177) مقدّمة معطاة وغير قابلة للمساءلة . وفضلا عن ذلك ، فى تنظيم آجيث الميتافيزيقي للأشياء " فى أية فترة خاصة ، سيحدّد التناقض الرئيسي ، و ليس التناقض الأساسي فى حدّ ذاته ، أو سيؤثّر على وجود التناقضات الأخرى و على تطوّرها " . وفى النهاية ، يستخلص من نظامه المنطقي نعوتا خاطئة حول العوامل المختلفة و يتوصّل إلى إستنتاجات غالطة حول الأدوار التى ينهضون بها و المهام الثورية فى تلك البلدان . و بالرغم من أنّ آجيث حذر بما فيه الكفاية لكي لا يسوّى بين القوى الإسلامية و القيادة الفتنامية تحديدا – أو " حصريّا " ، بكلماته ، ينتهى إلى إيلاء نفس الدور لكليهما فى " سير التناقض الرئيسي بين الإمبريالية و الشعوب و الأمم المضطهَدَة " .

و على عكس رأي آجيث ، ليست " أوجه الشبه " بين أفغانستان و الفتنام ، بل بالعكس أوجه الإختلاف هي " المذهلة " . و إسألوا تنظيم الدولة الإسلامية فى خلافتهم الجديدة كيف يشعرون أمام جعلهم " وسائل التعبير عن المضمون الوطني و الديمقراطي " .

أفاكيان بشأن الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و الصراع الإيديولوجي مع الدين :

ويتهّم آجيث أفاكيان بكونه " بعيد عن الواقع المزرى" . فى الواقع ، تقدّم أفاكيان بتحليل مركزي يجلى ديناميكية مفتاح فى الوضع العالمي الراهن . و إليكم أفاكيان بصدد ما أطلق عليه الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " :

" ما نراه فى نزاع هنا هو الجهاد من جهة و ماك العالمية / ماك الحرب من جهة أخرى و هو نزاع بين شريحة ولّي عهدها تاريخيا ضمن الإنسانية المستعمَرة و المضطهَدة ضد الشريحة الحاكمة التى ولي عهدها تاريخيا ضمن النظام الإمبريالي . و هذان القطبان الرجعيان **يعزّزان** بعضهما البعض ، حتى و هما يتعارضان . و إذا وقفت إلى جانب أي منهما ، فإنك ستنتهى إلى تعزيزهما معا . و فى حين أنّ هذه صيغة مهمّة جدّا و حيويّة فى فهم الكثير من الديناميكية التى تحرّك الأشياء فى العالم فى هذه المرحلة ، فى نفس الوقت ، يجب أن نكون واضحين حوا أي من " هذين النموذجين الذين عفا عليهما الزمن " قد ألحق أكبر الضرر و يمثّل أكبر تهديد للإنسانيّة : إنّه الطبقة الحاكمة للنظام الإمبريالي التى عفا عليه الزمن تاريخيّا ، و بوجه خاص إمبرياليّو الولايات المتحدة . " (178)

لهذا التحليل تبعات حيويّة ليس فقط لفهم طابع الأحداث فى العالم إذ هو كذلك يتحدث عن الموقف الضروري الذى يجب أن يتخذه الشيوعيون فى كلّ من البلدان المضطهَدَة و المضطهِدة و نوع العمل السياسي و الإيديولوجي الشامل اللازم – و ليس أقلّه لأنّ عديد الجماهير القاعدية فى البلدان المضطهَدَة قد إنجذبت إلى الأصولية الرجعية .

و على العكس من ذلك ، الضرر السياسي و الإيديولوجي لما يحاجج آجيث من أجله ينبغى أن يكون واضحا : لن تؤدّي جبهته المتّحدة التى لا يتجرّأ على ذكر إسمها ، و التى هي فعلا إستراتيجيا آجيث

و توجّهه لمواجهة النظام الإمبريالي ، الى التحرير . بالأحرى ، هي وصفة للتذيّل للقوى الرجعية أو تبرير محاولة التوحّد معها تحت يافطة معالجة " هذا الواقع الفوضوي " .

بدلا من التعويل على هذا النوع من الخليط من الفكر المثالي الآمل الذى يعتنقه آجيث ، ما نحتاجه هو المقاربة التى يصفها أفاكيان لفهم ظروف الثورة الشيوعية فى عالم اليوم المعقّد :

" الأمر شبيه بالإنطلاق من شجيرات ملتفّة لنبلغ عمليّا فهم التناقض الأساسي للرأسمالية و كيف يتحرّك و يتطوّر عمليّا ، و مختلف أشكال حركة كلّ هذا و كيف تتداخل . و هذا ليس معطى ظاهرا حتّى للشيوعيين الذين يبحثون عن التطبيق المنهجي للنظرة و المنهج العلميين للشيوعية على العالم و التاريخ و المجتمع و الطبيعة ... تقع على عاتقنا مسؤوليّة النضال من أجل فهم صحيح و تطبيق النظرة و المنهج الشيوعيين ، لنشاهد فيه ليس فقط أنّ ذلك ليس ضائعا بل أنّه يتحوّل ، على مستوى أرقى نوعيّا ، إلى قوّة ماديّة حقيقيّة ، تحتضنها صفوف نامية من الجماهير الشعبيّة ، من البروليتاريين و فئات أخرى." (179)

ما هو الموقف الفعلي لأفاكيان تجاه جماهير الشعب التى تؤمن بالدين ؟ على عكس تهمة آجيث ب " العقلانية الغليظة " ، أنظروا كيف أنّ أفاكيان عمليّا ينادى الشيوعيين إلى التعاطى مع التفكير الديني السائد فى صفوف الجماهير . يندّد أفاكيان ب " التكبّر المعجب بذاته لدى التنويريين " المتفضّل(180) الذين يتغافلوا عمليّا أو بصفة طاغية عن قبضة الدين على قطاعات هامة من الجماهير . هنا من الجلي تماما أنّ قطاعات عريضة من الجماهير ستؤمن بالدين ، ليس الآن و حسب بل حتّى فى المجتمع الإشتراكي المستقبلي .

يقول أفاكيان بجلاء :

" بشأن أسس الوحدة فى الصراع السياسي ، الخطّ الفاصل لا يتعيّن أن يكون إن كان الناس يؤمنون أم لا بإله و إن كانوا متديّنين أم لا ، و إنّما بما إذا كانوا مستعدّين أم لا للوحدة و يمكن أن يُكسبوا للوحدة ، بطرق هي موضوعيّا فى مصلحةالجماهير الشعبية . إلى الدرجة التى يقومون بها بذلك ، من الضروري بناء وحدة معهم ، و الصراع معهم للقيام بذلك بشكل أتمّ و اكثر صراحة ، حتى بينما يتمّ كذلك خوض الصراع معهم فى المجال الإيديولوجي حول مسألة أيّة نظرة للعالم تتناسب عمليّا مع الواقع و ستقود إلى التحرّر ." (181)

يرى أفاكيان هذا الصراع الإيديولوجي فى صفوف الشعب كجزء من الديناميكية التى يمكن أن تساعد المجتمع بأسره على السير قدما حتى فى مرحلة التغيير الإشتراكي .

و يسخر آجيث من أفاكيان على أنّه يشدّد على أن " يطرق " الدين فى المجال الإيديولوجي " ما يذكره على أنّه مثال ل" العقلانية الغليظة " . عمليّا ، أفاكيان واضح تمام الوضوح بصدد أنّ المعني هنا ليس مجرّد صراع للأفكار العلمية مقابل الأفكار الدينية ؛ إنّه يشير إلى انّ " فى ظروف هزّات إجتماعية و صراعات كبرى ضد النظام القائم ، يعرف الناس تغيّرات كبرى فى تفكيرهم وفى كطريقة إرتباطهم ببعضهم البعض . إن لم يكن الأمر كذلك ، لم تكن الثورات لتحدث و لم يكن من الممكن أبدا تغيير الناس للعلاقات الإجتماعية تغييرا واعيا بالفعل فيها والتأثير عليها ". (182)

لكن الدين **هو** جزء من البنية الفوقيّة الإيديولوجية و يجب أن يعامل (أي " يطرق ") فى ذلك المجال ، بحدّ ذاته .

و يؤكّد أفاكيان أيضا :

" لا بدّ من النضال بجرأة وحيويّة ضد الدين بكلّ أشكاله ، و خاصة ضد الظلامية و الإطلاقية الدينية الأصولية و تعبيرتها السياسية المسيحية الفاشيّة فى الولايات المتحدة . و من الحيوي ألاّ نستهين بأية طريقة بأهمّية النضال فى مجال الفكر ، مجال الإيديولوجيا ، و خاصةالنضال ضدالنظرة الدينية للعالم بكلّ تمظهراتها ، وذلك لتداخلها و توجيهها الناس بعيدا عن فهمالواقع الحقيقي ،و بالتالى القدرة على مواجهته و تغييره وفق مصالحهم الأساسية الخاصة ". (183)

فكرة أنّه يمكن تجاهل هذه الأنواع من المسائل الدينية بينما يتم إستنهاض الجماهير فى مجالات أخرى كالصراعات الإقتصادية أو السياسيّة ، و العمل كما لو أنّ هذه المسائل الإيديولوجية يمكن التعاطى معها على أنّها توابع ثانويّة لهذه الصراعات الأخرى – هذه الفكرة وهم خطير . إنّه مرتبط وثيق الإرتباط بتبنّى آجيث لما يساوى " أبستمولوجيا الموقف " : أنّ الطبقات ستخوض الصراع وفق مصالحها ، و النظرة التى تنشأ ستتركّز عبر هذا الصراع . و على هذا النحو ، لا حاجة لخوض الصراع فى مجال الأفكار . كلّ هذا متناغم مع وجهة نظر آجيث .

وفى نفس الوقت الذى نادى فيه أفاكيان بصراع إيديولوجي جريء و شديد ضد الدين ، فإنّه قد مدّ يديه كذلك و شجّع على مقاربة وحدة – صراع – وحدة مع الناس الذين يحفّزهم الإيمان و القناعة الدينيين للوقوف مع المضطهَدين وضد اللامساواة . ومثال بارز لهذا كان حوار نوفمبر 2014 رفيع المستوى حول الثورة والدين بين أفاكيان وكرنال واست ، المفكّر البارز شعبيّا و الثوري المسيحي .

تحتاج الجماهير لأن تصبح ، كما قال ماركس ، " مأهّلة للحكم" ، و جزء من هذا يعنى أنّنا نحتاج إلى كسب فئة حيوية من الجماهير إلى النظرة العلمية للعالم . و على عكس أطروحات آجيث ، قد أثبت التاريخ أنّه عندما لا يواجه الشيوعيون بجرأة و شموليّة المسائل الإيديولوجية من أفق مادي و شيوعي ، ينتهون إلى سحب الأرضية من تحت أقدامهم و تقديمها إلى القوى الرجعية التى تدافع عن هذه الإيديولوجيّات الرجعية . من يحتاج إلى دفاع آجيث بنصف قلب و الإنتقائي عن التقاليد و الأخلاق و الدين حينما يمكن أن يكون لدينا طالبان و الشوفينيون الهندوس لحزب بهاراتيا جاناتا !

الإختيار بين " الشريحتين التين " ولّى عهدهما " أم التقدّم بطريقة أخرى ؟

يقول آجيث :

يحدث الكثير من المخاض الإيديولوجي فى صفوف المسلمين و هذا صحيح بالنسبة إلى المجال الديني أيضا . . . الموقف السياسي الموالي للغرب لدى بعض التيارات الإصلاحية الإسلامية يسهّل تملّك الأصولية لمناهضة الإمبريالية . و بالعكس يدعم إدعاءاتها بأنّها تترجم حقيقة الإسلام و تساعده على صدّ دمقرطة المعتقد الإسلامي . على تدخّل الإيديولوجيا الماوية أن يعالج كافة هذه المظاهر إن رام قطع أشواط إلى الأمام . " (184)

لاحظوا أنّ آجيث ليس يناقش إطارات سياسية ممكنة فيها يمكن تحليل علاقات مع بعض القوى الإسلامية تحليلا ملموسا ، بالعكس هو يناقش " **التدخّل الإيديولوجي** الماوي " ما يعنى التأقلم مع الرجعية والإيديولوجيا التى ولّى عهدها تحت قناع وصف هذا التيّار أو ذاك ب " الديمقراطي " أو " المناهض للإمبريالية " .

حين يقول آجيث " يكمن المشكل الأساسي فى الصياغة الخاصة لهذه الإيديولوجيا " و ليس فى الإيديولوجيا ذاتها ، يبدو مبحرا فى البحث عن إسلام يكون إيديولوجيّا تقدّميّا يحتاج أن نميّزه عن سياسة صحيحة للبحث عن نشاطات سياسيّة مشتركة مع المؤمنين أين يكون المزج المناسب مع الصراع الإيديولوجي الحيوي ضد الدين . بالفعل ، يقصد آجيث بقوّة أنّه على الشيوعيين أن يتولّوا مهمّة المساعدة على " دمقرطة العقيدة الإسلامية " .

و فى مكان آخر ، يحذّر آجيث من أنّ " إن كان التحليل يقوده الإشتمزاء الأخلاقي ، فإنّ المجموع برمّته [القوى الأصولية] سيُنظر إليه ببساطة كشرائح رجعيّة ولى عهدها و إنتهى الأمر ..." (185) لا إعتذار لدينا عن " الإشمئزاز الأخلاقي " تجاه إيديولوجيا و ممارسات القوى الرجعية الإسلامية (و الأصوليين الدينيين الرجعيين الآخرين). و زيادة على ذلك ، من الحيوي أن تتمّ معارضة هؤلاء الأصوليين الدينيين معارضة تامة فى المجال السياسي بسبب رؤيتهم و برنامجهم الإجتماعيين الرجعيين . إنّها رؤية فظيعة و عبودية قروسطيّة لها بعض التناقضات مع الإمبريالية . لكن ، مثلما يشير أفاكيان ، إنّ مساندة أي من الشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " يعزّز الأخرى : المهمّة هي التقدّم بطريقة أخرى .

يريد آجيث أن يوحّد يحشرنا معا فى جبهة " مناهضة للإمبريالية " مع الأصوليين كما يمكن رؤية ذلك من تهمته بأنّ " الأفاكيانيين " يخفقون فى رؤية انّ " تمفصلها و إنتشارها و إستيعابها كخطاب **وطني** لا يُعترف بهم فى أي مكان " فى الواقع ، الأصولية ليست برنامجا للتحرّر الوطني – إنّها تركيز لمصالح و برنامج رجعي لفئة ولّى عهدها ضمن الأمم المضطهَدَة . (186)

و خلافا لأمل آجيث فى بناء جبهة مناهضة للإمبريالية مع مثل تلك القوى ، فإنّ الأحداث الراهنة تكشف صحّة تحليل أفاكيان للديناميكية الرجعية للشريحتين اللتين " ولّى عهدهما " و خاصة أنّ الوحدة مع أي منهما تنتهى إلى تعزيز الأخرى .(187)

و يدعى آجيث أنّ أفاكيان لم يعالج أسباب التأثير المتنامى للدين على فئات هامة من الجماهير فى عديد البلدان عبر العالم . و هذا صراحة سخيف فأي نظرة جدّية على أعمال أفاكيان تبيّن قدرا كبيرا من التفحّص الخاص التفصيلي و الصارم لما يعتمل من عوامل مادية و إجتماعية و إيديولوجية .(188)

ما يعارضه آجيث هو أنّ أفاكيان أنجز تحليلا شاملا للدين(ومن ثمّة تنديد آجيث ب" العقلانية الغليظة ") بينما يريد آجيث أن يبقي على عشّ أو مخبإ منه يطرد العلم . العلم ذاته يجب أن يقرّ ، حسب آجيث ، بدور الدين فى " دوره التاريخي فى إيجاد و تطوير الأخلاق و العلاقات الإجتماعية و أثرها فى العقل الإنساني ". و جزء من موقف السخط على التنوير و تهمة " العلماوية " هو الإيمان بأنّ المجال الهام من الواقع الإنساني يتعرّض لسوء المعاملة من قبل النظرة المادية و العلمية للعالم ، و من هنا الخلط بين ما هو عمليّا علم و " المؤسسات العلمية " التى تهيمن عليها الرأسمالية . هذا الشعور بالتخلّص من وهم

العالم القائم و سوء إستعمال العلم يؤدّى بالبعض إلى إستقاء القيم و الأخلاق و تركيزها فى مجال علوى فائق .

بالنسبة لآجيث ، مع ذلك ، الأخلاق التقليدية و العديد من " القيود التقليدية " الأخرى يجب أن لا تعيقنا (لنستعمل كلمات نشيد **الأمميّة**)، و ذلك لأنّ فى نظره هذا جزء هام من إرث أمّة تقاتل الإمبريالية .

X – الخاتمة :

الآن نأمل أن يكون القرّاء قد لمسوا كيف أنّ طريقتين مختلفتين تماما للنظر إلى العالم فى نزاع حاد . كيف ننظر إلى العالم و كيف نغيّره ؟

مثلما أشرنا فى بداية هذا المقال ، فهم ما أسميناه الماركسية – اللينينية – الماوية قد إنقسم إلى إثنين . وصار الآن من الممكن – و من الضروري – أن نفصل بأكثر وضوح القمح عن القشرة. و يخدم آجيث كمرآة تشويه كالذين نراهم فى الكرنفالات حيث يتمّ المبالغة فى كبر كلّ جانب غير كامل إلى أبعاد غريبة . كلّ من شارك فى الحركة الشيوعية يمكن أن يستفيد من نظرة عبر موشور آجيث ، على وجه الضبط ليشخّص بشكل أفضل مناطق الظلّ ذاتها فى التفكير الجماعي للحركة الشيوعية ، و التى تمثّل عراقيلا و وزرا قاتلا فى طريق المشروع الشيوعي التحرّري الطامح إلى قمم جديدة .

العالم يصرخ من أجل الثورة . ليس فقط لإنجاز الإختراقات الأولى و العظيمة للثورة الشيوعية فى القرن الماضي و إنّما أيضا ل**مزيد** الثورة ، بمزيد التشخيص الدقيق لكلّ ما يستعبد الإنسان و إجتثاثه ؛ لثورة قادرة أكثر على إستيعاب كلّ ما هو نضر و باعث للحياة و ثوري من كلّ مظهر من مظاهر الوجود الإنساني ، لثورة تنسجم حتّى أكثر مع أعمق طموحات الناس ؛ لثورة تهدف حقّا إلى بلوغ " القطيعتين الأكثر راديكالية " مع " علاقات الملكية التقليدية " و مع " الأفكار التقليدية " .

هذه هي الثورة الشيوعية التى نحتاج و التى يجب أن ننجز . ولكي تتحقّق هذه الثورة ، لكي تترسّخ و تتجذّر ضمن الجماهير الشعبية القاعدية ، و الشباب و الفنّانين و المثقّفين و غيرهم من ذوى التفكير الراديكالي ، و لكي تنهض الملايين و تنتصب واقفة ، يجب على حركتنا أن تنفض الغبار عن نفسها و تنبعث من جديد بعد التراجع الفظيع الذى طال الآن لعقود أربعة . هذه الحاجة الكبرى – إنقاذ الشيوعية و إعادة الحيوية لها و مزيد تطويرها – هي التى تولّى أفاكيان تلبيتها على نحو شامل . و الآن قد نظّر لكيف من ذات العلاقات المادية و التناقضات الإجتماعية الحقيقية جدّا ، من الممكن بناء الحركة الشيوعية التى يمكن أن تنجز حتّى ما أفضل وتمضي حتّى أبعد من المرحلة الأولى من الثورة الشيوعية. نحن فى حاجة إلى نظرة للعالم لا تعوّل على المميزات المبهمة مثل الحتمية أو ما يفترض أنّه ميزات خاصّة بالبروليتاريين و الجماهير المضطهَدَة . بالعكس ، من الحيوي أن نكنس هذه الأخطاء التى أغرقت الفهم الأكثر ثورية و علمية للمجتمع ، الماركسية . لكن هنا يقف آجيث ممسكا الركائز الميتافيزيقيّة بالذات . وهكذا يمكن أن نقدّر بعمق أكبر القطيعة الأبستمولوجية الرائدة لأفاكيان و إختراقاته فى المنهج والمقاربة الشيوعيين .

صحيح أنّ آجيث أفلح عادة فى إخفاء جوهر سياساته و نظرته إلى العالم التى تقف وراء مزيج من كلمات تمزج عناصرا فى خليط . لطالما تميزت كتابات آجيث بالإنتقائيّة . ينبغى أن نتذكّر ملاحظة لينين " إنّ إظهار الإختياريّة [الإنتقائيّة – المترجم] بمظهر الديالكتيك فى حال تحوير الماركسية تبعا للإنتهازية ، يخدع الجماهير بأسهل شكل ." (189) . و مقال آجيث " **ضد الأفاكيانية** " ليس إستثناءا ، و نرى مرارا و تكرارا أنّه يحتجّ على أنّ آخرين قد إقتطفوا بصفة غير عادلة ملاحظاته ولم يعيروا إنتباها كافيا إلى نقل كلّ ورقة التين .

شدّة إحتجاجه مردّها الكثير من الجهد الواعي لحجب أخطائه فى ما يتعلّق بكون الإنتقائية ليست مجرّد خلط " من جهة هذا ، ومن الجهة الأخرى ذاك " بل خلط يحجب ما هو التناقض الرئيسي . بالنسبة إلى

آجيث ، العلم شيء حسن طالما يبقى على فضاء للدين أيضا – و من ثمّة لا يمكن أن يسائل العلمُ تمام المساءلة الدينَ . و بالرغم من الأخطاء التى وُجدت فى الحركة الشيوعية العالمية فى ما يتصل بالبحث عن " الحقيقة السياسية " ، يشدّد آجيث على صلوحيّة هذه " الحقيقة الطبقية " – و بالتالى يرمي الحقيقة الموضوعيّة خارجا . و يعارض آجيث التيولوجيا فى الكلام لكنّه يعتبر " عنصر الحتمية " أساسيّا فى التأريخ الماركسي– وهكذا لم تعد الماديّة التاريخية مادية أو تاريخية بل صارت تتمتّع بهدف مسبّق شبيه بالدين .

المصدر الأساسي لإنتقائية آجيث ينبع من جهوده السابقة للتوفيق بين الماركسية – اللينينية – الماوية و تيّارات التفكير و السياسة المختلفة معها و المعارضة لها موضوعيّا التى وُجدت لفترة طويلة داخل الحركة الشيوعية . لسنوات عدّة سعى آجيث إلى المصالحة و التوفيق بين فهمين للماوية متعارضين و متباينين موضوعيّا . بيد أنّ مثل هذا الموقف بات تدريجيّا غير قابل للحفاظ عليه . " الماوية " التى ترفض التقدّم ، التى تنحرف عن أسسها العلمية و التحريريّة و التى تخفق فى المسك بالتوجّه الذى بادر به ماو نفسه و تخفق فى إتباعه – هذا النوع من الماوية ، ماويّة آجيث ، " يتحوّل إلى ضدّه " .

هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى ، تقدّم بوب أفاكيان بخلاصة جديدة للشيوعية طوّرت أكثر الإطار النظري للمضيّ قدما بالثورة الشيوعية فى ذات الوقت الذى أعلن أعداؤها أنّها ماتت و دفنت . الخلاصة الجديدة تكشف و تدافع و تشيّد على العلم التام للثورة الشيوعية كما أسّسه أوّلا ماركس و رفعه إلى قمم جديدة لينين ثمّ ماو . إنّها تستخلص رؤى ثاقبة من نطاق واسع من التفكير و النشاط الإنسانيين . و تقطع الخلاصة الجديدة قطائعا حيويّة مع الفهم الخاطئ السابق . إنّها تتجاوز ماو – و تمضي بالماركسية إلى مكان جديد . إنّها **إطار المضي أبعد و إنجاز ما أفضل فى القيام بالثورة و تحرير الإنسانية .**

لم يعد من الممكن لآجيث أن يبقي ساقا على الرصيف و ساقا على الزورق المغادر . لقد واجه هو والذين يفكّرون مثله الحاجة إلى إنجاز قفزة فى الفهم الذى يتطلّبه حدوث القفزة الجديدة فى الممارسة الثوريّة . لكن عوض القيام باللازم سقطوا و هم غارقون إلى العنق فى بقايا الماضي .

مزيد التقدّم يمكن أن يأتي و قد أتى بالطريقة الوحيدة التى يأتى بها التقدّم أبدا – كجدليّة بين تحطيم الخاطئ و بناء الجديد إعتمادا على الدفاع المستميت على المكاسب الماضية المرفوق بتفحّص للنقائص ، تأكّد كبير من الحاجة للثورة البروليتارية وإمكانيتها إلى جانب تشديد شديد كذلك على الإستيعاب النقدي لكلّ ما ينبع من آلاف المسام .

إنّ نظرة آجيث نفسه للعالم تجعله على الأرجح يعتقد ، مثلما يتهم ، أنّ الخلاصة الجديدة لأفاكيان لا يمكن أن تقود إلاّ إلى مزيد الإنعزال عن الجماهير . و فى الواقع ، الأمر بعيد عن أن يكون كذلك . رؤية آجيث و برنامجه هما الإنعزاليان و ضيقا الأفق بشكل ميؤوس منه و تافهان وغير قادرين على إلهام جيل جديد من الشيوعيين . يأمل آجيث أن يقدر الشيوعيون بشكل ما على الإبحار على الصراع العفوي للجماهير ثمّ يمكن أن يفرضوا "حقيقتهم الطبقية " (كما يأوّلها آجيث و أمثاله فى العالم) . و لكن هذا بعيد عن أن يكون تحرّريا و جذابا .

جهود آجيث لتصوير نفسه كبطل ل(تأويل معيّن من) الماوية يساعد كذلك فى شرح تشويهه العنيف للتاريخ الفعلي للحركة الماوية عقب إنقلاب 1976 فى الصين ، و خاصّة النضال من أجل إعادة تجميع القوى الماويّة عالميّا من خلال الحركة الأممية الثورية . يشعر بأنّه مضطرّ للحطّ من قيمة محوريّة

مساهمات بوب أفاكيان و الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية (التى ينعتها ب " كذب فظيع ") المعلومة فى تلك السيرورة ، بينما يجمّل دوره الخاص المتناقض جدّا . (190) فى وقت آخر سيصبح من الضروري أن نفكّك و ندحض " تاريخ " هذه السيرورة المشوّه و الخادم للذات الذى صاغه آجيث . غير أنّ المعركة الإيديولوجية مع آجيث اليوم بينما هي متجذّرة ومرتبطة بسلسلة من الصراعات الماضية ، طبيعتها مختلفة نوعيّا. هناك كلّ من **الأساس و الحاجة** إلى حدوث مرحلة جديدة كلّيا من الثورة الشيوعية .

فى الفلسفة التى كانت محور تركيزنا هنا ، :

"، تعيد هذه الخلاصة الجديدة فى معناه الأساسي ، إرساء الماركسية على أكمل وجه على جذورها العلمية. إنها تعنى أيضا التعلّم من التجربة التاريخية الغنية منذ زمن ماركس ، مدافعة عن الأهداف و المبادئ الجوهرية للشيوعية ، التى ثبت أنها صحيحة أساسا ، وناقدة ونابذة المظاهر التى ثبت أنها خاطئة أو لم تعد قابلة للتطبيق ومؤسسة شيوعية على أساس علمي أتمّ وأصلب. " (191)

إلى درجة وجود أخطاء فى الحركة الشيوعية ، بما فيها أخطاء فى تفكير أعظم قادتها ، لا ينبغى أن يجعل ذلك الشيوعيين يتقلّصون فى حالة رعب و لا أن يتبنّوا دفاعا شبيها بدفاع النعامة عن النقائص الثانويّة . إلاّ أنّ ما كانت تعدّ أخطاءا فى إطار تاريخي ، عندما يتمّ الدفاع عنها و تنظيمها و تطويرها كما يفعل آجيث ، تتحوّل إلى مشروع إجتماعي مختلف نوعيّا .

الخلاصة الجديدة " تعيد أدلجة " الشيوعية و تضعها على أساس أصلب و أرسخ علميّا . أكثر إعتمادا على الواقع ، أكثر جدلية ، أكثر إمكان حدوث و أكثر مرغوبيّة . و هذه ليست " عقلانيّة " .و ليست " علماوية " . إنّها الشيوعية . شيوعية قد ظهرت طوال عقود عدّة من الهجوم الشرس و تحدّيها الأعظم سياسيّا و إيديولوجيّا ، ليست " دون مساس " و إنّما هي معاد تلخيصها ، و مسلّحة بدروس الماضي ، ومستوعبة للفهم الذى كسبته الإنسانية فى شتّى الحقول ، و بإدراك أقوى للمهمّة و الأهمّ بمنهج و مقاربة **أعمق و أكثر علمية** لإنجاز الثورة بإتجاه المرحلة التالية .

تحتاج الإنسانية أن تتخطّى العصر الرأسمالي برمّته و تقسيم المجتمع إلى طبقات ذاته . هناك الملايين و الملايين يمكن أن يكسبوا إلى فهم الحقيقة و العمل على أساسها . و يحتاج الشيوعيون إلى التخلّص من كافة الأفكار و مناهج التفكير التى تقف فى طريق إنجاز هذا .

===
===

الهوامش :

1- بو أفكيان ، " **ملاحظات حول الفنّ والثقافة ، والعلم و الفلسفة** " ، " بوب أفاكيان أثناء نقاش مع الرفاق حول الإبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره " ، إنسايت براس ،2005 ، ص 43 بالأنجليزية .

2- كلايد يونغ (1949- 2014) كان عضوا للجنة المركزيّة للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة . للمزيد أنظروا

http://revcom.us/a/356/clyde-young-1949-2014-a-life-lived-for-the-people-andfull-emancipation-en.html

3- الموجة الأول من الثورة البروليتارية بدأت مع تركيز كمونة باريس فى 1871 لكنّها لم تعمّر طويلا: من 18 مارس إلى 28 ماي .

4- تشكلّت الحركة الأممية الثورية فى 1984 ك " مركز جنيني للقوى الماوية عالمية " التى توحّدت على قاعدة وثيقتها التأسيسية ، " **بيان الحركة الأممية الثورية** " . ولعبت دورا هاما فى قتال اليأس و الفوضى عقب الإنقلاب فى الصين سنة 1976 و حثّت على إعادة تنظيم القوى الشيوعية العالمية و تعميق نضالها الثوري و دعمتهما .

5- " **تمايزات – مجلّة النظرية و الجدال الشيوعيين** "

http://demarcationsjournal.org/issue03/letter_to_participating_parties_of_rim_revolutionary_communist_ party_usa.pdf

6- زمنها كانت " **نكسلباري** " مجلّة الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) (نكسلباري) وكان آجيث أمينه العام . و فى غرّة ماي 2013 أعلن إندماج بين الحزب الشيوعي الهندي (الماوي) و الحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) (نكسلباري) .

و لمساعدة القرّاء على العثور على المادة المستشهد بها ، وقع تضمين العناوين الفرعية و رقم الصفحات التى تبدأ بها فى هذا الهامش فقط : الإجتماع الخاص و رسالة الحزب الشيوعي الثوري ، ص 7؛ أخلاقيّات الجدال الأفاكيانيّة ، ص 9؛ المراحل التعسّفيّة للأفاكيانية ، ص 16؛ عرض مشوه لماو ، ص 19؛ تشويه الأممية ، ص22؛ المهمّة الوطنية فى الأمم المضطهَدة ، ص 24 ؛ المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية ، ص 30 ؛ نقد طفولي لتكتيك الجبهة المتّحدة ، ص 34 ؛ تقويض الإقتصاد السياسي الماركسي ، ص 38 ؛ الوضع العالمي ، ص 4 ؛ الديمقراطية الإشتراكية ، ص45 ؛ الحقيقة و المصالح الطبقية و المنهج العلمي ، ص 56 ؛ نقدعقلاني للدين ، ص64 ؛ الصراع صلب الحركة الأممية الثورية، ص 73 ؛ أخبث و أخطر ، ص 75. يتناسب ترقيم الصفحات هذا مع ملفّ البى دى أف الذى نشر حسب الرابط التالي :

.http://www.bannedthought.net/India/CPI-ML-Naxalbari/Naxalbari-Magazine/Naxalbari-04.pdf

و من هنا فصاعدا الإستشهادات من مقال آجيث ستتمّ الإحالة عليها على أنّها من " ضد ".

7- " ضد " ، ص 78.

8- أنظروا ريموند لوتا " **حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير** " ، مجلّة " **تمايزات** "
http://demarcations-journal.org/issue03/driving_force_of_anarchy_and_dynamics_of_change_polemic.pdf

9-" **الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضى** " و " **الشيوعية أم القومية ؟** " والمقالات للمنظّمة الشيوعية الثورية ، المكسيك .

http://demarcationsjournal. org/issue03/the_new_synthesis_of_communism_and_the_residues_of_the_past.pdf

http://demarcationsjournal.org/issue03/communism-or-nationalism.pdf

10- و يقدّم هذا الخليط على أنّه " ماوية " لكنّه طبل خاوى. لمضمونه صلة رثّة بما مثّله ماو تسى تونغ، القائد الشعي الثوري ، و دافع عنه . و تعكس حجج آجيث دعوة غلى الذين أخفقوا فى فهم أهمّ تطوير للماركسية منقبل ماو ، لا سيما تحليل ماو الرائد لتناقضات المجتمع الإشتراكي بما هو مرحلة إنتقاليّة نحو الشيوعية ، و خطر إعادة تركيز رأسمالية و ضرورة و وسائل مواصلةالثورة فى ظلّ الظروف الجديدة لدكتاتورية البروليتاريا . و بدلا من ذلك ، ركّز آجيث و معارضون آخرون للخلاصة الجديدة للشيوعية على ماو مختلف ، ماو له بضعة نقاط مشتركة مع ماو الشيوعي الثوري ، لكن منزوع القلب العلمي والماركسي ، مؤكّدين على الدفاع عن الأخطاء التى مثّلت لدى ماو نقاط ضعف ثانوية جدّا
و جعلها مركزيّة بينما ينفخون قوميّتهم و براغماتيّتهم و إنحرافاتهم الأخرى فى ماو الخاطئ و المشوّه هذا .

11- كارل ماركس ، " **الصراع الطبقي فى فرنسا ،1848 - 1850** " ، الأعمال المختارة لماركس و إنجلز ، منشورات باللغت الأجنبية ،موسكو ، المجلّد 1 ، ص 223 .

12- تشانغ تشن – تشياو ، " **بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية** " ، منشورات باللغات الأجنبية، بيكين ، 1975 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ضمن كتاب شادي الشماوي (مكتبة الحوار المتمدّن) **" قيادات شيوعية ، رموز ماوية " .**

13- من أجل عرض و تلخيص شاملين للثورة الثقافيّة ، أنظروا حوار مع ريموند لوتا **" لا تعرفون ما تعتقدون انّكم" تعرفون " ... الثورة الشيوعية و الطريق الحقيقي للتحرير : تاريخها و مستقبلنا " ، " الثورة الثقافيّة : أعمق تقدّم فى السير نحو تحرير الإنسان إلى الآن ".**

http://revcom.us/a/323/you-dont-know-what-you-think-you-know-en.html#chapter0408

14- " **الأممية الشيوعية ، 1919 – 1943** " وثائق إختارها ونشرها جين دوكراس . المجلّد الثاني ، 1923-1928.

https://www.marxists.org/history/international/comintern/documents/volume2-1923-1928.pdf

15- ك.ج. أ ، " **أفكار جدالية حول بحث دي مالو " ما هي الماوية ؟ " ، الفهم العلمي و الدفاع الصلب و تجاوز الماويّة من أجل مرحلة جديدة من الشيوعية** " ، مجلّة " **تمايزات** "

http://demarcationsjournal.org/issue02/demarcations-polemical_reflections.pdf

16- فرديريك إنجلز ،" مقدّمة الطبعة الألمانية لسنة 1883 " **بيان الحزب الشيوعي** " ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1970، ص7-13. "و مع ذلك قد بلغ الآن هذا النضال مرحلة حيث الطبقة المستغَلّة و المضطهَدَة (البروليتاريا) لم يعد بوسعها أن تحرّر نفسها من الطبقة التى تستغلّها و تضطهِدها (البرجوازية) دون أن تحرّر فى نفس الوقت و إلى الأبد المجتمع برمّته من الإستغلال و الإضطهاد و الصراعات الطبقيّة – هذا التفكير الأساسي يعود إلى ماركس وحده و حصرا – و قد شدّدت على هذا عديد المرّات ؛ لكن تحديدا الآن من الضروري أن يوضع ذلك فى مقدّمة " **بيان الحزب الشيوعي** " ذاته ."

17- " ضد " ، ص64.

18- " **القانون الأساسي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكيّة** " ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو ، 2008 ، ص 25.

http://revcom.us/Constitution/constitution.html

19- " ضد " ، ص 62 . أنظروا ردّ : " **الجدال الراهن حول المجتمع الإشتراكي – ردّ للحزب الشيوعي الثوري** " ، مجلّة " **تمايزات** "

http://demarcations-journal.org/issue02/demarcations-ajith_reply.pdf

20- المصدر السابق ، ص 63.

21- المصدر السابق ، ص 64.

22- الوضعية تيّار بارز فى القرنين التاسع عشر و العشرين . يتميّز بتحديده معاييرا ومقاييسا للمعرفة . و من أبرز مظاهره هو رفضه لأي فرق بين الظاهر و الباطن . و أيّة إدّعاء بالمعرفة غير المظاهر الممكن ملاحظتها تعتبر مميّزات خفيّة و بالتالى خارج نطاق المعرفة الشرعية و الصالحة . و تعتبر الوضعية أحيان مناهضة – للفلسفة .

23- متّى ، الفصل 22 ، الآية 21.

24- الثنائيّة مدرسة فلسفيّة قائمة منذ زمن بعيد ومرتبطة بديكارت و آخرين الذين يحاججون انّ هناك مادتان ، مجالات منفصلين تمام الإنفصال ، مجال يخصّ المادية و مجال آخر يخصّ الروح ، أو بصفة أعمّ ، مجال الأفكار و الوعي . أنظروا نقد الحزب الشيوعي الثوري لآجيث ، و فيه تمّت الإشارة إلى ثنائيّة آجيث ، " **الجدال الراهن حول نظام الدولة الإشتراكيّة – ردّ من الحزب الشيوعي الثوري** " ، مجلّة " **تمايزات** ".

25- ذكره بوب أفاكيان فى كتاب " **لنتخلّص من كافة الآلهة** ..." إنسايت براس ، شيكاغو ، 2008 ، ص 220-221. أرديا سكايبراك" **علم التطوّر وأسطوريّة فكر الخلق- معرفة ما هو حقيقي و لماذا يهمّنا** "،إنسايت براس ، شيكاغو 2006.

26- فرديريك إنجلز، " **الإشتراكية الطوباوية و الإشتراكية العلمية** " ،منشورات باللغات الأجنبيّة ، 1975، ص 72.

27- تلقى النظريّة الداروينية بالضوء على الدور الحيوي للتحوّل المرتبط بالصدفة وهو مثلا ، على خلاف طلقة ناريّة من بندقيّة ، ليس قابلا للتوقّع أو ممكن إعادة إنتاجه بنفس الطريقة . إنّ تطوّر أشكال الحياة الطبيعية يعمل عبر نجاح التوالد المختلف. بعض التحوّلات المرتبط بالصدفة ن و بالفعل غالبيّتها ، تخفق ،أي ، لا تؤدّى إلى ميزة تأقلم ، بينما يمكن لبعض التحوّلات المرتبطة كذلك بالصدفة أن تؤدّى إلى ميزة توالد كائنات حيّة فى ظروف خاصة و بيئيّة متغيّرة .

28- مثلا ، ، فى البيولوجيا ، البكتيريا يمكن أن تعرف شكلين مختلفين هندسيّا لخلايا السكّر (" الإنصاف " أو شيرليتي) لكنّها ستتغذّى فقط على شكل واحد من الخلية ، ليس بسبب أنّ الشكلين المختلفين متكوّنين من عناصر مختلفة و إنّما لأنّ تاريخ تطوّر بكتيريا معطاة بدأت تتغذّى بشكل واحد من خليّة السكّر.

29- فرديريك إنجاز ، " **ضد دوهرينغ** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1976 ، ص 28 بالأنجليزية ؛ و العربية ص 28 من طبعة دار التقدّم ، موسكو: " و تعتبر الطبيعة محكّا للديالكتيك . و يجب أن نقول إنّ العلم الطبيعي الحديث قد أتاح لهذا المحكّ مادة غنيّة جدّا تتزايد كلّ يوم ."

ثمّ لاحقا فى الصفحة 180 بالأنجليزية و ؛ بالعربية ص 165 من طبعة دار التقدّم ، موسكو: " الديالكتيك ما هو إلاّ علم القوانين العامة للحركة و لتطوّر الطبيعة و المجتمع البشري والتفكير ."

30- " **ملاحظات** ..." ، ص 7 ، : " كلّ ما تحدّثت عنه إلى الآن له صلة وثيقة بالمبدأ الذى شدّد عليه ماو - انّ الماركسية تشمل لكنّها لا تعوّض كلّ هذه المجالات المختلفة من المجتمع و النشاط الإنساني " . و كما وضع ذلك ماو ، لكلّ مجال من مجالاتها ميزة تناقضه الخاص ".

31- أنظروا ف. أس راماشندران، " البحث العلمي "المقدّم فى وثيقته المعنونة " العصب الأساس للتجربة الدينية " المتقدّ فى الندوة السنوية لجمعية علم الأعصاب . أكتوبر . تجريد 529.1، المجلّد 23 ، جمعية علم الأعصاب . و قد حاجج بأنّ هناك أساس مادي فى خلايا المخّ وتشابك لسيرورة التحرّكات الروحية ، أساس مادي لوضع الذهن الديني .

32- " ضد " ، ص 64 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 63 – مكتبة الحوار المتمدّن.

33- أنظروا بوب أفاكيان ، " **القيام بالثورة و تحرير الإنسانية** "، الجزء1
http://revcom.us/avakian/makingrevolution/ and part 2, http://revcom.us/avakian/makingrevolution2/

34- " ضد " ، ص 57 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

35- المصدر السابق ، ص 57 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية "** و **الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

36- تقليص الحاجة إلى حزب طليعي إلى مظاهره التنظيميّة والعمليّة ، و تجاهل مسائل الرؤية الإيديولوجية والسياسي و القيادة والقطيعة مع العفويّة ، يؤدّى إلى نوع الحزب المميّز للتروتسكيين و الإصلاحيين الآخرين وهو منسجم مع الإقتصادوية و الديمقراطية الإشتراكية .

37- " ضد " ، ص 59 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 58 – مكتبة الحوار المتمدّن.

38- بوب أفاكيان ، " **حاجة الشيوعيين لأن يكونوا شيوعيين** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 38 ، 12 مارس 2006 . " لوضع ذلك بطريقة أخرى ، " الموقف " لا يكفى . حتّى ضمن الشيوعيين هناك الكثير من الخلط حول هذا . أحيانا يقول الناس ، " لديه أو لديها خطّ إيديولوجي جيّد حقّا " ، و بهذا يقصدون أنّ للشخص موقف جيّد – يكرّس نفسه حقّا ، وهومليئ بالحقد على الإضطهاد وما إلى ذلك – لكنّ الموقف ليس كافيا . لقد كتب تشانغ تشن – تشاو عن هذا (على الأقلّ يقال إنّه كتب شيئا عن هذ و أنوى الإعتقاد فى ذلك ، إعتبار ذلك واقعا و المضيّ معه) . و إثر الإنقلاب فى الصين ، قال التحريفيّون فى هجومهن هجماتهم على " مجموعة الأربعة " إنّ تشانغ تشن – تشاو قد أكّد أنّ النظريّة هي العامل الأكثر ديناميكية فى الإيديولوجيا . و سبب حديث التحريفيين عن هذا اليوم هو " آه ، إنّه مجرّد دغمائي – كلّه نظريّة و لا تطبيق ، لا شرف الواقع المباشر " " .

http://revcom.us/a/038/avakian-need-for-communists.htm

39- " ضد " ، ص 59 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 59 – مكتبة الحوار المتمدّن.

40- قسم " إعادة قراءة جورج جاكسون " فى بحث " **تجاوز العقبتين الكبيرتين : مزيدا من الأفكار حول كسب العالم** " ، جريدة " **العامل الثوري** " عدد 968، 9 اوت ، 1998 .

http://revcom.us/avakian/ba-getting-overtwo-great-humps-en.html

41- بوب أفاكيان ، " **التناقضات التى لم تحلّ ، قوى محرّكة للثورة** " ،

http://www.revcom.us/avakian/driving/

و أنظروا أيضا " **لنكسر كافة السلاسل ! بوب أفاكيان حول تحرير النساء و الثورة الشيوعية** " ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2014 ، ص 24

http://revcom.us/avakian/Break-ALL-the-Chains/Break-ALL-the-Chains-FULLWORK.pdf.

و كذلك أنظروا إلى " **الخلاصة الجديدة و قضيّة المرأة – تحرير النساء والثورةالشيوعية ، مزيد القفزات و القطائع الراديكالية** " ، مجلّة " **تمايزات** "

http://demarcationsjournal.org/issue03/the-new-synthesis-and-the-woman-question.pdf

(التشديد مضاف).

42- " ضد "، ص 59 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 58 – مكتبة الحوار المتمدّن.

43- بوب أفاكيان ، " **وجهات نظر حول الإشتراكية والشيوعية : نوع دولة جديد راديكاليّا ، نظرة للحرّية مختلفة راديكاليّا و أعظم بكثير** " ، خاصة القسم المعنون " فهم مادي للدولة و علاقتها بالقاعدة الإقتصادية الكامنة " ، الذى نشر فى جريدة " **الثورة** " عدد 42 (9 أفريل 2006)

http://www.revcom.us/a/037/avakian-views-socialism-communism.htm

44- كارل ماركس ، " **الإيديولوجيا الألمانية** " .

https://www.marxists.org/archive/marx/works/1845/german-ideology/ch01d.htm

45- كارل ماركس ، " **العائلة المقدسة** " ، الفصل الرابع .

https://www.marxists.org/archive/marx/works/1845/holy-family/ch04.htm

46- " ضد " ، ص 59 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 59 – مكتبة الحوار المتمدّن.

47- أنظروا نقاش تجربة الصين الماويّة ، بما فى ذلك نقاط القوّة و نقاط الضعف ، فى النضال من أجل إعادة صياغة النظرة إلى العالم فى الحوار مع ريموند لوتا ، " **لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون** ".
http://revcom.us/a/323/you-dont-know-what-you-think-you-know-en.html

48- بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 24 – مكتبة الحوار المتمدّن.

و يحاجج آجيث بوجه خاص بأنّ البروليتاريا العالمية يمكن أن توجد فقط كبروليتاريا قومية . و من أجل دحض هذه النظرة ، أنظروا مقال " **الشيوعية أم القومية ؟** " للمنظّمة الشيوعية الثوريّة ، المكسيك، مجلّة " **تمايزات** " .

49- مثلما ذكره ماو تسى تونغ فى " **فى الممارسة العملية** " ، قال لينين " إنّ تجريدات المادة و أحد قوانين الطبيعة و القيمة ...إلخ ،و ب'ختصار كلّ تجريد علمي (صحيح و جدّي و ليس باطلا) ، ليعكس الطبيعة بصورة أعمق و أصدق و أكمل . " ، ماو تسى تونغ ، " **فى الممارسة العملية** " ، **مؤلفات ماوتسى تونغ المختارة** ، منشورات باللغات الأجنبية، بيكين ، 1967، ص 299 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 437 .

50- ف.إ. لينين ، " **ما العمل ؟** " ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين ، 1973 ، ص 111-114 بالأنجليزية .

51- " **ملاحظات** ..." ، ص 45.

52- " ضد " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 24 – مكتبة الحوار المتمدّن.

53- أنظروا الحوار مع لوتا ، **" لا تعرفون ما تعتقدون أنّكم " تعرفون" "**، قسم " التعلمّ من الثورة الثقافية و المضيّ أبعد منها " .

54- **" ملاحظات** ..."، ص 3-5.

55- " ضد " ، ص 70 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

56- المصدر السابق ، ص 70 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

57- المصدر السابق ، ص 68 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 55 – مكتبة الحوار المتمدّن.

58- المصدر السابق ، ص 56 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

59- هناك حالات مشابهة كذلك حيث قدّم التحريفيّون موقفا حقيقيّا من مثل " الجميع متساوون أمام الحقيقة " لغايات معادية للثورة . ليو تشاوتشي قائد أتباع الطريق الرأسمالي فى الصين شدّد كذلك على أنّ " ماركس وإنجلز و لينين و ستالين و ماو جميعهم قاموا بأخطاء ." و هنا أيضا ، فى حين أنّه أمر أن ننقد الأهداف المعادية للثورة لليو فى رفع هذه السخافة لقتال ما أطلق عليه " عبادة الشخصيّة " (فى الواقع لمعارضة خطّ ماو الثوري) ، سيكون الأمر مخالفا تماما أيحاول إنكار حقيقة الكلمات الخاصة التى رفعها .

60- " ضد " ، ص 56 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

61- ريتشارد رورتى ، قائد براغماتي جديد ، قال شيئا صار شهيرا ألا وهو " إذا إعتنيتم بالحرّية ، الحقيقة ستعتنى بنفسها " . بالنسبة لرورتى " الحرّية " كانت تعنى ضمان الظروف السياسيّة (الديمقراطية البرجوازية) التى ستصاغ من خلالها الإتفاقيات و التسويات . و حالما يتمّ بلوغ تسوية ، " تعتنى الحقيقة نفسها " ، أي ن لا سبب للخصومات حول كيف يجب تعريف الحقيقة و فهمها ، ما إعتبره مشكل زائف . و آجيث يشاطره الكثير بمقاربته عندما يتنازل إلى الحقيقة الطبقيّة . ويعوّل آجيث على التجربة الطبقية و المشاعر المشتركة و النضال لإيجاد تسوية ، و فى هذه الحال تسوية طبقيّة ، يمكن أن تخدم كقاعدة لتحديد ما يعتبر صحيحا . و هذه رواية من نظرية التسوية للحقيقة ، التى ترفض نظرية التناسب للحقيقة ، كمظهر أساسي للمادية . إعتنوا بالظروف السياسيّة للبروليتاريا و مصالحها و الحقيقة ستعتنى بنفسها ، هذا هو الإستنتاج الذى لا يمكن تجنّبه إن أخفق المرء فى التأكيد على نظرية التناسب للحقيقة .

62- " ضد " ، ص 70 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 56 – مكتبة الحوار المتمدّن.

63- المصدر السابق ، ص 70 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 57 – مكتبة الحوار المتمدّن.

64- **" الرئيس ماو يتحدّث إلى الشعب ، خطابات و رسائل ، 1956-1971 "** ، بنتيون بوكس ، نيويورك ، 1974.نشر مع مقدّمة لستوارد شرام . ترجمة جون شنري و تييون ، ص 235-236.

65- كارل ماركس ، رسالة إلى إنجلز ، 27 جوان 1867، **الرسائل المختارة** ، (التشديد فى النصّ الأصلي).

https://marxists.anu.edu.au/archive/marx/works/1867/letters/67_06_27.htm

بالعربية ، ماركس إنجلس ، رسائل مختارة ، طبعة دار التقدّم ، موسكو ، ص 149.

66- ماو تسى تونغ **" فى الممارسة العملية "** ، **مؤلّفات ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الأوّل ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1967، ص 298 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ، المجلّد الأوّل ص 436.

67- أنظروا مقال المنظّمة الشيوعية الثورية ، المكسيك **" الشيوعية أم القومية ؟ "** لأجل نقاش هجوم آجيث على فهم أفاكيان للثورة البروليتارية ك " سيرورة عالمية واحدة " ، مجلّة **" تمايزات "** .

68- فى **" القيام بالثورة و تحرير الإنسانية "** ، الجزء 2 ، كتب أفاكيان " تنهض الثورة من تداخل معقّد للتناقضات ، ضمن البلد الخاص و عالميّا ، و التداخل بين هذه المستويات أو الأبعاد . نعم ، هناك بعض الأشياء و بعض الظواهر التى يمكن أن نشخّصها . نعم ، دور الفاشيين المسيحيين عنصر هام جدّا الآن فى " الخليط " الآن بالذات .و نعم ، يمكن أن يلعب دور " مسّير المرحلة ". نعم ، هناك شيء حقيقي جدّا فى المقارنة بين ما يحدث الآن و الفترة السابقة للحرب الأهليّة فى الولايات المتحدة ، أواسط القرن التاسع عشر . و متحدّثين بشكل عام ، هناك نقطة فى مقارنتها " الحرب الأهلية القادمة " . لكن يجب فهم هذا بمعانى جدليّة حيّة ، بمعانى ادية . و ليس بمقاربة دينية لا تلهم ودغمائيّة .

" المعنى حقّا هنا و ما يجب أن نستوعبه حقّا بصلابة و أن نطبّقه بصراحة ، هو فهم مادي و جدلي للعلاقة بين العوامل الموضوعية و الذاتية ، **مع كلّ** التعقّد المعني فى هذا ، **مع كلّ** تداخل مختلف مستويات ذلك الواقع " المتعدّد المواد " ."

http://revcom.us/avakian/makingrevolution2/

69- " ضد " ، ص 24 بالأنجليزية ؛ و بالعربية - كتاب شادي الشماوي ، " **مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، ص 24 – مكتبة الحوار المتمدّن.

70- المصدر السابق ، ص 77 بالأنجليزية .

71- ف. إ. لينين ، " **مصادر الماركسية الثلاثة و أقسامها المكوّنة الثلاثة** " الأعمال الكاملة ، المجلّد 19 ، ص 3 . و إن ثمّة شيء يقال فهو أنّ لينين إستهان هنا بعنصر القطيعة الذى مثّله ماركس مع المفكّرين السابقين .

72- " ضد " ، ص 72.

73- ماركس و إنجلز ،" **بيان الحزب الشيوعي** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1970 ، ص61 بالأنجليزيّة ؛ و بالعربية ماركس إنجلز **مختارات فى أربعة أجزاء** ، الجزء الأوّل ، ص 74 : " وهكذا نشأت الإشتراكية الإقطاعية مزيجا من الشكاوي و الأهاجي ، من ذكريات الماضي و أخطار المستقبل . و إذا كان إنتقادها المرّ اللاذع البارع يصيب البرجوازية أحيانا فى صميم قلبها ، فإنّ عجزها المطلق عن فهم سير التاريخ الحديث كا يسبل عليها دوما ثوبا من السخافة و السخرية .".

وفى الصفحة 64 بالأنجليزيّة ؛ و بالعربية ، ص 77: " كان من الطبيعي فى أقطار مثل فرنسا ، يؤلّف فيها الفلاحون أكثر بكثير من نصف السكّان أن يعمد بعض الكتّاب الذين يناصرون البروليتاريا ضد البرجوازية ، إلى إنتقاد النظام البرجوازي و الدفاع عن العمّال من وجهة نظر خاصة بصغار البرجوازيين و الفلاحين . و على هذه الصورة تشكّلت الإشتراكية البرجوازية الصغيرة . "

74- من تقرير المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني : " يعلّمنا الرئيس ماو أنّ "صحّة أو عدم صحّة الخطّ الإيديولوجي و السياسي هي المحدّدة فى كلّ شيء " . إن كان خطّنا خاطئا ، فإنّ سقوطنا لا مناص منه ، حتى مع سيطرتنا على القيادة المركزية و المحلّية و الجيش " . https://www.marxists.org/subject/china/documents/cpc/10th_congress_report.htm

75- ماو تسى تونغ ، " ملاحظات خلال لقاء " ، مارس 1964، ضمن كتاب " **عاش فكر ماو تسى تونغ** " ، منشورات الحرس الأحمر

https://www.marxists.org/reference/archive/mao/selected-works/volume-9/mswv9_16.htm

76- لقد أنقذ ماركس النظرات الثاقبة لريكاردو من أتباعه الخاصين الذين كانوا على إستعداد إلى قبر هذه النظرات الثاقبة بالذات لأنّها لا تتماشى مع نظريّاتهم الإقتصادية المعادة الصياغة إيولوجيّا . و يبيّن هذا فى نفس الوقت أنّ الحقيقة التى إكتشفتها الطبقات الأخرى تحتاج إلى أن نقرّ بها و ندافع عنها و حيث يكون ضروريّا إعادة صياغتها من قبل المفكّرين الشيوعيين ، و أنّ هناك بالفعل نزعة من طرف الطبقات المستغِلّة إلى قبر الحقائق العلمية عندما يبدو أنّها تتعارض مع مخطّطاتها . أنظروا ماركس ، " **نظريّات فائض القيمة** " ، المجلّد 2، ص 164-214 و 373-425،و المجلّد 3 ، ص 87-90.

77- فرديريك إنجلز ، " **فيورباخ و نهاية الفلسفة الكلاسيكيّة الألمانية** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين ، 1976 ، ص1 : " لقد بيّن ماركس فى تصدير " مساهمة فى نقد الإقتصاد السياسي " ، برلين 1959، كيف شرعنا معا ، فى بركسال سنة 1845، فى " العمل المشترك من أجل إبراز التعارض بين تصوّرنا (و يتعلّق الأمر بالمهوم المادي للتاريخ الذى أعدّه ماركس خاصة) و المفهوم الإيديولوجي للفلسفة الألمانية : و فى الواقع ، شرعنا معا فى فضّ خلافاتنا مع وعينا الفلسفي السابق . و قد تحقّق هذا الغرض فى شكل نقد الفلسفة اللاحقة لهيغل ." و كذلك فى الصفحة 25 : " لأنّنا لا نعيش فى الطبيعة

فحسب بل فى المجتمع الإنساني أيضا . و لهذا الأخير تطوّره وتاريخه و علمه أيضا مثلما هو الحال بالنسبة للطبيعة . و ينبغى بالتالى ، ربط علم المجتمع أي مجموع العلوم المسمّاة تاريخية و فلسفيّة بالأساس المادي و إعادة بنائها بالإعتماد عليه . " .

78- **" ملاحظات ..."** ، ص 54.

79- ماو تسى تونغ ، **أعمال ماو تسى تونغ المختارة** ، المجلّد الخامس ، " خطابات فى ندوة الأمناء العامين للجان الحزب للمقاطعات و البلديّات و لمناطق الإستقلال الذاتي " جانفي 1957، ص 367-368. " لقد كان لدي ستالين قدر كبير من الميتافيزيقا و قد علّم عديد الناس إتباع الميتافيزيقا " .

80- بوب أفاكيان ، **" التقدّم بطريقة أخرى "** ، الجزء 15 ، الهامش 2.

http://www.revcom.us/avakian/anotherway/anotherway15-en.html

81-

http://demarcations-journal.org/issue03/letter_to_participating_parties_of_rim_revolutionary_communist_party_usa.pdf

82- " ضد " ، ص 63.

83- المصدر السابق ، ص 64 بالأنجليزية : " مقارنة مع التجريدات العلمية فى حقول خاصة ، تمثّل تجريدات الإيديولوجيا و الفلسفة بالتأكيد مستوى أرقى و ذلك لأنّ الأنواع الشمولية التى تقدمها هي ذاتها تنبع من جملة الشموليات المتضمنة فى القوانين التى تحكم حقولا خاصة من الحياة الإجتماعية و الظواهر الطبيعية . ستكون إيديولوجيا أو فلسفة خاطئة فى تجريداتها إن لم تكن هذه التجريدات مرتكزة على الواقع الطبيعي و الإجتماعي. لكن هذا لا يغيّر واقع أنّها تمثل مستوى أرقى من التجريد ." [بالعربية الصفحة 63 من كتاب شادي الشماوي ، " مقارنة مع التجريدات العلمية فى حقول خاصة ، تمثّل تجريدات الإيديولوجيا و الفلسفة بالتأكيد مستوى أرقى و ذلك لأنّ الأنواع الشمولية التى تقدمها هي ذاتها تنبع من جملة الشموليات المتضمنة فى القوانين التى تحكم حقولا خاصة من الحياة الإجتماعية و الظواهر الطبيعية . ستكون إيديولوجيا أو فلسفة خاطئة فى تجريداتها إن لم تكن هذه التجريدات مرتكزة على الواقع الطبيعي و الإجتماعي . لكن هذا لا يغيّر واقع أنّها تمثل مستوى أرقى من التجريد . " – مكتبة الحوار المتمدّن].

84- ماو تسى تونغ ، **" أحاديث فى ندوة الأدب و الفنّ بيانآن "** ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1967، ص 94 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ، **مؤلّفات ماو تسي تونغ المختارة** ، المجلّد الثالث ، ص126-127:

" إنّ الماركسية يمكن أن تتضمّن الواقعيّة فى الإبداع الأدبي و الفنّي و لا يمكن أن تحلّ محلّها تماما كما أنّها يمكن أن تتضمّن نظريّة الذرّة و نظريّة الألكترونات فى علم الفيزياء و لا يمكن أن تحلّ محلّها " . [ملاحظة المترجم و نلفت نظر القرّاء أنّنا نعتمد فى كتاباتنا ترجمتنا التى نرى أنّها تؤدّى المعنى بشكل أفضل :" ... الماركسية تشمل... و لا تعوّض ..."]

85- بوب أفاكيان و بيل مارتن ، **" الماركسية و نداء المستقبل ، نقاشات حول الأخلاق و التاريخ و السياسة "** ، منشورات أوبن كورت ، شيكاغو 2005، ص 162-164 .

86- كارل ماركس و فرديريك إنجلز **" الإيديولوجيا الألمانية "**

https://www.marxists.org/archive/marx/works/1845/german-ideology/ch01a.htm

87- إنجلز ، **" ضد دوهرينغ "** ، ص 31 بالأنجليزية ؛ وب العربية ص ؟؟؟؟

88- بوب أفاكيان ، **" لنتخلّص من كافة الآلهة ..."** ، ص 214 فى الهامش .

89- **" الماركسية و نداء المستقبل "** ، ص 161-162 .

90- " ضد " ، ص 63.

91- بهذا المضمار ، يدافع آجيث عن وجهات نظر مشابهة لتلك التى لدى الآباء المؤسّسين للبراغماتية الأمريكية . يقول وليام جايمس : " كل دور الفلسفة ينبغى أن يكون إيجاد ما هو الإختلاف المحدّد الذى سينجم لك و لى ، فى لحظات محدّدة من حياتنا ، إن كانت هذه الصيغة العالمية أو تلك هي الصيغة الصحيحة " . من وليام جايمس ، **" معنى الحقيقة "** ، كامبردج ، ماساشوساتس ، منشورات هارفارد ، 1978 ، ص 30 . هل يمكن أن ترى أي شيء أقرب من هذا إلى " الحقيقة السياسية " ؟

92- **" تأملات و جدالات : حول أهمّية المادية الماركسية و الشيوعية كعلم و العمل الثوري ذو الدلالة وحياة لها مغزى** . " فى النصّ الأصلي كلمة " ببساطة " فقط هي التى وضع تحتها سطحا .

http://revcom.us/avakian/ruminations/BA-ruminations-en.html

93- " ضد " ، ص 63.

94- **" ملاحظات ..."** ، ص 43-42.

95- **" الماركسية و نداء المستقبل "** ، ص 199.

96- المصدر السابق ، ص 226.

97- " ضد " ، ص 77 بالأنجليزية و بالعربية .

98- المصدر السابق ، ص 77 بالأنجليزية و بالعربية .

99- **" الجدال الراهن حول نظام الدولة الإشتراكيّة – ردّ من الحزب الشيوعي الثوري "** ، مجلّة **" تمايزات "**.

و بالعربية ص 61 من كتاب شادي الشماوي : **" مقال " ضد الأفكيانية " و الردود عليه "** ، مكتبة الحوار المتمدّن.

100- " ضد " ، ص 61 بالأنجليزية و بالعربية .

101- المصدر السابق ، ص 77.

102- المصدر السابق ، ص 60 بالأنجليزية و بالعربية .

103- لينين ، " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، 1972، ص 153 باللغة الأنجليزية ؛ و بالعربية ص 170 من الملّد الرابع من المختارات فى 10 مجلّدات ، دار التقدّم ، موسكو : " خلاصة القول إنّ كلّ إيديولوجيا شرطيّة تاريخيّا ،و لكنّه لا ريب فى انّ كلّ إيديولوجيا علمية (خلافا ، مثلا ، للإيديولوجيا الدينية) تناسبها حقيقة موضوعيّة ، طبيعة مطلقة . ستقولون : هذا التفريق بين الحقيقة النسبيّة و الحقيقة المطلقة غير واضح . و أنّا سأردّ عليكم : إنّه على وجه الدقّة " غير واضح " إلى حدّ أنّه يحول دون تحويل العلم إلى عقيدة بمعنى هذه الكلمة السيء ، إلى شيء ما ميت ، متحجّر ، متجمّد ، و لكنّه فى الوثقت نفسه و على وجه الدقّة ط واضح " إلى حدّ أنّه يتيح التنصّل بصورة حازمة و نهائيّة عن الإيمانية و عن اللاعرفانية ، عن المثاليّة الفلسفيّة و عن سفسطة أتباع هيوم و كانط . هنا يوجد حدّ لم تروه ؛ و بما أنّكم لم تروه ، فقد إنزلقتم إلى مستنقع الفلسفة الرجعيّة . و هذا هو الحدّ بين المادية الديالكتيكية و بين النسبيّة " .

104- " **الماركسية و نداء المستقبل** " ، ص 162.

105- أنظروا " **وخامسهم ماو** " ، بانر براس ، شيكاغو ،1978 ، النصّ عدد 17 ، " لندرس جيّدا نظريّة دكتاتورية البروليتاريا "، ص 192 . النصّ 19 ،" **بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية"،** ص 209.

106- أنظروا " **الحزب الشيوعي النيبالي – الماوي (الجديد) و مفترق الطرق الذى تواجهه الحركة الشيوعية العالمية** " لروبار بوربا، مجلّة " **تمايزات** " خاصة الصفحات 17-23 من أجل مراجعة مفصّلة لمديح آجيث للتحريفيّة .

http://demarcations-journal.org/issue03/the_new_communist_party_of_nepal_maoist_and_ thecrossroads.pdf

107- " ضد " ، ص 60 ، الهامش 214 .

108- المصدر السابق ، ص 62 بالأنجليزية و بالعربية.

109- المصدر السابق ، ص 60 بالأنجليزية و بالعربية .

110- وحتى مثال آجيث السياسي الملموس ل " الحقيقة العالمية " كاشف جدّا لدغمائيته العنيدة و ابستيمولوجيته الخاطئة . " لنضرب مثالا ، أشارت الأممية الشيوعية إلى أنّ الإمبريالية تحوّل الإقطاعية و تجعل منها قاعدتها الإجتماعية فى بلد مضطهَد. و قد إستخلص هذا الدرس من التحاليل الإجتماعية لعديد البلدان المستعمَرة وشبه المستعمرة . و من هنا يتضمّن حقيقة عالمية تساعد الشيوعيين فى إعداد برامجهم و ترشد ممارستهم." ، " ضد " ، ص 61 ، هامش جيث عدد 217.

من واجب الشيوعيين أن يواصلوا نقاش العلاقة بين الإمبريالية و الإقطاعية فى البلدان التى تضطهدها هذه الأخيرة ، و هذا المقال ليس المجال للدخول فى نقاش كبير لهذه المسألة الهامّة أو فى تاريخها . و مع ذلك ، الأمر الذى يجب أن يكون بديهيّا للجميع عدا أكثر الدغمائيين قلّة ذكاء بهذا الصدد هو أنّ هذه علاقة مرنة و ديناميكيّة و يبدو أنّ عالم القرن ال21 مختلف نوعا ما بهذا المضمار عن الفترة التى حلّلها الكومنترن أو عن الزمن الذى طوّر فيه ماو أطروحاته عن الثورة فى الصين. و إن إتّخذ المرء إقتراح أنّ الإمبريالية " تجعل من الإقطاعية قاعدتها " ك " حقيقة عالمية " أو إعتبرها " مبدأ إيديولوجيّا " بالتالى يختلف فقط فى " تطبيقه " من وضع إلى آخر ، من المشكوك فيه جدّا أن مثل هذا التفكير س " يساعد الشيوعيين فى إعداد برامجهم و يرشد ممارستهم ".

111- المصدر السابق ، ص 60 بالأنجليزية و بالعربية (التشديد فى النصّ الأصلي).

112- **" لنتخلّص من كافة الآلهة "** ، ص205-207 .

113- أرديا سكايبار ، **" علم التطوّر و أسطوريّة فكر الخلق ، معرفة ما هو حقيقي ولماذا يهمّنا "** ، إنسايت براس ، شيكاغو ، 2006 ، ص 214.

114- " ضد " ، ص 68 بالأنجليزية و بالعربية .

115- تشانغ تشن- تشياو ، " بصدد الدكتاتورية الشاملة على البرجوازية " ، منشورات باللغات الأجنبيّة، بيكين ، 1975، ص 24 .

116- " ضد " ، ص 71 بالأنجليزية و بالعربية ص 70 .

117- إنجلز ، **" ضد دوهرينغ "** ، ص83 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص79 من طبعة دار التقدم ، موسكو: "على أي حال فحتّى تطبيق " الهدف الداخلي " الهيغلي أي ذلك الهدف ، الذى لم يحمله إلى الطبيعة عنصر جانبي يعمل بشكل عمدي ، مثل حكمة العماية الإلاهيّة ، و لكنّه موضوع فى حتمية الشيء نفسه ، حتى مثل هذا التطبيق لمفهوم الهدف يقود بإستمرار الناس الذين لم يحصلوا على ثقافة فلسفيّة كاملة ، إلى أن ينسبوا للطبيعة بكلّ تهوّر أعمالا واعية و عمدية ."

118- لاحظوا فى الإستشهاد أدناه المقتطف من **" رأس المال "** ، كيف أنّ تفسيرا ماديّا شاملا للسيرورة التاريخية للإطاحة بالرأسمالية يختلط ثانويّا بتطبيق " نفي النفي " وكذلك بنزعة نحو التأويل الميكانيكي و الحتمي لقانون علمي . " إلى جانب العدد المتقلّص بإستمرار من أقطاب رأس المال ، الذى يستولى على كلّ إمتيازات هذه السيرورة التحوّلية و يحتكرها، ينمو قدر كبير من البؤس و الإضطهاد و العبودية و الإهانة و الإستغلال ؛ لكن مع هذا أيضا ينمو تمرّد الطبقة العاملة ، طبقة عددها دائما فى إزدياد ، و منضبطة وموحّدة و منظّمة بفعل ذات آليّة سيروة إنتاج رأس المال ذاته . و يصب إحتكار رأس المال معرقلا لنمط الإنتاج الذى نما و ترعرع معه وفى ظلّه . و مركزة وسائل الإنتاج و جعل العمل إجتماعيّا يبلغ فى النهاية نقطة حيث يصبح غير منسجمين مع إهاب الرأسمالي . و هذا الإهاب قابل للإنفجار . و تدقّ ساعة الملكية الخاصة الرأسمالية . وتقع مصادرة مصادري الملكيّة...هذا أوّل نفي للملكية الخاصة الفردية ، بما هي مؤسّسة على عمل المالك . لكنّ الإنتاج الرأسمالي يولّد ، و هذا لا مفرّ منه ، قانون الطبيعة ، نفيه الخاص . إنّه نفي النفي ."

119- غنزالو ،" حول حملة التصحيح القائمة على وثيقة " لا للإنتخابات ! نعم لحرب الشعب !" ، مجلّة " **عالم نربحه** " عدد 19 ، 1993.

120- ضمن الفلاسفة المثاليين الفرضيّات الأساسية هي إتّخاذ العقل و / أو الوعي على أنّه " سابق " للواقع المادي ، و إن لم يكن ذلك زمنيّا فهو على الأقلّ منطقيّا " سابق" . و حتّى بعض " الماديين " كذلك يدافعون عن أنّ مميّزات المادة هي على نحو يوفّر خاصة و حتى يتطلّب ، ظهور أو وجود الذكاء أو الوعي من أجل التمعّن فى المادة .

منذ أواسط القرن العشرين نمت فى صفوف علماء الكونيّات و الفيزيائيين و علماء فيزياء الفلك و غيرهم مدرسة فكريّة تدافع عن ما يشار إليه عامة بمبدأ الأنثروبي. و يأوّل هذا المبدأ المعلومات المتحّصل عليها من الملاحظة التجريبية للعالم بتركيز علاقة ترابط بين وجود الذكاء و الوعي الممكن ملاحظتهما و هيكلة الكون و مظاهره المادية / لفيزيائية . وبالفعل ، يرتبط هذا بكثرة مفرطة من حجج " التصميم " بأنّ العالم مخطّط له . هكذا يلتحق مبدأ الأنثروبي بنوع من الحجّة التى يمكن أن تعود إلى الأزمان القديمة عندما كان العلم و الفلسفة غير متمايزين وكانا أيضا مختلطين بالميتافيزيقا لإعطاء معنى لنظام الأشياء و بالفعل ، لكافة الوجود .

121- " ضد " ، ص69.

122- ذُكر فى مقدّمة " **الخطوات البدائية و القفزات المستقبليّة** " لأرديا سكاييراك ، بانربراس ، شيكاغو ، 1984، ص 7.

123- هكذا يصف البيولوجي كافيد هانكا التأثيرات الضارة للتيولوجيا : " تراجع الإنتقاء الطبيعي إلى مكان الخالق ، المنتقى الطبيعي ، على أنّه الوجه الجديد للمصمّم الكبير ... و بين الفترة و الفترة هناك محاولات ذات معنى لتبرير إستعمال التفكير التيولوجي على أنّه إفتراضيّا غير ضار و مساعدا على التفكير ... التيولوجيا ، ركيزة البيولوجيا ، ليست سيّئة كثيرا لكونها كسولة و خاطئة (وهي كذلك) بل لأنّها تقيّد الذهن مقلّصة التفكير العلمي الخلاّق حقّا ...المشاعر تخدع ، الحقيقة ، بعضها مضاد للفطرة ، تقف هناك وهي تنتظر " . " التيولوجيا : التفسير الذى يربك البيولوجيا " ، ضمن " **تفسيرات** " ، نشره جون كرنال ، منشورات جامعة أكسفورد ، 2004، ص 143-155 .و يبيّن هانكى كيف أنّ النظرية العلمية لداروين يمكن أن تشوّه ، لنستعمل كلمة هانكى ، لتصبح ركيزة ضارة . بعض نقاط ضعف نظرية داروين (مثلا التشديد على التدرّج) أمسك بها البعض و طوّروها على نحو قاد إلى الأخطاء التى وصفها هانكى . و التشويه التيولوجي ذاته لنظريّة ماركس العلمية يمكن أيضا أن يحصل و قد قام البعض بذلك فعلا .

124- بوب أفاكيان ، " **من أجل حصاد التنانين** " منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو 1983، ص 27.

125- بوب أفاكيان ، " **من أجل حصاد التنانين** " ، ص 27 ، " من ماركس إلى ب. ف. أنكوف " (28 ديسمبر 1846) ، ماركس و إنجلز " **الرسائل المختارة** " ، منشرات باللغات الأجنبية ، بيكين، 1977 ، ص 3.

126- بوب أفاكيان، " **العصافير ليس بوسعها أن تلد تماسيحا ، لكن بوسع الإنسانية أن تتجاوز الأفق"**
http://revcom.us/avakian/birds/birds01-en.html

127-" ضد " ، ص 69 .

128- ماو تسى تونغ ، " **خطابات فى الإجتماع الثاني للمؤتمر الثامن للحزب** " ، 8-23 ماي 1958 ، " عاش فكر ماو تسى تونغ " ، من منشورات الحرس الأحمر

https://www.marxists.org/reference/archive/mao/selected-works/volume-8/mswv8_10.htm

129- لمزيد الدراسة نحيل القرّاء على وثيقة الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية ، **" ملاحظات حول الإقتصاد السياسي ، تحليلنا لثمانينات القرن العشرين ، قضايا المنهج و الوضع العالمي الراهن "** ، 2000. و أنظروا خاصة قسم " المضيّ بالنقد الذاتي بعيدا ... ضد الحركة النموذجية و العتبات المطلقة " .

http://revcom.us/a/special_postings/poleco_e.htm

130- لين بياو ، **" عاش إنتصار حرب الشعب "** ، منشورات باللغات الأجنبية ، بيكين 1969، الفصل السادس . لقد عُيّن لين بياو رسميّا خليفة لماو فى 1969. و لاحقا فى 1971 ، مات لين بياو إثر محاولة إنقلاب فاشلة ضد ماو .

131- **" بيان الحزب الشيوعي "** ، ص 31 بالأنجليزيّة ؛ و بالعربية ماركس إنجلز **مختارات فى أربعة أجزاء** ، الجزء الأوّل ، ص 48 : " فالحرّ و العبد ، و النبيل و العامي ، و السيد الإقطاعي و القنّ ، و المعلّم و الصانع ، أي بالإختصار المضطهِدون و المضطهَدون ، كانوا فى تعارض دائم ، وكانت بينهم حرب مستمرّة تارة ظاهرة و تارة مستترة ، حرب كانت تنتهى دائما إمّا بإقلاب ثوري يشمل المجتمع بأسره و إمّا بغنهيار الطبقتين المتناضلتين معا ".

132- بوب أفاكيان ، **" الشيوعية و ديمقراطية جيفرسون "** ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو ، 2008 ، ص 61-62.

http://revcom.us/Comm_JeffDem/Jeffersonian_Democracy.html

133- " ضد " ، ص 67 بالأنجليزية و بالعربية .

134- **" رأس المال "** ، المجلّد الثالث .

http://marxists.org/archive/marx/works/1894-c3/ch48.htm

تحديدا – هامش **" ضد الأفاكيانية "** عدد 241.

135- إنجلز ، **" ضد دوهرينغ "** ، ص 366 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 330.

136- المصدر السابق ، ص 367 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 330 .

137- فرديريك إنجلز ، مقدّمة 1884 للطبعة الألمانية الأولى من " **بؤس الفلسفة** "، لكارل ماركس ، منشورات باللغات الأجنبيّة ، بيكين 1966، ص 6 ، التشديد مضاف .

138- " **الرئيس ماو يتحدّث إلى الشعب** " ، ص 228. " تحدّث إنجلز عن المرورمن مجال الضرورة إلى مجال الحرّية ،و قال إنّ الحرّية هي وعي الضرورة . هذه الجملة غير تامّة ، إنّها تنطق فقط بنصف و تبقى النصف الآخر مسكوتا عنه . هل يحرّرنا مجرّد وعي الضرورة ؟ الحرّية هي وعي الضرورة **و** تغيير الضرورة . على المرء أن يقوم بشيء . "

139- حتّى ماو لم يكن بمنأى عنهذه التأثيرات مثلما يمكن لنا ملاحظة ذلك فى موقفه : " سلطة الدولة و الأحزاب السياسيّة سيضمحلاّن طبيعيّا جدّا و ستلج الإنسانية مجال إنسجام الكبير "

https://www.marxists.org/reference/archive/mao/selected-works/volume-4/mswv4_65.htm

و على أساس تعميق ماو لدراسة المجتمع الإشتراكي و الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية و بلا شكّ مزيد التفكير الفلسفي أيضا ، طوّر نظرة أعمق و أصحّ بكثير للمرحلة الإنتقاليّة و للشيوعية ذاتها : " هل ستوجد ثورة بعدُ فى المستقبل ... ما رأيكم ؟ فى رأيى ، ستظلّ هناك الحاجة إلى الثورة "
https://www.marxists.org/reference/archive/mao/selected-works/volume-5/mswv5_56.htm

المشكل هو أنّ عددا كبيرا من الناس فى الحركةالشيوعية إمّا لم يلاحظوا تطويرات ماو لهذه النقاط التى أتت خاصة أثناء الثورة الثقافية البروليتاريةالكبرى ، أو إستبعدتها على أنّها تفاهات مثلما فعل آجيث . و كما يحاجج آجيث ، إن لم يكن يوجد أي تداخل أوخطإ فى معالجة ماركس و إنجلز لهذه المواضيع ، لماذا شعر ماو بالحاجة إلى تصحيحها ؟ و إن لم يتطوّر فهم ماو ، لماذا لم تعد توجد أيّة إحالات ل " الإنسجام الكبير " خلال الثورة الثقافيّة البروليتارية الكبرى فى ظلّ قيادة ماو أو فى عديد إحالاته على المجتمع الشيوعي فى كتاباته الأخيرة ؟

140- بوب أفاكيان ، " **الأساس المادي للقيام بالثورة و منهجه** " ، خطاب ألقي فى 2014.

http://revcom.us/avakian/material-basis/the-material-basis-and-the-method-for-making-revolution-en.html

141- " ضد " ، ص 68-69 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 68.

142- هذا بديهي فى الماديّة الميكانيكية لديدرو و فلاسفة آخرين فى القرن 18 وفى المادية المطبّقة من قبل أعداد متنامية من العلماء فى القرن 18 و القرن 19. نجاح نظام نيوتن فى وصف ترتيب الطبيعة وسّعه بوبرتيوس و لاغرانج لبلوغ وصف تفصيلي أكثر و فهم أشمل لظواهر الطبيعة . لقد إعتقدت مادية تلك الحقبة أنّها إكتشفت نظاما كامنا " معطى إلاهيّا " للطبيعة . و الحتمية و الترتيب النهائيين للأشياء على هذه النظرة (فى تشابه مع ما قاله آجيث من " الترابط المنطقي و المنظّم و الصريح لمظاهر الحياة الإجتماعية المتنوّعة ").

143- بوب أفاكيان ، " **الماركسية و التنوير** " ، جريدة " **العامل الثوري** " عدد 1129 ، 2 ديسمبر 2001.

http://www.revcom.us/a/v23/1120-29/1129/bavakian_9.htm

144- " ضد " ، ص71- 72 ؛ بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 71 .(التشديد فى النصّ الأصلي)

145- بوب أفاكيان ، " **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟** "، بانر براس، شيكاغو،1986 ، ص 28-30. وإصدار جديد فى 2014 ، فونيم ناشرون ، دلهي ، الهند .

146- بوب أفاكيان ، " **الإمبريالية و " الأممية " – التحدّيات الرجعية و الثوريّة** " ،" **العامل الثوري** " عدد 1130، 9 ديسمبر 2001 .

http://rwor.org http://revcom.us/a/v23/1130-39/1130/bavakian_challenges.htm

147- " ضد " ، ص 69 بالأنجليزية و بالعربية .

148- " **الماركسية و نداء المستقبل** " ، ص 114 .

149- المصدر السابق ، ص 144، 146- 147.

150- ماركس " **رأس المال** " ، المجلّد الأوّل ، الفصل 31 ،

https://www.marxists.org/archive/marx/works/1867-c1/ch31.htm

151- " ضد " ، ص 66 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 71.

152- " **ملاحظات** " ، ص 28 . " مثلما يشير كتاب " **الوعظ** ..." يمثّل الدين كافة أنواع الأشياء الخياليّة لكنّه يؤكّد على أنّ هذه الأشياء ليست صحيحة فحسب بل هي جوهر الحقيقة ، و مبادئ الواقع العملية و المحدّدة . لذا ، ردّا على سؤال " هل يمكن أن نحيا دون أسطورة ؟ " الجواب هو أنّه يجب أن نحيا دون أسطورة بالمعنى الديني ، أو الأسطورة التى تقدّم نفسها على أنّها الحقيقة ، الأسطورة التى تقدّم نفسها على أنّها تجسّد مبادئ الواقع المحدّدة و المنظّمة .

لكن ليس بوسعنا أن نحيا دون – الإنسانية لن تستطيع أن تحيا دون و لا **نريد** أن نحيا دون – أسطورة بمعنى آخر . و لنضع ذلك بطريقة أخرى ، ، لا نستطيع و لا نريد أن نحيا دون **إستعارة** – فى الفنّ و فى الحياة بشكل أوسع . وهي طريقة أخرى لقول إنّنا لا نستطيع و لا نريد الحياة دون خيال " . و كذلك فى " **المادية و الرومنطيقيّة : هل يمكن أن نحيا دون أسطورة ؟** " ، بوب أفاكيان ، " **العامل الثوري** " عدد 1211 ، 24 أوت 2003. و الإحالة على " **الوعظ من منابر العظمة ، نحتاج إلى أخلاق لكن ليس إلى أخلاق تقليدية** " لأفاكيان أيضا ، بانر براس ، نيويورك ، 1999،

http://revcom.us/a/1211/baonmyth.htm

153- " **ملاحظات** ..." ، " نقاش مع الرفاق حول الأبستيمولوجيا : حول معرفة العالم و تغييره " ، ص 46 – 47 .

154- " ضد " ، ص 71.

155- هنا يجب أن نشير إلى أنّ مفهوم" الفكر الشموليّ فى الواقع غير علمي و بناء إيديولوجي مناهض للشيوعية وضعته موضع العمل قوى إمبريالية مع نهاية الحرب العالمية الثانية لترذيل الشيوعية و تشويهها ، و خاصة الإتحاد السوفياتي . و أي تفحص جدّي للطابع الفعلي للمجتمع السوفياتي حين كان إشتراكيّا من 1917 إلى أواسط خمسينات القرن الماضي ، و مكاسبه التحريريّة فى وجه التحدّيات التى لا تصدّق ، يبيّن أنّ التسوية بين ألمانيا النازية الرأسمالية- الإمبريالية والإتحاد السوفياتي فى ظلّ ستالين أمر فجّ و عبثي . أنظروا الفصل 6 من كتاب " **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟ "** ص 167-190، و موقع أنترنت " إعادة الأمور إلى نصابها "

http://revcom.us/movement-for-revolution/SRS/index.html

156- " **بيان الحزب الشيوعي** " ، ص 55 [2- البروليتاريّون و الشيوعيّون].

157- ميشال فوكو ، " **تاريخ الجنسانية** " ، المجلّد 1 : **مقدّمة** ، بنتيون ، نيويورك ، 1978 . " ليست علاقات السلطة فى موقع خارجي فى ما يتعلّق بالأنواع الأخرى من العلاقات (السيرورات الإقتصادية علاقات المعرفة ، العلاقات الجنسية) لكنّها كامنة فى الأخير ، إنّها الإنعكاسات المباشرة للإنقسامات و اللامساواة و اللاتكافئ التى تحدث فى الأخير ، و بالعكس هي ظروف كامنة لهذه التمييزات " .

158- " **لنتخلّص من كافة الآلهة** " ، ص 204-205.

159- برونو لاتور و ستيف وولغار ، " **مخبر الحياة : بناء الوقائع العلمية** " ، منشورات جامعة برينستون ، 1979 . و أنظروا كذلك ، جون فرانسوا ليوتار ، " **الوضع ما بعد الحداثي : تقرير عن المعرفة** " ، منشورات جامعة منشيستر ، 1979 ، ص 23-32 و 64-65 ، فى إحالة على " **براغماتية المعرفة العلمية** " و " **البراغماتية الإجتماعية** " .

160- " **بيان الحزب الشيوعي** "، ص 33-34 بالأنجليزيّة ؛ و بالعربية ماركس إنجلز **مختارات فى أربعة أجزاء** ، الجزء الأوّل ، ص 50-51 . لقد حطّمت البرجوازية دون رأفة " الصلات المزخرفة التى كانت فى عهد الإقطاعية تربط الإنسان " بسادته الطبيعيين " و لم تبق على صلة بين الإنسان و الإنسان إلاّ صلة المصلحة الجافة و الدفع الجاف " نقدا و عدّا " . و أغرقت الحمية الدينية و حماسة الفرسان ورقة البرجوازية الصغيرة فى مياه الحساب الجليدية المشبعة بالأنانيّة ، وجعلت من الكرامة الشخصيّة مجرد قيمة تبادل لا أقلّ و لا أكثر ، و قضت على الحرّيات الجمّة ، المكتسبة و الممنوحة ، و أحلّت محلّها حرّية التجارة **وحدها** ، هذه الحرّية القاسة التى لا تشفق و لا ترحم . فهي ، بالإختصار ، إستعاضت عن الإستثمار المقنّع بالأوهام الدينية و السياسيّة بإستثمار مكشوف شائن مباشر فظيع . " "

161- قاد هذا التفكير ، بما فيه معاداته للسامية ، هايدغير إلى أن يصبح مساندا للنازيّة و إلى لعب دور نشيط فى " تطهير " الجامعات من العناصر " غير الآريّة " . و إثر الحرب ، أعادت السلط الألمانية و الإمبرياليون الأمريكان الإعتبار لهايدغير .

162- لما بعد الحداثيين نزعة لإنتزاع هذه الملاحظات المفيدة عامة من واقعها المادي الكامن . أنظروا كتاب أفاكيان " **الديمقراطية : أليس بوسعنا إنجاز أفضل من ذلك ؟ "** من أجل معالجة علمية لظهور " ديمقراطية جيفرسون " فى بداية تاريخ الولايات المتحدة .

163- إدوارد سعيد ، " **الإستشراق** " ، فنتاج بوكس ، نيويورك ، 1979 ، ص 108. كانت لإدوارد سعيد رؤى ثاقبة فى هذا المضمار ، رغم نقده الإحادي الجانب لماركس ل " مركزية أوروبية " .

164- ماكس هورخايمر و تيودور أدورنو ، " **جدلية التنوير** " ، منشورات جامعة ستانفورد ، 2002.

165- إثر الحرب ، بعض الأنوار القيادية لهذه المدرسة إنخفضت " معاداتهم للرأسمالية " . و واصل جورغان هابرماس مدرسة فرانكفورت ، فى كلّ من " تعميق " نقد " السبب الأداتي " و شنّ نقد تحوّل إلى هجوم شامل على المادية التاريخية كعلم . و إستنتج هابرماس أنّ المادية التاريخية كانت " مشروعا غير ممكن " لم يكن بالمستطاع " تصحيحه " و بدلا من ذلك تقدّم بنظريّة جديدة ، " العمل الإتصالي " . و هذه النظريّة الجديدة تمّت صياغتها عبر خلط كانط و فرويد و ماركس و ويبر . و هذه النظرة إلى العالم كان من المفترض أن تؤدّي إلى علاقات جديدة ضمن البشر ستخفّف و تحلّ النزاعات و التناقضات العدائية فى المجتمع . و فى النهاية ليست سوى محاولة لتجديد الديمقراطية البرجوازية . و إنتهى هابرناس إلى النبذ التام للماركسية فى حين أصبح مساندا متحمّسا للديمقراطية (البرجوازية) الشكلية الغربية . و النتيجة النهائية هي أنّ هابرناس صار معترفا به على انّه المفكّر العام رقم واحد ، القسّ الأكبر ، لألمانيا الإمبريالية .

166- جورغان هابرماس ، " بين الفكر الطبيعي و الدين " ، منشورات بوليتي ، كمبريدج (المملكة المتّحدة) ، 2008 ، ص 136 . " قد عرفت الثقافة الغربية تغييرا فى الوعي الديني منذ الإصلاح و التنوير . و يصف علماء الإجتماع هذه " التحديث " للوعي الديني بإجابة التقاليد الدينية على التحدّيات التى يطرحها واقع أنّ التعدّديّة الدينية ، و ظهور العلم الحديث ، و إنتشار القانون الوضعي و الأخلاق العلمانية . فى هذه المظاهر الثلاثة ، يجب على مجموعات الإيمان التقليدية أن تمرّ بسيرورة إختلاف معرفي لا يظهر للمواطتنين العلمانيين أو يظهر فقط بقدر ما يكونوا منخرطين فى العقائد الراسخة فى طرق دغمائيّة شبيهة " .

167- كتابات كانط عامة و مقاله المؤثّر خاصة : " ما هو التنوير ؟ " (الذى فى آن معا يدافع عن التنوير لكنّه يحذّر من المضيّ به بعيدا جدّا) ، كانت مصدر هاما للإلهام النظري و الفلسفي لفوكو ، و مدرسة فرانكفورت و عديد الآخيرن . و حريّ بنا أن نذكّر بأنّ كانط وهو يكتب أثناء التمرّد الفكري و الإضطراب الإجتماعي الذى كانا يعصفان بأورووربا فى الفترة ما قبل الثورة الفرنسية ، حاول أن يجيب على الجدالات المتّصلة بالطبيعة و مصادر المعرفة و إمكانيّاتها . و كان النقاش بوجه خاص بين التجريبيين والعقلانيين . و كان التجريبيون يدّعون بأنّ المعرفة يتمّ الحصول عليها من خلال التجربة وحدها و بالتالى هي بالضرورة مطبوعة و متميّزة بموقع و وضع من يقومبالتجربة (الملاحظ). و كان العقلانيّونمن الجهة الأخرى ، يحاججون بأنّ المعرفة تتأتّى من ممارسة العقل و أنّ التفكير الرنّان يوفّر المعرفة المطلقة للعالم لا تشوبها التشويهات و الحدود الذاتيّة للملاحظ القائم بالتجربة . وحاول كانط- فى تعبيره الخاص – أن " يشرّع " بين الكتلتين الأبستيميتين المتقاتلتين بشراسة ، لكن عينه كانت مركّزة على العاصفةالتى كانت تهزّ المجتمعات الأوروربيّة . بات إنشغاله بكيف يتمّ التشريع بيّنا جدّا فى نقده الثاني ل" العقل المحض " . و فى نقده الأوّل ، ناقش كانط ظروف إمكانيّة التجربة و المعرفة و حاول ان يحدّد " الطموحات الكبرى " للعقل ، محذّرا من المغامرة إلى أبعد من مجاله " الشرعي ". و العنصر الأساسي فى " مثاليّته الفائقة " هو إدعاؤه أنّ ما يجعل المعرفة ممكنة بالنسبة للبشر هو قدرات العقل

الكامنة على الهيكلة الفائقة . و تشكّل هذه القدرات ، فى نظر كانط ، ما هو " معطى " من قبل العالم ك " ظواهر " ، كأشياء للتجربة ، تبدو هكذا للناس ممتدّة فى المكان و حادثة فى الزمان . فى رؤية كانط ، ليس المكان و الزمان موضوعيين بل بالأحرى مساهمة عقل الإنسان فى بناء ما تجرّبه على أنّه واقع . و الضرورة و الصدفة غير موجودين بالنسبة لكانط . و بدلا من ذلك ، إعتقد كانط أن فقط مخطّط هيكلة عقل الإنسان يسمح للناس ب " تجربة " حدث " تسبّب " فى حدث آخر .

168- أنظروا كتاب لينين ، " **المادية و مذهب النقد التجريبي** " ، ص 436-438 ، من أجل نقاش ثنائيّة كانط .

169- من اليسير رؤية علاقة قرابة بين موقف آجيث تجاه دور الإسلام السياسي و قوّته فى البلدان المضطهَدَة المعبّر عنه فى " ضد الأفاكيانية " ، و حماس ميشال فوكو من أجل " السياسة الروحية " للتيوقراطية الإسلامية لآيات الله كبديل لما كانت القوى الغربية و خاصة الولايات المتحدة تدعمه إلى الأزمة الثوريّة لسنة 1979 فى إيران . والمجال لا يسمح بمحاولة إنجاز تحليل كامل للإلتزامات المفاهيمية و التبعات الفلسفية التى دفعت بفوكو إلى معانقة الدور و تصوّر آيات الأه إيران يقتحمون المسرح السياسي ، و مع ذلك من المفيد أن نشير إلى أنّ الإنقسامات كما عرضها منهج فوكو و تحاليله تجد صداها فى بعض التصريحات المميّزة لمقال آجيث " ضد الأفاكيانية " .

بالنسبة لفوكو ، " السلطة " و " المعرفة " مترابطتان (" السلطة تحدّد المعرفة ") بينما بالنبسة لآجيث " للحقيقة طبيعة طبقية " . يقيّم فوكو " إرادة المعرفة " و يفصل ذلك عن التملّك العلمي للمعرفة . و قد تجسّد هذا بالنسبة لفوكو فى الإسلام السياسي الذى يصفّق له على أنّه " يتجاوز حدود " ما يوجد بحماسه الديني . و نفس الشيء ، يعوّض آجيث الطريقة العلمية لفهم العالم بدفاعه عن " الفكر ما قبل الحداثي " و مثل فوكو و ما بعد حداثيين آخرين ، يرفع راية شكّ عميق الجذور فى التنوير و النظرة العلمية للعالم المرتبطة به و كما يرفع راية رفضهما .

170- " ضد " ، ص 64.

171- آجيث ، " المقاومة الإسلامية و التناقض الرئيسي و " الحرب على الإرهاب " " ، مجلّة " **الموجة الجديدة** " عدد 3 ، فيفري 2007 ، ص 24 .

http://www.bannedthought.net/India/CPI-ML-Naxalbari/TheNewWave/nw-3.pdf

172- المصدر السابق ، ص 26.

173- عمليّا يشير آجيث عرضا إلى " إغتصاب و قتل إمرأة شابة فى حافلة فى دلهى " وهي إحالته الوحيدة غير المباشرة على ظروف النساء فى بحثه الذى يعدّ 60 ألف كلمة ، " ضد الأفاكيانية " .

174- بوب أفاكيان ، " **التناقضات التى لم تحلّ ، قوّة محرّكة للثورة** " ، جريدة " **الثورة** " عدد 184.

http://www.revcom.us/avakian/driving/

175- " ضد " ، ص 66 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 65.

176 – " المقاومة الإسلامية و التناقض الرئيسي و " الحرب على الإرهاب " ."

177- " ضد " ، ص 3 .

178- أفاكيان ، " **التقدّم بطريقة أخرى** ، " جريدة " **الثورة** " عدد 213 ، 10 أكتوبر 2010 .
http://revcom.us/avakian/anotherway/

179- أفاكيان ، " **أسس الثورة الشيوعية و أهدافها و مناهجها** " ، 8 مارس 2010

http://revcom.us/avakian/basis-goals-methods/

180- " **لنتخلّص من كافة الآلهة** " ، ص 113.

181- المصدر السابق ، ص 232 .

182- المصدر السابق ، ص 231.

183- المصدر السابق ، ص 231-232 .

184- " ضد " ، ص 66 بالأنجليزية ؛ و بالعربية ص 65.

185- " المقاومة الإسلامية و التناقض الرئيسي و " الحرب على الإرهاب" ."

186- فى الواقع ، يؤكّد الإسلاميّون على " مجموعة المؤمنين " و ليس على الإعتراف بما يعتبرونه مفاهيما علمانية مثل الأمّة . و برنامجهم الرجعي يقسّم الأمم المضطهَدة وفق خطوط المعتقدات الدينية .

187- أفاكيان ، " **التقدّم بطريقة أخرى** " . " كمسألة مبدئيّة عامة ، و خاصّة لوجودنا فى هذا البلد الإمبريالي ، تقع على عاتقنا مسؤوليّة خاصة فى معارضة الإمبريالية الأمريكية ، و طبقتنا الحاكمة " الخاصة " ، و ما تقوم بع عبر العالم. لكن ، فى نفس الوقت ، هذا لا يجعل من القوى الأصولية الإسلاميّة قوى لم يولّى عهدها تاريخيّا و ليست رجعيّة . إنّه لا يغيّر طابع معارضتها للإمبريالية و ما تقود إليه و الديناميكية التى هي جزء منها – واقع أنّ هتين الشريحتين اللتين " ولّى عهدها تاريخيّا " تعزّزبعضها البعض حتّى وهي تعرض بعضها البعض . و من المهمّ جدّا فهم ، و النضال مع الآخرين لفهم ، أنّه إن إنتهينا إلى دعم أي من هتين الشريحيتين اللتين " ولّى عهدها تاريخيّا " ، نساهم فى تعزيزهما معا . من الحيوي أن نكسر هذه الديناميكيّة – أن نتقدّم بطريقة أخرى "

188- لأفاكيان عديد الكتابات حول الدين وإليكم هنا بعضها : " **لنتخلّص من كافة الآلهة** " ، " **التقدّم بطريقة أخرى** " ، " **الوعظ من منابر العظمة** ..." ، بانر براس ، نيويورك 1999.

189- " يستعاض عن الديالكتيك بالمذهب الإختياري و هذا التصرّف حيال الماركسية هو الظاهرة الملألوفة للغاية و الأوسع إنتشارا فى الأدب الإشتراكي – الديمقراطي الرسمي فى أيّامنا . و هذه الإستعاضة ليست طبعا ببدعة مستحدثة ، فقد لوحظت حتى فى تاريخ الفلسفة اليونانية الكلاسيكية . إنّ إظهار الإختياريّة بمظهر الديالكتيك فى حالة تحوير الماركسية تبعا للإنتهازية ، يخدع الجماهير بأسهل

شكل ، يرضيها فى الظاهر ، إذ يبدو و كأنّه يأخذ بعين الإعتبار جميع نواحى العملية ، جميع إتجاهات التطوّر ، جميع المؤثّرات المتضادة إلخ ... و لكنّه فى الواقع لا يعطى أي فكرة منسجمة و ثوريّة عن عمليّة تطوّر المجتمع . " (لينين ، " **الدولة و الثورة** " ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 25 ، ص 405). ذُكر فى " **حول التطوّرات فى النيبال و رهانات الحركة الشيوعية : رسائل إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) من الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية 2005-2008"** فى رسالة مارس 2008 من الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) .

http://revcom.us/a/160/Letters.pdf

و باللغة العربية ، لينين ، " **الدولة و الثورة** " ، طبعة دار التقدّم موسكو ، ص 23 .

190- يعارض آجيث الإعتراف بمحوريّة دور أفاكيان فى الصراع العالمي لفهم الإنقلاب فى الصين . و يشير آجيث إلى أشخاص لا يسمّيهم و لا ترجمة لأعمالهم قاموا بمساهمات هامّة فى كشف النقاب عن الإنقلاب فى الصين و النضال ضدّه . لا شكّ فى أنّ بعض النقد الهام قد وقع ، و بعضه نحن واعون به و غيره سنستفيد من العلم به ، لكن هذا لا يقلّل من ما لا يضاهى من العمق و المدى الذين عالج بهما أفاكيان الموضوع . أنظروا خاصة ، " **المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ** " منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية ، شيكاغو 1979 ، و " **خسارة الصين و الإرث الثوري لماو تسى تونغ** " ، منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو ، 1978 ، و كلاهما لبوب أفاكيان .

191- أنظروا " **الشيوعية : بداية مرحلة جديدة – بيان للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتّحدة الأمريكية ."** الفصل الرابع ،" التحدّيات الجديدة و الخلاصة الجديدة " ، ص 16. منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو ، 2009 .

http://www.revcom.us/Manifesto/Manifesto.html

بالعربية ؛ الصفحة 18 من كتاب شادي الشماوي ، " **المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية** " – مكتبة الحوار المتمدّن .

===
===

ملحق

===

فهارس كتب شادي الشماوي

17 كتابا

متوفّرا للتنزيل من مكتبة الحوار المتمدّن

(الماوية : نظرية و ممارسة - من العدد 1 إلى العدد 17)

و من الشكر جزيله إلى كلّ من ساهم و يساهم بشكل أو آخر فى نشر أعمالنا و نقدها نقدا بنّاء و تقديم المقترحات ... خدمة للثورة البروليتارية العالمية و لقضيّتنا و هدفنا الأسمى ، الشيوعية على المستوى العالمي .

فهرس الكتاب الأوّل :

علم الثورة البروليتارية العالمية : الماركسية – اللينينية - الماوية

III/ الفصل الثالث : وثائق أحزاب شيوعية ماوية :

1- بصدد الماركسية – اللينينية – الماوية .

2- الماركسية –اللينينية –الماوية .

3- الماركسية – اللينينية – الماوية : الماوية مرحلة جديدة فى تطوّرعلم الثورة .

4- حول الماوية .

5- ليست الماركسية – اللينينية – الماوية والماركسية – اللينينية – فكر ماو تسى تونغ الشيئ نفسه .

ملاحظتان لا بدّ منهما :

1- الترجمة غير رسمية .

2- الفصل الأول معتمد على ترجمة قديمة أعدّها رفاق جرى العمل على ضبطها قدر الإمكان.

فهرس الكتاب الثانى :

عالم آخر، أفضل ضروري و ممكن، عالم شيوعي ... فلنناضل من أجله !!!

- مقدمة

- الفصل الأول : عالم آخر ، أفضل ضرورى

1- عبودية القرن الواحد والعشرين .

2- بيع النساء : تجارة البشر العالمية.

3- الإمبريالية و الأيدز فى أفريقيا.

4- كوكبنا يصرخ من أجل الثورة .

- الفصل الثانى : عالم آخر، *أفضل ممكن:* عالم شيوعي.

1- الشيوعية تصوروها بألوان حقيقية .

2- تعتقدون أن الشيوعية فكرة جيدة لكنها غير قابلة للتطبيق؟ قوموا بهذا الإختبار القصير و أعيدوا التفكير .

3- ما هي الشيوعية ؟ ما هو تاريخها الحقيقي؟ ما هي علاقتها بعالم اليوم ؟

4- الشيوعية ليست إيديولوجيا "أوروبية" و إنما هي إيديولوجيا البروليتاريا العالمية.

5- مقياس من مقاييس تقدم المجتمع : من تجارب دكتاتورية البروليتاريا بصدد تحرير المرأة .

- الفصل الثالث: الإشتراكية أفضل من الرأسمالية و الشيوعية ستكون أفضل حتى !

مقدمة الفصل

1- الإشتراكية و الشيوعية.

2- الثورة التى هزت العالم بأسره هزا.

3- تجربة أولى فى بناء الإشتراكية .

4- الثورة الصينية تنجز إختراقا آخر .

5- القطع مع النموذج السوفياتي.

6- الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى صراع بين الطريق الإشتراكي و الطريق الرأسمالي.

7- هزيمة الصين الإشتراكية و الدروس المستخلصة للمستقبل.

8- البناء على أساس الموجة الأولى من الثورات الإشتراكية .

خاتمة :

- هدف الماركسية هو الشيوعية.

ملاحظة : المقدّمة العامة و الخاتمة العامّة وملحق الفصل الأوّل بقلم المترجم. و نصوص الفصلين الأوّل و الثاني مقالات وردت فى "الثورة" لسان حال الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية أمّا الفصل الثالث فهو محاضرة لريموند لوتا نشرت فى "الثورة " و ترجمها إلى الفرنسية و نشرها رفاق الكندا على حلقات فى " الأرسنال أكسبريس ".

فهرس الكتاب الثالث :

لندرس الثورة الماوية فى النيبال و نتعلّم منها

(من أهمّ وثائق فترة 1995- 2001)

8- القفزة الكبرى إلى ألمام ضرورة تاريخية أكيدة .

فهرس الكتاب الرابع :

الثورة الماوية فى الصين : حقائق و مكاسب و دروس

2- كابوس سوق دنك الحرة.

3- الوجه الحقيقي لل"معجزة الصينية ".

4- إنهاء عمل "الأطباء ذوى الأقدام الحافية " و الأزمة الصحية فى الريف الصين .

5- نهاية دنك سياو بينغ عدو الشعب.

5- الفصل الرابع : من تحرير المرأة إلى إستعبادها :

1- كسر سلاسل التقاليد جميعها .

2- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

3- النساء فى الصين : السوق الحرة الرأسمالية القاتلة.

4- النساء فى الصين : عبودية السوق الحرة .

5- النساء فى الصين : منبوذات السوق الحرة .

6- الفصل الخامس : من مكاسب الثورة الماوية فى الصين :

1- المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية فى ظل ماو.

2- المعجزات الإقتصادية للصين الماوية، حين كانت السلطة بيدي الشعب.

3- كيف قضت الثورة الماوية على الإدمان على المخدرات فى الصين.

4- كيف حررت العناية الجماعية بالأطفال النساء فى الصين الماوية.

5- كسر سلاسل التقاليد جميعها.

6- معطيات و أرقام من كتاب "25 سنة من الصين الجديدة ".

7- الفصل السادس : إلى الأمام على الطريق الذى خطّه ماو تسى تونغ

8 – خاتمة

المراجع : بإستثناء-1- نصّ "مقتطفات من وثيقة صيغت..." و " إلى الأمام...."وهي نصوص للحركة الأممية الثورية صدرت فى "عالم نربحه" و-2- "خرافات حول الماوية " للرفيق أريك سميث من كندا ، و "معطيات و أرقام من كتاب " 25 سنة من الصين

الجديدة"، و-3- المقدّمة العامة و مقدّمة "حقيقة ماو تسى تونغ والثورة الشيوعية فى الصين" و مقال "من صين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية..." للمترجم ،

فإن بقية الوثائق مرجعها "الثورة" جريدة الحزب الشيوعي الثوري، الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب الخامس :

الثورة الماوية فى النيبال و صراع الخطين صلب الحركة الأممية الثورية .

رسائل الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة:

-1: **في رسالة جانفي 2009**، بعد عرض مقتضب جدا لما سبق من مراسلات و صراع منذ 2005 ، تعلم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الثوري الولايات المتحدة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي النيبالي الموحّد (الماوي) عزمها نشر الرسائل علنيا إذا لم تتصل بردّ شافي أو بسبب مقنع فى حدود منتصف فيفري2009.

-2 : **رسالة أكتوبر 2005** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) :

- الديمقراطية : الشكل و المضمون.
- الديمقراطية الشكلية فى ظلّ الإشتراكية.
- الجمهورية الشعبية أم أشكال إنتقالية؟
- التكتيك و الإستراتيجيا.
- إقتراح يبعث على التساؤل.
- حول "المجتمع الدولي".
- النيبال و النظام الإمبريالي العالمي.
- الديمقراطية و الفئة الوسطى.

ملاحق رسالة أكتوبر 2005 :

- ملحق 1: "التطوير الخلاق للماركسية-اللينينية-الماوية ، ليس للتحريفية".
- ملحق 2 : "مزيدا من التفكير حول : الدولة الإشتراكية بما هي دولة من نوع جديد".

-3 : **رسالة 19 مارس 2008** إلى أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية :

- تكتيكات مربكة تطبيقا لخطّ إيديولوجي و سياسي خاطئ.
- ما الهدف : "إعادة هيكلة الدولة " أم "تحطيمها"؟
- الديمقراطية البرجوازية و الديمقراطية الجديدة.
- الديمقراطية البرجوازية "النسبية " أم نظام الديمقراطية الجديدة ؟
- الأرض لمن يفلحها.

- حول الدستور و الحكم الطبقي.

- الممارسة الثورية.

- من يخدع من ؟

- تسليح الجماهير بالحقيقة أم نسج الإرتباك عمدا؟

- توغلياتي و توريز.

- إعادة كتابة تاريخ الحزب.

- مزيد التنكّر للحقائق التاريخية.

- البعد العالمي.

- "مزج الإثنين فى واحد " أم "إزدواج الواحد" ؟

- الدفاع عن الإنتقائية.

- جوهر المسألة - الخطّ الإيديولوجي و السياسي.

- ما هو نوع التلخيص الإيديولوجي الذى نحتاج إليه؟

<u>**رسالة نوفمبر 2008** إلى الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و إلى كافة أحزاب و منظمات الحركة الأممية الثورية:</u>

- المشكلة هي خطّ الحزب

- الديمقراطكية الجديدة والإشتراكية حجرين أساسيين فى الطريق نحو الشيوعية.

- معجزة الإنتخابات؟

-"دون جيش شعبي لن يكون هناك شيئ للشعب "

- جزء من إعادة بعث الشيوعية الثورية أم جزء من قبرها ؟

- تلخيص جديد أم ديمقراطية برجوازية قديمة ممجوجة ؟

- "محرّرو الإنسانية" أم مشيّدو سويسرا جديدة ؟

- صراع خطّين أم صراع " الخطوط الثلاثة" ؟

- خلاصة القول : لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة !

3- رسالة الحزب الشيوعى النيبالى (الماوى) إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الثوري،الولايات المتحدة الأمريكية:

1 جويلية 2006

-الإطار التاريخي.

- التجربة التاريخية و جهودنا.

- الدولة ، الديمقراطية و دكتاتورية البروليتاريا.

- الجمهورية الديمقراطية- شكل إنتقالي.

- الإستراتيجيا و التكتيك.

- الجمهورية الديمقراطية الجديدة للنيبال و الجيش .

- نقاط ملخصة.

- خاتمة

4-" لنقاتل من أجل إنقاذ الثورة فى النيبال"، الشيوعيون الثوريون الألمان :.

1- دور النظرية و الأخطاء الإستراتيجية التاريخية.

2- الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) و النظرة المادية للمجتمع و التاريخ.

3- الهجوم الإستراتيجي ، "حلّ سياسي" و المنهج العلمي الشيوعي.

4- مسألة الإستراتيجيا ،إتفاق السلام الشامل وإفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها.

5- الواقع وواقع المزج القاتل بين الإختزالية و البراجماتية.

6- الخاتمة.

5- رسالة مفتوحة إلى الحزب الشيوعى النيبالى الموحّد (الماوى) من الحزب الشيوعى الهندي (الماوى) :

1- تحديد طبيعة الدولة فى النيبال و آفاق إنهاء الثورة.

2- بصدد الحكومة الإئتلافية.

3- بصدد قواعد الإرتكاز و نزع سلاح جيش التحرير الشعبي.

4- بصدد ديمقراطية القرن الواحد و العشرين.

5- بصدد طريق الثورة فى البلدان شبه المستعمرة شبه الإقطاعية : نظرية المزج.

6- بصدد مرحلة الثورة فى النيبال.

7- بصدد فهم الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي) للتوسعية الهندية.

8- بصدد الفيدرالية السوفياتية لجنوب آسيا.

9- بصدد طريق برانشندا.

10- بصدد الأممية البروليتارية.

11- لن يتمكّن خط ثوري من إعادة تركيز نفسه و إنجاز الثورة النيبالية إلاّ عبر خوض صراع صارم ضد الخطّ الإنتهازي اليميني الذى تتبعه قيادة الحزب الشيوعي النيبالي (الماوي).

6- ملاحق :

1- حول طرد الحزب الشيوعي النيبالي (ماشال) من الحركة الأممية الثورية.

2- بعض الوثائق النيبالية المتصلة بالإنتخابات و نتائجها فى النيبال:

3- تصريحات ماويين آخرين حول النيبال:

فهرس الكتاب السادس :

جمهورية إيران الإسلامية : مذابح للشيوعيين و قمع و إستغلال و تجويع للشعب

بدلا من المقدّمة :

فهرس الكتاب السابع :

مدخل لفهم حرب الشعب الماوية فى الهند

فهرس الكتاب الثامن :

تحرير المرأة من منظور علم الثورة البروليتارية العالمية :

الماركسية –اللينينية –الماوية.

2- بيان : من أجل تحرير النساء و تحرير الإنسانية جمعاء.

فهرس الكتاب التاسع :

المعرفة الأساسية لخطّ الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية

(من أهمّ وثائق الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية)

فهرس الكتاب العاشر :

الثورة البروليتارية فى أشباه المستعمرات والمستعمرات الجديدة و فى البلدان الإمبريالية – تركيا و الولايات المتحدة الأمريكية.

فهرس الكتاب 11 :

الماوية تدحض الخوجية ومنذ 1979.

فهرس الكتاب 12 :

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ

مقدّمة لشادي الشماوي ناسخ الكتاب و معدّه للنشر على الأنترنت

.

المحتويات :

17- خدمة الشعب.

18- الوطنية و الأممية.

19- البطولة الثورية.

20- بناء بلادنا بالعمل المجد و الإقتصاد فى النفقة.

21- الإعتماد على النفس و النضال الشاق.

22- أساليب التفكير و أساليب العمل.

23- التحقيقي و الدراسة.

24- تصحيح الأفكار الخاطئة.

25- الوحدة و التضامن.

26- النظام.

27- النقد و النقد الذاتي.

28- الشيوعيون.

29- الكوادر.

30- الشباب.

31- النساء .

32- الثقافة و الفنّ.

ملحق أعدّه شادي الشماوي:

مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ بصدد الثورة الثقافية

==

فهرس الكتاب 13 :

الماوية تنقسم إلى إثنين

الفصل الرابع : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (1): ردّ من أفغانستان.

ردّ على رسالة غرّة ماي للحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية .

(الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني)

الفصل الخامس : تعمّق النقاش حول الخلاصة الجديدة لبوب آفاكيان (2): ردّ من المكسيك.

الخلاصة الجديدة للشيوعية و بقايا الماضي .

المنظمة الشيوعية الثورية ، المكسيك – ماي 2012

الفصل السادس : خلافات عميقة بين الحزبين الماويين الأفغاني و الإيراني :

أ- الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) سقط في تيه طريق " ما بعد الماركسية – اللينينية – الماوية ".

ب- نظرة على الإختلافات بين الحزب الشيوعي الإيراني (الماركسي – اللينيني – الماوي) و الحزب الشيوعي (الماوي) الأفغاني .

فهرس الكتاب 14 :

برنامج الحزب الشيوعى الإيرانى

(الماركسى - اللينينى – الماوي)

(2000)

السياسة و الثقافة و الإقتصاد فى المجتمع الإشتراكى

الشيوعية العالمية والمرحلة الإنتقالية :

الدولة البروليتارية : الديمقراطية و الدكتاتورية :

الدولة و الحزب :

الدولة و الإيديولوجيا :

الدولة و الدين :

الدولة و الثقافة :

الدولة و الدعاية :

الحرّية و القمع و المقاربة المتصلة بالمعارضة :

الإقتصاد الإشتراكى :

العلاقة بين البلدان الإشتراكية و الثورة العالمية :

تناقضات النظام العالمى و صورة العالم الراهن :

II / الثورة فى إيران و البرنامج الأدنى

لمحة عن إيران المعاصرة

الهيمنة الإمبريالية :

الرأسمالية البيروقراطية :

شبه الإقطاعية :

ثلاثة جبال و علاقات إنتاج مهيمنة على المجتمع :

الدولة شبه المستعمرة فى إيران :

الجمهورية الإسلامية و ثورة 1979 :

الطبقات و موقعها فى سيرورة الثورة فى إيران

طبقات البرجوازية – الملاكين العقاريين :

البرجوازية الوسطى (أو البرجوازية الوطنية) :

البرجوازية الصغيرة المدينية :

المثقّفون :

الفلاحون :

الفلاحون الأغنياء :

الفلاّحون المتوسّطون :

الفلاحون الفقراء و الذين لا يملكون أرضا (أشباه البروليتاريا فى الريف) :

شبه البروليتاريا المدينية :

الطبقة العاملة :

بعض التناقضات الإجتماعية المفاتيح

النساء :

القوميات المضطهَدَة :

الشباب :

طبيعة الثورة و آفاقها

فى المجال السياسى :

فى المجال الإقتصادى :

فى المجال الثقافى :

الخطوات الفورية و إرساء إتجاه التغيير

بشأن العمّال :

بشأن الفلاحين :

بشأن النساء :

بشأن القوميات المضطهَدة :

بشأن التعليم :

بشأن الدين و النشاطات الدينية :

عن بعض أمراض المجتمع

البطالة :

الإدمان على المخدّرات :

البغاء :

المدن المنتفخة و اللامساواة بين الجهات :

السكن :

الوقاية الصحّية و الرعاية الطبيّة :

الجريمة و العقاب :

العلاقات العالمية :

طريق إفتكاك السلطة فى إيران

أدوات الثورة الجوهرية الثلاث : الحزب الشيوعي و الجبهة المتحدة و الجيش الشعبى :

قواعد الإرتكاز و السلطة السياسية الجديدة :

الإعداد للإنطلاق فى حرب الشعب :

نزوح سكّان الريف و نموّ المدن :

مكانة المدن فى حرب الشعب :

الأزمة الثورية عبر البلاد بأسرها :

حول إستراتيجيا الإنتفاضة المدينية :

حرب شاملة و ليست حربا محدودة :

لنتقدّم و نتجرّأ على القتال من أجل عالم جديد!

==

فهرس الكتاب 15 :

(الماوية : نظرية و ممارسة - 15 –)

مقال " ضد الأفاكيانية " و الردود عليه

و محتويات هذا الكتاب ، فضلا عن مقدّمة المرتجم ، هي :

1- **" ضد الأفاكيانية "** لآجيث الأمين العام للحزب الشيوعي الهندي (الماركسي – اللينيني) نكسلباري .

- الإجتماع الخاص و رسالة الحزب الشيوعي الثوري .

- أخلاقيات الجدال الأفاكيانية .

- المراحل التعسّفية للأفاكيانية .

- عرض مشوّه لماو .

- تشويه الأممية .

- المهمّة الوطنية فى الأمم المضطهَدة .

- المسألة الوطنية فى البلدان الإمبريالية .

- نقد طفولي لتكتيك الجبهة المتحدة .

- تقويض الإقتصاد السياسي الماركسي .

- الوضع العالمي .

- الديمقراطية الإشتراكية .

- الحقيقة و المصالح الطبقية و المنهج العلمي .

- نقد عقلاني للدين .

- بعض مظاهر الأفاكيانية " المابعدية " .

- الصراع صلب الحركة الأممية الثورية .

- أخبث و أخطر .

- الهوامش.

2- حول " القوّة المحرّكة للفوضى " و ديناميكية التغيير .

نقاش حاد و جدال ملحّ : النضال من أجل عالم مغاير راديكاليّا و النضال من أجل مقاربة علمية للواقع.

لريموند لوتا

I - إختراق حيوي : " القوّة المحرّكة للفوضى " كديناميكية حاسمة للرأسمالية :

أ- خلفية :

ب- حفريّات فى الإقتصاد السياسي :

II - رفض معالجة طبيعة المراكمة الرأسمالية – أو لماذا " الرأسمالي تجسيد لرأس المال " :

مزيدا عن المنافسة :

III - القوّة المحرّكة للفوضى و العالم الذى يخلقه رأس المال و يدمّره :

أ- الأزمة البيئية :

ب- التمدين والأحياء القصديرية :

ت- الأزمة العالمية ل2008-2009 :

IV - الرهانات : نظام لا يمكن إصلاحه ... هناك حاجة إلى الثورة :

- الهوامش :

فهرس الكتاب 16 :

(الماوية : نظرية و ممارسة - 16 –)

الأساسى من خطابات بوب أفاكيان و كتاباته

منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، 2011 Revcom.us

==

فهرس الكتاب 17 :

(الماوية : نظرية و ممارسة - 17 –)

5- المسألة القومية فى تركيا

الفصل الرابع : شارو مازومدار أحد رموز الماوية و قائد إنطلاقة حرب الشعب فى الهند

1- خوض الصراع ضد التحريفية المعاصرة

2- لننجز الثورة الديمقراطية الشعبية بالنضال ضد التحريفية

3- ما هو مصدر التمرّد الثوري العفوي فى الهند؟

4- لنستغلّ الفرصة

5- مهامنا فى الوضع الراهن

6- لنقاتل التحريفية

7- المهمّة المركزيّة اليوم هي النضال من أجل بناء حزب ثوري حقيقي عبر النضال بلا مساومة ضد التحريفية

8- حان وقت بناء حزب ثوري

9- الثورة الديمقراطية الشعبية الهندية

10- الجبهة المتحدة و الحزب الثوري

11- " لنقاطع الإنتخابات" ! المغزى العالمي لهذا الشعار

12- لننبذ الوسطية و نفضحها و نسحقها

الفصل الخامس : تحيّة حمراء للرفيق سانموغتسان الشيوعي إلى النهاية

1- حول وفاة الرفيق سنموغتسان / لجنة الحركة الأممية الثورية

2- الرفيق شان : شيوعي إلى النهاية / الحزب الشيوعي السيلاني (الماوي)

3- مساهمة ماو تسى تونغ فى تطوير الماركسية – اللينينية / سنموغتشان

4- دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ / سنموغتسان

5- دحض أنور خوجا / سنموغتسان

===

فيفري 2015

===